الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الهندسة المعمارية

قسم تخطيط المدن والبيئة

تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في الخارطة التنموية

الحالة الدراسية "مدينة معلولا"

The role of cultural dimensions effects in the developmental map

Case Study “City of Maaloula”

دراسة تحليلية ترصد إشكالية العلاقة ما بين تفاعل المشاهد الثقافية مع بعضها وتأثيرها على صنع فسيفساء الثقافة الوطنية والإرث الحضاري، وإعادة تركيبها بهدف الوصول إلى خارطة التنمية الثقافية بمفهوم مستدام.

دراسة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الهندسة المعمارية

قسم تخطيط المدن والبيئة

إعداد: م. رجاء إبراهيم

إشراف: محمد يسار عابدين

دكتوراه

التاريخ: 2014م

الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة دمشق
كلية الهندسة المعمارية
قسم تخطيط المدن والبيئة

تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في الخارطة التنموية

دراسة تحليلية ترصد إشكالية العلاقة ما بين تفاعل المشاهد الثقافية مع بعضها وتأثيرها على صنع فسيفساء الثقافة الوطنية والإرث الحضاري، وإعادة تركيبها بهدف الوصول إلى خارطة التنمية الثقافية بمفهوم مستدام.

الحالة الدراسية "مدينة معلولا"

دراسة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في الهندسة المعمارية
قسم تخطيط المدن والبيئة

إعداد:

م. رجاء إبراهيم

المشرف العلمي الأستاذ الدكتور: محمد يسار عابدين

السنة الجامعية 2014

تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في الخارطة التنموية

دراسة تحليلية ترصد إشكالية العلاقة ما بين تفاعل المشاهد الثقافية مع بعضها وتأثيرها على صنع فسيفساء الثقافة الوطنية والإرث الحضاري، وإعادة تركيبها بهدف الوصول إلى خارطة التنمية الثقافية بمفهوم مستدام

الإهـــــــــداء

إلى طائر الفينيق الذي سينفض الغبار وينهض من جديد.....

وطـني

الشـكر

إلى كل من وقف معي وساهم في إنجاز هذا العمل.....

أساتذتي

عائلتي

أصدقائي

فهرس الموضوعات

الفهرس:

الفصل الأول 8
1الجزء التمهيدي : 9
1-1 المقدمة: 9
2-1 إشكالية البحث: 12
3-1 أهمية البحث: 12
4-1 أهداف البحث: 12
5-1 منهجية البحث: 13
6-1 موضوع البحث: 13
7-1 مجالات البحث: 14
8-1 وسائل وتطبيقات البحث: 14
9-1 مكونات البحث: 15
10-1 مفاهيم وتعاريف خاصة بالبحث: 17
1-10-1 المتغيرات: 17
2-10-1 المتغيرات الاجتماعية: 17
3-10-1 التنمية: 18
4-10-1 التنمية الحضرية: 19
5-10-1 الثقافة: 21
6-10-1 الخارطة الثقافية: 21
7-10-1 الارتقاء: 21
8-10-1 الموارد الثقافية: 22
الفصل الثاني 24
1-2 الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية الحضرية: 25
1-1-2 المقابلة بين الريف والمدينة: 25
2-1-2 الاتجاه التاريخي: 26
3-1-2 الاتجاه الاقتصادي: 27
4-1-2 الاتجاه الديموغرافي: 28
5-1-2 الاتجاه النموذجي: 28
6-1-2 الاتجاه الايكولوجي: 29
7-1-2 الاتجاه السيكولوجي: 29
8-1-2 الاتجاه التنظيمي: 29
9-1-2 الاتجاه السياسي والإداري: 30
2-2 دور الأسرة في التنمية الحضرية: 30
1-2-2 تغير شكل الأسرة: 31

2-2-2 التحضر الأسري سبق التحضر: 32
3-2 خلاصة الفصل: 34
الفصل الثالث 35
3دور المتغيرات الثقافية في التنمية الحضرية : 36
1-3 مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي: 38
2-3 العوامل المؤثرة في حدوث التغير: 40
1-2-3 العوامل الايكولوجية والطبيعية: 40
2-2-3 العوامل السكانية: 42
3-2-3 العوامل الإيديولوجية والثقافية: 44
4-2-3 العوامل التكنولوجية: 47
5-2-3 العوامل الاقتصادية: 49
3-3 خلاصة الفصل: 50
الفصل الرابع 52
4الأسس النظرية المعتمدة لدراسة تأثير الأبعاد الاجتماعية والثقافية في عملية التنمية المستدامة : 53
1-4 التكوين الاجتماعي: 53
1-1-4 تحديد مفهوم البناء الاجتماعي: 53
2-1-4 تحليل تاريخي للبناء الاجتماعي: 55
3-1-4 دور الإنسان في البناء الاجتماعي: 58
4-1-4 نظريات البناء الاجتماعي: 58
2-4 التكوين الثقافي: 64
1-2-4 مفهوم الثقافة: 64
2-2-4 الخصائص العامة للثقافة: 65
3-2-4 الثقافة والمجتمع: 66
4-2-4 الثقافة العربية: 67
5-2-4 النظريات الثقافية: 68
3-4 التنمية المستدامة: 71
1-3-4 مفهوم التنمية المستدامة: 71
2-3-4 مبادئ التنمية المستدامة: 72
3-3-4 معوقات التنمية المستدامة: 73
4-3-4 دور المؤسسات الثقافية في التنمية المستدامة: 74
5-3-4 الثقافة والتنمية المستدامة: 75
4-4 خلاصة الفصل: 75
الفصل الخامس 77
5تجارب عالمية وعربية ومحلية في عملية الحفاظ والتنمية : 78
1-5 تجارب عالمية (مخطط الحفاظ لمدينة هوتونغ بيجين): 79
1-1-5 مقدمة تاريخية: 79

2-1-5 وصف عام لمدينة هوتونغ: 80
3-1-5 تطور المدينة: 80
4-1-5 استراتيجية الإرتقاء: 82
2-5 تجارب عربية (مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية): 84
1-2-5 مقدمة تاريخية: 84
2-2-5 وصف عام لمدينة القاهرة: 85
3-2-5 تطور المدينة: 85
4-2-5 إدراج القاهرة في قائمة التراث العالمي: 88
5-2-5 استراتيجية الإرتقاء: 88
6-2-5 الأهداف الاستراتيجية والأدوات لحملة التوعية بالقاهرة التاريخية: 90
3-5 تجارب محلية (المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية "دمشق القديمة"): 91
1-3-5 مقدمة تاريخية: 92
2-3-5 وصف عام لمدينة دمشق: 92
3-3-5 تطور المدينة: 93
4-3-5 إدراج دمشق في قائمة التراث العالمي: 96
5-3-5 استراتيجية الإرتقاء: 96
6-3-5 الأهداف الاستراتيجية: 98
4-5 المتغيرات الثقافية ودورها: 99
5-5 خلاصة الفصل: 101
الفصل السادس 103
6دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية /معلولا كحالة دراسية /: 108
1-6 تعريف الحالة الدراسية: 108
1-1-6 أهمية بلدة معلولا: 108
2-1-6 الربط الطرقي: 110
2-6 معايير الاختيار: 110
1-2-6 المعيار التاريخي والثقافي: 111
2-2-6 المعيار الطبيعي: 111
3-2-6 المعيار الاقتصادي: 112
4-2-6 المعيار المعماري والعمراني: 112
3-6 لمحة تاريخية: 112
1-3-6 معلولا ما قبل التاريخ: 113
2-3-6 معلولا الآرامية: 114
3-3-6 معلولا في العهود اليونانية –الرومانية –البيزنطية: 114
4-3-6 معلولا المسيحية: 114
4-6 الموارد الثقافية في بلدة معلولا: 115
1-4-6 موارد مادية ثابتة 116
2-4-6 موارد مادية منقولة 142

3-4-6 موارد غير مادية: 146
4-4-6 موارد عملية: 151
5-4-6 موارد طبيعية: 154
5-6 تطور بلدة معلولا: 165
1-5-6 الدراسة التوثيقية للوضع الراهن لبلدة معلولا القديمة: 168
2-5-6 تحليل المخططات التنظيمية: 168
6-6 خلاصة الفصل: 174
الفصل السابع 176
7تحليل الموارد الثقافية في بلدة معلولا : 177
1-7 التحليل والمناقشة: 178
2-7 التوقعات المستقبلية لعدد السكان: 187
1-2-7 دراسة تقدير عدد سكان معلولا المستقبلي للمقيمين بشكل دائم (عام 2025م): 187
2-2-7 تقدير عدد المصطافين المستقبلي في بلدة معلولا: 190
3-2-7 نتائج دراسة عدد تقدير السكان: 191
4-2-7 الاحتياجات العمرانية والتنظيمية: حتى عام 2025 192
3-7 المشاريع المنبثقة عن الدراسة التحليلية والمقترحة كفرص للتنمية: 192
1-3-7 مشاريع تنموية ذات أساس إحصائي: 192
2-3-7 المشاريع التنموية الحيوية ذات البعد الاستشرافي والتي تعتمد على تراتبية البعد الثقافي: 195
خـاتمـة: 221
التوصيات: 224
المـــــــــراجع: 225
- **المراجع العربية:** .....232.....
- المراجع الأجنبية: .....235.....
- **مراجع أخرى:** .....236.....
- **صفحات الإنترنت:** .....236.....

الفصل الأول

الجزء التمهيدي

1 الجزء التمهيدي:

1 1 المقدمة:

"إذا لم تكن الثقافة معطى وميراثاً ينتقل على حاله من جيل لجيل فذلك لأنها إنتاج تاريخي، أي أنها بناء يندرج في سجل التاريخ، وبشكل أدق، في تاريخ المجموعات الاجتماعية فيما بينها، ولكي يتسنى لنا تحليل منظومة ثقافية معينة، لا بد من تحليل الوضع الاجتماعي – التاريخي الذي ينتج هذه المنظومة كما هوعليه حالها"[1].

إن ما يعد أولياً، من الناحية التاريخية، هوالاحتكاك contact، أما الثانوي فهوعملية التمييز التي تنتج عنها الاختلافات الثقافية ويمكن أن يخطر ببال أية مجموعة بشرية في حالة معينة، الدفاع عن خصوصيتها من خلال محاولتها (الاقتناع) إقناع الآخرين بأن نموذجها الثقافي هونموذج أصيل وخاص بها وإن عملية التمييز تدفع إلى تقويم وتقوية مثل هذه المجموعة من الاختلافات الثقافية أكثر من مجموعة أخرى تنشأ من طبيعة الحالة.

يصنف مشهد العمارة والعمران والبيئة الطبيعة المحيطة بأنه من الشواهد الأساسية على نوعيةِ الحياة الاجتماعية/ الثقافية الخاصة في المكان، والمشهد كمنتج لابد وأن يعكس حقيقة توجه التغيرات الحاصلة في الحياة الاجتماعية/ الثقافية. يقول ابن خلدون في مقدمته[2]:

"إن خلاصة الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية؛ تفسر بالعمران"

والعمران- حسب ابن خلدون- دليل للثقافة ووعاء لممارستها، ف التفاعل الإنساني يُنتج عدداً من الظواهر الأصيلة بتأثير علاقات تبادلية مع المحيط الحيوي الذي يقع ضمن نفوذه، تنتظم هذه العلاقات ضمن إيقاعات ثقافية خاصة بالمجتمع المحلي اعتُمدت بالتكرار فالعادة فالعرف، وغالباً ما ارتبطت بالدين، وفق خصوصية مكانية تتعلق بجوانب اقتصادي ة/ اجتماعية/ بيئية؛ ومع ازدياد الحاجة إلى تنظيمات أكثر دقة وتفصيل وإلزام، ظهرت التشريعات الوضعية المقننة التي نظمت علاقات الناس فيما بينهم، ونظمت علاقة الإنسان بالمكان والبيئة الفيزيائية والطبيعية المحيطة به؛ وقد اختلفت التشريعات المنظمة لهذا المنتج تبعاً لاختلاف ثقافات الكيانات الإنسانية، فأنتجت شخصيات مكانية تختلف أو تتباين أو تتماثل وفقاً للمتطلبات الثقافية وردود الأفعال لكل مجتمع[3].

فالثقافات تنشأ من علاقات اجتماعية تكون دائماً غير متكافئة. هناك إذا منذ البداية تراتب فعلي بين الثقافات ناتج عن التراتب الاجتماعي. والظن بعدم وجود تراتب بين الثقافات يعني افتراض أنها توجد بمعزل عن بعضها بعض، لا علاقة بينها، وهو أمر غير واقعي. إذ كانت الثقافات كلها جديرة بالأهمية نفسها وبالاهتمام نفسه بالنسبة للباحث أو المراقب فهذا لا يسمح باستنتاج أن الثقافات كلها معترف بها اجتماعياً وتنطوي على القيمة نفسها. بهذا يمكننا الانتقال من المبدأ المنهجي إلى حكم القيمة.

---

[1] جورج بالانديه Georges Balandier ، الأنثروبولوجيا السياسية، ترجمة علي المصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2007، ص 10.

[2] **ابن خلدون:** هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خالد (خلدون) الحضرمي، مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي ينتهي نسبة إلي وائل بن حجر من عرب اليمن، ولد بتونس 1332م 732هـ؛ نشأ في اشبيلية، والمقدمة هي لكتابه العِبَرِ وديوانَ المبتدَأ والخبرِ في أيامِ العربِ والعجمِ والبربرِ ومن عاصرهُمْ من ذوي السُّلطان الأكبرِ.

[3] د. يسار عابدين، الدلالات الثقافية للبيئة الفيزيائية والطبيعية في منطقة وادي النضارة، بحث مقدم لقسم التخطيط والبيئة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، 2009.

لا بد إذا من اللجوء إلى تحليل حربي polemoloque للثقافات، لأنها تنبئ عن صراعات وتطور في حالات التوتر وأحياناً في حالات العنف، ومع ذلك، فلا بد من الابتعاد في هذا النوع من التحليل، عن التأويلات الاختزالية كتلك التي تفترض أن الأقوى يستطيع دائماً فرض نظامه الثقافي ببساطة على الأضعف. وطالما أنه لا توجد ثقافة حقيقية سوى تلك التي ينتجها الأفراد أو المجموعات التي تحتل مواقع غير متكافئة في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فإن ثقافات مختلف المجموعات تجد نفسها إلى حد ما، في وضع قوة (أو ضعف) إزاء بعضها بعضاً لكن حتى الأضعف، لا يجد نفسه دائماً، أعزلاً تماماً في اللعبة الثقافية.

إن ما تمتلكه سورية من موروث حضاري ثقافي وأثري موغل في القدم، موروث شعبي مميز، تنوع فكري وطائفي، تنوع ديني، كنوز ثقافية ينبغي المحافظة عليها ومعاملتها معاملة خاصة، إنها أطياف وتنوعات لفسيفساء المشاهد الثقافية، إنها خارطة ذات رونق خاص مميز ألوانها: مزيج من ثقافات آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، خطوطها : طريق الحرير قديماً، وتقاطع خطوط النفط والغاز، لأوروبا حديثا، إطارها: نافذة الشرق، على حوض البحر الأبيض المتوسط.

إنها تجسيد لتاريخ عريق في ملتقى القارات، إنها صورة لملكنا المشترك، ولأساس عيشنا، ولإرث أجدادنا، إنها الصورة التي سنتركها بعد أن نكون قد عملنا على تطويرها، وإغنائها، إنها مجالنا الثقافي.

وقد ارتقت المجتمعات النامية مدارج النمو بمثابرة حكوماتها على العمل على رفع مستوى رفاهية وكفاية شعوبها من خلال ما تنفذه من خطط لتنمية مرحلية اجتماعية واقتصادية وغير ذلك ، وتندرج هذه الجهود تحت مسمى التغير المقصود.

إضافة لهذا العامل هناك قوى وعوامل أخرى تعمل بطريقة تلقائية في إذكاء وتعبيد السبل وتنقية الأجواء الملائمة للإسراع بخطى التغيير، منها العامل التقني الذي ينضوي تحت منظومته كل المستحدثات والابتكارات المستجدة في مناحي الحياة المختلفة سواء في القطاع الزراعي أو الصناعي، أو التعليمي، أو الصحي، أو الإعلامي، أو الترويجي، أو الاتصالي وحتى الأجهزة المنزلية وما ينتج عنها من تغيرات اجتماعية وثقافية تمتد آثارها إلى كافة أرجاء المجتمع الأمر الذي يؤثر على وظائف المجتمع وبنائه الاجتماعي والأيكلوجي.

ومن العوامل التي لا يغفل تأثيرها في عملية التغيير العامل الأيكولوجي[1]، وقد رسخ في الأذهان بأن تأثيره بطيء، وذلك لأن التغيرات المناخية تأخذ أزماناً طويلة لحدوثها، ولكن مع ارتفاع الكثافة السكانية على وجه الأرض فإن أي تغيير للمناخ مثل شح الأمطار يتسبب في الجفاف والتصحر، مما يجعل الحياة مستحيلة في الكثير من المناطق التي كانت مأهولة بالسكان، مما يستدعي النزوح إلى مناطق أخرى خاصة إلى المناطق الحضرية أو مناطق ري دائمة وما يستتبعه من تغيير في القيم والأعراف والتقاليد والعادات وتغيير في سبل كسب العيش وبالتالي يحدث تغيير في التركيبة المهنية

[1] تستعمل كلمة إيكولوجيا مرادفا للبيئة الطبيعية والجغرافية التي يعيش فيها الإنسان، وتركز الدراسات الإيكولوجية على دراسة الآثار المباشرة للبيئة على الحضارة المادية والفكرية للشعوب ذات الوسائل التكنولوجية البسيطة. ويندرج تحت مفهوم الإيكولوجيا العديد من الأنواع : الإيكولوجيا البشرية الإيكولوجيا الاجتماعية وهناك الإيكولوجيا الحضرية وغيرها.

للسكان من مهن تقليدية كالزراعة التقليدية والرعي إلى مهن حضرية كالعمل بالتجارة الهامشية أو العمل بالمصانع أو في قطاع الخدمات، مما يستدعي التكيف النفسي مع قيم وأعراف وتقاليد المهن الجديدة.

أما العامل الإعلامي بوسائطه المتعددة والمتنوعة (إذاعة، وتلفاز بقنواته الفضائية، وصحف، وشبكة عنكبوتية Internet) فهي "تبث أفكاراً وأساليب حياة وأنماط معيشية وأعراف وتقاليد بصورة جذابة وبرسائل ومضامين منتقاة ومدروسة تنداح آثارها على المجتمعات النامية خاصة الحضرية منها مما يستدعي تنافسها وتصارعها وتفاعلها مع الأفكار والطرق التقليدية القديمة مفضية لتكوين مزيج جيد يحل محل ما كان سائداً في الماضي وصولاً في نهاية المطاف إلى التغير الاجتماعي"[1].

أما العامل الثاني فيتمثل في تأثير نبض تعاقب الأجيال على مسيرة التطور الاجتماعي، حيث يؤكد (كومت)[2] أن فئات السن الكبرى أكثر ميلا نحوالتعلق بالقيم المحافظة التقليدية بينما يرنو الشباب للإبداع والتجديد، ومن ثم فإنه كلما زادت نسبة مشاركة الشباب في مواقع القرار والسلطة كلما تسارعت وتيرة التغيير في المجتمع.

أما العامل الثالث فيتصل بالعامل السكاني، حيث يرى (كومت) أن ارتفاع حجم الكثافة السكانية يعني تزايد وتنوع الحاجات المختلفة، الأمر الذي يستلزم إحداث تغيير في قوى ووسائل الإنتاج لتلبية حاجات الأعداد المتزايدة[3].

وفيما يتعلق بالعلاقة بين التغير الثقافي والتغير الاجتماعي، يمكن القول أن الثقافة حسب التعريف التايلوري[4] الكلاسيكي يعني الكل المركب المعقد الذي يتضمن العقائد والأخلاق والعادات والعرف والقانون والمعرفة والفن وكل المقتنيات والمخترعات التقنية التي يتوارثها الأجيال ويكتسبونها بفضل كونهم أعضاء في المجتمع[5].

وعليه فإن هذا المدلول أعم وأشمل من مفهوم التغير الاجتماعي الذي يتضمن الإطار المعنوي والفكري دون الإطار المادي في حين يشمل التغير الثقافي جوانب الحياة بشقيها المعنوي والمادي، ومن هنا نجد أن التغيير الثقافي يتضمن بالضرورة التغيير الاجتماعي.

وفي هذا المضمار يميّز الباحثون بين التغيير في الجانب المادي والجانب اللامادي للثقافة من حيث الفارق الزمني في حدوثها. ويذكر هذا بعصر نظرية أجبرن عن التخلف الثقافي[6] والذي قصد من طرحه تبيان أسبقية الجانب المادي على الجانب اللامادي في خطا التغيير.

---

[1] زكي الفاروق، الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، 1978.

[2] أوغست كومت August Comte (1798- 1857)عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية

3روبرت لويرRobert lawyer ، وجهات النظر حول التغير الاجتماعي، 1977.

[4] نسبة لفريدريك تايلور واحد من أكبر علماء الإدارة والهندسة وكبير مهندسي شركة مدفال لصناعة الصلب في أمريكا والحائز على الميدالية الذهبية عام 1900 لاختراع متعلق بالصلب ومدير جمعية المهندسين الميكانيكية عام 1906 والحائز على درجة الدكتوراه الفخرية عام 1906 من جامعة بنسلفانيا.

[5] محمد عبد الخالق مدبولي، تحليل المفهومات التربوية عند فلاسفة التربية التحليليين، الجامعة الأردنية، الأردن، 1979، ص17.

[6] حالة وجود عنصرين مترابطين من عناصر الثقافة يتغيران بسرعة متفاوتة، أي أن أحدهما يتغير بسرعة والآخر ببطء أو لا يتغير مطلقا، فيكون العنصر الثاني مختلفا عن العنصر الأول. أول من أشار إلى هذه الظاهرة عالم الاجتماع الأمريكي وليم أجبرن W. Ogburn في كتابه "التغير الاجتماعي".

1 2 إشكالية البحث:

تعتمد الدراسات التنموية في معظمها على تحسين الحالة الاقتصادية بشكل أكبر من اعتمادها على الجوانب الاجتماعية والثقافية، ونظرا للقيمة الكبيرة التي تحملها المعاني الثقافية في المجتمع كان من الواجب الانطلاق والاعتماد على تنمية الجوانب الثقافية بشكل أكبر وموازي للجوانب الاقتصادية وفي هذا الإطار يطرح البحث عدد من التساؤلات على الشكل الآتي:

- ماهي الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية الحضرية؟
- ما دور الأسرة في عملية التنمية الحضرية؟
- ما دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية المستدامة؟
- ماهي الأسس النظرية المعتمدة لدراسة تأثير الأبعاد الاجتماعية والثقافية في عملية التنمية المستدامة؟
- ماهو دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية في مدينة معلولا؟
- ماهي الطريقة المثلى للاستفادة من الموارد الثقافية في عملية التنمية الحضرية؟

1 3 أهمية البحث:

- أهمية علمية: حيث يتناول البحث جانبا تخطيطيا هاما من اختصاصات تخطيط التنمية الثقافية من خلال الحفاظ على نوعية الحياة الثقافية.
- أهمية مكانية: حيث يتناول البحث منطقة هامة تمثل فترة أساسية من تاريخ سورية احتضنت في عمرانها أنواعا من الحياة المشتركة ضمن ثقافة تقليدية خاصة أنتجت نوعا متميزا من المجتمعات.
- إن إعداد الخارطة التنموية للمجتمع على أساس دراسة الأبعاد الثقافية لهذا المجتمع تكتسب أهمية كبيرة لأنها تعطي صورة واقعية عما يحتاجه هذا المجتمع في إطار التنمية.
- ومن خلال إعداد هذه الخارطة تبرز الأهداف التنموية التي تعود بالفائدة على المجتمع بالإضافة إلى أنها تسمح للعاملين في المجتمع بمعرفة واقعهم والتعامل معه بالشكل الذي يسمح بتطويره.

1 4 أهداف البحث:

إن لدراسة المتغيرات الثقافية التي تؤثر في الخارطة التنموية أهداف كثيرة, إنها عملية خلاقة تبرز من خلالها الأهداف التنموية التي نتطلع إليها والتي من خلالها يمكن رصد ودراسة أهمية البعد الثقافي والخارطة الثقافية في رسم الاستراتيجيات التنموية وأهمية تحليل الموارد الثقافية لمنطقة ما في وضع سياسات الارتقاء والتنمية الخاصة بها.

يضاف إلى ذلك:

- أنها تعتبر وسيلة تخطيط للتنمية المجتمعية الثقافية.
- توثيق الإرث التاريخي للمجتمع.
- وسيلة خلق وعي جمعي بالتاريخ الحضاري للمجتمع وكيفية استثماره الاجتماعي والاقتصادي.
- تسهيل عملية وضع الاستراتيجيات الاقتصادية والاجتماعية.

1 5 منهجية البحث:

اعتمد البحث على مجموعة من المقدمات التاريخية والأسس النظرية ومن ثم انتقل للجزء التطبيقي منتهجا عدة مناهج:

- **المنهج النظري**: يتناول هذا المنهج الدراسات المتعلقة بمفاهيم التنمية الحضرية والمتغيرات الثقافية والاجتماعية، والاطلاع على أهم الأفكار والدراسات البحثية السابقة بهذا الموضوع.
- **المنهج التحليلي المقارن** : يعتمد هذا المنهج على إيراد تجارب عربية وعالمية في مجال استثمار تراتبية الأبعاد الثقافية في عملية التنمية الحضرية. ويؤدي إلى إيجاد العلاقة بين أطراف البحث المختلفة مما يوجه إلى إيجاد مبادئ عامة وإسقاطها على بلدة معلولا.
- **المنهج الإحصائي التطبيقي**: يقوم البحث من خلال هذا المنهج بطرح مجموعة من الفرص التنموية لبلدة معلولا ناتجة عن تحليل المخططات التنظيمية والبيانات الإحصائية.
- **المنهج الاستقرائي التطبيقي** : يعتمد هذا المنهج على طرح رؤية مستقبلية غير مبنية على أسس إحصائية تصميمية أو تخطيطية وإنما تنطلق من المسلمات والفرضيات المتفق عليها من مختلف اتجاهات البحث العلمي والفكري والتكنولوجي.

1 6 موضوع البحث:

ليس هناك انقطاع حقيقي بين الثقافات المتواصلة مع بعضها تدرجياً، على الأقل في داخل حيز اجتماعي معين فللثقافات الخاصة ليست غريبة أبداً عن بعضها حتى حينما تتفاقم اختلافاتها لتترسخ بشكل أفضل ولكي تتميز عن بعضها البعض. وعلى هذا يقود البحث لاعتماد مسعى يتسم بِـ "الاستمرارية" ويشجع البعد العلائقي[1] الداخلي والخارجي للمنظومات الثقافية المتواجه.

تواجه المشاهد الثقافية لمجالنا الثقافي تحديات نظراً إلى غياب الخطط الاستراتيجية في بلورة مشروع ثقافي يتطلع إلى تأكيد هوية مغايرة تضع في حسابها تحولات الخريطة الثقافية في العالم.

وكان من الطبيعي أن تتبادل كيانات التفاعلات الإنسانية بعض الجوانب الثقافية الحضارية مع غيرها بصورة تنافسية خلال سعيها نحو الأفضل، ولكنها كانت تتجنب الذوبان في بوتقة الغير محافظة على شخصيتها الثقافية المكانية المتميزة؛ ومع إقلاع عملية العولمة ووصولها لدرجة إلغاء عامل المسافة من جميع المعادلات، تمّ توحيد قيمة المكان، وبدأت إجراءات إزالة ملامح الشخصيات المكانية الخاصة لتحل بدلاً عنها هوية بمكونات اقتصادية وأخرى تقنية مُعمّمة على المكان كعنصر افتراضي مطلق، بغض النظر عن كل الخصوصيات الثقافية المتراكمة عبر التاريخ في الأماكن المُلغاة؛ وبات المكون الثقافي الأصيل كأحد المقتنيات التي يمكن أن تُزَيَن بها الجدران [2]. فتحديات العولمة بثوراتها المزدوجة، التقنية والعلمية، والتي فتحت آفاقاً لا سابق لها أمام نشر المعارف وأدت إلى تحولات وانعطافات تركت أبرز الأثر على الهوية الثقافية وغيرت علاقة الإنسان بالزمان والمكان وبالعمل والاتصال، ففككت أطر الوعي والانتماء وفجرت حدود الزمان والمكان، وزعزعت معالم الذاكرة

[1] حدد جاسفيلد (1975) بعدين للمجتمع: إقليمي وعلائقي. يختص البعد العلائقي للمجتمع بطبيعة العلاقات وجودتها في هذا المجتمع، في حين أن بعض المجتمعات قد لا تميزها حدود إقليمية ملحوظة كما في حالة مجتمع العلماء الذين يعملون في تخصص معين، فقد يكون بينهم نوع من أنواع التواصل وجودة في العلاقات على الرغم من أنهم قد يعيشون ويعملون في مواقع متباينة، وربما حول العالم .وتعرف مجتمعات أخرى بشكل أساسي وفقًا للمنطقة، كما في حالة الأحياء السكنية، ولكن حتى في مثل هذه الحالات، فإن القرب أو الإقليم المشترك لا يمكنه أن يشكل مجتمعًا بذاته، فالبعد العلائقي ضروري أيضًا.

[2] د. يسار عابدين، الدلالات الثقافية للبيئة الفيزيائية والطبيعية في منطقة وادي النضارة، بحث مقدم لقسم التخطيط والبيئة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، 2009.

وثوابتها وغلبت إنتاج الآني والعابر على إنتاج الثابت والدائم والثقيل، إنها تحديات تواجه المجال الثقافي بمشاهده المختلفة.
إن تخصيص الدراسة ضمن المجال الثقافي السوري يتطلب عرض أهم السمات الثقافية المكونة لهذا المجال من خلال تناول كافة الأبعاد التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ومنظومة بناء التنمية ضمن المجتمع السوري، وتحقيق مستوى من التجريد عال المستوى في تكامل الأفكار والمسلمات التي تشكل ملامح الثقافة الكلية للمجتمع السوري.

ولذلك يمكن للباحث الاستفادة من تعقب ظاهرة التغير الاجتماعي ووضع استراتجيات إحداث التغير المقصود فمن غير المعقول ترك مصير الشعوب لاتجاهات قدرية في عالم متغير وخاصة أن اتجاهات التغيير ليست غامضة فهي تأخذ شكل أو اتجاه:

- التمسك بالقديم من خلال (تأجيل التغيير).
- الاتجاه نحوالتحديث (التغيير).
- الخلط بينهم كموقف استدلالي (مراقبة).

1 7 مجالات البحث:

- المجال العلمي: يقوم البحث بدراسة تخطيطية تنموية تؤكد على أولوية البعد الثقافي في عملية التنمية.
- المجال المكاني: معلولا كبلدة تراثية في المحيط الحيوي لمدينة دمشق.
- المجال الزماني: يشمل البحث دراسة تاريخية لبلدة معلولا منذ نشأتها، ثم ينتقل لدراسة الواقع الحالي للبلدة بالاعتماد على البيانات المتوفرة بين عامي 2010-2013. لينتهي البحث بطرح مجموعة رؤى مستقبلية ذات عمر تخطيطي 5-10 سنوات.

1 8 وسائل وتطبيقات البحث:

جمع وتحديث المعلومات تم على الشكل التالي:

1. الحصول على المخططات والبيانات المتوفرة لدى الجهات المعنية وهي المخططات التالية:
   - التعداد السكاني لريف دمشق عام 1981.
   - التعداد السكاني لريف دمشق عام 1994.
   - المكتب المركزي للإحصاء، تعداد 2004.
   - منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1965م، محافظة ريف دمشق.
   - منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998م، محافظة ريف دمشق.
   - الرفع العمراني والمعماري الذي تم من قبل جامعة دمشق – كلية الهندسة المعمارية- الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية بالتعاون مع وزارة الإسكان والتعمير عام 2002.
   - مشروع ترميم وتأهيل واجهات مدينة معلولا القديمة الذي تم من قبل مكتب دمشق للعمارة والتراث بالتعاون مع وزارة الإدارة المحلية عام 2010.
   - مشروع تأهيل الفج الشرقي الذي تم من قبل مكتب دمشق للعمارة والتراث بالتعاون مع وزارة الإدراة المحلية عام 2010.

2. تحديث مخطط البلدة:

وذلك عن طريق التوثيق العمراني والمعماري من قبل الباحثة للدراسات السابقة عامي 2011 – 2013 واعتماده كخريطة أساس تتضمن مايلي:

- استعمالات الأراضي- الوضع الراهن.
- تحديد الكتلة العمرانية وتقسيمات الأراضي.
- تحديد شبكة الطرق.
- تحديد الموارد الثقافية وتصنيفها.
- جمع المعلومات (السكانية والعمرانية - المرافق- الخدمات العامة).

1 9 مكونات البحث:

يبدأ البحث بالجزء الأول بدراسة دور المتغيرات الثقافية في الخارطة التنموية من خلال دراسة نظرية تتعلق بالاتجاهات النظرية للتنمية الحضرية ودور الأسرة والمتغيرات الثقافية في عملية التنمية نهاية ببعض التجارب العالمية.

ولما كان الإرث الحضاري هو مورد غير قابل للتجديد ولا يمكن نسخه أو تقليده وعند فقدانه فهو يفتقد إلى الأبد، فقد ميز البحث في جزئه الثاني بين الموارد الثقافية المختلفة لبلدة معلولا وتأثيرها في الخارطة التنموية من خلال تحليلها وتحليل المخططات التنظيمية و في جزئه الأخير طرح البحث مجموعة من الفرص التنموية المرتبطة بالإمكانات الثقافية الموجودة في البلدة.

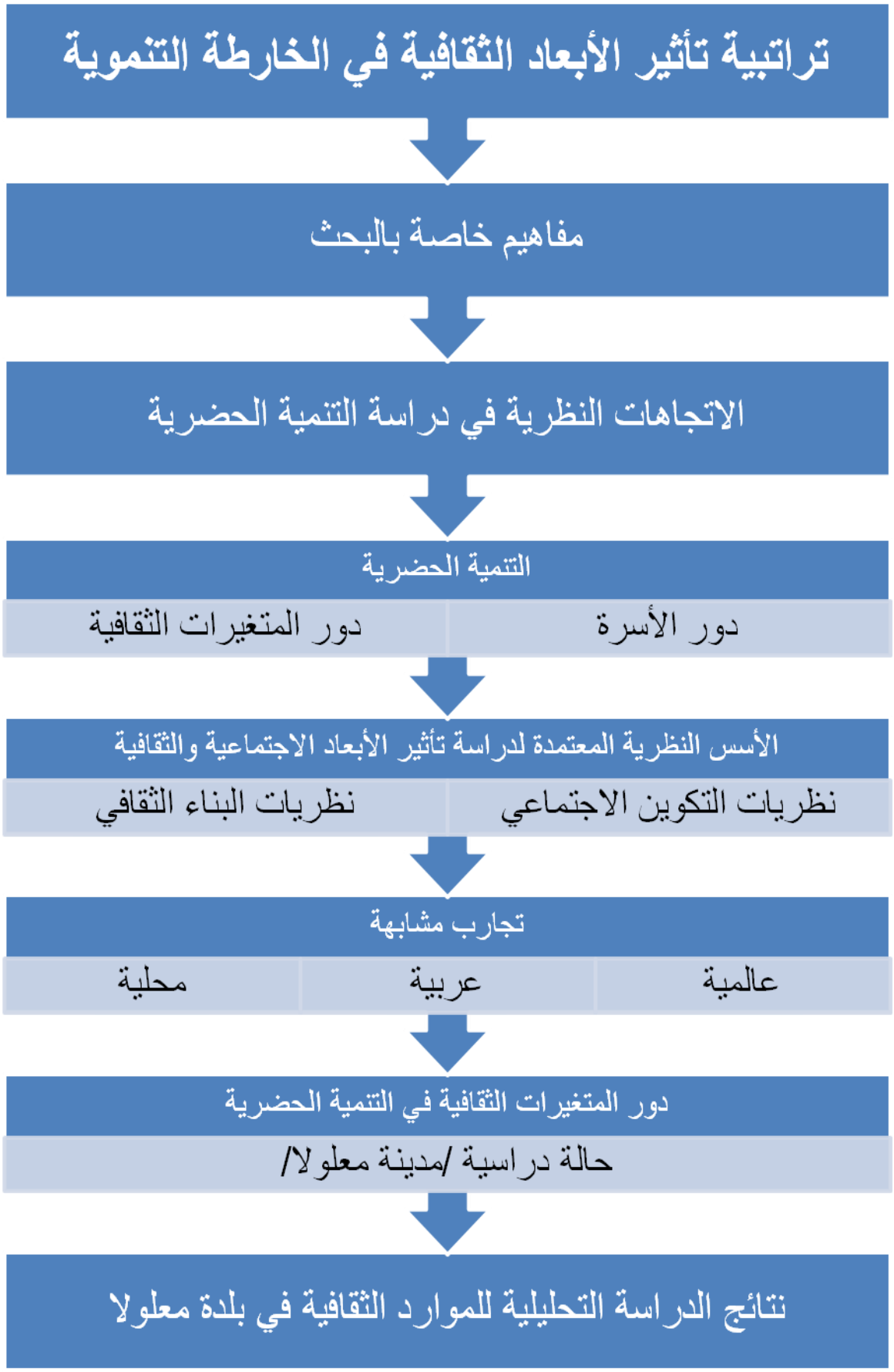

رسم توضيحي 1: مخطط البحث

1 10 مفاهيم وتعاريف خاصة بالبحث:

يهدف هذا القسم إلقاء الضوء على المفاهيم الخاصة بالبحث فكل فرد في حياته اليومية والعملية يحاول أن يدرك ما يقوله الآخرون، ومن ثم فإن افتقار البحث إلى تحديد مفهومات المصطلحات يوقع الباحث والقارئ في غموض وإبهام.

1 10 1 المتغيرات Variables:

يشير مصطلح المتغيرات بوجه عام إلى كمية تتغير، وعلى نحوأكثر دقة يكون التغير عبارة عن أي خاصية مميزة يمكن قياسها وتتخذ قيماً مختلفة ومتنوعة في حالات فردية متعاقبة. فقد يشمل الاستخدام الواسع لمصطلح المتغير على بعض الخصائص المميزة التي لا يمكن قياسها بطريقة حسابية أو رياضية مثال الجنس والقبيلة.

وقد جرت العادة عند المقارنة بين متغيرين أن يسمى أحدهما متغيراً تابعاً أو معتمداً Dependent Variables وهي المتغيرات التي يعتمد وجودها على متغيرات أخرى نسميها المتغيرات المستقلة Independent Variables.

ولا شك أن العلم يستهدف إيجاد شبكة من العلاقات بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة أو بمعنى آخر شبكة من العلاقات بين الأسباب (المدخلات) inputs ولتكن (أ) (المخرجات) Outputs ولتكن (ب)، هذا ومن الضروري أن يقوم الباحث بتصنيف المدخلات والمخرجات حسب خصائصها. وتتشكل هذه المقاييس في عبارات تتسم بالعمومية ويتمثل ذلك في قولنا أنه حين يحدث أ يحدث ب.

وفي هذه الدراسة تستخدم المتغيرات الآتية:

المتغير التابع Dependent = التنمية الحضرية.

المتغير المستقل Independent = المتغيرات الاجتماعية.

ويتضح من هذه الدراسة أن (المتغير المستقل = المتغيرات الاجتماعية) تؤدي إلى تأثير مباشر على (المتغير التابع = التنمية الحضرية)، ويتغير المتغير الثابت في هذه الدراسة (المدخلات inputs الكامنة) والمتغير التابع = المخرجات (Outputs) ونعني بالمدخلات المصادر الرئيسية للتنمية الحضرية. أما المخرجات فهي المستوى الذي تصل إليه التنمية الحضرية في ضوء المتغيرات الاجتماعية.

1 10 2 المتغيرات الاجتماعية Social variables:

المتغيرات الاجتماعية هي جزء من الظواهر الإنسانية، حيث أن الظواهر الإنسانية ليست جميعها متغيرات اجتماعية، فكل فرد في أي مجتمع يشرب وينام ويأكل ويفكر وللمجتمع كل الفائدة في كل ما يؤديه كل فرد من أفراده للوظائف التي تمارس بطريقة رتيبة، وإذا كانت هذه الوظائف جميعها اجتماعية فإن علم الاجتماع لا يكون موضوعاً مستقلاً ولو اختلطت موضوعاته ومجالات بحثه بعلم النفس وعلم البيولوجيا.

ولتفسير ذلك نذكر أن الظواهر الإنسانية أي المتعلقة بالإنسان ومجتمعه تشمل ثلاث ظواهر: فسيولوجية ونفسية واجتماعية وتختص الظواهر الفسيولوجية بالعمليات والوظائف التي تشكل الأفراد من حيث الجسم واللون والأكل والشرب والتوالد والنمو. . . . الخ وهي تدخل مجال علم الحياة.

وللتمييز بينها وبين الظواهر الاجتماعية ونذكر أن الأول عملية الأكل والشرب في حين أن الثانية هي

طريقة الأكل والشرب وألوانه فالناس يختلفون في طريقة المأكل إذ يأكل بعضهم على الطاولة وآخرون يفترشون الأرض.

وفي هذا الخصوص كتب (تارد Tard)[1] يقول: أن ما يؤديه الإنسان من أفعال دون أن يكون ناقلاً عن شخص آخر كالمشي والبكاء والأكل والزواج هي أفعال حيوية محضة تقتضيها حياة الفرد غير أنه إذا مشى بخطوة معينة أو أنشد أغنية أو فضل أصناف الطعام الوطنية وتناولها بطريقة مهذبة أو غازل امرأة بطريقة العصر كل هذه الأشياء تعتبر أفعالاً اجتماعية. أما الظواهر النفسية فهي التي تخص الإنسان من حيث أنه فرد مفكر وهي تتعلق بعمليات التفكير والإدراك في الفرد مثل الضحك والبكاء والإحساس بالجوع والشعور بالألم وهي تدخل مجال علم النفس وهي كذلك ظاهرة فردية لأن الأفراد يقومون بها منفصلين الواحد عن الآخر كما لا تختلف من مجتمع لآخر وليس مصدرها المجتمع.

ويظهر الفرق بين الظواهر الاجتماعية والفردية في أنه تحدث الأولى حين يتظاهر [2] الأفراد أو يجتمعون فإنهم يقومون بأعمال همجية فإذا انفض المجتمع وكفت العوامل الاجتماعية فينا ووجد كل امرئ نفسه وجهاً لوجه فإن العواصف التي مرت بشعورنا والأعمال الهمجية التي قمنا بها ونحن مجتمعين تبدولنا غريبة بل قد نستنكره ونستبعد أن يحصل ذلك منا.

إن المتغيرات الاجتماعية هي الأسلوب الذي يتبعه الأفراد الواعون في علاقاتهم بعضهم مع بعض. عرفها (أميل دوركايم Émile Durkheim)[3] بأنها عبارة عن نماذج من العمل والتفكير والإحساس التي تسود مجتمعاً من المجتمعات ويجد الأفراد أنفسهم مجبرين على إتباعها في عملهم وتفكيرهم بل هي تفرض على إحساسهم، وفي مجال آخر يعرف دوركايم الظواهر الاجتماعية بأنها: "كل ضرب من السلوك ثابتاً كان أو غير ثابت يمكن أن يباشر نوعاً من القهر الخارجي على الأفراد أو هي كل سلوك يمكن أن يعم في المجتمع بأسره وكان ذا وجوب خاص مستقل عن الصور التي يتشكل بها في الحالات الفردية"[4].

والظواهر الاجتماعية والتيارات الكلية التي تسود المجتمع تنشأ نتيجة لتفاعل أفكار الأفراد وتشابك آرائهم وهذا التفاعل يؤدي إلى وجود عقل جديد يختلف عن عقول الأفراد وهوالعقل الجمعي Group mind الذي هومصدر التيارات الاجتماعية والعواطف وأنواع الشعور الاجتماعية ثم التغيرات والظواهر الاجتماعية.

ويظهر التوافق في خضوع المتغيرات أو الظواهر الاجتماعية لعامل الاتفاق في الزمان ولعامل الاتفاق في المكان، ويظهر التوافق في الزمان في صورة وحدة التقاليد فالأجيال السابقة تورث الأجيال اللاحقة عاداتها وطرق تفكيرها، أما التوافق في المكان فيظهر في وحدة اللهجات واختيار الملبس والذوق في تأسيس المسكن والتعلق بأفكار وآراء متسلطة كل ذلك يتحدد في دوائر سكنية أو مساحات معينة من الأرض.

1 10 3 التنمية Development:

التنمية Development من الألفاظ التي شاع استخدامها بكثرة في الآونة الأخيرة، وبالرغم من ذلك فما زال اللفظ يكتنفه الغموض والإبهام وقد ظهرت اتجاهات نظرية عديدة ومتنوعة تعالج هذا

[1] جابريل تارد 1843-1904 أحد المنظرين الاجتماعيين وصاحب نظرية التقليد أو التعلم الاجتماعي.

[2] يخرجون بمظاهرة.

[3] إميل دوركايم :(1858 - 1917) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي .يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث, وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا.

[4] أميل دور كايم , قواعد المنهج في علم الاجتماع , ترجمة محمود قاسم , القاهرة , 1950 , ص41.

الموضوع، فقد تناوله بعض المفكرين الأمريكيين من زاوية تغلب عليها النظرية ويرون أنه التغير الاجتماعي Social Changes الذي تقدم من خلاله أفكار جديدة في النسق الاجتماعي Social System بهدف تطور وتحسين أحوال الناس وتوفير الخير الاجتماعي Social Well Being لهم.
والحق أن التغير يختلف عن التنمية فالتغير يحدث تلقائياً في كل اتجاه وسواء أردنا هذا أم لم نرد بينما التنمية هي التغير الموجه الذي تلعب فيه الإرادة دوراً جوهرياً.
وتشير كلمة التنمية كذلك إلى البرامج الاقتصادية وغير الاقتصادية التي تنجم عن تنظيم المجتمع المحلي، واعتبر بعض السيسيولوجين أن تنمية المجتمع المحلي هي عملية انتقال المجتمعات من نمط ما قبل الصناعة إلى النمط الصناعي.
ونظر آخرون إلى التنمية باعتبارها أداة للتحرك نحوعملية معينة نسعى نحو إنجازها. والعملية هي حركة تقدمية من مرحلة معينة إلى مرحلة معينة من مرحلة لاحقة، ويتمثل ذلك في قيام الصفوة بوضع قرارات عامة تستهدف مصلحة جميع أفراد المجتمع، وينطوي ذلك على عملية التعاون ومن مشاركة قلة من الأفراد في اتخاذ القرارات إلى المشاركة الجماعية أما الحركة فهي نزعة ديناميكية يقصد بها التقدم باعتباره تصور فلسفي لا علمي، والتقدم هوالقيم والأهداف التي تختلف من نسق سياسي إلى نسق سياسي آخر.
وبناء على كل ما تقدم فإنه يمكن القول أن التنمية ما هي إلا تغير (تغيير اجتماعي إرادي مقصود) للانتقال بالمجتمع من الحال الذي هوعليه فعلاً إلى الحال الذي ينبغي أن يكون عليه أملاً وبمعنى آخر هي العملية المرسومة والمقصودة والمخطط لها تخطيطاً سليماً بهدف إحداث تغيير لتقدم المجتمع بكل أبعاده اقتصادية كانت أم اجتماعية أم ثقافية أم سياسية وذلك في حدود الإطار العام لخطة الدولة.

1 10 4 التنمية الحضرية Urban Development:

يستوجب تفسير التنمية الحضرية الإجابة عن تساؤلات تدور حول أماكن المناطق الحضرية وكيف تنموالمدن وتتغير وما هوالبناء الأساسي لشكل المنطقة الحضرية ومكوناته.
تعد التنمية الحضرية عملية تطوير المجتمعات الريفية إلى مجتمعات حضرية كما تشير كذلك إلى نشأة المجتمعات الحضرية ونموها.
وتشير التنمية الحضرية كذلك إلى زيادة كثافة السكان بما يتعدى 2000 نسمة في الكيلومتر المربع وكبر حجم المدينة بما يزداد عن 10000 نسمة واشتغال الأفراد في الإنتاج وتوزيعها التكنولوجيا وسيادة المهن التجارية والصناعية والخدمات ووجود درجة عالية من تنسيق العمل وتنظيم التفاعل الاجتماعي وترتبط التنمية بنموالدولة ونمو وتنسيق الضبط الاجتماعي الذي لا يقوم على أسس القرابة.
وتعني التنمية الحضرية كذلك, التغيرات التي تعتري المدينة، وتشمل هذه التغيرات المساكن وبناء العمارات الشاهقة وإنشاء الشوارع والأحياء وغرس الأشجار.
وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر مفهوم جديد للتنمية الحضرية، فقد كتب سكوت[1] (1969) John Scott بحثاً عن المشاكل الحضرية تتضمن الحاجات الفسيولوجية والاجتماعية للمدن. واهتم بالأحياء المختلفة Slums ثم ظهرت أعمال أخرى تتعلق ببرنامج تجديد المدن والقرى في بريطانيا

[1] جون سكوت John Scott 1949، هو عالم اجتماع بريطاني يعمل على موضوعات علم الاجتماع السياسي والاقتصادي، الطبقات الاجتماعية، تاريخ علم الاجتماع، وتحليل الشبكات الاجتماعية. ومقره الحالي في جامعة بليماوث، المملكة المتحدة، وسبق وعمل في جامعات ستراثيلايد، ليشستر، وإسكس .وهو زميل الأكاديمية البريطانية) أنتخب عام 2007)، أكاديمي في أكاديمية العلوم الاجتماعية) انتخب عام 2003). وهو عضو في الاتحاد البريطاني لعلم الاجتماع منذ عام 1970.

عام 1947. وفي عام 1968 ظهر نوع من التنمية يهتم بحركة الإسكان ويرتبط بنمط استخدام الأرض.

وأورد (فورستر J. W. Forrester)[1] أن التنمية الحضرية تشمل وضع برامج للتدريب المهني وتكاليف الإسكان المنخفضة حيث أن هذه البرامج تؤدي إلى انخفاض عدد العاطلين[2].

وفي ضوء ذلك يمكن تعريف التنمية الحضرية بأنها علمية نشأة المجتمعات الحضرية ونموها وتطويرها وتطوير المجتمعات الريفية إلى حضرية والتغيير الموجه الذي يعتري المدينة من حيث ازدياد الكثافة السكانية والاشتغال بأعمال غير زراعية وبدرجة عالية من تقسيم العمل والتعقيد الاجتماعي وفي ضوء الضبط الذي لا يستند على أسس قرابية وكذلك تجديد وإقامة المباني والتغيير الجوهري في استخدام الأرض.

1 10 4 1 عوامل التنمية الحضرية:

صنف (جون ديكي Joan Dickey)[3] المتغيرات التي تؤدي إلى التنمية الحضرية إلى أربعة عناصر رئيسية[4]:

- الإنسان والجماعات.
- البيئة الطبيعية.
- البيئة التي يصنعها الإنسان.
- النشاطات.

بالإضافة إلى ذلك تعود التنمية الحضرية ونموالمدن إلى تقدم الاختراعات والكفاءات المتزايدة في تكنولوجيا النقل والمواصلات والمعرفة الكاملة بوسائل الإمداد بالمياه والهواء والأرض والمصادر الطبيعية التي تحتاج إليها التنمية الحضرية وكذلك التخصص والتكامل بين المناطق الريفية والحضرية حيث تعتمد المدن اعتماداً كبيراً على التجارة كما أن النموالسكاني الذي صاحب الثورة الصناعية من العوامل الهامة في عملية التنمية الحضرية. فتكنولوجيا الصحة والعلاج أدت إلى انخفاض نسبة الوفيات. وينتج عن ذلك النموالسكاني زيادة قوة العمل.

ويضاف إلى ذلك متغيرات تضم المهنة السائدة وتقسيم العمل إذ تنموالمدن نتيجة ظهور أعمال جديدة تتراكم فوق الأعمال التقليدية ومع زيادة نموالمدن تزداد المشاكل الاجتماعية التي تحتاج إلى المزيد من السلع والخدمات مما يؤدي إلى زيادة الكفاءة الاقتصادية.

1 10 4 2 معدلات التنمية الحضرية:

من الصعوبة بمكان إطلاق تعميم على ظاهرة بناء الأنساق الحضرية، إذ يختلف التحضر من حيث كماله من نسق حضري إلى نسق آخر. ويعود هذا أن التاريخ قد ترك أنساقاً من المدن في المجتمعات عبر مراحل مختلفة من التنمية وتتمثل هذه الاختلافات في معدل النموالحضري العالي والتنوعات في أحجام المدن وفي البناء الاقتصادي ومستوى الدخل الفردي والقومي والتعليم والمهارات التكتيكية والتكنولوجيا والتصنيع وانتشار الجرائد ووسائل الاتصال الإلكترونية وتسهيلات النقل والقوى الخارجية للتنمية الحضرية. وترتبط هذه الجوانب جميعها بالتحضر إذ ينخفض التحضر في المدينة

[1] جاي فورستر : (Jay W Forrester)أستاذ امريكي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ومخترع في مجال الحواسيب ومؤلف كتاب ديناميكيات العالم.

2 Jay Forrester, World Dynamics , Cambridge , 1971.

[3] جون ديكي، عالم جغرافيا فرنسي، معروف على نطاق واسع في دراساته على المنطقة الحضرية في المدن الكبيرة.

[4] الياس عياشي، الخدمات السياحية الفندقية والتنمية الحضرية في جيجل، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 45.

التي ينخفض فيها أي عنصر من هذه العناصر والعكس صحيح. وينتج عن ذلك اختلاف خريطة التحضر من دولة إلى دولة أخرى.
لا يقتصر اختلاف معدلات التنمية الحضرية بين الدول المتقدمة والدول النامية بل يمتد إلى الدول المتقدمة فيما بينها. فالنسق الحضري في الولايات المتحدة الأمريكية يختلف عن النسق الحضري في الدول الأوروبية، كما تختلف الأنساق في الولايات المتحدة الأمريكية بعضها عن بعض فنيويورك ولوس انجلوس يختلفان عن بقية المناطق الحضرية في موقعها الجغرافي.
كما تختلف معدلات التحضر بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الدومينكان. ففي الولايات المتحدة الأمريكية تكاد تختلف الاختلافات والفروق بين المدن والقرى وتسود الثقافة الحضرية الريف وينتشر في ريف الولايات المتحدة الأمريكية استخدام وسائل النقل السريع ووسائل الاتصال. وظهر في مدن الولايات المتحدة الأمريكية الضواحي التي يتمتع سكانها بنفس المزايا التي يتمتع بها سكان المدن.
وعلى عكس ذلك تقل كفاءة وسائل النقل في دول الدومينكان وتعتبر ثقافة الريف أقل تحضراً وقد أشار (ناثان كييفيتي Nathan Keyfity)[1] إلى تدفق المهاجرين من ريف الدومينكان إلى مدنها. وعاش المهاجرون في المدن وقد تغلبت عليهم ثقافة الريف. واحتفظوا بعلاقاتهم القرابية في القرى. ويشكل المهاجرون تجمعات في المدينة التي يقطنونها. كما أن اتجاهات الإنجاب واتجاهات السكان في المدن تشبه اتجاهات القرية.

1 10 5 الثقافة Culture:

إن مفهوم الثقافة الذي أُنجز البحث على أساسه يقوم على اعتبار جميع أوجه النشاط الإنساني العملي والمادي والفكري عناصر في ثقافة الجماعة، وبالتالي فهويبتعد عن المفهوم الشائع الذي يحصر الثقافة في النتاج الفكري (أدبي، موسيقي، فني.). والموارد الثقافية التي تشكل مادة هذا النشاط وهدفه، هي، حسب هذا المفهوم، كل العناصر التي تربط المواطن بالمكان الذي يعيش فيه. وهي رأسمال حقيقي يمكن، إذا ما جرى استثمارها بشكل جيد، أن تساهم بشكل جدّي في تنمية المجتمع الذي توجَد فيه.

1 10 6 الخارطة الثقافية Culture Plan:

إن وضع خارطة ثقافية للموارد الثقافية الموجودة ضمن فضاء محدد (مجتمع أو جماعة) هو أساس بالغ الأهمية لنجاح مشاريع التنمية والتطوير التي تتطلع المؤسسات الحكومية والمدنية والأفراد لإنجازها في هذا المجتمع أو مع تلك الجماعة. فالخارطة الثقافية هي أداة عمل تقنية ومنهجية تساعد في وضع السياسة التنموية لمنطقة انطلاقا من مواردها الثقافية.
إن عملية البحث من أجل وضع الخارطة الثقافية عملية خلاقة بذاتها، فخلالها يمكن أن تبرز مقترحات لمجموعة من المشاريع التنموية التي تعود بالفائدة على الفضاء الذي يتم المشروع في إطاره. كما أنها عملية توعية بذاتها لأنها تنبه المواطنين في الفضاء المحدد إلى أهمية منطقتهم وتحثهم على التعرف على واقعهم والتعامل معه بالشكل الذي يسمح بتطويره.

1 10 7 الارتقاء Upgrade:

نعرف هذا التعبير عند مختلف التخصصات:

- في مجال العلوم الهندسية يعني تحسين شبكات البنية الأساسية.
- بالنسبة للمعماري يعني تحسين الشكل المعماري وتطويره وكذلك إصلاح المبنى.

[1] ناثان كييفي، خبير ديموغرافي كندي، رائد في الديموغرافيا الرياضية.

- بالنسبة للمصمم الحضري تطوير البيئة الحضرية التي تتمثل في التشكيلات البنائية وتنسيق المواقع وتحسينها.
- أما بالنسبة للاجتماعي فيعني الارتقاء بالإنسان الذي يقيم ويستخدم هذه المباني بسلوكياته وعلاقاته الاجتماعية وعاداته وتقاليده.
- وبالنسبة للاقتصادي فيعني الارتقاء إعطاء السكان ومجتمعهم دفعات جديدة لتحسين دخولهم وتطوير أعمالهم الإنتاجية.

وبهذا يختلف مفهوم الارتقاء باختلاف الاختصاص ، والارتقاء بالبيئة العمرانية هدفه في النهاية الارتقاء بالمجتمع وبالفرد وبالتالي بالبيئة التي يعيش فيها المجتمع، وهذه مسألة لا تنفصل عن النشاط والممارسات الاقتصادية[1]. فهوعملية مستمرة تدفعها الدراسات التخطيطية والإمكانيات الفنية والمادية وتتفاعل مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والبيئية والثقافية للمجتمع حسب الاحتياجات الحالية والمستقبلية للمجتمعات العمرانية القائمة.

1 10 8 الموارد الثقافية Cultural Resources:

تتحدد الموارد الثقافية نظرياً باعتماد التعريف الجامع المانع الذي وضعه الأمريكي إدوارد تايلور [2] للثقافة عام 1871 والذي يرى أن الثقافة هي "مجمل المعارف والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والأعراف وكل القدرات والعادات التي اكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع"[3].

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وتشكيل المنظمات الدولية الضابطة لشؤون الدول والمجتمعات تم تطوير تعريف تايلور لتضع اليونسكوتعريفها الخاص الذي اعتمدته في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية في مكسيكوعام 1982 وفيه تصبح الثقافة: "مجمل السمات المميزة الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي يتمتع بها مجتمع أو جماعة. وهي تضم، إضافة إلى الفنون والآداب، أساليب العيش والحقوق الأساسية للكائن البشري ومنظومات القيم والتقاليد والمعتقدات".

في بداية الخمسينات، وبعيد قرار مصر ببناء السد الع الي، وموافقة اليونسكوعلى الالتزام بنقل معبد "أبوسنبل" وغيره من الأوابد الأثرية المهددة بالغمر، عملت المنظمة على وضع عدد من الضوابط والاتفاقيات التي تهدف إلى تصنيف التراث الثقافي في العالم وإلزام الدول بالحفاظ عليه. ومن أهم هذه الضوابط:

- "اتفاقية الحفاظ على التراث العالمي الثقافي والطبيعي"[4]
- "اتفاقية الحفاظ على التراث غير المادي"[5]

لقد وضع التوافق الدولي حول معنى الثقافة الأساس النظري لمفهوم التراث الثقافي، وجاءت الاتفاقيات المبرمة حول هذا التراث لتحدد الأطر العامة لتصنيف مكونات التراث الثقافي لكل جماعة أو مجتمع. وهذه المكونات هي الموارد الثقافية التي تقوم الخارطة الثقافية بتعيينها ودراستها.

---

[1] د. عبد الباقي ابراهيم, المدخل للارتقاء بالبيئة العمرانية للمدينة, ندوة الإرتقاء بالبيئة العمرانية للمدن, 1986, مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية, مطابع دار الشروق, القاهرة, ص 12.

[2] إدوارد بيرنت تايلور 1832-1917 هو أنثروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد. أهم كتبه " الثقافة البدائية " و "النثروبولوجية" .

[3] د.إسماعيل محمد شندي، محاضرة الثقافة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، 2010، ص18.

[4] - المعلنة في السادس من تشرين الثاني عام 1972، وقد وُضعت تبعا لهذه الاتفاقية "لائحة التراث العالمي" التي تضم اليوم 890 موقعا في العالم تعتبر جميعها عناصر من التراث الثقافي المشترك للإنسانية.

[5] - المعلنة في السابع عشر من تشرين الأول عام 2003، والتي صادقت عليها حتى اليوم مائة وأربع دول ومنها سورية، وقد وُضعت تبعا لهذه الاتفاقية "لائحة تمثيلية للتراث الثقافي غير المادي العالمي التي ضمت حين نُشرت في 2 أيلول عام 2008 تسعين معلما ثم أضيف عليها ستة وسبعون معلما إضافيا في اجتماع اللجنة الدولية الحكومية للحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في تشرين الأول 2009 في مدينة أبوظبي.

حيث يتم تصنيف موارد التراث الثقافي عادة في خمس فئات عامة هي[1]:

- الموارد المادية الثابتة (غير المنقولة) وتضم الآثار التاريخية والعمارة والمشيدات سواء أكانت تاريخية كالقلاع والأسوار ودور العبادة و الطواحين.. أم حديثة كالمسارح ودور السينما وقاعات الموسيقى والتماثيل والنصب...
- الموارد المادية المنقولة وتضم المهن اليدوية كالنحاسيات والخشبيات والزجاجيات والفسيفساء إلى جانب الموارد ذات العلاقة بالطعام والشراب أو ذات العلاقة بالطب الشعبي
- الموارد غير المادية كالذاكرة السردية بكل تشعيباتها، والشعر والأدب والموسيقى والرقص والفن والعادات والأعراف والأفكار والدين والطقوس والأعياد الشعبية...
- الموارد الطبيعية وتضم موارد المياه والغابات والصحراء والبادية والمكونات النباتية والحيوانية التي تحيا فيها.
- الموارد العملية وتضم كل أشكال الخبرات التي ابتدعها الإنسان أثناء صراعه من أجل البقاء مثل النواعير وصادات الرياح وقنوات الري وأساليب الزراعة...

غير أن التصنيف قد لا يتوقف عند حدود الفئات الخمس هذه بل يمكنه أن يتشعب أكثر فأكثر إلى مكونات كل فئة منها، ومنها إلى عناصرها الأولية.

[1] حسان عباس، مشروع بناء الخارطة الثقافية في سورية المنطقة النموذجية الأولى، الأمانة السورية للتنمية، مشروع روافد، 2010، دمشق، ص19.

الفصل الثاني

الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية الحضرية ودور الأسرة في عملية التنمية الحضرية المستدامة

2 1 الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية الحضرية:

يشكل تاريخ التنمية الحضرية جزءً لا يتجزأ من كيانها الحاضر ومؤشر لما ستكون عليه في المستقبل، كما أن هذا التاريخ يكون بعداً معرفيا له قيمته وإسهامه البارز في التفسير والتحليل والتنبؤ والتخطيط ومن خلال هذه الحقيقة سوف يقوم البحث باستعراض الاتجاهات النظرية التي حاولت تفسير التنمية الحضرية فيما يلي:

2 1 1 المقابلة بين الريف والمدينة:

اهتم علماء الاجتماع بالفروق الملحوظة والقائمة بين المدينة والريف كما بذلوا جهودا علمية متباينة لوضع نظريات حول هذه الفروق وأدرك الفلاسفة في العصور القديمة أيضا إن المدينة تختلف اختلافا كبيرا في أوجه النشاط الاقتصادي عن الريف المحيط بها ولكن الجهود الحقيقية والمنظمة التي بذلت لوصف وتفسير هذه الاختلافات جاءت متأخرة حيث لا نستطيع أن نعين بداية حقيقية لها إلا في عصر المفكر العربي ابن خلدون في القرن الرابع عشر فقد كتب فصولا منظمة في التميز بين البدو والحضر ولقد أرجع ابن خلدون الفروق في مصادر الإنتاج والمهنة، فكتب في الفصل الأول من الباب الثاني "أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هوللتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلاحة من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان، فكان اختصاص هؤلاء بالبدوأمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم"[1].

ويتضح من ذلك أن ابن خلدون يصنف أشكال الاستيطان البشري إلى نموذجين وجوه المعاش والكسب[2].

وبالإضافة إلى هذا المنطلق تأتي الثنائية التي تحدث عنها علماء الاجتماع وفيما يلي بعض هذه الثنائيات:

1. تصنيف (فردناندتونيز Ferdinand tonnies)[3] الكلاسيكي الشهير والذي يمثل احد قطبية المجتمع. الأولى الذي تسوده العلاقات الأولية والقرابية بينما يمثل القطب الأخر المجتمع الذي تشيع فيه العلاقات الثانوية والتعاقدية.
2. ثنائية (دوركايم Émile Durkheim)[4] الشهيرة التي تقابل بين نوعين من المجتمعات وفقا لشكل التضامن الاجتماعي، أو لهما يقوم على التضامن الآلي بينما يقوم الثاني على التضامن العضوي. قدم دوركايم نظرته إلى العلاقات الاجتماعية في المجتمعين فقال أن المجتمع الريفي أو الجماعة المشابهة له تتسم بعلاقة تماسك ميكانيكية حيث يتعامل أفراد المجتمع تلقائيا ويستجيبون لبعضهم ميكانيكيا، كما أن هناك على الطرف الأخر علاقات ذات طابع عضوي تعتمد على تبادل المنفعة في استجاباتها وتماسكها.

---

[1] د. محمد الجوهري، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، 1997، ص181

[2] المرجع السابق، ص182

[3] فرديناند تونيز 1855 - 1936 عالم اجتماع ألماني، كان أحد المساهمين الرئيسيين في إرساء النظرية الاجتماعية والدراسات الميدانية. اشتهر تونيز بتمييز بين نوعين من الفئات الاجتماعية وهي المجتمعات العامة والجماعات المحلية. كما شارك في تأسيس الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع، وتولى رئاستها بين عامي 1909-1933، عندما أطاح به النازيين.

[4] إميل دوركايم 1858 - 1917 فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي .يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث, وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره >في تقسيم العمل الاجتماعي) De la division du travail social <عام ,(1893 و>قواعد المنهج السوسيولوجي) Les Règles de la méthode sociologique <عام 1895.

3. يفرق (ماكس فيبر Max Weber)[1] بين النماذج التقليدية والنماذج العقلية.
4. يميز (ه وارد بيكر Howard Baker)[2] بين النموذج المقدس والنموذج العلماني حيث قدم مصطلحيه هذين ليقصد بالأول تلك المجتمعات ذات الثقافات بطيئة التغير المنعزلة (الريفية) ويقصد بالثاني تلك المجتمعات ذات الثقافات سريعة التغير المتصلة بغيرها من الثقافات (الحضرية).
5. أما (روبرت رد فيلد Robert Redfield)[3] فيميز بين المجتمع الشعبي والمجتمع الحضاري ويرتكز مفهوم المجتمع الشعبي على المشاعر الجمعية الأولية التي تميز الثقافة الشعبية في مقابل المشاعر الفردية التي تسم المجتمع الحضاري أو المدينة.
6. (تشارلز كولي Charles Cooley)[4] الجماعة الأولية تتصف بسيادة علاقة الوجه بالوجه، مقابل الجماعة الثانوية التي تتميز بالعلاقات بين أفراد الجماعة وتدعو إلى تماسكهم وتعاونهم ومراعاتهم لثقافتهم وهي ما تتسم به الحياة الريفية.
7. يضع (سوركن Aaron Sorkin)[5] نموذجه المشهور الذي يقابل بين العائلية والتعاقدية كما يضيف إلى ذلك نمطا من أنماط العلاقات بين الجماعات وهوالتفاعل الإجباري6.

2 1 2الاتجاه التاريخي:

يصور الاتجاه التاريخي تطور أشكال المجتمعات المحلية الحضرية الأولى ويهتم هذا الاتجاه كذلك بدراسة تحول المناطق الريفية إلى مناطق حضرية، ويتناول التطور والانتشار الثقافي الحضاري.

ويتمثل هذا الاتجاه في كتابات كل من جراس وكريستالر ولوتش واولمان فقد ناقش هؤلاء العلماء الجذور التاريخية للمناطق الحضرية وطبيعتها وتنوعها وخصائصها وكان من أشهر محاولات الاتجاه التاريخي تلك التي قدمها (جور دن تشيلد)[7] حيث نجده يحدد بعض ملامح ما أطلق عليه (الثورة الحضرية المبكرة) ومن بين هذه الملامح الاستيطان الدائم في صورة تجمعات كثيفة، وبداية العمل بالنشاطات غير الزراعية، وفرض الضرائب، وتراكم رؤس الأموال، وإقامة المباني الضخمة، وتطور فنون الكتابة وتعلم مبادئ الحساب والهندسة والفلك، واكتساب القدرة على التعبير الفني، ونمو التجارة.

---

[1] ماكسيميليان كارل إميل فيبر1864 - 1920 كان عالمًا ألمانيًا في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي [[علم الاجتماع]] الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية.

[2] هنري هوارد بيكر، الابن ولد في 15 نوفمبر 1925 هو زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ السابق، السيناتور الجمهوري الأمريكي من ولاية تينيسي، رئيس موظفي البيت الأبيض، وسفير الولايات المتحدة السابق لدى اليابان.

[3] روبرت ريدفيلد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكية 1958 – 1897. ريدفيلد تخرج من جامعة كولورادو في بولدر مع دراسات الاتصال، في نهاية المطاف حصل على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الثقافية، التي بدأ التدريس في عام 1927.

[4] تشارلز هورتون كولي كان عالم اجتماع أمريكي وابن توماس كولي 1864 - 1929 . درس وذهب لتدريس الاقتصاد وعلم الاجتماع في جامعة ميشيغان، وكان عضوا مؤسسا والرئيس الثامن للجمعية الاميركية لعلم الاجتماع.

[5] آرون سوركين (Aaron Sorkin) ولد في 9 يونيو، عام 1961هو سيناريست ومنتج وكاتب مسرحي أمريكي حصل على جائزتي الأوسكار وإيمي.

[6] د. غريب محمد السيد، والسيد عبدالعاطي السيد، علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية، 1988م، ص ص 100-101

[7] تشايلد - جوردون1957 - 1892) م). عالم آثار من مواليد أستراليا، له اكتشافات مهمة في مجال المصنوعات الأوروبية، في ما قبل التاريخ. وقد استحدث وسائل مهمة لتفسير اكتشافاته ألقت الضوء على الحياة الاجتماعية المتغيرة للجماعات البدائية .تضم مطبوعات تشايلد الثلاثمائة: فجر الحضارة (1925م)، الذي يتحدث عن أصول الحضارة وترتيق صورة للماضي (1954م) الذي يتحدث عن وسيلة لتفسير آثار المصنوعات. وُلد فير جوردون تشايلد في مدينة سيدني.

وتناول (فوستيل دي كولانج Fustil de Coulanges)[1] تاريخ المدينة العتيقة وأرجعها إلى نفوذ الدين الحضري وعرض (لويس ممفورد Lewis Mumford)[2] المدينة من وجهة النظر التاريخية، وألقى الضوء على نموها وكبر حجمها وأشار إلى أنها تمر بمراحل ونماذج معينة هي (مرحلة النشأة، مرحلة المدينة، مرحلة المدينة الكبيرة، مرحلة المدينة العظمى، مرحلة المدينة التيرانوبوليس، مرحلة المدينة النيكروبولويس)3.

أما (ايريك لا مبارد Eric Lampard) فقد ميز بين أربعة أشكال من أشكال التحضر التي مر بها العالم وهي:

1. التحضر البدائي:وتحدث فيه عن محاولات عديدة من قبل الإنسان ساكن المركز العمراني بصفة عامة لإحداث التكيف مع البيئتين الفيزيقية والاجتماعية.
2. التحضر المميز: ويبدأ في هذا الشكل من أشكال التحضر ظهور المدن وتتحدد وظائفها وتستبين خصائصها وتبرز مشكلاتها وهذا النوع من التحضر كان واضحا بالنسبة لمناطق مصر والعراق.
3. التحضر الكلاسيكي: وتظهر فيه قيود عديدة حول نموالمدن وسكانها ويتسم هذا الشكل بالتمركز العاصمي وظهور الدول المدينة مثل أثينا وروما وهو يمثل بداية الاستقرار الحضري الحقيقي.
4. التحضر الصناعي: وهوالمرحلة الأخيرة من التحضر التي بدأت تتضح ملامحها مع بدايات القرن العشرين حيث بدأ سيل الهجرة من الريف إلى المدن أملا في الحصول على فرص عمل أفضل وتحقيق مستوى معيشي أحسن[4].

2 1 3الاتجاه الاقتصادي:

لعل من أهم الأمثلة البارزة في هذا المجال، دراسة جراس في محاولته استعراض التاريخ الاقتصادي للحضارة الغربية سنة 1932م لقد أوضح (جراس Gras)[5] في مدخله التطوري، علاقة التطور الاقتصادي بأنماط التوطن والاستقرار البشري على مر التاريخ، كما ربط طرق ووسائل العيش بالتطورات التكنولوجية من ناحية، وبتطور أشكال الاستيطان البشري من ناحية أخرى وفي تاريخه للحضارة الغربية في حدود إطار تصنيفي متصل ميز جراس خمس مراحل تطورية أساسية هي: مرحلة اقتصاد الجمع والالتقاط، فمرحلة اقتصاد الرعي، يليها مرحلة اقتصاد القرية المستقرة، ثم مرحلة اقتصاد المدينة الصغرى، وأخيرا مرحلة الاقتصاد المتروبوليتي.

ولقد كان تطور الزراعة كأسلوب أو طريقة للمعيشة أهم العوامل التي أدت إلى دخول البشرية في مرحلة أكثر تقدما على طريق التحضر ويتوالى هذا التطور في نظر (جراس Gras) لتنمو المدن الصغرى نتيجة تزايد الإنتاج الزراعي وتزايد أعداد الحرفيين وتطوير وسائل النقل وازدهار النشاط

---

[1] فوستيل دي كولانج مؤرخ فرنسي. ألف " المدينة العتيقة " 1874، وهو دراسة رائعة في تأثير الدين في تطور المدن الإغريقية وروما. ولكن أعظم كتبه: " تاريخ النظم السياسية لفرنسا القديمة " (6 مجلدات 1882 – 1892)، وقد وجه الفكر إلى تفسيرات جديدة لتاريخ أوائل العصور الوسطى.

[2] لويس ممفورد 1895 - 1990 . كان ناقدا اجتماعيًا وفيلسوفًا ومؤرخًا أمريكيًّا.تبرز أفكاره العلاقة بين أناس العصر الحديث والبيئة المحيطة بهم. ويختص عديد منها بتخطيط المدن. فاز كتابه المدينة في التاريخ (1961م) بجائزة الكتاب القومي للأعمال غير الروائية. ألف ممفورد كتابًا فلسفيًا عن الحضارة يتكون من أربعة أجزاء سمّاه تجديد الحياة. ولد ممفورد في مدينة فلشينج بولاية نيويورك.

[3] د. حسين رشوان، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، المكتب الجامعي الحديث، 1988م، ص ص 42 -43

[4] د. لوجلي صالح الزوي، علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة قار يونس، 2002 م، ص ص92 -93

[5] رائد ومؤرخ الأعمال، ولد نورمان سكوت برين غراس Norman Scott Brien Gras ، في عام 1884 في تورونتو من النسب الألمانية والايرلندية. لديه القدرة الذهنية غير عادية، أكمل تدريبه الجامعي في جامعة ويسترن اونتاريو. ومضى للحصول على درجة الدكتوراه في الاقتصاد في جامعة هارفارد.

التجاري، وكان ظهور المتروبوليس بعد ذلك نتيجة لازمة لارتباط التغيرات التكنولوجية والتنظيمية المصاحبة لأنتشار التصنيع وسيطرة الاقتصاد المتروبوليتي[1].

2 1 4 الاتجاه الديموغرافي:

اهتم بعض العلماء بالاتجاه الديموغرافي أو السكاني، واعتبروا أن حجم السكان وكثافتهم وتوزيع الجنسين والتركيب السلالي، وأنماط المواليد والوفيات والهجرة ذات أهمية كبرى في عملية التحضر والنموالحضري، فقد لاحظ بعض الباحثين أن النموالسكاني الذي طرأ على المدينة كان أعلى بكثير من ذلك الذي طرأ على السكان بوجه عام، ووفقا لما هوحضري إنما يشير إلى تجمعات سكانية من حجم معين، أو إلى نسبة ءؤلاء إلى إجمالي عدد السكان ويعود هذا إلى أن المجتمع الصناعي الحديث أدى إلى انخفاض ملحوظ في نسبة الوفيات في الوقت الذي لم تسجل فيه نسب المواليد مثل هذا النقص والنتيجة الحتمية لذلك زيادة كبيرة لعدد السكان، هذا بالإضافة إلى عامل الهجرة إلى المدن.

فالهيكل السكاني لأي مجتمع من المجتمعات يفيد في التعرف على حجم السكان وتوزيعهم وخصائصهم فيمكن التعرف على الحجم من خلال معدلات الزيادة الطبيعية (الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات في فترة محدده) ومعدلات الزيادة غير الطبيعية (الفرق بين معدل الهجرة إلى مكان ومن مكان) أما التوزيع السكاني فيمكن إدراكه من خلال الكثافة السكانية (نسبة السكان إلى المساحة المأهولة بالكيلومتر المربع فضلا عن تجمعهم طبقا لتوزيع الموارد الطبيعية، وتوافر فرص العمل. . . وغير ذلك) كما أن للهجرة دورا حيويا أخر فوق دورها في تحديد الحجم السكاني.

أما الخصائص السكانية فيمكن تحديدها في تركيب السكان من حيث النوع والجنس والعمر والحالة الزوجية والحالة التعليمية والحالة المهنية ومتوسط الدخل وغير ذلك. فهي تؤكد نوعية السكان طبقا لمجموعة من المتغيرات التي يختلف حيالها السكان ويتباينون، وتساعد هذه المتغيرات على تحديد البناء الاجتماعي لهؤلاء السكان وذلك من خلال التركيب الطبقي الذي ينتمون إليه.

كما إن الخصائص السكانية مثل معدلات المواليد والوفيات والزيادة والكثافة وحركة السكان الداخلية والخارجية والخصائص العرقية والثقافية تزود الباحث بمعلومات قيمه تساعد على ربط حاجات الأعداد المتزايدة من السكان بالخطط المشروعه المتصلة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية واستثمار هذه الموارد والكفاءات البشرية والقوى العامله[2].

2 1 5الاتجاه النموذجي:

ينظر إلى التحليل النموذجي باعتباره نهجاً قائماً بذاته ويتوصل إليه الباحث عن طريق تحديد الخصائص الملازمة لموضوع أو ظاهرة معينة، والوصول بها إلى نهايتها المنطقية وصورتها الكاملة بغض النظر عن امكان تتبعها في الواقع أو وجودها بصورتها المنطقية هذه في مكان ما ولهذا من الصعب أن نلتمس واقعا تجريبيا لهذه الخصائص أراد ماكس فيبر[3] في مؤلفه المدينة أن يكشف نموذجا من التاريخ وأن يقف على الطبيعة الخاصة للظاهرة الاجتماعية الحضرية.

ولقد توفرت هذه الشروط في أوروبا في مدينة ما قبل الصناعة وان فيبر قد اثبت إن هذه الشروط لم تكن موجودة في كل أنحاء أوروبا، وينبغي تحديد الوقت الحقيقي لظهور المدن على نحو دقيق[4].

---

[1] د. السيد عبدالعاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، السنة غير موجودة، ص ص 105-106.

[2] د. السيد الحسيني، المدينة:دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، ط3، 1985، ص ص143-153

[3] ماكسميليان كارل إميل فيبر1864 - 1920 كان عالمًا ألمانيًا في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي [[علم الاجتماع]] الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية.

[4] د. منصورا حمد ابوزيد، مرجع سابق، ص243.

2 1 6الاتجاه الايكولوجي:

ويقصد به التفاعل بين الإنسان وبيئته الاجتماعية وتتبلور مفاهيم وأفكار هذا الاتجاه في الرأي القائل بان جوهر المدينة هو في تركيز عدد كبير من الأشخاص في حيز صغير نسبيا وهذا يعني بشكل أخر دراسة تأثير حجم المدينة وكثافة سكانها على بنائها وتنظيماتها ومؤسساتها الاجتماعية.

فنمط معيشة السكان وطبيعة علاقاتهم الاجتماعية واستجاباتهم البيئية تؤدي إلى أنواع مختلفة من السلوك والتصرفات التي تترك بصماتها على حياة المدينة.

ومن الواضح أن انتقال الفرد أو الجماعات من القرية إلى المدينة يؤثر في سلوكهم وبالتالي في طبيعة العلاقات الاجتماعية المترتبة على هذا التغير المكاني وهكذا يصبح الاتجاه الايكولوجي في علم الاجتماع عبارة عن محاولات لفهم التغيرات والتنظيمات الاجتماعية التي تطرأ على منطقة ما نتيجة تفاعل السكان مع بيئتهم[1].

2 1 7الاتجاه السيكولوجي:

لجأ الكثير من علماء الاجتماع إلى تفسير المجتمع في ضوء علم النفس الاجتماعي وذلك بتركيز على الذات واتجاهات الفرد وعواطفه ودوره في العقل الاجتماعي.

ويرمي الاتجاه السيكولوجي في مجال التنمية الحضرية إلى اكتشاف الضغوط السيكولوجية ومواقف الأفراد في محاولة لفهم الظروف الإنسانية المعقدة في المناطق الحضرية على وجه الخصوص ويعتبر ماكس فيبر من أنصار هذا الاتجاه، فقد عرف المدينة بأنها ذلك الشكل الاجتماعي الذي يسمح بظهور أعلى درجات الفردية والتفرد.

وميز (جورج زيمل G. Simmel)[2] في مقال له بعنوان (المدينة والحياة العقلية) بين نموذجين من المجتمعات على أساس العلاقات السيكولوجية في كل منها ففي المجتمع الأول ينخرط الفرد في جماعته الصغيرة انخراطا تاما، وفي المجتمع الثاني يحتفظ الفرد بذاتيته وفرديته في وجه القوى الاجتماعية الهائلة.

ويؤخذ على هذا الاتجاه أنه في تحليله للظواهر الاجتماعية يرجعها إلى ظواهر نفسية من صنع الأفراد وبالتالي فالمجتمع ليس له وجود، والحق انه تحدث في المجتمع أمور لا يصح أن ننسبها إلى أفراد معينين، وذلك لأنها تنشا من علاقات الأفراد في حالة الاجتماع وتبادل وجهات نظرهم وتفاعل أفكارهم واحتكاك مشاعرهم وتوحد موقفهم، هذا بالإضافة إلى ما يحيط بهم من ظروف طبيعية وبيئية وتاريخية تصهرهم جميعا في بوتقة جمعية وتؤدي إلى ظهور عقل جديد للجامعة يوجهها ويرشدها وهذا العقل مستقل عن الأفراد[3].

2 1 8الاتجاه التنظيمي:

لا يقتصر التحضر والنموالحضري في هذا الاتجاه على مجرد زيادة عدد السكان وارتفاع كثافتهم، أو على تطوير نسق اقتصادي تدعمه تكنولوجيا صناعية متقدمة وإنما يعني في الأساس الاتجاه إلى تنظيمات اجتماعية أكثر تعقيدا، يشتمل ذلك على تطوير وسائل الاتصال والميكانزمات[4] الاجتماعية

---

[1] محمد عاطف غيث، غريب محمد السيد، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص ص75-76.

[2] جورج زيمل G. Simmel 1858 – 1918 كاتب وفيلسوف ألماني حائز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة وصاحب الإرث المعروف في علم الاجتماع (المدينة والحياة العقلية) عام 1890.

[3] عبد الاله ابوعياش، أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات الكويت، ط1، 1980 م، ص ص 82 -83

[4] الميكانزم هو الآلية مثال ميكانزم تفاعل الجماعة يتمثل في عدة أمور منها وضوح الهدف وقوة التماسك وغير ذلك أ ي بمعنى آخر هي آلية تفاعل الجماعة.

والسياسية التي تسمح بإمكانية الربط والتنسيق بين مجالات وكيانات متخصصة ومتمايزة، بعبارة أخرى، فان النموالحضري هوانتقال من المجتمع البسيط إلى صورة أكثر تعقيداً كما إن التحضر معناه تراكم التطور والتعقد النظامي بنفس الدرجة وفي نفس الاتجاه الذي سارت فيه التطورات التكنولوجية.

والواقع أن هناك قدرا متراكما من التراث الذي يدور حول ما ارتبط بظهور المدن والنمو الحضري بوجه عام من مظاهر للتغير في هذا الجانب، ويكاد يكون القاسم المشترك الأعظم في عناصر هذا التراث ذلك التأكيد على البيروقراطية والتدرج الطبقي الاجتماعي وانتشار الروابط الطوعية كأهم ما يمكن أن تقاس به درجات التحضر والنموالحضري من مقاييس أو مؤشرات[1].

2 1 9الاتجاه السياسي والإداري:

ينظر كثير من دارسي علم الاجتماع الحضري إلى المدينة من منظور سياسي إداري وذلك لكون بعدها السياسي محددا بكونها مركزا إداريا وقد يكون دورها سياسي لكونها مركزا للحكم تتمركز فيها إدارات الحكم المختلفة، وقد لا تكون المدينة هنا هي العاصمة السياسية وإنما كل مدينة لها تأثير على المنطقة المحيطة بها. ومن الطبيعي أن تتواكب ظاهرة الحضرية مع نموالوظيفة السياسية للمدينة، فهذه الوظيفة تمثل في كثير من الأحيان ركناً أصيلا يمثل السبب الأصلي لنشأة المدينة كما أنه يعمل على نموها وتطورها فضلاً عن أنه يحول في الغالب دون محاولة زحزحتها من موقعها.
وإذا أردنا أن نقدم تحليلاً لكيفية ارتباط البعد السياسي بنشأة المدينة فمن اليسير إن نكشف إن نومعظم الاتجاهات السياسية والقوى المحركة لها مسألة لاتتم إلا في المدينة، كما إن التنظيمات السياسية بمختلف أشكالها وصورها لا تنشأ سوى في المدينة، فضلاً عن الممارسة السياسية ذاتها حيث تتخذ من المدينة ميداناً ومجالاً رحباً تصول وتجول فيه.
أما النتائج التي تترتب على اعتمادية المدينة أحيانا على البعد السياسي فهو يأتي من كون المدينة عاصمة للدولة أو الإقليم أو المقاطعة حيث تكون الوظيفة السياسية هي البعد الحيوي للمدينة العاصمة، وهي ظاهرة تتضح بشكل كبير في دول العالم الثالث، أما البعد الإداري فهو شديد الارتباط بالجانب السياسي فالتقسيم السياسي يرتكز على دعامة تتمثل في خضوع المنطقة حضرية كانت أم ريفية للإدراة المحلية وتكون محددة بنطاق إداري تصطلح عليه الدولة[2].

2 2 دور الأسرة في التنمية الحضرية:

تبين النظريات أن تغير الأسرة أو المجتمع يعود إلى مجموعة من العوامل: كالجنس، أو المناخ، أو التكنولوجيا، أو الاقتصاد. وهناك تصور عام بين (علماء الاجتماع) مؤداه أن التطور التكنولوجي أو الصناعي يشكل عاملا مهما في تغير الأسرة - والدليل على ذلك - أن الأسرة الصناعية في (إنجلترا) تختلف طريقة حياتها عن حياة الأسرة في العصر الحجري في (أستراليا). ولكن على الرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهمية كبيرة في عملية التغير، إلا أنها ليست العامل الوحيد في تغير الأسرة. فكل تغير يحدث في الأسرة يكون نتيجة لعدة عوامل كما أن التغير الذي يحدث في أحد أجزاء الأسرة يؤثر في بقية أجزائها.
إن تغير علاقات القرابة قد أسهم مساهمة فعالة في تعديل وتحضر النسق الاجتماعي مما يؤدي إلى التنمية الحضرية[3].

---

[1] د. حسين رشوان، مرجع سابق، ص ص 47- 50
[2] د. لوجلي صالح، مرجع سابق، ص ص 101-102
[3] د. أحمد خالد علام، تخطيط المدن، القاهرة، الانجلوالمصرية، 1983، ص 213.

2 2 1 تغير شكل الأسرة:

في الظروف المعيشية البدائية تتصف الأنظمة الاجتماعية بالبساطة وتقتصر حاجة الجماعة على ضرورات الحياة من مأوى ومأكل وقدر من الاحتياجات الدينية والثقافية، وتحت ظل هذه الظروف كانت العائلة تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية.

ويتمثل ذلك في الأسرة الأمريكية الريفية في مراحلها الأولى حيث كانت تقوم بجميع وظائفها الأساسية. وافتقرت تلك المجتمعات إلى وجود الكنيسة أو المدرسة أو الحكومة أو رجال الأمن وعبر الزمن فقدت الأسرة بعض وظائفها، وظهر المجتمع المعقد، وتجلى التخصص وتقسيم العمل، وانخفض عدد الجماعات الأولية، وقامت هيئات متخصصة لعبت نفس الدور الذي كانت تقوم به العائلة فيما مضى. ويظهر نمطان للأسرة في المجتمعات عموماً: الأسرة الريفية والأسرة الحضرية، وهما يختلفان في الاعتبارات الآتية:

1. تعتبر العائلة الريفية وحدة إنتاجية استهلاكية.
2. تعتبر العائلة الحضرية وحدة استهلاكية. [1]

وقد نتج عن هذين الاعتبارين نتائج سيواقتصادية[2]، فالعائلة الريفية تقضي معظم وقتها في الأعمال الزراعية، ويعيش أعضاؤها معاً سواء أثناء العمل أو تناول الطعام كما يقضون أوقات فراغهم معاً[3].

وفي الحضر تبتعد المهن عن البيت وأعضاء العائلة وبمعنى آخر مكان العمل عن مقر الإقامة.

ويقوم رب الأسرة الحضري بمفرده بالعمل لإطعام جميع أعضاء أسرته. وكان من الصعوبة بمكان تحقيق ذلك في بداية الثورة الصناعية، ولهذا اشتغل جميع أعضاء الأسرة، الزوجة والأطفال، ولم يعد في إمكان الأم أن تقوم برعاية أطفالها، وقد صاحب ذلك انخفاض مستوى المعيشة، وسوء التغذية، والمعيشة في مسكن يتكدس فيه الأفراد في الأحياء المتخلفة.

وتتسم العائلة الحضرية بصغر حجمها، وهي عائلة نووية[4] لا تقوم بتدريب وتعليم أعضائها، وتضعف فيها رقابة الكبار على الصغار، مما يؤدي إلى نموالاختيارات الشخصية[5].

وقد نتج عن التغيرات التي اعترت العائلة نمو شخصية المرأة وتغير دورها ونادت بالمساواة مع الرجل عند نهاية القرن الماضي، وغزت معظم المجالات المهنية، ولم تعد المرأة تعتمد على زوجها في إعالتها، بل أصبحت تعتمد على نفسها، كما أصبحت أقل خضوعاً لزوجها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً عما كانت عليه قبل حدوث هذه التغيرات[6].

ويزداد معدل الطلاق بين العائلات الحضرية. كما ينعكس تعقد الحياة الحضرية على حياة العائلة بدرجات متفاوتة، وتتأثر حياة العائلة الحضرية بالظروف الاقتصادية والمعيشية والمعتقدات الدينية والتباين بين العائلات، وكذلك بحجم المدينة[7].

وقد ظهرت مدرستان في علم الاجتماع العائلي. ويعتبر زمرمان Carl Zimmermann [1] من مؤسسي الاتجاه الأول، إذ نظر إلى العائلة الأمريكية باعتبارها مظهراً للانحلال العائلي يعوقها عن أداء وظائفها الحيوية كالتوالد والتنشئة الاجتماعية.

---

[1] حسين رشوان، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، المكتب الجامعي الحديث، 1988م، ص 80

[2] نتائج اجتماعية اقتصادية: ظهر هذا المفهوم في ستينات القرن الماضي.

[3] Egon Ernest Bergel, Urban Sociology, Series of Sociology and Anthropology, New York, Macmillan Hill Book Company, Inc. , 1955, p. 292.

[4] الأسرة النواة أو الأسرة الأولية (Nuclear family) يشير المصطلح إلى الأسرة المكونة من أبوين وأطفالهما.

[5] د. محمد الحسيني وأخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، 1979 ص ص 72-73

[6] Egon Ernest Bergel, Op. Cit. P. P. 91-292.

[7] Egon Ernest Bergel, Op. Cit. P. 37.

وترى المدرسة الثانية أن الأسرة تعمل على أن تتكيف مع الكثافة السكانية والعلاقات الاجتماعية الثانوية، وتعقد النظم الحضرية. ويعتبر لوك Locke[2] من أنصار هذا الاتجاه ففي رأيه أن هذا النموذج من العائلات تستهدف توحيد القيم والاتجاهات الريفية التقليدية والحضرية الحديثة، ويسكن هذا النوع من العائلات عند تخوم Fringes المدن[3].

2 2 2 التحضر الأسري سبق التحضر:

فقدت الأسرة بعض الوظائف في مرحلة زمنية سابقة عن التقدم، فمنذ عهد فكتوريا[4] أفلت وظيفة الإنجاب، وانخفض معدل مواليد العائلة من سبعة أطفال إلى طفلين، وكانت هذه التغيرات ضرورية لتنمية المجتمع الصناعي[5].

وهكذا فإن كان بعض الباحثين يعتبرون العائلة متغيراً تابعاً، فإن هذه الدراسة تعتبر تغير العائلة من النسق الممتد إلى النسق النووي متغيراً مستقلاً / ثابتاً. إذ لاشك أن هذا التغير يسمح بتغيرات أخرى مثل مرونة التنقل، والتحرر من الروابط الجغرافية، وتغير المهنة، وتسهيل اختيار العمل أو المهنة التي تتناسب مع مهارة كل فرد وتسمح هذه العمليات جميعها بالتحضر.

وفي ضوء هذا ظهرت إيديولوجية مؤداها أن العائلة الوحدانية[6] Conjugal أدت إلى حدوث تغيرات هامة في المجتمع. وخلال الفترة الأولى من الاستيطان الأوروبي في أمريكا، اهتم رجال الدين البيوريتاني بحرية الاختيار الزواجي، واعتبروا أن الفرد مسؤولاً بصفته الفردية، لا بانتسابه إلى جماعته القرابية[7].

وقد ظهرت هذه الإديولوجية قبل حدوث الثورة الصناعية، وأعدت الأفراد للتكيف مع التصنيع، وسهلت فرص التصنيع القائم على النظام الرأسمالي وأدى نسق العائلة الوحدانية إلى تقدم الصناعة في العالم الغربي، ذلك أن التصنيع يستلزم روابط عائلية ضعيفة.

ويستبين من ذلك ارتباط العائلة بالصناعة، فكل منها يعتبر سبباً لتغير الآخر. وإذا كانت العائلة المنعزلة قد وجدت قبل التصنيع فهذا يؤكد أن العائلة تعتبر متغيراً ثابتاً، والتصنيع والتحضر يعتبر متغيراً تابعاً.

ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً بالأسرة في انجلترا قبل ظهور الثورة الصناعية، ونقارن ذلك بالمجتمعات التي حدثت فيها عمليات التحضر والتصنيع في الوقت المعاصر.

تقوم معرفتنا بالأسرة في انجلترا عن طريق الأبحاث الديموجرافية التي قامت بها جامعة كامبردج في السنوات الأخيرة. وتبين هذه الدراسات أن الأسرة في انجلترا كان حجمها متوسطاً قبل التصنيع، ويتراوح عدد أفرادها ما بين 4،5 أفراد، إذ أن الأسر ذات الحجم الكبير اقتصرت على طبقة النبلاء

---

[1] كارل زمرمان عالم اجتماع من هارفارد درس صعود وانهيار الإمبراطوريات الرئيسة في تاريخ العالم وتابع وحدة الأسرة في كل إمبراطورية.

[2] جون لوك 1632 – 1704 بالإنجليزية John Locke :هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. ولد في عام 1632في رنجتون Wringitonفي إقليم سومرست وتعلم في مدرسة وستمنستر، ثم في كلية كنيسة المسيح في جامعة أوكسفورد، حيث انتخب طالباً مدى الحياة، لكن هذا اللقب سحب منه في عام 1684بأمر من الملك. وبسبب كراهيته لعدم التسامح البيورتياني عند اللاهوتيين في هذه الكلية، لم ينخرط في سلك رجال الدين. وبدلاً من ذلك اخذ في دراسة الطب ومارس التجريب العلمي، حتى عرف باسم دكتور لوك.

[3] Raymond W. Mack, Principles of Sociology, Kimball young Naville of gies, 1962, p. p. 246-247.

[4] فيكتوريا ملكة المملكة المتحدة -بريطانيا العظمى وأيرلندا- منذ العشرين من يونيو 1837م وحتى وفاتها، وفى الأول من مايو عام 1876م أضُيف إليها لقب إمبراطورة الهند. وفي انكلترا العصر الفكتوري The Victorian era كان حقبة تاريخية محركة ليست في انكلترا فقط بل في اوربا انطلقت من عصر ما بعد عصر النهضة، كانت فترة بلغت فيها الثورة الصناعية في بريطانيا قمتها ثم امتدت الى اوربا ثم اميركا وكانت أعلى نقطة في الامبراطوية البريطانية، كما يشار إلى فترة حكم الملكة فكتوريا (1837 – 1901).

[5] د. كمال سعيد وآخرون، علم الاجتماع الحضري، دار المعارف، 1978، ص 54.

[6] يستخدم مصطلح العائلة الوحدانية للإشارة إلى العائلة النووية أيضا.

[7] د. حسين رشوان، دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، المكتب الجامعي الحديث، 1988م، ص 84.

التي استخدمت الخدم لا الأبناء البيولوجيين. وقد ساد هذا البناء العائلي في انجلترا الجديدة وأمريكا قبل التصنيع، الامر الذي يشير إلى انتشار العائلة النووية قبل ظهور التصنيع في انجلترا.
يتنوع تأثير العلاقة بين العائلة والتصنيع في الوقت الحاضر في البلدان التي تنحو نحوالتصنيع ويتضح ذلك من أن الهجرة إلى المناطق الصناعية من أجل العمل قد أدت إلى تحرير الفرد من التزاماته القرابية. وأدى تراكم رأسمال الفرد من أجل نفسه وعائلته الأولى إلى أن يخرج عن نطاق التزاماته نحو عائلته في القرية.
ومع ذلك فإن انتقال الفرد للعمل في المصانع لا يعني أن الأقارب يعيشون في أماكن متباعدة في المدن، إذ في كثير من الأحيان يعيشون في أماكن متقاربة ويتبادلون المصالح ويقرض بعضهم الأموال ويتبادلون الزيارات وغالباً ما يقوم سكان المدن بزيارة أهليهم في القرية من حين لآخر.

3 2 خلاصة الفصل:

تم في هذا الفصل استعراض الاتجاهات النظرية المفسرة لعملية التنمية الحضرية ودور الأسرة والعلاقات القرابية في عملية التنمية فخلص البحث إلى أن هناك عدة اتجاهات نظرية في دراسة التنمية الحضرية أهمها المقارنة بين الريف والمدينة حيث اهتم علماء الاجتماع بالفروق الملحوظة بين المجتمعات المتحضرة والمجتمعات الريفية، والاتجاه التاريخي الذي يصور تطور المجتمعات الحضرية وتحول المناطق الريفية إلى حضرية، والاتجاه الاقتصادي الذي يعتبر التحضر مرحلة متقدمة من مراحل التطور الاقتصادي البشري والاتجاه الديموغرافي الذي يعتبر أن حجم السكان وكثافتهم وتوزيع الجنسين والتركيب السلالي، وأنماط المواليد والوفيات والهجرة ذات أهمية كبرى في عملية التحضر والنموالحضري والاتجاه النموذجي حيث ينظر إلى التحليل النموذجي باعتباره نهجا قائما بذاته ويتوصل إليه الباحث عن طريق تحديد الخصائص الملازمة لموضوع أو ظاهرة معينة والاتجاه الإيكولوجي حيث أن جوهر المدينة هو في تركيز عدد كبير من الأشخاص في حيز صغير نسبيا والاتجاه السيكولوجي الذي يرمي إلى اكتشاف الضغوط السيكولوجية ومواقف الأفراد في محاولة لفهم الظروف الإنسانية المعقدة في المناطق الحضرية والاتجاه التنظيمي الذي يعني الاتجاه إلى تنظيمات اجتماعية أكثر تعقيدا والاتجاه السياسي والإداري الذي ينظر إلى المدينة من منظور سياسي إداري وذلك لكون بعدها السياسي محددا بكونها مركزا إداريا، وإن إمكانية تنمية العالم الثالث تقتضي بالضرورة معرفة تاريخ وثقافة تلك الدول والبناء الاجتماعي لها في الماضي والحاضر ، كما لابد من وجود ضرورة لتبني قيم ومفاهيم وخصائص جديدة تسهم في تفعيل العملية التنموية مع الاعتماد على النفس نظرا لامتلاك الموارد الطبيعية والبشرية، والاستثمار العقلاني لتلك الموارد.

وفي ظل التحضر لم تعد الأسرة هيئة تؤدي دوراً في عملية التنشئة الاجتماعية، فقد قامت هيئات تعليمية متخصصة خارج نطاق العائلة بهذه الوظيفة ومع ذلك فمن الخطأ الادعاء أن العائلة والتعليم يعتبران نظامان منفصلان، إذ أشارت العديد من الدراسات في علم الاجتماع التربوي إلى العلاقات المتداخلة بينهما. فقد أدى التعليم إلى تحرير الأسرة من بعض الضغوط التي كانت تخضع لها حتى يستطيع الأفراد الإفادة من الفرص التي تتيحها التكنولوجيا الدائمة التغير لهم ويفصل التعليم أولا الطبقة العاملة عن عائلاتها، مما يؤدي إلى زعزعة العلاقة بين الفرد والعائلة، وبين الفرد والأرض، ويسمح بالتنقل الجغرافي من العائلة إلى المصنع، ومن الريف إلى الحضر.

كما أن تغير علاقات القرابة قد أسهم مساهمة فعالة في تعديل وتحضر النسق الاجتماعي مما يؤدي إلى التنمية الحضرية. والصناعة والعائلة شيئان مرتبطان ، فكل منها يعتبر سبباً لتغير الآخر. وإذا كانت العائلة المنعزلة قد وجدت قبل التصنيع فهذا يؤكد أن العائلة تعتبر متغيراً ثابتاً، والتصنيع والتحضر يعتبر متغيراً تابعاً.

ومما سبق نجد أن للأسرة دورا كبيرا في رسم صورة المجتمع وعاداته وتناقلها مما يؤثر على التكوين الثقافي للمجتمع وبالتالي يغير من الخارطة الثقافية لمنطقة ما، مما يؤثر على العملية التنموية فيها.

الفصل الثالث

دور المتغيرات الثقافية في التنمية الحضرية المستدامة

3 دور المتغيرات الثقافية في التنمية الحضرية:

إن الثقافة بمعناها الواسع تعد أحد الأبعاد الأساسية في عملية التنميـ ة وأن هنـ اك علاقـ ة جدلية بين التنمية الثقافية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فكل منها مؤثر في الآخـر ويتـأثر بـه ومتوقف عليه. ويقوم العامل البشري بدور فعال في تهيئة الظروف لعمليات التفاعـل بـ ين الثقافـ ة وبـ ين العوامل المرتبطة بها.

لا شك أن معدل الاكتشافات والتقدم التكنولوجي وتكنولوجيا النقل والطاقة الصناعية ومعدلات الصحة العامة والتعليم تلعب دوراً هاماً في التنمية الحضرية وأحد الاسباب الرئيسية في نمو المدن.

فحتى وقت قريب نسبياً كانت غالبية المدن تعد مراكز للتسوق ويرجع ذلك إلى بدائية وسائل النقل والصعوبات الاقتصادية الخاصة بعملية البناء وتحصين المدن وقد أدى ذلك إلى جعل المدن صغيرة في حجمها وقريبة الشبه من القرى ويسكنها المئات بدلا من الألوف. وترجع القيود التي كانت تعوق نمو المدن إلى قصر المسافات التي يمكن عبورها سيراً على الأقدام أو باستخدام العربات التي تجرها الخيل[1].

وقد تم القضاء على الصعوبات التي تعوق نمو المدن عن طريق الاختراع. فقد استخدمت قوة البخار لتسيير القطارات التي تسير على القضبان وأدى هذا الاختراع إلى حدوث تغييرات ثورية في حجم المدن وعرضها وموقعها. ففي عام 1769 اخترع (جيمس واط James Watt)[2] الآلة البخارية وانعكس هذا الاختراع على عملية التحضر. إذ استخدمت الآلة البخارية كمصدر للطاقة في المصادر الاستخراجية كالفحم والبترول والغاز الطبيعي. وأثر استخدام الطاقة على النموالسكاني وكان له دور في قلة استخدام الأيدي العاملة التي تنتج الطعام والملابس[3].

وفي عام 1809اخترع (فولتن Fulton)[4] قاربا بخاريا. وأدى استخدام السفن التي تسير بقوة البخار إلى زيادة حجم التجارة وقيام المدن على شواطئ البحار[5].

وكانت القطارات في بداية مرحلتها تجرها قاطرات بخارية ثم ظهر الترام الذي يجري على قضبان في شوارع المدينة. ثم حل الترام الذي يسير بقوة الكهرباء محل الترام الذي تجره قوة الخيل ثم ظهر الأمينوس الذي يسير بقوة البترول.

وقد أدت هذه الاختراعات إلى امتداد المدينة. وقسمت المدينة إلى مناطق سكنية، وأخرى تجارية وثالثة صناعية، كما أدت إلى امكانية تخزين المحصولات الزراعية، ونقل الامدادات من المصادر الجديدة إلى المدن، مما أدى إلى النموالسكاني في المناطق الحضرية[6].

وبظهور وسائل جديدة للنقل لم يعد من الضروري وجود سور القلعة لحماية المدينة. وأدى استخدام السيارة والأوتوبيس إلى زيادة نموعملية الإسكان في مناطق واسعة من الاراضي الفضاء. وانتقلت

---

[1] Frederick Gilberd, Towns and design, London, The Architecture Press, Third Edition, 1959, p. 21.

2جيمس واط)بالإنجليزية (James Watt :من مواليد 1736ووفيات 1819هو مهندس اسكتلندي، ولد في غرينوك من أب كان يعمل في بالتجارة دون أن يحقق نجاحاوقد كان وات على علاقة صداقة قوية مع الفيزيائي جوزيف بلاك مكتشف الحرارة الكامنة، وكان لهذه الصداقة الأثر الهام في توجيه وات إلى الاهتمام بالطاقة التي يمكن الاستفادة منها من البخار كقوة محركة وقد أجرى عدة تجارب للاستفادة من ضغط البخار. ثم وقع في يده محرك بخاري من طراز نيوكومن فاخترع له مكثفا وأجرى عليه بعض التعديلات والتحسينات مثل المضخة الهوائية وغلاف لاسطوانة البخار ومؤشر للبخار مما جعل المحرك البخاري آلة تجارية ناجحة وذلك عام 1769.

[3] David Heer, Society and Population, Foundation of Sociology Series, New Delhi, PrenticeHall of Indian Private, p. p. 6-7.

4روبرت فولتن1815 - 1765) م). مخترع أمريكي ومهندس مدني وفنان معروف بتصميمه وبنائه أول قارب بخاري ناجح تجاريًا، كما ساهم في تطوير الغواصات.

[5] Arthur B. Gallion & Simon Eisner, The Urban Patterns, City Planning and Design, New Delhi, Van Vostrand Reinhold Company, Affiliated East-West Press, 1965, p. 63.

[6] Arnold Toynbee, Cities on the Move, Oxford University Press, 1970, P. P. 178-182.

المساكن بعيدا عن مراكز المدينة. والتي يقطنها ما يزيد أكثر من سبعة ملايين نسمة خلال الفترة بين 1940-1950 وقد أدت هذه المتغيرات إلى تغييرات واسعة في سوق الإسكان[1].

وفي المدن الكبرى ازدحمت مواقف السيارات. ففي نيويورك - مثلا - يترك الفرد سيارته في الضاحية. ولهذا تسعى المدن الكبرى حالياً إلى زيادة إنشاء مواقف السيارات لتقف فيها وقت ساعات العمل. وهي تسعى كذلك إلى إنشاء نمط جديد من الشوارع واضعة في الاعتبار تكاليف إقامة المجاري، ومواسير الإمداد بالمياه، والكهرباء، والغاز والتليفون وما إلى ذلك[2].

وصاحب التقدم في وسائل النقل والمواصلات تقدم في تكنولوجيا رصف الشوارع. ويشمل ذلك استخدام مواد آجر (الطوب)، وقوالب الجرانيت ورصف الشوارع بما يسمح بمرور الدراجات والسيارات[3].

وخلال الفترة من عام 1920-1930 استخدمت اختراعات حديثة أدت إلى زيادة نمو المدن. وتتمثل هذه الاختراعات في حركات المرور الدائرية، والطرق السريعة المزدوجة، واشارات الوقوف، والجسور الجديدة التي أنشأها جورج واشنطن في نيويورك. كما أنشئت طرق تحت الأرض لحركة المرور الثقيلة[4].

وأدى استخدام السيارة إلى زيادة نشاط الإنسان، واتساع المجتمع المحلي وغيرت من المسافات الزمنية. ومع استمرار النمو انهارت الروابط القديمة بين الأفراد والجماعات وحلت محلها روابط جديدة. وباستخدام السيارة قل الاهتمام بوجود مقر الإقامة والعمل في مكان واحد[5].

وبتقدم التكنولوجيا وظهور السيارة والتليفون أقيمت المدن على شكل أنساق طولية مستقيمة حتى يمكن إمداد المدن بالمياه والكهرباء.

ولا شك أن المدن ذات الأنساق الطولية تسمح بانتقال الأفراد من وإلى جميع أنحاء العالم. ويتمثل ذلك من مدن مدريد وستالنجراد[6] وأدى اختراع الراديو والتلفزيون إلى توسع مجال الترفيه في البيت، ومكّن الفرد من عدم مغادرة بيته في الضاحية التي تبعد ثلاثين ميلاً خارج بوستون أو فيلادلفيا أوديترويت، ليشاهد الأفلام والبرامج. ولم تعد مراكز المدن ضرورة ملحة لتبادل الأفكار، ويرجع ذلك إلى ظهور الراديو والتلفزيون والتليفون، ففيما مضى كان الناس يجتمعون في هذه المراكز لتبادل الآراء والأفكار أمّا في عصرنا الحالي تستخدم هذه المخترعات الحديثة.

وقد نشر بيتر كربوتكين Peter Kropotkin[7] كتابا عام 1899 أسماه " الحقول والمصانع والعمال: أو الصناعة وارتباطها بالزراعة "، وأورد فيه أن استخدام الكهرباء قد أتاح إقامة المدن في مكان حيث تضاء الشوارع والطرق بالكهرباء[8].

ولا شك أن التعليم يلعب دوراً هاماً في التنمية الحضرية. فبالرغم من أن عملية الإنتاج داخل الوحدة الصناعية يقوم بها بعض العمال غير المهرة والأميين، إلا أن هناك عددا من الأفراد قد اكتسبوا خبرة

---

[1] Melville C. Branch, Urban Planning Theory, Community Development Series, Halsted Press, A Division of John Wiley & sons, Inc. , 1975, P. 5.

[2] Le Corbusier, The City of Tomorrow and Its meaning, Translated from the 8th French of Urbanisme By Frederick Etchells, London, The Architecture Press, 1971, P. P. 119-120

[3] Charles N. Glaab & Theodore Brown, A History of Urban America, New York, Mac Millan Publishing Co. , Inc. , 1967, P. 163.

[4] Le Corbusier, Op. Cit. , P. 164.

[5] Gordon Cullen, Townscape, London, Architectural Press, 1961, P. P. 57-64.

[6] Melville C. Branch, Op. Cit. , P. 87.

7 بيوتر كروبوتكين أو بيتر كروبوتكين، جغرافي روسي، الذي كان من أوائل المنظرين للحركة التحررية. بيتر ألكسايفيتش كروبوتكين، الأمير كروبوتكين، ولد في موسكو وتعلم في ساينت بيترسبرغ (1842 – 1921).

[8] Arthur B. Gallion & Simon Eisner, Op. Cit. , P. 63.

تعليمية وتكنيكية ومهارة عالية. وعليه فمن الضروري أن يرتفع مستوى التعليم فهو يلعب دورا هاما في التنمية الاقتصادية والتنمية الحضرية.

وأدى انتشار الجرائد والمجلات إلى النموالثقافي الذي كان أساس الامبراطورية الميركانتيلية[1]. ولعبت الطباعة ودوريات الكتب والجرائد دورا بارزا في إمداد الناس بالثقافة العقلانية التي نمت في المدن. وارتبطت كل مدينة بالدولة الأم أكثر من ارتباط المدن ببعضها البعض. وفي عام 1704 كانت الرحلة من بوستون إلى نيويورك تستغرق ستة ايام. ومع تقدم وسائل المواصلات ازداد الدور البارز الذي يلعبه الناشرون مثل دار فرانكلين. وقد أدت سهولة انتقال الصحف والجرائد والمجلات من مدينة إلى أخرى إلى بزوغ القومية الأميركية[2].

وفي الفترات السابقة كان تخطيط المدن يقوم على ما تورده الجرائد و المجلات من تسجيلات وإحصاءات تتعلق بالمناخ، وأحوال الطقس، ومعدلات المواليد والوفيات، والتوازن الاجتماعي، وما يخص الجريمة ومدمني الخمر والمواد المخدرة. كما تناولت هذه الجرائد والمجلات أخلاقيات المدينة ومشاكلها[3]. وتنموالمدن بتقدم تكنولوجيا الطب. فقد ازدادت الطبقة العاملة نتيجة التقدم التكنولوجي ضد الأمراض عند ظهور الثورة الصناعية.

وخلال القرن الثامن عشر أشيدت المباني والهيئات التي تستهدف الإحسان بالفقراء والمرضى. وتمثل ذلك في فندق أقيم في عهد لويس الخامس عشر، والمستشفيات العسكرية التي أنشئت في لندن في عهد تشارلز الثاني وجميس الثاني، والمستشفيات الكبرى التي كانت تقوم بالعناية بالمرضى وايواء الفقراء في نهاية العصور الوسطى وعصر النهضة.

وأدى الاهتمام بالصحة إلى إنخفاض معدلات الوفيات مما عمل على زيادة عدد سكان المدن. وتأثر الأطباء – ليس فقط بتقديم وسائل العلاج – بل وبالثورة المعمارية أيضاً[4].

1 3 مفهوم التغيير الاجتماعي والثقافي:

كثيراً ما استخدم مفهوم التغيير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كانا يدلان على المعنى نفسه. والواقع أن مفهوم التطور (evolution) شهد انتشاراً واسعاً في الحقلين البيولوجي والاجتماعي مع ظهور نظرية داروين في منتصف القرن التاسع عشر. وكان التطبيق الاجتماعي لنظرية داروين على يد المفكر الانلكيزي (هربرت سبنسر H. spencer[5]) وذلك من خلال المقارنة بين الكائن الحي والمجتمع، والدلالة على أوجه التشابه في اشتراكهما في النمو، وتعقد درجة البناء وتمايز الوظائف وتطورها.

وسمي حينها هذا الاتجاه بالداروينية الاجتماعية (social Darwinism) إلا أن انتقادات كثيرة وجهت إلى هذا الاتجاه، ومنها ما توصل إليه (وليم أوغبرن william ogburn) الذي اعتبر أن المحاولات المبذولة للكشف عن قوانين الوراثة والتنوع والانتخاب في تطور النظم الاجتماعية لم تسفر إلا عن

[1] الميركانتيلية هي مذهب تجاري ساد بأوروبا في الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر. اعتمدت الميركانتيلية على عدة مبادئ من أبرزها:اعتبار الذهب والفضة أساس القوة الاقتصادية لأي بلد - رفع الصادرات وتقليص الواردات بهدف تحقيق فائض في الميزان التجاري - حماية الإنتاج الوطني عن طريق فرض قيود جمركية على الواردات - إنشاء شركات تجارية كبرى قصد التحكم في التجارة الدولية.

[2] Charles N. Glaab & Theodore Brown, Op. Cit. , P. P. 19-20.

[3] Le Corbusier, Op. Cit. , P. 130.

[4] Helen Rosenau, Social Purpose in Architecture, Paris, and London Compared, 1760-1800, Studio Vista, 1970, P. 52.

[5] هربرت سبنسر هو فيلسوف بريطاني (1820 – 1903). مؤلف كتاب " الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح "البقاء للأصلح ". رغم أن القول ينسب عادة لداروين

القليل من النتائج الحيوية والمهمة. وهوما بينه أيضا (جوليان ستيوارد[1] jolian steward) من خلال تأكيده أن هناك اختلافا واضحا بين التطور العضوي والتطور البشري، ذلك أن الأول يسير في خط مستقيم و((حتمي))، بينما الثاني يسير في عدة خطوط وذلك بحسب اختلاف العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية. والواقع أن النظرية التطورية في الحقل الاجتماعي فقدت الكثير من الشهرة، وانصرف عنها حديثا علماء الاجتماع، كما تخلوا عن استخدام مفهوم التطور الاجتماعي2.

كذلك الأمر في ما يتعلق بمفهوم التقدم الاجتماعي (social progress) الذي كان يعني في الاستخدام الشائع تغيّر المجتمع من حالة إلى حالة أفضل، وقد جاءت نظريات التقدم الاجتماعي لتفسر تغير المجتمعات من خلال تقدمها. ومن أبرز هؤلاء الأمريكي (جون بيوري[3] jhon Bury) الذي يرى أن مفهوم التقدم يعني أن الحضارة الإنسانية قد تطورت في الماضي، وهي تتطور في الحاضر، وسوف تستمر في التطور في المستقبل في اتجاه مرغوب. يعبر إذاً مفهوم التقدم عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحوغاية معينة، وهذا ما أدى إلى الخلط بين مفهوم التغيّر والتطور الاجتماعيين. وقد أشار المفكر الأميركي جون ديوي[4] إلى أن هذا الخلط يعود إلى أن المجمتع الإنساني قد ظلّ لفترات طويلة في حالة من الاستاتيكية ساعدت على العزلة النسبية التي عاشتها المجتمعات القديمة، وصعوبة اتصال المجتمعات بعضها ببعض، إلى أن جاء العصر الحديث ومع الكثير من وسائل الاتصال المادية والمعنوية، والتي أحدث ثورة في عملية التفاعل، ما أدى إلى تحطيم الحواجز التي فرضت العزلة على المجتمعات. وهكذا نشطت حركة المجتمعات بعد طول جمود لتشمل كل شيء، وتحولت من استاتيكية إلى ديناميكية. هذا التحول الجوهري الذي مر به المجتمع الإنساني دفع بعضهم إلى اعتبار هذه الحركة الديناميكية ذاتها تقدما2.

الا أن انتقادات عدة وجّهت إلى هذا الخلط بين المفهومين، ذلك أن مفهوم التقدم يختلف من مجتمع لآخر، بحسب ثقافة المجتمع، كما أن فكرة التقدم نفسها قد تتغير بتبدل الظروف والأزمنة، وهي في كل الأحوال فكرة نسبية. فالتقدم في مجتمع ما قد يكون تخلفا في مفهوم مجتمع أخر، ففيما يرى بعض الناس أن الحضارة الغربية قد قطعت شوطاً بعيداً نحوالتقدم من خلال التصنيع، وارتفاع مستوى المعيشة، وتوفر عناصر القوة المادية، يرى البعض الآخر أن هذا التقدم المادي لا يتضمن المعنى الشامل والأخلاقي للتقدم، فما زالت تلك المجتمعات تعاني الفروق الطبقية، وتفتقر إلى العديد من القيم التي تتمسك بها المجتمعات النامية أو (المتخلفة) وفق تلك المعايير النسبية. يتضمن مفهوم التقدم محتوى نسبياً وقيمياً ومعيارياً وارتقائياً، وهو يستند دائماً إلى خلفيات إيديولوجية.

والواقع إن استخدام مفهوم التقدم الاجتماعي يواجه صعوبات منهجية، حيث يحمل معنى خط سير للمجتمع نحوالأمام، أي انه يسير في خط صاعد، في حين أن مفهوم التغير يتضمن امكانية التقدم أو التخلف، وبالتالي هوأكثر علمية، لأنه يتوافق وواقع المجتمعات التي ليست دائما في تقدم مستمر. وهذا لا يعني الاستغناء كلياً عن استخدام مفهوم التقدم الذي يبقى متضمناً قيمة اجتماعية وإنسانية تقوم على الاعتقاد بقدرة الإنسان على صنع أفضل شروط الحياة.

---

[1] جوليان ستيوارد، كتب وصحفي وسياسي أسترالي 1866 – 1929.

[2] د. عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، 2008، ص ص 189-190.

[3] جون بيري، كاتب ومؤرخ أيرلندي 1861 – 1927. أستاذ التاريخ الحديث في جامعة كامبريدج. حاصل على دكتوراه فخرية في القانون من جامعة جلاسكو.

[4] جون ديوي 1859 - 1952 هو مربي وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية ويعتبر من أوائل المؤوسسين لها. ويقال انه هو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع ان يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما"العلم" و"الديمقراطية."

نخلص إلى أن مصطلحات التقدم والتطور والنمو لا توفر منهجياً البعد الموضوعي لدراسة عمليات التغيير من الناحية العلمية، فهي تحمل معنى قيمياً وأخلاقياً يتأثر بالمنطلقات الذاتية للدارس، في حين أن مصطلح التغيير الاجتماعي يصف الواقع كما هو كائن فعلاً، وليس كما يجب أن يكون.
يبقى أن نطرح السؤال عن علاقة التغيير الثقافي بالتغيير الاجتماعي، والإجابة تقتضي الإشارة إلى النقاش حول مفهوم ومضمون الثقافة وهوالنقاش الذي كان يميز بين المظاهر المادية واللامادية للثقافة ودراسة التغيير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين، حيث لا يمكن فصلهما، وبالتالي البحث في تأثير أحدهما في الأخر. ومن الخطأ، عدا عن الصعوبة، في أن نفرد عوامل خاصة بالتغيير في الجانب المادي وعوامل أخرى خاصة بالجانب اللامادي وبالتالي يكون التغيير الثقافي (cultural change) هو ما يطرأ من تبدّل في جانبي الثقافة سواء كان مادياً أم معنوياً, إنه التغيير الذي يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفن، العادات والتقاليد، تبدل الأولويات وسلّم القيم، التكنولوجيا. . . . .). وعلى هذا يصبح التغيير الاجتماعي جزءاً من التغيير الثقافي بالإضافة إلى ذلك الإطار المادي. لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية، بينما العكس هو جائز.
وما دام التغيير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع، سواء كان هذا التغيير محدوداً أو واسعاً، شاملا المظاهر المادية والمعنوية، وما دام التغيير الاجتماعي يتناول الجوانب المعنوية لجهة وظيفتها في البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من علاقات، وما ينتج عنها من قيم وعادات، أي جوانب لا مادية وما دام الأمر كذلك فان هناك علاقة بين التغييرين، هي علاقة تضمن واحتواء1. فكل ما هو تغير اجتماعي يعد تغيراً ثقافياً، وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي على الرغم من أنها تتراكم وتصبح مع الوقت سبباً أو علة للتغيير، كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية.

3 2 العوامل المؤثرة في حدوث التغير:

التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية، يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليه ثقافته، وفي المقابل يفرض الإنسان ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة، ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغيير، وهناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الثقافي والاجتماعي، بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية والبيولوجية وعوامل أخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل المعطيات التكنولوجية والثقافية وغيرها.

3 2 1 العوامل الايكولوجية والطبيعية:

تتمثل بمكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية. وعلى الرغم من أن التغيرات في البيئة الطبيعية نادرة الحدوث، إلا أن تأثيرها عندما تحدث يكون عظيما في حياة المجتمع، فقد تؤدي إلى الهجرة الجماعية أو إلى تغيير شامل في حياة الجماعات المتبقية. كذلك يكون للمناخ أثر كبير في نوع المحاصيل وفي الإنتاج الصناعي وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية. ويتأثر الدخل ومستوى المعيشة في المجتمع بما تحتويه الأرض من ثروات. فاقتصاديات المجتمعات التي تغلب عليها الطبيعة الصحراوية والأراضي البور تختلف عن تلك الغنية بالمياه والأراضي الخصبة والثروات المادية كالفحم والحديد والذهب والبترول، وبالتالي ينتج عن هذا الاختلاف نظم وعلاقات اجتماعية وثقافية متنوعة. وهي بدورها تختلف عن تلك

[1] يوسف خضور، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1994، ص 46.

المناطق المتميزة بمناخ متقلب أو بعوامل بيئية فجائية، كهبوب العواصف والفيضانات والبراكين واشتداد الحرارة أو البرودة، جميع هذه الحالات تفرض نوعا من التكيف وتغيير طرق المعيشة وأسلوب الحياة الاجتماعية.

إلا أن الإنسان لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعاً تاماً بحيث تتحكم في حياته ومصيره، وقد استطاع بالعلم أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه، ولم تعد بالتالي علاقته بهذه البيئة ذات طابع ((حتمي))، وبخاصة لجهة تحديد مجالات نشاطه عدا عن أنها اي " البيئة " ليست صالحة دائما لتفسير مختلف التغيرات الاجتماعية والثقافية. هذا ما بينه النقاش الواسع في الجغرافية البشرية بين أنصار النظرية الحتمية من جهة وأنصار النظرية المكانية من جهة أخرى، وبخاصة أن المعطيات الطبيعية نفسها ليس بالضرورة أن ينشأ عنها استجابات ثقافية وحضارية متشابهة. فكما أن البيئة الساحلية أو البحرية ساعدت على قيام الحضارة الفينيقية فليس كل من عاش بيئة مشابهة أنتج بالضرورة حضارة مشابهة. والأمر نفسه يقال عن الحضارة الفرعونية التي قامت في بيئة صحراوية والتي لم يقم ما يشابهها على الرغم من توفر بيئات صحراوية عديدة تسكنها جماعات بشرية متنوعة في غير قارة[1].

وقد اهتم ابن خلدون في مقدمته بأثر البيئة في العمران البشري، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان. وهذه العناصر تعد من أبرز العوامل المحددة لنشاط الإنسان، وهي التي تؤثر في سلوكه وفي عملية انتاجه ما يجعل منه ممثلا للاتجاه الإيكولوجي في التغيير الاجتماعي. وقد تطور هذا الاتجاه فيما بعد على يد (مونتيسكيو[2] montesqieu) فقد رأى في كتابه روح القوانين أن محرك التاريخ ومصدر الشرائع يتحدد في المناخ والامتداد الجغرافي وعن طريق هذين المتغيرين يمكن أن نفهم مميزات الشعوب المختلفة وأن نحدد النظم والقوانين الملائمة لكل مجتمع. وقد اهتم الجغرافيون الألمان، ورائدهم في ذلك (ريتر Ritter) [3] 1779-1859 م بالعوامل المؤثرة في الاجتماع البشري من وجهة نظر حتمية وقدم دراسات عن سكان السواحل وأثرهم في تاريخ أوروبا وسكان جزر البحر المتوسط لكونهم استعملوا البحر في أسفارهم وكشوفاتهم الجغرافية وتفاعلهم مع الشعوب المجاورة والبعيدة.

وقد قدم (ديمولان Demolins) [4] إسهاماً كبيراً في دعم الاتجاه الحتمي الجغرافي بين فيه تأثير العناصر الطبيعية في حياة البشر، وقد ركز في تحليله على عناصر البيئة الثلاثة: المكان، العمل، الناس. واعتبر أن المكان يؤثر في نوع العمل ونوع العمل يؤثر في الناس من خلال التأثير في المجتمع وفي التنظيم الاجتماعي والسياسي وفي طرق التفاعل بين الناس. على أنه يضيف أن هذه المعادلة أشد ما تنطبق على الريف لأنها في مجتمعات المدن تنقلب من حيث الأولويات، لأن نوع العمل يفقد اتصاله بالبيئة الطبيعية ويعتمد أكثر على المجموعات البشرية. وقد غالى البعض في تبيان

[1] د. عاطف عطية ود. عبد الغني عماد، البيئة والإنسان، ط 2، دار المختارات، بيروت، 2002، ص 30-39.

[2] شارل لوي دي سيكوندا المعروف باسم مونتيسكيو 1689 – 1755 ، فيلسوف فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا. ولد مونسكيو في جنوب غرب فرنسا بالقرب من مدينة بوردو عام 1689 حيث تعلّم الحقوق وأصبح عضو برلمان عام 1714.

[3] كارل ريتر بالألمانيةCarl Ritter 1779 - 1859، جغرافي ألماني يعد من مؤسسي علم الجغرافيا الحديثة،كما أنه مؤسس الجمعية الجغرافية الألمانية عام 1828م, وواضع أسس الجغرافيا التجريبية شغل منصب مدرس الجغرافيا الأول في جامعة هومبولدت في برلين من 1825 حتى وفاته.

[4] إدمون ديمولان 1852 – 1907. عالم اجتماع ومرب فرنسي، أسس مجلة الإصلاح الاجتماعي، واشتهر كتابه "سر تقدم الإنجليز السكسونيين".

أثر البيئة الطبيعية في عملية التغير الاجتماعي. فالألماني (فريدريك راتزل F. Ratzel) [1] رأى أن التربة ه ي التي تحدد مصير الشعوب بحتمية صارمة عمياء، إذ يتحتم على كل شعب أن يعيش على التربة التي قسمها له الحظ أما الجغرافيا السياسية (Geopolitic) فهي تقرر بفظاظة أن التاريخ البشري ما هو إلا نضال أبدي من أجل (المجال الحيوي) وهي النظرية التي اعتمد عليها الفكر النازي في حروبه التي روعت العالم. وقد رأى (هالفورد ماكيندر H. Machinder) [2] الأستاذ في جامعة أوكسفورد أن حركة التاريخ البشري هي عبارة عن صراع دائم بين الدول الداخلية والدول البحرية. فالأولى تحاول النفاذ إلى الشواطئ لتطل منها على العالم الخرجي، بينما الثانية تحاول التوسع باتجاه المناطق الداخلية. وهوصاحب نظرية (قلب العالم) (Heart land) والتي يضع بمحصلتها معادلة تقول: من يسيطر على شرق أوروبا يتحكم في قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم، يتحكم بالجزيرة العالمية، ومن يسيطر على هذه الجزيرة العالمية يحكم العالم كله[3].

لكن علماء الاجتماع والجغرافيا البشرية، بعد عشرينات القرن العشرين، وجهوا انتقادات عديدة لهذا الاتجاه بل أكدوا في دراساتهم، أن الكثير من الظواهر الاجتماعية وعمليات التغيير في شتى الميادين لا يمكن أن تفُسر إلا بالنشاط البشري الناتج عن التفاعل بين وعي الإنسان والبيئة الطبيعية. فالعالم الذي نعيش فيه اليوم هوعالم مصطنع، من عمل الإنسان أكثر من كونه عالماً طبيعياً، وهو ما عبرت عنه المدرسة الإمكانية[4] التي تطورت على يد الفرنسيين (دولابلاش[5] De laplache) و(برين[6] Brunhes). كذلك أدت التطورات التكنولوجية وتقنيات الاتصال الحديثة إلى افقاد النظريات الجيوبوليتيكية الأهمية.

3 2 2العوامل السكانية:

يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي، هذا ليس راجعاً إلى أن الجماعات الإنسانية تنظم وتفرض أنواع السلوك المتوقع من أعضائها فحسب، بل أيضاً لأنها في الوقت نفسه عبارة عن وحدات تقوم ببعض الوظائف والسلوك المتوقع، فضلاً عن العادات والتقاليد، وبالتالي ينتج عن ذلك نماذج (توافقية). ومثال ذلك أن حاجات الأسرة في المجتمع التقليدي الزراعي تختلف عن حاجات الأسرة في المجتمع المديني الصناعي، وبالتالي فان الأسرة الريفية الكبيرة يمكن أن تقوم بعدة وظائف، تعجز عنها الأسرة المدينية الزوجية (الصغيرة)، وينتج عن ذلك أن تتغير التوقعات الاجتماعية بتغير النماذج والحجم وتعقد البناء الاجتماعي. فصغر حجم العائلة يجعلها أقل قدرة على مواجهة متطلبات الظروف الجغرافية المتصلة بعملية الزراعة. وكلما صغر

[1] فريدريك راتزل عالم ألماني 1844 - 1904 صاحب كتاب الجغرافية السياسية ويعتبر المؤسس الأول لعلم الجغرافيا الحديثة، درس راتزل في هايدلبيرج سنة1868 م علم الحيوان والجيولوجيا والتشريح، له كتابه جغرافية الإنسان، كتب عن العوامل التي تتحكم في توزيع الإنسان في الكرة الأرضية.

[2] هالفورد ماكندر بالإنجليزية Halford Mackinder ، كان السير هالفورد ماكندر (1861-1947) جغرافي بريطاني, متخصص في الجغرافيا السياسية الجيوبوليتكا، في عام 1904 قام بتأليف الكتاب الشهير "المحيط الجغرافي للتاريخ"، وهو أحد أشهر كتب الجيوبوليتيك في العالم،وهو واضع نظرية قلب اليابس.

[3] المرجع السابق، ص 138-143.

[4] **المدرسة الإمكانية** :التي ترى أن الإنسان لديه إمكانات لاختيار ما يناسبه، وهو يؤثر في البيئة مثلما يتأثر بها. ومن ثم تتركز الدراسة على الظروف البشرية وأشكال التكيف البشري مع البيئة الطبيعية، وعوامل ومراحل التقدم التقني، وأنماط العمران البشري من سكان وسكن وتنظيم إداري وسياسي للحياة وتحسين جودتها.

[5] بول فيدال دو لابلاش (1845 - 1918) بالفرنسية Paul Vidal de La Blach جغرافي فرنسي كان له تأثير عظيم في تطوير الجغرافيا المعاصرة.

[6] برنار برين 1867 – 1910 Bernard Brunhes جغرافي فرنسي عرف بعمله الرائد في اكتشاف الانعكاس المغناطيسي للكرة الأرضية.

حجم العائلة فإن الأنساق الثقافية للسلوك العائلي تتغير بشكل واضح. وهذا يعني أن التغير في بعض الظواهر والملامح المتعلقة بالجماعة يؤدي إلى سلسلة من التغيرات الاجتماعية التوافقية.
كذلك يلعب (الاتصال) أو (العزلة) دوراً مؤثراً في التغير الاجتماعي والثقافي، فالعزلة لا تشجع الانتشار بقدر ما تشجع الاتجاه المحافظ، ودرجات الاتصال أو العزلة نسبية، فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة، وكذلك المجتمعات الزراعية، لذلك هي ترغب في حماية ثقافتها، وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى.
ومن الاتجاهات التي بالغت في الاتجاه السكاني وتأثيراته (المالتوسية) نسبة إلى (توماس روبرت مالتوس[1] T. malthus) والتي اعتبرت الزيادة السكانية معرقلة لنمو المجتمعات، فقدرة الناس على التزايد تفوق قدرة الأرض على انتاج الحاجات الغذائية. فموارد البيئة تتزايد لمعدلات حسابية (1-2-3-4-5. . . . .) أما الزيادة السكانية فتتم وفق متوالية هندسية (2-4-6-8. . . . .) وبنتيجة ذلك سيكون في تقديره أخطار عديدة منها الجوع والمرض والموت. وكما يرى أن المرض والجوع معوقان ايجابيان في رفع نسبة الوفيات، كما أن الصراع من أجل البقاء والذي قد يصل إلى درجة قيام الحروب والكوارث والأوبئة، يمكن عده ميكانزما ضروريّ لحفظ التوازن.
لذلك كان يرى عدم تقديم المساعدة للبؤساء لأنهم سبب المشكلة، وفناؤهم أو انقراضهم، يساعد على حل المشكلة لإعادة التوازن إلى العملية الاجتماعية. فالإنسان المولود في عائلة فقيرة –في نظره- إنسان زائد (لا مكان له في مائدة الحياة الكبيرة. إن الطبيعة تأمره بالانصراف ولا تتباطئ في تنفيذ حكمها بنفسها).
استدعت هذه النظرية انتقادات كثيرة أبرزها ما وجهه إليها (كارل ماركس[2] وفريدريك أنجلز[3]) واعتبراها (أصرح إعلان حرب من البرجوازية على البروليتاريا) وفي مكان آخر كتب ماركس بغضب واستهجان يقول: (إن مالتوس يتميز بعمق انحطاط الفكر، انحطاط لا يمكن أن يجيزه لنفسه غير كاهن يرى في فقر البشر عقاباً على الخطيئة الأصلية) ومع ذلك وجدت هذه النظرية أنصارا فيما عرف بالـ (مالتوسية الجديدة) وهي ترجع كل مشكلات البلدان النامية إلى ما يسمى بالانفجار السكاني.
لا يمكن نفي حقيقة الزيادة الهائلة في السكان في البلدان النامية بشكل عام، لكن هذا وحده ليس سبب التخلف. إن نمو السكان وكثافتهم يخلقان فقط إمكانات محددة من أجل التطور الاجتماعي، والاستفادة من هذه الإمكانات رهن بالمجتمع المعني. فزيادة السكان في بلد ما قد تكون مشكلة اذ لم تستغل وتوظف بعقلانية، لكنها قد تكون قوة عاملة نشيطة تبني الاقتصاد، وبخاصة في الدول النامية. وهناك مثالان للتعامل مع مشكلة السكان هما الصين والهند. في المقابل هناك بلدان تشكو من قلة السكان بالنسبة للمساحة ومع ذلك تعد أفقر دول العالم، مثل السودان والصومال وموريتانيا[4].
خلاصة القول أن للعامل الديموغرافي أهمية في التغير الاجتماعي، لكنه لا يعد عاملاً أساسياً منفرداً في توجيه التغير إيجاباً أو سلباً، بدلالة الاختلاف في التغير بين الدول ذات العدد السكاني المتكافئ

[1] توماس روبرت مالتوس1766 - 1834 باحث سكاني واقتصادي سياسي إنجليزي .مالتوس مشهور بنظرياته المؤثرة حول التكاثر السكاني .في العصر الحديث يتم منادته توماس مالتوس رغم أنه في حياته استخدم اسمه الأوسط، روبرت.
[2] كارل هانريك ماركس، فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري 1818م - 1883م. لعبت أفكاره دور هام في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر كارل أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ . نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها بيان الحزب الشيوعي(1848) ، و رأس المال.(1894–1867) .
[3] فريدرخ إنغلز 1820 - 1895 في «بارمن «، بروسيا فوبرتال، ألمانيا حاليًا هو فيلسوف ورجل صناعة ألماني يُلقّب بـ«أبو النظرية الماركسية «إلى جانب كارل ماركس . أصدر مع ماركس، بيانهما المشهور والمعروف ببيان الحزب الشيوعي، والذي يسمى اختصارًا البيان الشيوعي .فيما بعد، ساعد كارل ماركس ماديا من أجل أن يكتب هذا الأخير كتابه الرأسمال .بعد وفاة ماركس، نشر إنجلز الجزءين الثاني والثالث من هذا الكتاب. إضافة إلى ذلك، نظم انجلز مختلف تخمينات كارل ماركس، مما أعطى الجزء الرابع من كتاب الرأسمال .وهو من عائلة أصلها يهودي.
[4] د. علي حيدر، التغير الاجتماعي والتنمية، دار الثقافة، القاهرة، 1982، ص 48.

وتشابه التغير في دول مختلفة الكثافة السكانية والوضع الديمغرافي بشكل عام، لذا يمكننا القول أن العامل الديمغرافي عنصر مهم في التغير، لكننا لا نستطيع أن نرجع إليه التغيرات الاجتماعية جميعها في هذا المجال[1].

3 2 3العوامل الإيديولوجية والثقافية:

الإيديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة ، وتساندها تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية، أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية. لذلك هي ترتبط بالمنظومة الاجتماعية وبحركتها العامة. فهي ليست مجموعة من الأفكار والمعتقدات والاتجاهات تتبناها جماعة معينة، وإنما هي حركة فكرية هادفة، ومحركة لها فاعلية إيجابية في الوسط الاجتماعي والثقافي، وتنعكس روحها في التنشئة الاجتماعية وفي القيم والسلوكيات. وينعكس أي تغير يطرأ على إيديولوجية المجتمع على الظواهر والمؤسسات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الأفكار التي يعتنقها الناس. وغالبا ما تتجسد في شكل حركة جماهيرية، أو تيار جارف تقوده مجموعة من الناس المنظمين، وهنا تنزل الأفكار إلى الأرض، وتصبح فكرة مادية، تسبب على الأقل التغير السياسي، والذي بدوره قد يفرض كل التغييرات الأخرى.

وقد استقطبت الإيديولوجية ودورها في التغير الاجتماعي كتابات كثيرة، منها ما كتبه كارل مانهايم (Karl Mannheim) [2] مطلع الخمسينات. فعنده كل فكرة إما تكون طوبى، وإما تكون إيديولوجيا وذلك يعود إلى الظرف التاريخي العام. فالطوبى هي التفكير الذي يبغي تمثل المستقبل واستحضاره، أما الإيديولوجيا عنده، فهي التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر كما هوعليه. فالليبرالية كانت طوبى في القرن الثامن عشر في أوروبا، ثم أصبحت إيديولوجيا في القرن التاسع عشر، وبالتالي فالطوبى هي ذهنية الفئات الاجتماعية إبان صعودها نحو السلطة. أما الإيديولوجيا فهي ذهنية الفئات الاجتماعية إبان تحجرها في مصالحها واستلامها زمام السلطة. وهما معاً وجهان للوعي الزائف، فكل طوبى تحمل في جوهرها بذور إيديولوجيا، كما أن كل إيديولوجيا تدفع باتجاه تبلور طوبى معينة في المجتمع سرعان ما تعمل على محاربتها وإزاحتها. هذه هي حسب تعبيره (الحقيقة المزمنة في الفكر البشري) والتي تشكل احدى الثوابت الأساسية للإنسانية[3].

أما ماكس فيبر (M. weber) [4] فكان يرى أن هناك فترات تحوّل تمر بالمجتمعات بفضل وجود عباقرة وأبطال، أو انبثاق فئة من الحكماء والأنبياء والمرشدين أو العلماء التكنوقراطيين. وتعكس كتاباته أهمية العوامل الفكرية والروحية في التغير ،وقد اهتم بالعوامل المؤدية إلى نشأة الرأسمالية، والتي لاحظ، على سبيل المثال، أنها لم تنشأ في المجتمع الصيني القديم، نظراً إلى أن الأفكار السائدة في المجتمع لم تكن تدفع إلى الإنتاج والعمل والادّخار والاستثمار، وهو الأمر الذي ركزت عليه حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وبخاصة البروتستانتية. ولا يزال كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية يعتبر من المؤلفات المرجعية في علم الاجتماع. في هذا الكتاب يبين كيف يمكن للأفكار أن تصبح قوة فاعلة في التاريخ، ويطور منهجية سوسيولوجية مضادة للحتمية الاقتصادية.

---

[1] د. يوسف خضور، مرجع سابق، ص 121.

[2] كارل مانهايم 1893 - 1947 عالم اجتماع يهودي, مجري الأصل من مؤسسي علم الاجتماع الكلاسيكي ويعد مؤسس علم اجتماع المعرفة . الهدف الخاص لعلم اجتماع المعرفة هو تحليل العلاقات بين التمثيلات العامة للواقع وخلفيتها المكونة من الظروف التاريخية والاجتماعية.

[3] د. فريدريك معتوق، المعرفة، المجتمع والتاريخ، جروس برس، طرابلس-لبنان، 1991، ص 158-160.

[4] ماكسيميليان كارل إميل فيبر 1864 - 1920 كان عالمًا ألمانيًا في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي [علم الاجتماع] الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية".

والمحور الذي يدور حوله التغير الاجتماعي في نظره. هوالصراع بين ثلاثة مبادئ عامة هي: التقليدية (traditionalism) والتعقل والعقلانية (Rationality) والكاريزما[1] (Charisma) [2].
هكذا فالعوامل الإيديولوجية غير مقتصرة على النواحي السياسية، بل تتعدى ذلك إلى النواحي الدينية والعسكرية والاجتماعية والفكرية. وهذه كلها مجتمعة تتأثر من جراء هذا التغير. فالإيديولوجيا توجه العوامل الأخرى مثل الموقف من البيئة أو السكان أو سبل الاستفادة من التكنولوجيا، وهذه كلها تسبب الاسراع في عملية التغير، لأن الناس فيها يكونون في قلب الحركة، وتنعدم بالتالي أو تضعف عوائق التغير، كاللامبالاة والعدائية.
لاشك في أن الاحتياجات المستجدة تشجع التغير وتوجهه، ما قد يؤدي إلى إنتاج وسائل جديدة تلبي المستجد من هذه الاحتياجات، و كما يقول سوروكين أنه عندما تحتك مجموعة من الثقافات فإنها تتداخل معاً ومن ثم تنشأ اجتماعياً مجموعات مختلفة وعديدة من القيم معا الأمر الذي يستلزم أن تستعير إحداهما من الأخرى السمات الاقتصادية ثم الأفكار السياسية وأخيرا القيم الايديولوجية[3].
يلجأ (سوروكين) في التفسير الثقافي إلى قانون الدمج الذي يشكل بنظره الأساس الذي تقوم عليه عملية التغيير ويعتبر أن أول شكل من أشكال الدمج هوالدمج المكاني الذي يعني وجود عدة عناصر لا رابط بينها إلا المكان الذي وجدت فيه وهو أدنى أنواع الدمج أما الدمج الجغرافي فهو أرقى مستوى. أما الشكل الثالث فيطلق عليها سوروكين الدمج السببي أو الوظيفي وهو أرقى من الشكلين السابقين ويتجلى في الوظيفة التي يقوم بها كل عنصر في التركيبة الثقافية وعند تعطيل أي عنصر تتعطل التركيبة الثقافية كلها. أما أرقى أنواع هذا القانون فهوالدمج المنطقي الذي يؤمن وحدة الشكل والمضمون ووحدة العنصر والوظيفة، لتتجلى كلها في وحدة نظام عقلاني بحت[4].
ويبتكر سوروكين في معالجته لاستقلالية الثقافة عن المجتمع الذي أو جدها مبدأ التغيير الملازم الذي يقول بحركية الثقافة وتغيرها المستمر ولكن ليس بغير حدود، بل يحكمها مبدأ آخر هو مبدأ الحد، أي أن الثقافة تتغير بديناميكيتها الداخلية وحركتها المستمرة إلى أن تصل إلى حدود معينة تعيدها في حركة دائرية مستمرة بعد كل ثلاث مراحل إلى مسيرتها الأولى. والمراحل الثلاث هي: المرحلة الروحانية ،والمرحلة المثالية ،والمرحلة الحسية ،وهكذا إلى أن تنتهي البشرية.
وهو يقدم أمثلة عن المسيرة الدائرية للأنظمة الثقافية، فالثقافة الإغريقية القديمة بقيت روحانية حتى القرن السادس قبل الميلاد، حيث بدأت تبرز الثقافة الحسية مع الحضارة الرومانية. ثم استعاد الفكر الديني المسيحي زمام الأمور، فشهدت البشرية مرحلة روحانية جديدة على الصعيد الحضاري، لكن هذه المرحلة بدأت تزول مع بروز مرحلة مثالية بين القرن الثاني عشر والقرن الخامس عشر في أوروبا حين بدأت حركة النهضة، فتبلورت مع هذه الأخيرة ثقافة حضارية يطغى عليها الطابع الحسي، فتعمقت هذه النزعة الحسية منذ ذلك الحين، إلى أن أصبحت حالياً في أوجها.

---

[1] الكاريزما مصطلح يعني ((هبة الاله)) وهو يطلق على خصائص معينة في شخصية الفرد تميزه عن غيره من الأفراد العاديين، بحيث ينظر إليه كقائد مزود بقوى وخصائص خارقة للعادة، غير متوفرة في عموم الناس. قد يكون مصدر هذه الصفات الالهيا، أو عبارة عن صفات مثالية تدفع صاحبها إلى مرتبة القيادة في نظر الناس. يوجد النظام الكاريزمي عادة في حالات الوهن الاجتماعي والديني والاقتصادي والسياسي، ويرتكز على الطاعة للبطل والتضحية من أجل تأدية رسالة. والقائد الكاريزمي لا يظهر عادة في الميدان وحده، بل يظهر عادة مع جماعات ثائرة تشكل الحركة الكاريزمية التي تبقى مدينة بنشأتها واستمرارها للقائد.المرجع: كاريزما/www.ar.wikipedia.org/wiki .

[2] د. يوسف خضور، مرجع سابق، ص 116-117.

[3] P. Sorokin, Society, Culture, and Personality: Their Structure and Dynamics, a System of General Sociology, Harper's Social Sciences Series, New York, Harper, 1947, P. 590.

[4] للتفصيل حول قانون الدمج وأشكاله، انظر : فريدريك معتوق، تطور علم اجتماع المعرفة من خلال تسعة مؤلفات أساسية، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 84-90، اعتمادا على المصدر نفسه.

لاشك أن الترسيمة التعاقبية[1] التي يضعها (سوروكين Sorokin) تنطوي على الكثير من التبسيط التعميمي[2] في نظر نقاده، فهو كغيره عمد إلى تفسير عملية التغير الاجتماعي بعامل واحد هوالعامل الداخلي، وتجاهل العوامل الخارجية والتأثيرات المتبادلة والتي لا تفسر إلا بعوامل متعددة.

وثمة اتجاهات أخرى ركزت على عملية الانتشار الثقافي بوصفها أساس عملية التغير الاجتماعي التي تنتشر بواسطتها السمات أو الأنماط الثقافية من منطقة إلى أخرى، إلى أن تعم أنحاء العالم، لأن من سمات الثقافة الانتشار، وهي تتم عادة من خلال العديد من الأنشطة أوالمؤسسات مثل التجارة، الحرب، الزواج، السياحة، الهجرة، أو تبادل الآثار العلمية ووسائل الاتصال الفكرية، والواقع أن التقدم الكبير الذي حققته وسائل الاتصال الحديثة، مادية وفكرية، قد ساهم بدور ملحوظ في تسهيل عملة الانتشار الثقافي وسرعته في الوقت نفسه. ويميز هذا الاتجاه بين (انتقال) الثقافة و(انتشارها)، فالأول يعني انتقال الثقافة داخل المجتمع من فرد لآخر ومن جيل لآخر. أما الثاني فيعني انتشار سمات ثقافية من مجتمع لآخر. وبمعنى آخر، يعمل الانتقال وفق عامل الزمن، بينما يعمل الانتشار وفق عامل المكان.

ولتحقيق عملية الانتشار الثقافي يجب توافر عدة عوامل، منها وجود عناصر جديدة ونماذج ثقافية مستحدثة بالنسبة إلى البيئة الاجتماعية المتنقلة إليها، ومنها تقبل المجتمع الجديد لهذه المناطق، ووجود قاعدة أو أكثر للترابط الثقافي بين البيئتين وثمة غير تحليل في مجال الانتشار الثقافي، ومنها ما قالت به المدرسة الألمانية النمساوية التي تقول بوجود سبعة نماذج ثقافية أو ثمانية أصيلة في العالم ذات طابع منسجم ومستقل سادت في أرجاء العالم بفعل عامل الانتشار. أما المدرسة الإنكليزية مع اليوت سميث وبيري فتقول بمصدر واحد للثقافة، هوالحضارة المصرية، إلى أن جاءت الحضارة اليونانية وحلت مكانها. وهو ما قاله أيضا الأمريكي (ألفرد كروبير Alfred Kroebe[3] وأستاذه بواس Franz Boas[4]).

وجه أيضا لهذا الاتجاه عدد من الانتقادات، منها إهمال الانتشاريين لأسباب انتشار السمات الثقافية من مجتمع دون آخر وإلى مجتمع دون آخر، وهم لم ينتبهوا إلى أن عملية انتشار الثقافة عملية معقدة وليست ميكانيكية، وهوالأمر الذي ذهبوا إليه كما أن التركيز على العامل الخارجي في عملية التغير الاجتماعي ينفي العوامل الداخلية الأمر الذي يؤدي إلى إلغاء فاعلية المجتمع وآليات التغير فيه، وهذا ينافي الحقيقة.

وهناك اتجاه آخر يرى في الصراع الثقافي والتناقض الاجتماعي الذي ينتج عنه هو العامل الفاعل في عملية التغيير وللصراع أوجه متعددة، سياسي، طبقي، ديني، وعرقي، وهو في المحصلة عملية اجتماعية توجد بأوجه مختلفة في الحياة الاجتماعية. وبالتالي فإن المتناقضات الثقافية تنبع من داخل المجتمع، وتؤدي إزالة هذه المتناقضات إلى تغيرات اجتماعية فيه. ويشبه ذلك إلى حد كبير نظرية فرويد النفسية. أي يتم حسم الصراع بإنهاء جانب من العناصر الثقافية لحساب عنصر آخر، ويكون

---

[1] النظرية الشخصية لسوروكين المعتمدة على تعاقب الثقافات.

[2] التبسيط التعميمي: منهج من مناهج التقييم يعتمد على تعميم الجزء على الكل، فليس عند أصحاب هذا التقييم نظرة وسطى، وعليه فإن أحكامهم تتجه دائماً نحو الأطراف والتطرف وأخذ جانب من الصورة ثم تعميمها على الصورة كاملة. وينشأ التقييم التعميمي من عدة عوامل؛ قد يكون من بينها العقلية ذات البعد الواحد، أو الميل الطبيعي عند الناس إلى تبسيط الأمور وإطلاق التقييمات التعميمية التي تريحهم من عناء التفصيل والتدقيق، أوغير هذا وذاك.

[3] ألفريد لويس كروبير 1876 – 1960 عالم أنثروبولوجيا أمريكي الأصل حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا بإشراف العالم فرانز بواس.

[4] فرانز بواس 1858 - 1942 متخصص في علم الأنثربولوجيا ألماني الاصل أمريكي الجنسية، كان بواس رائد في علم الانثربولوجيا الحديث، مماحذا بالبعض ان يطلق عليه لقب "الاب المؤسس لعلم الانثروبولوجيا الحديثة" طبق فرانز بواس المنهج العلمي في دراسة الثقافات والمجتمعات البشرية.

ذلك إما باستبدال عناصر جديدة أو بتنمية العنصر الغالب في الثقافة. في كلتا الحالتين يؤدي الأمر إلى التغير في النهاية. ويذهب هذا الاتجاه إلى القول إن الصراع يمنع تحجر النظام الاجتماعي، وذلك بإيجاد ضغط من أجل الابتكار والإبداع، فلا بدّ للنظام الاجتماعي من صراع لكي يجدد على الأقل طاقاته ويعيد الحياة إلى قواه المبدعة[1].

ويميز البعض بين أنواع الصراع، فهناك صراعات ذات منشأ خارجي وتكون مفروضة على المجتمع كالحروب، وذات منشأ داخلي، كالصراع بين الأحزاب السياسية أو الطبقات الاجتماعية، وتتم داخل المجتمع الواحد. ويكون لكل منها نماذج خاصة في التحليل السوسيولوجي. وكل هذه الصراعات تؤدي عادة إلى تغير المجتمع، ولكن ليس لكل الصراعات الأهمية نفسها في إحداث التغير. فما إن ينتهي الصراع بزوال العلة المسببة له، حتى تنشأ تناقضات جديدة تؤدي إلى التوتر والصراع وهكذا.

وجهت أيضا لهذا الاتجاه انتقادات عديدة منها أننا لا نستطيع أن نعيد كل التغيرات الاجتماعية إلى حالة الصراع، فهذا يعيدنا إلى نظرية هوبز: (أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان). فإن المجتمعات اليوم تضع التغير وفق إرادة جماعية ديمقراطية. كذلك ليس بالضرورة أن تؤدي التناقضات إلى صراع يُحدث تغير جذري إيجابي. في كل الأحوال، يبقى هذا الاتجاه أيضا ضمن النظريات (الوحيدة العامل) التي تهمل العوامل الأخرى المتعددة.

3 2 4العوامل التكنولوجية:

تترك المخترعات الجديدة أثرا بارزا في المجتمعات الإنسانية وتعتبر الإبداعات التكنولوجية لثقافة ما محركا أساسيا في عملية التغير فقد أدت الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم تكنولوجي إلى إحداث تغييرات جوهرية ومهمة في نمط المعيشة بوجه عام وفي النظم الاجتماعية على وجه الخصوص.

إن أهم ما يميز الإنسان هو قدرته على الاختراع، فمنذ القدم اخترع الإنسان البدائي أشياء تتلاءم مع بيئته ووقته وظروفه. وعند ظهور أي اختراع فإنه يستمر كجزء من الثقافة طالما بقي يحقق الفائدة المرجوة منه، حتى يظهر اختراع جديد يقلل من فائدة الأول ويطغى عليه. ولا نقصد بالاختراع ما هو مادي فحسب، بل كل تجديد أو اتجاه إلى التجديد في ميادين العلوم والفنون والنظم الاجتماعية. وهناك عاملان أساسيان يعملان على إعاقة النموالثقافي وبالتالي التغير الاجتماعي، الأول حركة الاختراع أو النشاط الإبداعي، والثاني هو نزعة المعارضة التي ترفض كل جديد خوفا من نشوء معطيات تطيح بما اعتادت عليه من مكاسب ومنافع أو تقاليد وعادات. ومن خلال هذه النزعة ينشأ التعصب والتزمت والتمسك الأعمى بكل قديم، بغض النظر عن أهميته ووظيفته في المجتمع.

إلا أن انتشار تقنيات الاتصال الحديثة سهل عمليات التواصل، بحيث أصبح الناس أكثر قدرة على الاختيار والتبني والاستعارة، وهو ما نتج عنه أيضا ازدياد التوتر والحذر بين العناصر القديمة والحديثة للثقافة. ويبالغ البعض في تقييم أثر هذه العملية في المرحلة الحالية حيث نعيش عصر المعلومات والعولمة، فيذهب إلى القول إن التكنولوجيا أطاحت بالإيديولوجيا، إلا أن هذا القول لا يستند إلى أساس متين، فعلى الرغم من التقدم التكنولوجي الهائل، فإن الأفكار والإيديولوجيات والمعتقدات الدينية والأخلاقية والتنظيمات الاجتماعية تجد صعوبة بالغة في إحداث التغيرات المصاحبة. ولعل هذا التخلف النسبي مسؤول إلى حد ما عن الاضطرابات والصراعات التي تنشأ في المجتمع.

ومع ذلك يمكن القول بأن التغير التكنولوجي يصحبه دائماً تغير اجتماعي وهذه حقيقة سوسيولوجية، ولكن ما طبيعة العلاقة بينهما وكيف تتم عملية التتابع والتأثر بينهما؟ هل يكون التغير الاجتماعي سابقاً أم مصاحباً أم لاحقاً للتغير التكنولوجي؟ لقد تعددت الآراء حول هذه التساؤلات، فقد رأى كثير من

[1] د. يوسف خضور، مرجع سابق، ص 143.

العلماء أن العامل التكنولوجي هو السبب الأساسي وراء التغير الاجتماعي، بل ذهب بعضهم إلى أن الحضارة هي الثقافة نفسها: آلات زائد رموز، أي ما يفعله الإنسان بيده ويفكر فيه ويتخيله. وطوال التاريخ كان للمكتشفات والاختراعات والصناعات تأثيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية بعيدة المدى بل إن بعض العلماء توصل إلى أن تاريخ الحضارة هو تاريخ الطاقة والسيطرة عليها والاستفادة منها. فقد أدى اكتشاف الكهرباء والبخار إلى انتقال الصناعة من المجال اليدوي إلى المجال الآلي الذي يقوم على التخصص وتقسيم العمل من أجل زيادة الإنتاج. وقد استلزم العمل الآلي تجميع العمال في أماكن صناعية، ما أدى إلى قيام صراع بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال كان من نتائجه ظهور الإيديولوجية الاشتراكية والمجتمع الصناعي بدوره أدى إلى تغيير في وظائف الأسرة وتخفيض الإنتاج المنزلي أو إنهائه الأمر الذي نجم عنه إلغاء الوظيفة التي كانت للأب في رئاسة العمل الزراعي واليدوي عموما وأدى كذلك خروج المرأة إلى العمل إلى منحها استقلالية اقتصادية أدت إلى المزيد من الحرية وتعزيز فكرة المساواة بين الجنسين كما أدى المجتمع الصناعي إلى تضخم المدن ونموالخدمات العامة التي كان الأب مسؤولا عنها مثل الحماية من المرض والبطالة والعجز فكثير من هذه الوظائف انتقلت من الأسرة إلى الدولة في المجتمع الحديث. إذا من الصعب أن نجد تغيرا تكنولوجيا لم يحدث أن نتج عنه بعض التغييرات الاجتماعية.

تبنى (وليم أوغبرن William Ogburn ونمكوف Nemschoff) هذا الاتجاه وصاغ فيه الأول نظرية عن الهوة الثقافية أو التخلف الثقافي يؤكد فيها أن التغيير في الجانب المادي للثقافة يسبق دائما وأبدا التغير في الجانب اللا مادي وهو ما ينتج عنه الهوة الثقافية وهي الفترة الزمنية التي تقع بين المرحلة الأولى والتي يتم فيها التقدم التكنولوجي وإلى أن ينتقل إلى المرحلة الثانية التي يتم فيها التغيير الاجتماعي هذه الفترة تتسم ببعض المظاهر التي من بينها الاضطراب والصراع. فاستعمال الأدوات الجديدة لا يقتصر على طريقة استخدامها وصيانتها، لكنه يستتبع مجموعة من الممارسات والتعديلات التي تمس العادات والفلسفات والقوانين ونظم الحكم ومجمل المؤسسات الاجتماعية. وينشأ ما يسميه أوغبرن الثقافة التكيفية وتتمثل بالجانب اللامادي الذي يتكيف ويتعدل حسب الظروف المادية[1]. ويرى أوغبرن أسباب تخلف الماديات في عملية التغير بما يلي:

أ- الميل إلى المحافظة على القديم

ب- الجهل بحقيقة التجديد والاختراع وعدم معرفة طريقة استخدامه ما يؤدي إلى رفضه.

ج- النزعة المحافظة لدى كبار السن واستاتيكية العادات والتقاليد.

هذه العقبات تقف بقوة أمام التغير اللا مادي في حين أن الماديات لا تعترضها مثل هذه العقبات، لذلك يتأخر التغير في الجانب اللا مادي مدة من الزمن، قد تطول أو تقصر تبعا للمؤثرات التي يتركها في المظاهر الاجتماعية.

ومن أنصار هذا الاتجاه أيضا (نمكوف) الذي درس أثر التكنولوجيا في الأسرة فقد بين أن الثورة الصناعية هي المسؤولة عن التغيرات الجوهرية التي تعرضت لها الأسرة حديثا في الغرب ثم في مختلف أرجاء العالم بعد ذلك.

لقد حلت قوة الآلة الميكانيكية نتيجة لهذه الثورة محل قوة الإنسان البدنية، وبالتالي انتقل الإنتاج من البيت إلى المصنع وتجمعت الصناعات لتصبح بحد ذاتها مصدرا لنمط متغير من الثقافة هي ثقافة المجتمع الحضري الحديث. وبالتالي لم تعد الثورة الصناعية صناعية فحسب بل أصبحت ثورة اجتماعية ترتب عليها تغيرات جوهرية أصابت مختلف النظم والمؤسسات داخل المجتمع ومنها

[1] Francis R. Allen, Technology and Social Changes, Appleton-Century-Crofts Sociology Series, New York, 1957, P. P. 527-550.

الأسرة بطبيعة الحال. فانتقال الإنتاج من البيت إلى المصنع نتج عنه الفصل بين مكان العمل ومحل الإقامة وكانا قبل ذلك شيئا واحدا. ومع ازدياد فرص العمل دخلت المرأة مجال العمل، وأصبحت الزوجات والأمهات يعملن في الخارج لساعات طويلة بعيدا عن المنزل، ولم يعد العمل الصناعي بحاجة إلى عمل الأطفال الصغار كما كان الحال في العمل الزراعي. وأصبحت بالتالي تربية الأطفال في المجتمع الصناعي أمراً مكلفاً وصعباً في الوقت نفسه نظراً إلى طبيعة الحياة في المدينة وطبيعة العمل الصناعي وهكذا أصبحت الأسرة الحضرية صغيرة الحجم نسبياً كما أصبحت أقل استقراراً من الأسرة في العمل الزراعي وهكذا يتضح أثر الصناعة كعامل تكنولوجي في تغيير حياة الأسرة كنظام من الأنظمة الاجتماعية[1].

لاشك في ان التكنولوجيا تعد عنصرا أساسيا في النسق الاجتماعي لكن النظر إليها على انها أساس المجتمع وأساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة الحتمية وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر في تفسير التغيير ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذا الاتجاه أن الثقافة اللا مادية كالإيديولوجيات السياسية والاجتماعية قد تؤدي إلى تغير واسع في حياة المجتمع كما وكيفا أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التنكولوجي كذلك يمكن القول إن كثيراً من المجتمعات تقدمت في النواحي اللا مادية دون أن يصاحبها تقدم في الجوانب المادية فضلاً عن صعوبة قياس مدى هذه التغيرات وتحديد المدة الزمنية الفاصلة بين كل من التغير المادي واللامادي ما قد يؤدي إلى الأحكام القيمية وإطلاق النظرة النسبية.

3 2 5 العوامل الاقتصادية:

كانت النظرية الماركسية ولا تزال أهم وأشهر النظريات التي فسرت ظواهر التغير في المجتمع بردها إلى عوامل اقتصادية. تعتبر هذه النظرية أن الإنسان ظاهرة من الظواهر الطبيعية، وهو يخضع لقوانينها في الوسط الذي يعيش فيه وهذا الوسط الطبيعي يتصف بأنه مترابط عضويا ومحكوم بالحركة الدائمة والتغير المستمر، بالإضافة إلى عدم قابلية المادة التي يتشكل منها على الفناء وذلك بسب قدرتها غير المحدودة على التغير والتحول من صورة إلى صورة. قاعدة التحليل في الفكر الماركسي هي الإنسان باعتباره عضواً عاملاً في المجتمع والعمل هوالذي يعطي الإنسان حقيقته الواقعية انطلاقاً من انتمائه إلى طبقة اجتماعية. لم ينظر ماركس إلى الإنسان إلا بصفته منتميا إلى طبقة محددة من خلال موقعه في عملية الإنتاج. الطبقة إذا هي المفهوم الأساسي في النظرية الماركسية ووحدة التحليل التي منها ينطلق ماركس في تحديده للعلاقات الاجتماعية القائمة على ملكية وسائل الإنتاج وعلى علاقات الإنتاج من جهة أخرى وموقع المالك والعامل في هذه العلاقات.

تضم قوى الإنتاج آلات الإنتاج التي ينتج بواسطتها وسائل الحياة المادية، وتضم الأفواد الذين يستخدمون هذه الآلات وتضم المعارف التقنية الضرورية وعادات العمل المكتسبة ونوع العمل فكرياً كان أم يدوياً.

أما علاقات الإنتاج فيقصد بها تلك العلاقات القائمة بين أفراد أحرار من كل استغلال أو علاقات سيطرة وخضوع ومنها استغلال العمل المأجور وتضم شكل ملكية وسائل الإنتاج ووضع مختلف الفئات الاجتماعية وعلاقاتهم المتبادلة وأشكال توزيع المنتجات.

يتألف تاريخ الإنسانية إذا بحسب المادية التاريخية والتحليل الماركسي من تركيبات اجتماعية متلاحقة يتصف كل منها بأسلوب واضح من الإنتاج الاقتصادي يتحدد بالقوى المنتجة وبالعلاقات التي تفرضها

[1] د. يوسف خضور، مرجع سابق، ص 127.

كقوى مهيمنة بالإضافة إلى ما تفرزه هذه القوى وعلاقاتها من أشكال التنظيمات الاجتماعية والسياسية والثقافية، والتي يطلق عليها البنى الفوقية.
وهكذا تتحدد التركيبات الاجتماعية والتي تمثل تطوراً ومراحل تمر بها المجتمعات الإنسانية تتألف من خمس مراحل هي: المشاعة البدائية، والعبودية، والإقطاعية، والرأسمالية، والشيوعية. وبهذا تشكل كل تركيبة اجتماعية من نمط الإنتاج الذي كان سائدا في أوقات تشكلها، وكل واحدة منها تتضمن بداخلها تناقضاً يهيئ لتغير التركيبة ككل باتجاه التركيبة التي تليها وهكذا يحدث التطور التاريخي بشكل جدلي بسبب التناقض بين نمط وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. فالأولى تتميز بالتغير السريع، أما الثانية فتتميز بقابليتها لتثبيت التنظيم الاجتماعي المتكيف مع القوى المسيطرة، وهو ما يعرقل إمكانيات التغيير التي تحمل لواءها القوى المنتجة الجيدة، صاحبة القوة التي لاتزال في طور التشكل. وعندما يصلب عودها تقضي على التنظيم الاجتماعي الذي لا يعود بمقدوره مواجهتها، أو التكيف معها، لتبني على أنقاضه تنظيما اجتماعيا متناغما مع قوى الإنتاج الجديدة. وهكذا في عملية جدلية تاريخية[1].
هذا هو جوهر التفسير الاقتصادي للتغير الاجتماعي الذي يعتبر القوى الاقتصادية هي المسؤولة إلى حد كبير عن التطورات والأحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني، لدرجة تصبح معها جميع العوامل الأخرى عديمة الأهمية. ومما لا شك فيه أن اغفال التفسير الاقتصادي للتاريخ يغفل جانباً حيوياً من جوانب التاريخ، ويؤدي إلى تفسير ناقص ومشوه للتغير الاجتماعي. وبالتالي ينبغي أن يكون التفسير الاقتصادي أداة تحليلية يهتدي بها الباحث ،لكنه لا يستطيع أن يفسر كل التغيرات الجارية في المجتمع.

لقد وجهت انتقادات عديدة لهذا الاتجاه ،منها تركيزه على العامل الأحادي (الاقتصاد) في تفسيره لعملية التغيير الاجتماعي، وفي هذا تبسيط واضح لعملية التغيير المعقدة وللطبيعة المركبة للبناء الاجتماعي والأنماط الثقافية عموما، الأمر الذي يتطلب تضافر مجموعة من العوامل الأخرى لتفسير عملية التغير. كما أن تطور قوى الإنتاج لا يحدث أساساً إلا نتيجة لتقدم الفكر الإنساني، وبالإضافة لذلك فإن كثيراً من تنبؤات ماركس لم تتحقق مثل فكرة الصراع الطبقي في الأنظمة الرأسمالية وانتصار طبقة البروليتاريا، بالإضافة إلى ظهور نظريات جديدة جاءت لتنقض ما توصلت إليه الماركسية حول أولوية المادة، والعناصر الاقتصادية، ومنها ما طرحه ماكس فيبر (M. Weber) في كتابه الشهير الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية ،والذي بين فيه الدور الرائد الذي قامت به حركة الاصلاح الديني في أوروبا في نشأة الرأسمالية الحديثة التي لم تنشأ كمحصلة لضرورات بحتة، بل كان لتغير الفكر الديني دور رائد في نشوئها.

3 3 خلاصة الفصل:

التغير الاجتماعي حقيقة وجودية، فضلاً عن أنه ظاهرة عامة وخاصية أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الاجتماعية بل إنه ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية فهو سبيل بقائها ونموها، فبالتغير يتهيأ لها التكيف مع واقعها ، وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها وتتغير متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتعددة والمتجددة ، وقد لعب التغير دوراً إيجابيا في نشأة الكثير من العلوم الطبيعية و الدراسات الإنسانية، فقد أخذت ظاهرة التغير انتباه الإنسان منذ بدأ يفكر في الوجود حيث لاحظها في حركة الأجرام السماوية، وانتقالها من مكان إلى مكان ، ولمسها في تعاقب الليل

[1] د. عاطف عطية ود. عبد الغني عماد، مرجع سابق، ص 62-65.

والنهار فذهب خياله وفكره إلى تفسيرات ميثولوجية أسطورية وإلى تعليلات ثيولوجية لاهوتية، انتهت إلى إقامة علم الفلك والأجرام السماوية.

درس هذا الفصل مفهوم التغير الثقافي والاجتماعي والعوامل التي تؤدي إلى هذا التغير حيث ميز البحث بين مفاهيم التطور والتقدم والتغير كما ميّز بين مفهومي التغير الاجتماعي والتغير الثقافي ولا يمكن أن نقود عوامل خاصة بالتغيير في الجانب المادي وعوامل أخرى خاصة بالجانب اللا مادي وبالتالي يكون التغيير الثقافي (cultural change) هو ما يطرأ من تبدّل في جانبي الثقافة سواء كان مادياً أم معنوياً وفي جميع نواحي المجتمع (اللغة، الفن، العادات والتقاليد، تبدّل الأولويات وسلّم القيم، والتكنولوجيا. . . .). وعلى هذا يصبح التغيير الاجتماعي جزءاً من التغيير الثقافي بالإضافة إلى ذلك الإطار المادي. لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية، بينما العكس هو جائز. وهذا التغير يسهم بدوره في رسم الخارطة الثقافية التي تعد المؤثر الأول في عملية التنمية الحضرية.

إن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي لا يمكن تعليلها بعامل ((وحيد)) ولا حتى بالعامل ((الأساسي))، فالواقع يبين تساند عدة عوامل لاحداث التغير. فتطور الإقتصاد وعملية التصنيع على سبيل المثال تحتاج إلى توافر الأيدي العاملة المدربة (عامل ديموغرافي وتعليمي) وتحتاج إلى توافر المواد الخام (عامل طبيعي وجغرافي) وإلى توافر التكنولوجيا وقادة مخلصين، وإلى إيديولوجيا دافعة وموجهة، بحيث تتفاعل مجمل هذه العوامل وتتساند لإحداث التغير. وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعاً لاختلاف المرحلة والظروف، فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية، لذلك هي تتميز بالنسبية تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة.

وتلخص عوامل التغير بعدة نقاط بدءاً من العوامل الايكولوجية والطبيعية والتي تتمثل بمكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية. والعوامل السكانية حيث يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي. والعوامل الإيديولوجية والثقافية والتي تعتبر حركة فكرية هادفة، ومحركة لها فاعلية إيجابية في الوسط الاجتماعي والثقافي، وتنعكس روحها في التنشئة الاجتماعية وفي القيم والسلوكيات. إضافة إلى العوامل التكنولوجية حيث تترك المخترعات الجديدة أثراً بارزاً في المجتمعات الإنسانية وتعتبر الإبداعات التكنولوجية لثقافة ما محركا أساسيا في عملية التغير فقد أدت الثورة الصناعية وما صاحبها من تقدم تكنولوجي إلى إحداث تغييرات جوهرية ومهمة في نمط المعيشة بوجه عام وفي النظم الاجتماعية على وجه الخصوص. والعوامل الاقتصادية التي تعتبر القوى الاقتصادية هي المسؤولة إلى حد كبير عن التطورات والأحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني، لدرجة تصبح معها جميع العوامل الأخرى عديمة الأهمية.

الفصل الرابع

الأسس النظرية المعتمدة لدراسة تأثير الأبعاد الاجتماعية والثقافية في عملية التنمية المستدامة

4 الأسس النظرية المعتمدة لدراسة تأثير الأبعاد الاجتماعية والثقافية في عملية التنمية المستدامة:

إن العلاقة بين البناء الاجتماعي والثقافي والتنمية المستدامة علاقة عضوية ومتبادلة التأثير، فالبناء الاجتماعي هو أحد الأعمدة الرئيسية الذي تدور حوله عمليات التنمية المستدامة. وبالثقافة يصنع الإنسان القيم الفكرية والروحية والمادية، ويترجم فلسفته إلى أنماط سلوكية، ومواقف حياتية، فبغير الثقافة تبقى الموارد البشرية والطبيعية مجرد خامات أولية غير موظفة لصالح الإنسان والمجتمع. فالتنمية الاجتماعية والثقافية مترابطان ومتلازمان من أجل تحقيق حياة اجتماعية أفضل للفرد والمجتمع. إن تحقيق هذا الترابط العضوي بين خطط ومشاريع التنمية يعتمد إلى حد كبير على القرار السياسي الذي تتخذه السلطة في أي قطر، وعلى المشاركة الجماهيرية من أجل تنفيذ أهداف التنمية المستدامة. إذ أن التنمية المستدامة تعد الهدف الأخير لما تقوم به البلاد العربية من جهود لتطوير مجتمعاتها، ووسيلتها العلمية لتحقيق ذلك هو الأخذ بنهج التخطيط الثقافي والاجتماعي.

4 1 التكوين الاجتماعي:

4 1 1 تحديد مفهوم البناء الاجتماعي:

استخدم مفهوم البناء الاجتماعي بمعان مختلفة عند علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، الاختلاف يعد من بين الظواهر الواضحة التي يعاني منها الكثير من الباحثين، وقد ساعد في ترسيخه طبيعية تكوين المجتمعات التي تقبل ذلك التنوع والاختلاف بسبب تنوع وتعقد انتظام البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات لأجل ذلك لجأ علماء الاجتماع إلى أكثر من تفسير يحدد العلّة الأساسية في تعدد معاني المفهوم أو المصطلح الواحد نظرا لتعدد المداخل إلى علم الاجتماع واختلاف وجهات النظر إلى مكوناته وتنظيماته الأساسية، لذا سنتناول بعض ما اتفق عليه علماء الاجتماع [1] والانثروبولوجيا[2] في هذا المجال وكما يأتي:

أولاً- تعريف رادكلف براون (Radcliffe brown):

(هو شبكة العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع الواحد) [3]، عندما نلاحظ دلالة هذا التعريف لابد لنا من العودة إلى التمييز بين البناء الواقعي والصور البنائية لكون التعريف يؤكد على الشبكة المعقدة من العلاقات الاجتماعية التي يوجهها البعد الزمني ويسيرها التغير الدائم عبر الزمن.

ثانياً- تعريف ايفانز بريجاردس (Evans Pritchard) :

(هو تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات والتي تتميز بدرجة عالية من الثبات والتركيز) [4]. وهذا يعني أن الجماعات تدوم وتستمر في الوجود نظرا لما يحتويه البناء من أفراد وتتابع فيه الأجيال حين يولدون ويخرجون من الدنيا فهم متغيرون على الدوام، أما البناء فيبقى ويدوم عبر الأجيال.

---

[1] **علم الاجتماع** هو دراسة الحياة الاجتماعية للبشرِ، سواء بشكل مجموعات، أو مجتمعات، وقد عرّفَ أحياناً كدراسة التفاعلات الاجتماعية. وهو توجه أكاديمي جديد نسبياً تطور في أوائل القرنِ التاسع عشرِ ويهتم بالقواعد والعمليات الاجتماعية التي تربط وتفصل الناس ليس فقط كأفراد، لكن كأعضاء جمعيات ومجموعات ومؤسسات.

[2] **الأنثروبولوجيا** هي علمُ الإنسان. وقد نحُتت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما anthropos ومعناها "الإنسان" و logos ومعناها "علم". وعليه فإن المعنى اللفظي لإصطلاح الأنثروبولوجيا (anthropology) هو علمُ الإنسان.

[3] RadcliffG, Structure and Function in Primitive Society, London, B.1952, P.106.

[4] Evans, The Nuer, oxford, 1940, P. 215.

ثالثاً- تعريف رايموند فيرث (Raymond firth) :

(هو مجموعة العلاقات المنظمة التي تربط الأجزاء بالكل الذي تعمل فيه)[1].وهذا يعني أن فيرث يؤكد على فهم البناء الاجتماعي على أساس دراسة العلاقات الواقعية المتحققة بالفعل في المجتمع مع ضرورة فهم العلاقات المثالية والعلاقات التي تتحكم فيها ويتحقق ذلك الفهم لطبيعة تلك العلاقات المثالية عن طريق دراسة قواعد الضبط الاجتماعي والسلوك المتوقع.

رابعاً- تعريف ماير فورتس (Mayer fortec):

(هو ذلك الشكل الذي يتميز بكونه يتضمن النظم والزمر الاجتماعية والمواقف وسائر العمليات التي يمكن تحليلها إلى أجزاء تنظيم وتناسق في الزمان والمكان وبالطرق التحليلية الخاصة)[2]. يؤكد فورتس على أن التنظيمات الاجتماعية التي تصاحبها المواقف والعمليات تنتظم وتتسق ضمن البناء الاجتماعي وفي ذات الوقت يتحكم بها الزمان، فيما بينها والمكان وباستخدام الطرق العلمية التحليلية.

خامساً- تعريف ريفرز(Rivers):

(هو وصف الأشكال البنائية وتحليل كل منها إلى عناصره الجزئية ودراسة العلاقات بين تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر وبحث الوظائف الاجتماعية لتلك العناصر) [3]. يؤكد ريفرز على مجموعة العناصر والأجزاء التي تنتظم فيما بينها مكونة نسقا متكاملا وتتجسد فيه الوظائف الاجتماعية لكل عنصر أو جزء في البناء الاجتماعي.

سادساً- تعريف فرويد(Frued) :

(هو وحدة القيم والمعايير التي توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة من خلال تفاعله مع الآخرين ومع البيئة)[4]. وهذا يعني أن القيم والمعايير التي تهيمن على سلوك أفراد الجماعة لهما وظيفتان الأولى كونها تصبح إطارا مرجعيا ينتسب إليه سلوك أفراد الجماعة ويحدد توقعاتهم نحو سلوك زملائهم. والثانية: تحدد مكانه الفرد في الجماعة بمقدار ما يدافع عنها ويتمسك بها ويتخذها أسلوب لحياته وموجها لسلوكه.

سابعاً- تعريف دويتش(Deutsch):

ويمتد مفهوم البناء الاجتماعي أكثر من ذلك عند دويتش لكي يشمل وحدة الهدف الذي تسعى إليه الجماعة لتحقيقه، وإن وحدة الهدف له أهمية فائقة فيما ينشأ بين أفراد الجماعة من علاقات لأنها تصبح بذلك هادفة وليست مجرد علاقات أو مجرد تفاعل، ولكنها (العلاقات) سرعان ما تسفر عن نفسها عندما يهدد الجماعة أي خطر كالحروب أو الكوارث الطبيعية، أو عندما تتعرض الجماعة لأي مؤثر يهدد وحدتها وكيانها واستقرارها[5].

ثامناً- تعريف لوبون(Gustave le bon):

(هو لفيف من القوم مطلقاً، وإن اختلفوا جنساً وحرفة، ذكوراً أو إناثاً وعلى أي نحو اجتمعوا، ولا وحدة المكان ولا كثرة العدد شرط ضروري، ولكن المهم هو اتجاه مشاعر الجماعة وعواطفها وأفكارها نحو هدف واحد، وإن شعور كل فرد فيها يتميز بمميزات ذاتية)[6].

---

[1] Firth, R. Human, Types Some Principles of Social Structure, New York, 1943, P. 123.
[2]Fortes, m. and others, Social Stucture Oxford, 1949, P. 55.
[3]Rivers, W.H.R., Social Organization Castes , London, 1957, P. 135.
[4]Freud, Group psychology and Analysis of the Ego. London, Hogarth, S: 1922, 229.
[5]Deutsch, The effect of cooperation and competition, upon group process, Havper, 1960, P.448.
[6]مصطفى سويف، مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، 1983، ص 126.

وبعد دراسة وتحليل التعاريف السابقة خلص البحث في دراسة الأسس النظرية للبناء الاجتماعي إلى تعريف شامل:

هو جماعة من الناس من أجناس وأعراق وقوميات ومعتقدات متنوعة تجمعهم وحدة الهدف وسلوك جمعي واحد وعواطف وأفكار مشتركة وشعور كل فرد فيها له مميزات ذاتية خاصة، ولا يشترط فيها وحدة المكان أو كثرة العدد.

فمفهوم البناء الاجتماعي بما يتضمنه من نظم اجتماعية رئيسية وفرعية- هو مفهوم يرتبط بالسلوك الإنساني أو بتلك الظواهر التي تتأثر بالسلوك الإنساني. والنظم الاجتماعية التي تشكل في مجملها البناء الاجتماعي هي في حد ذاتها عبارة عن مجموعة مترابطة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك الإنساني، وتتحدد طبيعة كل نظام اجتماعي بموجب هذا الترابط بين مجموعة الظواهر الاجتماعية المتعلقة بناحية معينة من السلوك الإنساني التي تميز كل نظام اجتماعي عن النظام الآخر.

4 1 2 تحليل تاريخي للبناء الاجتماعي:

إن التكوينات الاجتماعية والعلاقات والتفاعلات بين الأفراد والمجتمعات استأثرت باهتمام عدد كبير من المفكرين والفلاسفة والعلماء منذ أقدم العصور ولنبدأ من القرن الرابع قبل الميلاد حيث تبلورت وتوضحت أفكار العلماء في هذا الاتجاه. ونشير بذلك إلى ما أنتجه الفكر اليوناني من نظم فلسفية متكاملة عاكساً بذلك آراء فلاسفة اليونان الذين يمعنون التأمل في طبيعة الصلة بين الفرد والمجتمع، حيث كانت أفكارهم منظمة ومنسقة وأقرب إلى روح التفكير المنطقي القابل للتعميم، ويقدم تلخيصا منطقيا ومنظما لطبيعة الصلات والعلاقات الاجتماعية القائمة آنذاك.

وعلى سبيل المثال نجد أن آراء أفلاطون كانت تشبّه المجتمع بالفرد الإنساني من حيث وحدته الداخلية وتكامل أجزاءه وتفاعلها. فالمجتمع من وجهة نظره ليس مجموعة من أفراد مجرّدين، بل هو جماعات من الأفراد يلتقون وتنتظم بينهم علاقات مستقرة ومستمرة إلى حد بعيد.

ويستطرد أفلاطون في نسج النتائج المترتبة على ذلك التشبيه، فكما أن الهيكل الرئيس للفرد يتكون من ثلاث نفوس (العاقلة، والغاضبة، والشهوية) كذلك يتكون المجتمع في هيكله الرئيس من ثلاث طبقات (الحاكمة، والحارسة، والعاملة) وإن استقرار المجتمع يكمن في أن تعيش كل هذه الطبقات على وفق ما تقتضي به طبيعتها، فالطبقة الحاكمة تتميز بقدرتها على الحكم باستخدام الحكمة، وفرض النظام على عموم المجتمع، والحارسة لممارسة الشجاعة والبسالة في الدفاع عن المجتمع، والطبقة العاملة تختص بإشباع الرغبات والشهوات السائدة في المجتمع[1].

أما أرسطو فيؤكد على وجود أسس نفسية فطرية للحياة الاجتماعية تربط أبناء المجتمع الواحد. وإن العلاقات الاجتماعية عبارة عن مزيج من العواطف والتفاعلات التي تربط الناس وتشدهم إلى بعضهم، وقد أوضح ذلك في كتابيه (الخطابة،الأخلاق) وقد رفض تعليل التجاذب بين الأفراد بالعلل الفيزيائية التي تتحكم في التجاذب والتنافر بين عناصر الطبيعة الجامدة. وكذلك رفض أرسطو تفسير مظاهر السلوك البشري بالرجوع إلى الأسباب التي تفسر سلوك المواد الجامدة على أساس هذا الخلط لأن الميدانين مختلفين تماما عن بعضهما.

والأهم من كل ذلك علينا أن نلاحظ بدقة وإمعان ما توصل إليه الفكر الإسلامي متجسدا في جمهرة من المفكرين والفلاسفة العرب الذين استلهموا الفلسفة الإسلامية لتوجيه الأفكار نحو تلك الحضارة التي شملت العالم كله. ونذكر منهم على سبيل الأمثلة أبو نصر الفارابي وكتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) الذي يتفق فيه مع أرسطو في الاعتقاد بوجود أساس نفسي فطري للحياة الاجتماعية، ولكنه يختلف في

[1] المرجع السابق، ص 124.

تفاصيل ذلك، فأرسطو يعتقد بأن الأساس الفطري هو تجاذب يحدث بسبب ميل فطري إلى التجمع يسمى في البحوث الحديثة (الغريزة) أو غريزة التجمع. أما عند الفارابي فالأساس الفطري هو العجز عن سد الحاجات النفسية والأساسية لدى الأفراد الذي يجمعهم ويجذبهم نحو بعضهم ويجمعهم على شكل تجمعات بشرية من أجل إشباع حاجاتهم الأساسية من أجل استمرار الحياة. وهذا ما أثبتته الدراسات والبحوث الحديثة وخاصة بحوث (روجرز-Rogers)[1] و (موراي-Murray)[2].

وكذلك الموقف عند عبد الرحمن بن خلدون في (المقدمة) حيث يطرح أفكارا على جانب كبير من الأهمية، فهو يرى وجود ميل فطري إلى التجمع متفقا مع أرسطو لكنه يقرر بأن الإنسان يميل إلى العدوان والقسوة والظلم بفطرته. وقد أثبت فرويد هذه النظرية. ومن هنا جاءت أهمية تنظيم المجتمع، وضرورة وجود قانون ونظام يقوده حاكم قدير يمتاز بالحكمة والإدارة والحسم، من أجل استقرار وانتظام حياة المجتمع.

وهناك مرحلة أخرى من مراحل تطور الفكر البشري في ميدان البناء الاجتماعي هي مرحلة العصر الحديث الذي اعتاد المؤرخون على تحديد بدايته وتسميته بعصر النهضة وفيه رواد كثيرون بحثوا في هذا الموضوع ومنهم (هوبز-Hobbes)[3] الذي وصف المجتمع بأنه مجموعة أو نظم من التعاقدات يسودها التعبير اللفظي الذي لا يستطيع وليس فيه القوة اللازمة لربط الناس فيما بينهم ويجعلهم يوفون بالتزاماتهم نحو بعضهم. ومع هذا فقد ساد الاستقرار النسبي في حياة الشعوب نتيجة لوجود عاملين: أحدهما الخوف من نتائج الإخلال بالوعود، والثاني هو ما يكسبه الشخص من مجد ورفعة وما يشعر به من زهو عندما يظهر بمظهر الموفي بكافة التزاماته وعدم الإخلال بوعوده. أما (أوكست كونت-Auguste comte)[4] فقد امتد تفكيره إلى ضرورة إقامة علم مستقل لدراسة ظواهر التفاعل بين الفرد و المجتمع، وأكد على إقامة علم جديد يسميه (علم الأخلاق الوضعية) وإن هذا العلم حتمي ونهائي ولابد من الوصول إليه في نهاية تحليلنا للظواهر الاجتماعية.

أما في منتصف القرن التاسع عشر فقد ظهر أول كتاب لـ (جوستاف لوبون)[5] بعنوان (روح الاجتماع) تناول فيه حقائق التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعة.

وبدأ (جيمس بريد-James pride)[6] حوالي 1841م بدراسة انتقال التأثير المغناطيسي من شخص لآخر. وفي نفس العام استخدم (لوبون) مفهوم الإيحاء كمفهوم أساسي لتقليل تأثيرات الجماعة في الأفراد.

---

[1] كارل روجرز1902 - 1987عالم نفس أمريكي هام، قام (مع أبراهام ماسلو) بتأسيس التوجه الإنساني في علم النفس السريري .ساهم أيضا بتأسيس العلاج النفسي غير الموجّه الذي سماها في البداية العلاج النفسي الزبوني التمركز ثم غير الاسم العلاج النفسي المتمركز بالشخص ليؤكد أن نظريته يمكن تطبيقها في كل التفاعلات بين الأشخاص وليس على التفاعل بين المعالج والزبون.

[2] ولد هنري موراي في 13 ماي 1893 في مدينة نيويورك وحصل بامتياز على ليسانس الاداب في التاريخ عام 1915 وعلى بكالوريوس في الطب والجراحة من كلية كولومبيا عام 1919وحصل على الدكتوراه في الكيمياء الحيوية من جامعة كامبردج عام 1927، جمع بين دراسة علم النفس الإكلينيكي في جامعة هارفارد سنة 1927 وأكمل برنامج للتدريب على التحليل النفسي في عام 1935 ،وأصبح بعدها واحدا من أعضاء جمعية بوسطن للتحليل النفسي.

[3] توماس هوبز 1588 - 1679 بالإنجليزية Thomas Hobbes كان عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي. يعد توماس هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ.

[4] أوغست كونت 1798 - 1857 عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية.

[5] غوستاف لوبون 1841 - 1931 هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره :حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس "و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع". هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية.

[6] جيمس برايد طبيب وجراح سكوتلاندي أوجد المصطلح الإنجليزي للتنويم المغناطيسي hypnotism عام 1841 وبدأ التنويم الذاتي بعد سنتين من التنويم المغناطيسي وقد علّمها لعملائه قبل تطبيقها على نفسه كما أقام تجارب عليها مع بعض أصدقائه في الأول من ماي 1843 ويُعتقد أنها أول تجربة للتنويم المغناطيسي الذاتي وقد نجحت.

وقد ذكر (لوبون)[1] في كتابه (روح الاجتماع) أن الحياة الاجتماعية قد تغيرت من الاعتماد على تفكير الفرد إلى الاعتماد على تفكير الجماعة الصغيرة المنظمة (المجالس التشريعية، ومجالس الإدارات، مجالس العشائر) هذا دفع (لوبون) إلى الاهتمام بدراسة هذا الموضوع و إبداء رأيه فيه وتقويمه [2].
وفي عام 1862م نشر (فونت)[3] برنامجا لبحوثه ومؤلفاته التي كانت تشغله مدة ستين سنة، وتدور حول مدى تدخل الإطار الاجتماعي (اللغة والعرف والأساطير السائدة) التي تشكل عملية الإدراك لدى كل شعب من شعوب العالم. ولا يزال مفهوم البناء الاجتماعي يعاني كثيرا من الإيهام والغموض على الرغم من انتشار استعماله في الدراسات الإثنلوجية والاجتماعية الحديثة وقد كان لأفكار (براون-Braun)[4] الدور الكبير في انتشار واستخدام هذا المصطلح منذ عام 1940م وقد سبق ذلك العديد من المفكرين الذين تناولوا مفهوم البناء الاجتماعي ولكن تحت ألفاظ ومصطلحات متعددة، فقد ظهر المفهوم في كتابات (ماركس-Marx) تحت عنوان (التركيبات السفلى والتركيبات العليا). وعند (دوركايم -Durkheim)[5] باسم (التركيبات المورفولوجية). والواقع أن جذور الفكرة تمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر وبخاصة في كتابات (موتسكيو) الذي يعد بحق مؤسس علم الاجتماع المقارن وأن أفكاره مهدت لظهور النسق الاجتماعي الكلي الذي يتكلم عنه كثير من العلماء المحدثين.
وقد اتضحت هذه الأفكار لدى (هربرت سبنسر -Herbert Spencer)[6] وخاصة في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي وهذا الموقف ساعد على ظهور فكرتي (البناء Structure والوظيفة Function) المستخدمتان في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية من بعده. ثم وصلت الفكرة إلى ذروتها في تفكير العالم الفرنسي (إميل دور كايم Émile Durkheim) في معالجة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل إلى آخر. ومع ذلك لم يتفق العلماء حتى الآن على تعريف موحد للبناء الاجتماعي. ولكن كل البحوث والدراسات تشير إلى أن مفهوم البناء الاجتماعي يتضمن ميدانين أساسيين ومتكاملين:

الأول: مبدأ الاستمرار عبر الزمن وهو يصلح لتفسير التكوينات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية التي تربط البناء الاجتماعي فالجماعات الكبيرة التي تحتفظ لعدة أجيال بكيانها وبهيكلها العام وأنظمتها الداخلية وأنماط علاقاتها بعضها ببعض تعد وحدات بنائية في نظر كل علماء علم الاجتماع والانثروبولوجيا.

والثاني: هو العلاقات الثنائية المستمرة التي تقوم بالضرورة بين الجماعات المتماسكة التي ينقسم إليها المجتمع، فهي تتخذ شكل نسق عام ونظم وتؤدي دورا مهما في الحياة الاجتماعية[7].

---

[1] غوستاف لوبون 1841 - 1931 هو طبيب ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره :حضارة العرب وحضارات الهند و"باريس 1884" و"الحضارة المصرية" و"حضارة العرب في الأندلس "و"سر تقدم الأمم" و"روح الاجتماع". هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية. لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضلٍ للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

[2] المرجع السابق، ص 126-161.

[3] ويليام فونت (1832-1920) ألماني، يعتبر المؤسس لعلم النفس التجريبي، وواضع كتابه الجامع " مبادئ علم النفس الفسيولوجي"كان طبيباً ألمانياً وعالم نفس وأستاذاً جامعياً.

[4] راد كليف براون ، الفريد ريجنالد ولد عام 1881م وتوفي في عام 1955م عالم أنثروبولوجيا بريطاني الجنسية تخرج من جامعة كمبرج ، ودرس على يد " هادن " و " رفرز " ، وتأثر بدوركايم كثيراً .

[5] إميل دوركايم 1858 - 1917 فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي .يعتبر أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث, وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا.

[6] هربرت سبنسر 1820 - 1903 هو فيلسوف بريطاني.مؤلف كتاب " الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح "البقاء للأصلح ". رغم أن القول ينسب عادة لداروين.

[7] أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الاول المفهومات، مع المفهومات، الدار القومية للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٦،ص55.

4 1 3 دور الإنسان في البناء الاجتماعي:

أكدت معظم النظريات و الدراسات القديمة منها والحديثة على أهمية دور الإنسان في تكوين البناء الاجتماعي، وأنه يشكل المحور الأساسي لتكوين المجتمع ومادته الفعالة، ويزداد دور الإنسان وضوحا كلما اتجهنا نحو المنهج الديني لدراسة المجتمع، ويقدر حسب طبيعة الدين مستوى الالتزام الديني، فمن الآراء ما يعظم هذا الدور فيوصل الإنسان إلى أعلى المراتب، ومنها ما يبخس حقه إلى أقل قدر فيضعف دور الرجل ويلغي دور المرأة.

أما النظرة الإسلامية لدور الإنسان في المجتمع فهي واضحة تماما كون المجتمع الإسلامي مجتمع متميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة رغم تعدد الأجناس واختلاف اللغات وحتى الثقافات. وانطلاقا من هذا المبدأ فإن النظرة الإسلامية لمجتمع المسلمين ترتبط بالخصائص العقائدية التي تؤسس العادات والتقاليد والقيم والأعراف.

فالمجتمع البدوي والمجتمع الحضري يقتربان ويلتقيان كونهما داخل إطار الدين الإسلامي الذي يشكل القانون المدني والقانون الديني في ذات الوقت وهذه القوانين تتميز بصفة الالتزام في الطاعة والتنفيذ والانضباط في السلوك[1].

وبالتالي فمسألة البناء الاجتماعي لاتكتمل إلا من خلال الفرد (الإنسان) فلا يمكن أن نشرع بالبناء المزعوم بدون تقويم الإنسان باعتباره النواة الأولى في المجتمع وعندما يحسن تقويمه وبناءه بشكل يليق بمكانة الإنسان وما نصت عليه الكتب السماوية يكون المجتمع مهيء لعملية البناء الاجتماعي، فالمجتمع اولاً واخراً هو الانسان.

فالانسان من حقوقه الأساسية هي العيش الكريم والحياة السعيدة بما يتمتع من حقوق وحريات في ظل نظام قانوني متكامل يضمن لذلك الفرد الحقوق والحريات. فالمجتمع الذي يكون محكم في ظل نظام قانوني اجتماعي يكون في ذروة الرقي والتقدم لأن الأدوات تكون جميعها مسخّرة لخدمة الانسان وتوفر له البيئة الملائمة للعيش الكريم.

4 1 4 نظريات البناء الاجتماعي:

أولاً- نظرية الاستجابة (البورت Allport [2] – فرويد Freud [3]):

إن أصحاب هذه النظرية ينظرون إلى الجماعة نظرة تحليلية ضمن إطار اجتماعي يستجيب له الفرد بحيث تكون استجابة الأفراد تختلف من موقف لآخر وإن هذه الاستجابة تختلف بين الأفراد أثناء ممارستهم لعمل ما بمفردهم عن تلك الاستجابة التي تحدث بحضور الآخرين وذلك نظراً لما للآخرين

---

[1] محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي،ط1،منشورات دار الأرقم، الكويت، 1980،ص 50.

[2] جوردون ويلارد ألبورت Gordon Willard Allport 1897 - 1967 هو طبيب نفسي أمريكي. كان ألبورت من أوائل علماء النفس الذين اهتموا بدراسة الشخصية، ودائمًا ما يشار إليه بأنه أحد من وضعوا أساس علم نفس الشخصية. أسهم ألبورت في تأسيس معايير القيم، ورفض منهج التحليل النفسي للشخصية، حيث كان يعتقد أنه دائمًا ما يتعمق أكثر من اللازم. كما رفض ألبورت أيضًا منهج السلوك، حيث كان يرى أنه ليس عميقًا بالقدر الكافي. كان ألبورت دائمًا يؤكد على تميز كل فرد، وعلى ضرورة دراسة حاضر كل فرد، وليس ماضيه، لفهم شخصية ذلك الفرد.

[3] سيغموند فرويد Sigmund Freud 1856 - 1939 هو طبيب نمساوي من اصل يهودي، اختص بدراسة الطب العصبي ومفكر حر. يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي.وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث .اشتهر فرويد بنظريات العقل واللاواعي، وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي. كما اشتهر بتقنية إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية، فضلا عن التقنيات العلاجية، بما في ذلك استخدام طريقة تكوين الجمعيات وحلقات العلاج النفسي، ونظريته من التحول في العلاقة العلاجية، وتفسير الأحلام كمصادر للنظرة الثاقبة عن رغبات اللاوعي.

من تأثيرات قوية على الفرد. فنحن حين ندخل غرفة مليئة بالغرباء تختلف استجابتنا عما إذا دخلنا في غرفة مليئة بالمعارف والأصدقاء.

أظهرت نتائج بحث تناول مخاوف الناس، أن التحدث أمام جماعة يكون مخيفا أكثر من الخوف من الأماكن المرتفعة، والظلام، والمرض ..... الخ ،ومع ذلك ففي بعض الحالات يكون وجود الآخرين له دور كبير لتزويدنا بشحنة إضافية من الحوافز. وقد أكّد ذلك (مارستون -Marston وجينس-Jeans) بقولهما أن مستويات الحكم الجماعي على مستوى أداء الأفراد يتسم غالباً بالموضوعية والدقة، لذا فإنهما توصلا إلى أن مستوى أداء الجماعة على النقيض من مستوى أداء الأفراد يمكن أن يتحسن أو قد لا يتحسن وذلك ليس قاعدة. ومن هنا يمكن الإشارة إلى أن (بيكاسو -Picasso) وهو مجرد فرد واحد قام بابتكار العديد من اللوحات الفنية الرائعة التي يمكنها أن تتفوق على العديد من إنجازات المدارس الفنية المختلفة، وقد حاول (فرويد) أن يميز بين سلوك الفرد بمفرده وبين سلوكه كعضو في الجماعة من خلال استجاباته للجماعة في المواقف المختلفة أما (البورت) فقد حاول أن يفسر سلوك الجمهور من خلال أبحاثه ودراساته المختلفة في هذا المجال فهو يوضح أهم ما يميز سلوك الجمهور عن غيره هو أنه يستجيب انفعاليا لمثير مشترك فيما بينه وهذه وجهة نظر أصحاب هذه النظرية.

ثانياً- النظرية الكلية(مكدوجل Mcdogal [1]- ليفين Lewin [2]):

1. نظرية مكدوجل:

تهتم فكرته بالنظر لسلوك الجماعة ككل، وتركّز على ما يسمى بالتفكير الجماعي أو العقل الجمعي فهو يتصور العقل على صورة العقل الفردي، فيرى أنه مجموع من الحالات العقلية المنظمة التي تربط بين الأفراد وأنه يتركب من العناصر النفسية الفردية نفسها فله أفكاره وميوله، وآراءه،وله كيانه، وهذا رأي يحتمل الدحض والمناقشة، لأن الفعل الجمعي مخالف كل المخالفة للعقل الفردي الذاتي الخارجي الذي يبدو في المجتمعات البشرية.

يرجع مصطلح (التفكير الجمعي Group Mind) إلى عالم النفس الاجتماعي (أرفنج جاينس) الذي عرفه بأنه طريقة التفكير التي ينهمك فيها الناس عندما يكونون منضمين بعمق إلى بعضهم على شكل تكتل جماعي، عندما يكافح الناس من أجل الاجتماع مستجيبين إلى دوافعهم، مستخدمين طرق ووسائل واقعية. وبناء على ذلك فإن أصحاب هذه النظرية يرون أن هذا العقل الجمعي هو عقل كلي لأنه يتكون من مجموع العقول الفردية في المجتمع.

2. نظرية ليفين:

تناولت هذه النظرية المحددات الأساسية لسلوك الفرد وأن الجماعة الصغيرة تعد جزء من جماعة أكبر إذ أن الفرد ينتمي إلى عدد كبير من الجماعات المتداخلة وقد أشار إلى أن الجماعة تعد وسيلة وأداة بالنسبة للفرد، فمن الطفولة المبكرة يتعود الفرد على تكوين علاقات داخل الجماعة ثم يوظف هذه العلاقات لكي يحقق بها حاجاته الاجتماعية3.

---

[1] وليم مكدوجل William Mcdogal (1871-1938)، سيكولوجي أمريكي، ولد في لانكشر بإنجلترا، وتعلم في جامعات كيمبردج وأكسفورد وجوتنجن. كان أستاذ علم النفس بجامعة هارفرد (1920-27)، وبعدها بجامعة ديوك، قام ببحوث ممتازة في علم النفس الاجتماعي والفسيولوجي، وشهر لبحوثه البيولوجية المتصلة بعلم النفس. من مؤلفاته: (مقدمة إلى علم النفس الاجتماعي) 1908.

[2] كورت ليفين Kurt Lewin ، 1890 – 1947 سيكولوجي أمريكي ألماني المولد. هاجر إلى الولايات المتحدة 1933، وأنشأ 1945 "مركز البحوث في ديناميات الجماعة". أعاد دراسة دوافع السلوك في ضوء نظرية الجشطلت مستخدماً بنجاح مفهوم "المجال الديناميكي ."يعرف مذهبه بعلم النفس التبولوجي، أي وصف الظواهر النفسية وتصنفيها، وفقاً لمفهومات العلاقات الشكلية المستخدمة في الهندسة البيولوجية.

[3] أحمد مبارك الكندي، علم النفس والحياة المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت، 1992،ص 265.

ثالثاً- نظرية الديناميكيا – الاستاتيكا (أوكست كونت Auguste Comte [1]):

رائد هذه النظرية (أوكست كونت) وكان يقصد بالاستاتيكا الاجتماعية، التنظيم الاجتماعي ودراسة شروط وجود المجتمع وبنائه الاجتماعي والدراسة المفصلة للأجزاء المختلفة للنسق الاجتماعي الكلي، ومدى تأثير هذه الأجزاء وتساندها مع سائر الأجزاء الأخرى وما يؤدي إليه ذلك التساند من عمليات اجتماعية، وكذلك دراسة المجتمع في حالة الاستقرار وفي النهاية دراسة التوافق الاجتماعي في المجتمع. بينما يشير (أوكست) إلى حالة الديناميكيا التي تدرس التغير الاجتماعي الذي يشكل حالة دائمة و مستمرة من التغير الشامل.

وقد ميز كونت بين ثلاث مستويات موجودة في البناء الاجتماعي هي الفرد، والأسرة، والاتحادات الاجتماعية. وقد اعتبر الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية للفرد وأن مسألة عدم الفصل بين الفرد والمجتمع مسألة ضرورية أساسية، وإذا أردنا الفصل بينهما فذلك يحدث فقط لأغراض التحليل المجرد، وهذا التحليل يخص الجانب الاستاتيكي من البناء الاجتماعي، أما الجانب الديناميكي فإنه يختص بالتطور والتغيير والتقدم الاجتماعي. وقد قسم (أوكست كونت) الشخصية الإنسانية إلى ثلاثة أجزاء هي:

1. المادي: يتركز على العمل المتمثل بالثروة والأموال والحسابات.
2. العقلي: ويعتمد على التفكير التأملي الذاتي الذي يتمثل في المفاهيم والعبارات والاتجاهات العقلية ويعبّر عنه في قواعد تنطلق من الشعور بالالتزام.
3. الأخلاقي: ويقوم على الانفعال والعاطفة والطاعة والاحترام الذي يظهر كسمات لشخصية الفرد[2].

رابعاً- نظرية العلاقات الثنائية (رادكلف براون Radcliffe-Brown [3]):

لقد وضع براون نظريته في العلاقات الثنائية مركزا على المجتمعات التقليدية والبسيطة المحلية والصغيرة مشيرا إلى أن تلك العلاقات تحدث بين الأشخاص ويتبادلون التأثير والتفاعل فهي تتسق وتسهم في تأليف الأبنية الأساسية لتلك المجتمعات [4].

وهكذا فالبناء الاجتماعي عند براون يتكون مما يأتي:

1. جميع أنماط العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين شخصين فتؤلف نسق القرابة والصلة بين الإنسان والإنسان الآخر، وبينه وبين الطبيعة في أثناء تفاعله معها من أجل الإنتاج لضمان الحاجات الاقتصادية.
2. وجود تفاوت بين الأفراد والطبقات بحسب الأدوار والتباين في المكانة والمنزلة الاجتماعية، وبحسب الجنس بين الذكور والإناث وبحسب السلطة والنفوذ والملكية بين أصحاب العمل.

---

[1] أوغست كونت Auguste Comte 1798 - 1857 عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية.

[2] نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمد عودة وآخرون، دار المعارف للنشر، 1982، ص 54.

[3] رادكليف براون Radcliffe-Brown ، أ. ر 1881 - 1955 عالم بريطاني في علم الإنسان(الأنثروبولوجيا). أسهم في تطوير النظريات الأمريكية والبريطانية الحالية المتعلقة بعلم الإنسان. ولد ألفرد ريجينالد رادكليف براون في إنجلترا، وتخرج في جامعة كمبردج بعد عدة سنوات من البحث والتدريس في لندن وأستراليا واتحاد جنوب إفريقيا. التحق بجامعة شيكاغو وعمل محاضراً منذ عام 1931م وحتى عام 1937م، ثم أصبح بعد ذلك الأستاذ الأول لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة أكسفورد.

[4] عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري، في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص109.

ويعتقد براون أن البناء الاجتماعي يبقى ثابتا وإن تعرض لأشد التغيرات الثورية، ولكن تظهر تعديلات وتحويرات على طبيعة علاقاته ونظمه[1].

وبذلك أراد براون أن يؤكد بأن الوحدات الأساسية التي تؤلف البناء الاجتماعي تتمثل بالأفراد الذين يمارسون أدواراً اجتماعية ويمثل كل منهم مكانة ومنزلة اجتماعية محددة ومعلومة[2].

خامساً- نظرية العلاقات الدائمة (إيفانز بريجارد Evans Bregard [3]):

تقوم هذه النظرية على العلاقات الاجتماعية الموجودة بين الجماعات القرابية الكبيرة، والمراتب الاجتماعية العالية، وهذه العلاقات تبقى ثابتة ومستمرة في الوجود الاجتماعي على الرغم من زوال بعض من يسهمون فيها، أو زيادة عددهم عن طريق الولادات والهجرة [4].

وعلى هذا الأساس يحتفظ البناء الاجتماعي للجماعات بخصائصه المميزة ومكوناته الرئيسة، وعلاقات هذه المكونات بعضها ببعض وليس هذا فقط، بل إنها تظل تعكس نمط العلاقات الاجتماعية نفسها، لذا لا يعتبر (بريجارد) العائلة الأولية جماعة بنائية، إذ ليس هناك ثمة علاقة ثابتة ودائمة في العائلة كونها تمثل جماعة.

فالبناء الاجتماعي عند (بريجارد) يتألف في الحقيقة من نسق من الأبنية المستقلة بعضها عن البعض الآخر، إلا أنها في ذات الوقت مرتبطة مع غيرها. فالنسق الإيكولوجي والاقتصادي والسياسي والقرابي والديني والشخصية جميعها أبنية تسهم في البناء الاجتماعي الكلي[5].

سادساً- نظرية العلاقات الثنائية والدائمة (روبرت ريدفيلد-Robert Redfield[6]):

تؤكد هذه النظرية على دراسة العلاقات الدائمة والثنائية ذات الأهمية في البناء الاجتماعي للمجتمعات المحلية الصغيرة، وقد أكد (ريدفيلد) في دراسة الأبنية الاجتماعية للمجتمعات على ما يأتي:

1. تعتمد دراسة البناء الاجتماعي لأي مجتمع على دراسة العلاقات الثنائية الموجودة بين أفراده.
2. تعد العلاقات الدائمة التي تقوم بين الجماعات والزمر الاجتماعية في المجتمع الركيزة الأساسية التي تؤلف البناء الاجتماعي لذلك المجتمع.

ويؤكد (ريدفيلد) أن عناصر البناء الاجتماعي لا يمكن دراستها لكونها عناصر وعلاقات منفصلة ومستقلة، فهي متبادلة التأثير والتفاعل، وأنها ككل تعمل كنسق متكامل ولا يمكن فهم أي عنصر أو أي علاقة إلا من خلال الكل لأنها تؤلف وحدات جزئية ضمن إطار بناء اجتماعي كلي وإن تفاوتت وتباينت في درجات التعقيد[7].

ويمكن الإستنتاج أن نظرية (ريدفيلد) لم تدرس العلاقات الثنائية فقط بل أخذت بعين الاعتبار العلاقات الدائمة أيضا على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى وكل التقسيمات الموجودة في المجتمع كالقبيلة الكبيرة وأجزائها الصغيرة.

---

[1] المرجع السابق، ص 111.

[2] Robertson, Lon Sociology, N. Y Worth, 1977, P. 560.

[3] إيفانز بريجارد Evans Bregard 1902 - 1973 عالم أنثروبولوجيا انكليزي كبير ساهم في تطوير الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

[4] Evans, Op. Cit., P. 260.

[5] إيفانزبريجارد،الأنثروبولوجياالاجتماعية،ترجمةأحمدأبوزيد،منشأةالمعارف للنشروالتوزيع،الاسكندرية، 1960،ص 247.

[6] روبرت ريدفيلد، 1897 - 1958 عالم أنثروبولوجيا أمريكي حاصل على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الثقافية.

[7] علاءالدين البياتي،علمالاجتماعبينالنظريةوالتطبيق،مؤسسةالأعلمي،بيروت، 1975،ص 59.

سابعاً- نظرية الفعل (تالكوت بارسونز[1]-T.Parsons):

تشير هذه النظرية إلى أن الشخصية تلتحم بالبناء الاجتماعي بوصفها نظرية في السلوك تدرس العلاقات المتفاعلة بين الفرد والآخرين في موقف محدد، وتهتم بتنظيم توجهات الفاعل في الموقف مستقلا عن أهدافه الشخصية[2] .

وقد بيّن (بارسونز) أن بناء الفعل ليس هو الكائن الحي بل بناء علاقات الكائن الحي مع الموقف الاجتماعي والموضوع الثقافي. وينشأ بناء الفعل نتيجة تفاعل أنساق الشخصية والنسق الاجتماعي والثقافي، وما الشخصية أو البناء الاجتماعي أو الثقافة إلا مظاهر مختلفة لنسق الفعل الأساسي [3].

وأكد (بارسونز) أن الموقف هو إطار الفعل الاجتماعي، والموقف يدل على العلاقات السائدة المنظمة بين المتفاعلين في بيئة اجتماعية واحدة، وأن الفعل ليس حدثا بل هو حدث واقع وأن كل سلوك ملموس هو سلوك اجتماعي[4].

ويرى أن السلوك الذي يحدث في الموقف ليس حدثاً عشوائياً يخضع للمحاولة والخطأ بل هو حدث منظم نتيجة للتفاعل بين نسق الشخصية والنسق الاجتماعي والثقافي ويؤدي تكامل ثورة الأنساق إلى تحقيق الفعل- السلوك-الموقف[5].

يتضح مما سبق أن العلاقة بين الأنساق الثلاثة التي يتكون منها الفعل أنها علاقة تفاعل وتلازم وتداخل، وهذا التفاعل بين الأنساق الثلاثة ضروري لتكوين عناصر الشخصية ونموها. ومن خلال هذا التفاعل مع الأنساق الاجتماعية والثقافية في الموقف المنظم توضع البذور الاجتماعية والثقافية لعناصر بناء الشخصية ودعامات نموها [6].

ثامناً- النظرية الإسلامية في البناء الاجتماعي:

لكي نتعرف على أسس النظرية الإسلامية في نشوء المجتمع وتكون الحياة الاجتماعية، لابد أن نتجه ألى آيات القرآن الكريم التي دعت إلى بناء المجتمع الإنساني وصياغة حياة الفرد ضمن التشكيل الاجتماعي العام على أسس ومبادئ راسخة وثابتة ومن تلك الآيات، قوله تعالى: " يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات: 13) وقوله تعالى: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (الروم: 21).

إن دراسة هذه الآيات وتحليلها يشخص دوافع وأسباب نشوء المجتمع، وكما يأتي:

قانون الزوجية: يعد العنصر الأساسي في البناء الاجتماعي والمتمثل في التركيب البيولوجي والغريزي للرجل والمرأة، فهما عنصرا البناء الاجتماعي، وأساس البنية الحيوية من الناحيتين العضوية والنفسية، وأن العلاقة الناشئة عن تلك البنية تسعى غالبا لحفـظ النوع، وتقوم في جانبيها النفسي والإنساني على أساس الود والرحمة وتوفير الطمأنينة والاستقرار.

---

[1] تالكوت بارسونز Talcott Parsons واحد من أبرز علماء الاجتماع المعاصرين في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ولد فيها وتوفي في مونيخ. وتكشف سيرته عن اهتمامه المبكر بالعلوم الطبيعية، وعلم الحياة، ومن ثم تخصصه المعمق في علم الاجتماع، بعد أن تنقل خلال حياته بين الولايات المتحدة، وبريطانية وألمانية، وعدد من الدول الأوربية الأخرى. له مؤلفات عديدة يظهر من خلالها تأثره الواضح بأعمال كل من ماكس فيبر، وإميل دوركهايم، وفيلفريدو باريتو وغيرهم.

[2] Talkot, Toward a general theory of social action, University of Harvard, 1951, P. 59.

[3] أرفنج زايتلف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عودة وآخرون، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1989، ص45.

[4] أرفنج زايتلف، مرجع سابق، ص51.

[5] محمد عاطف غيث، الموقف النظري في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982، ص 123.

[6] المرجع السابق، ص 125.

وقد عدّ القرآن الكريم المرأة هي القاعدة في تلك العلاقة لأنها توفر السكن من خلال الاستقرار النفسي والاجتماعي للرجل والحياة الاجتماعية بأسرها، لأن الإشباع النفسي الذي يوفره كلا الجنسين للآخر يتم من خلاله إفراغ حالة التوتر النفسي والعصبي ومل ء الفراغ النفسي، وتصريف الطاقة النفسية لتحقيق التوازن لدى الجنسين على أساس التكامل من خلال قانون الزوجية الكوني العام.

التعارف: هو الدافع الآخر الذي يدفع الإنسان باتجاه تكوين الحياة الاجتماعي ة لأنه يوفّر عنصر الاتصال المباشر بين أبناء النوع البشري القائم على أساس حب الاجتماع المعبّر عنه فلسفيا بأن (الإنسان مدني الطبع).
وقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أن الإنسان لا يشعر بالاستقرار والراحة، ولا تكتمل إنسانيته إلا بالاجتماع، وبالعيش مع الآخرين، فهو يشعر بحاجة نفسية ماسة وعميقة للآخرين لذلك فإن التعارف يعبّر عنه بالدافع الإنساني الكامن وراء الاجتماع وتكوين المجتمع البشري.

تبادل المنافع: وهو السبب الثالث الذي تقوم بموجبه المجتمعات الإنسانية وهو تبادل المنافع المادية المختلفة.
فقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يتكامل الأفراد بقابليتهم وطاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية، وقد يتحقق هذا التكامل عن طريق تبادل المنافع بين الأفراد لأن جميع الأفراد لديهم حاجات ومتطلبات متعددة ليس بوسعهم أن يوفروها جميعا لأنفسهم، لذا فهم يحتاج ون إلى بعضهم، وأن الاختلاف في القابليات الإنسانية ينتج عنه اختلاف في الإنتاج والخدمات التي يمكن أن يوفرها الفرد للآخرين. وأن تبادل المنتجات والمنافع والخدمات ناتج عن اختلاف مستوياتها لدى الأفراد والذي عبر عنه القرآن الكريم "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات" (الزخرف:32).
وعلى هذا الأساس نشأت الوظيفة الاجتماعية، وفسّر مبدأ النشوء الوظيفي في المجتمع، لتتكامل الحياة كما تتكامل أجهزة الجسم في أداء وظائفها. وهكذا يوضح القرآن الكريم دوافع نشوء المجتمع البشري الإنسانية والمادية، وفي كل هذه العناصر يبرز دور المرأة واضحاً وأساسياً في جوانبه المادية والنفسية والاجتماعية، فهي الجزء الأكبر في المجتمع، وأن الإحصائية السكانية تفيد أن عدد الإناث في المجتمع الإنساني يفوق عدد الذكور.
وهذا الموقف لا يهمّش دور الرجل في الحياة الاجتماعية، إنما هناك أدوار أساسية يقوم بها الرجل إلى جانب المرأة، فللرجل دور كبير وأساسي في بناء الاقتصاد وتحويل نظريات العالم إلى الميدان ويتحمل مسؤولية أمن واستقرار المجتمع في حين يكون دور المرأة أكبر في تكوين القاعدة النفسية لبناء الأسرة وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بقوله:
"هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها " (الأعراف:189) فالزوج هو الذي يسكن إلى الزوجة ويستقر بالعيش معها، فهي مركز الاستقطاب وإطار الاستقرار والودّ والمحبة.

مما سبق ذكره يجد البحث أن أصحاب نظرية الاستجابة نظروا إلى الجماعة نظرة تحليلية وأكدوا أن سلوك الفرد واستجابته تختلف عندما يكون لوحده عنها عندما يكون مع الجماعة أما أصحاب النظرية الكلية فقد اهتموا بالجماعة ككل وأكدوا على فكرة العقل الجمعي الذي يتركب من العناصر النفسية الفردية ذاتها وأن الفرد ينتمي إلى عدد كبير من الجماعات المتداخلة التي يؤثر ويتأثر بها. وبالمقابل درست نظرية الستاتيكيا – ديناميكيا التنظيم الاجتماعي ودرست شروط وجود المجتمع وبنائه الاجتماعي وأجزاءه المختلفة في حالة الاستقرار ويشير إلى حالة الديناميكيا التي تدرس التغير الاجتماعي الذي يشكل حالة دائمة ومستمرة من التغير الشامل.

أما براون في نظريته العلاقات الثنائية فركز على المجتمعات التقليدية والبسيطة المحلية والصغيرة وأكد أن الوحدات الأساسية التي تؤلف البناء الاجتماعي تتمثل بالأفراد الذين يمارسون أدوارا اجتماعية ويمثل كل منهم مكانة ومنزلة اجتماعية محددة ومعلومة . وبريجارد في نظريته العلاقات الدائمة يعتبر أن البناء الاجتماعي يتألف من نسق من الأبنية المستقلة بعضها عن البعض الآخر، إلا أنها في ذات الوقت مرتبطة مع غيرها. أما روبرت ريدفيلد في نظريته لم يدرس العلاقات الثنائية فقط بل أخذ بعين الاعتبار العلاقات الدائمة أيضا على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى وكل التقسيمات الموجودة في المجتمع كالقبيلة الكبيرة وأجزائها الصغيرة.

ونظرية الفعل لبارسونز تؤكد على الشخصية بوصفها أداة الفعل الذي يشترك فيه الإنسان لتحقيق التوقعات المنظمة لأدوار البناء الاجتماعي، ويؤدي الفرد أفعاله في الموقف بحسب الأدوار التي يتطلبها الفاعل المؤثر في البناء الاجتماعي وهذه الأفعال يحددها نسق الثقافة ويسهل لنا عملية تحليل الأدوار، وتأكيد الارتباط الفعلي بين البناء الاجتماعي والشخصية.

أما النظرية الإسلامية تقول بأن دوافع نشوء المجتمعات ترتكز على ثلاث نقاط أساسية تتمثل بـقانون الزوجية الذي يعد العنصر الأساسي في البناء الاجتماعي والتعارف الذي يعتبر الدافع الآخر الذي يدفع الإنسان باتجاه تكوين الحياة الاجتماعيةِ وتبادل المنافع هو السبب الثالث الذي تقوم بموجبه المجتمعات الإنسانية.

2 4 التكوين الثقافي:

1 2 4 مفهوم الثقافة:

الثقافة هي الكل المعقّد والمتراكم والمتفاعل من المعرفة والعقائد والفنون والآداب والأخلاق والعادات، وكل ما يصل إلى الإنسان من المجتمع. ويدعي بعض الباحثين أن الثقافة شيء متعلم وموروث، في حين أكّد البعض الآخر على أن الثقافة هي ذلك الكم الهائل من العادات المتوارثة والمتراكمة عبر الأجيال. وهذا الأمر أدى إلى إثارة جدل واسع حول نشأة الدول والديانات والأنظمة الاجتماعية المعقّدة كالزواج أو الإنجاب وغير ذلك. وإذا كان هناك من يعتقد بأن الإنسان هو كيان واحد في كل مكان فإن الظروف المتشابهة تخلق عادات وقيم متشابهة وهذا ما دفع ببعض الباحثين للإعتقاد بأن الثقافة تؤثّر تأثيراً كاملاً في تشكيل الشخصية، أي أن الثقافة هي التي تنظم حياة الجماعة، و أنها من خلال ذلك التنظيم تخلق مجموعات وأنواع جديدة من الدوافع حينذاك ولا بد للثقافة أن توفر لها فرص مناسبة للإشباع كي تحافظ على ذاتها في الديمومة والاستمرار وقد توظف مؤسساتها الاجتماعية كالدين ونسق القيم والعادات كوسائل للإشباع. وقد تكون للثقافة حاجات وبذلك تخلق شخصية نمطية وطنية، وتغرس فيها كل السمات، وتهيئ الوسائل والسبل لإشباعها الوطنية المتعارف عليها وتمنحها لكل مواطنيها[1] .

وقد ارتبط مفهوم الثقافة بمفهوم جغرافية المكان الذي يؤكد على أن كل منطقة جغرافية تتسم بأنساق عالية من السمات الثقافية المتشابهة، وتختلف بالضرورة عن أنساق وسمات الثقافات الأخرى. وهذا المنحى يسير بنا نحو المركبات الثقافية التي هي في الواقع مجموعة من الاتجاهات والأنماط السلوكية الاجتماعية الأصل والتي تكون كلّا متكاملا ومركبا ثقافيا معينا يتميز به مجتمع أو طبقة أو فئة دون الأخريات. ومن هذا المبدأ قد يحدث صراع ثقافي بين جماعتين اجتماعيتين من ثقافتين مختلفتين وهو نوع من أنواع الصراع الذي يعاني منه المهاجرين.

[1] عبدالمنعم الحفني،موسوعةعلم النفس والتحليل النفسي،الجزء الثاني،مكتبة مدبولي، 1978، ص 186.

فالثقافة اصطلاحا هي " كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقانون والعرف"[1] وغير ذلك من الإمكانات أو العادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع [2].
وتعرّف الثقافة "ذلك المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع[3].
والثقافة تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير أو التفسيرات الفعلية والرموز والإيديولوجيات وما شاكلها من المنتجات الفعلية [4].
وعرفتها (روث بندكت -Ruth benedict) أنها تشير إلى النمط الكلّي لحياة شعب في العلاقات الشخصية بين أفراده وكذلك توجهاتهم[5].

4 2 2 الخصائص العامة للثقافة:

الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القيم والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضو في مجتمع. يشير هذا التعريف إلى الكثير من العناصر الأساسية التي يجمع علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع على أنها تؤلف أهم خصائص الثقافة ومقوماتها الأساسية وهي:

1. تمايزها و استقلالها عن الأفراد الذين يحملونها ، ويمارسونها في حياتهم اليومية. وهذا يعني أن عناصر الثقافة أمور يكتسبها الإنسان بالتعلم من المجتمع الذي يعيش فيه على اعتبارها جزء من التراث الاجتماعي الذي يتراكم على مرّ العصور حيث يتمثل في آخر الأمر في شكل تقاليد موروثة، وهي قابلة للتعلم والاكتساب وهي بعيدة جدا عن كل ما هو فطري أو غريزي أو موروث بيولوجي فهي إذا حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعي أو أنها حصيلة النشاط البشري، وأن وجودها غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم كيانات. وهذا الموقف أطلق عليه تسمية ما فوق العضوية.
2. خاصية الاستمرار: وهي خاصية تابعة ومتصلة بالتراث الاجتماعي الذي يرثه أعضاء المجتمع عبر الأجيال السابقة، وأن السمات الثقافية لها قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن، بل الكثير منها وخاصة التقاليد والعادات والعقائد والأساطير تحتفظ بكيانها لعدة أجيال حتى بعد زوال السبب الذي أدى إلى ظهورها أول الأمر. وقد يتعرض المجتمع أحيانا لبعض عوامل التغيير التي تبدل بشكل مفاجئ أو بالتدريج بعض الظروف العامة التقليدية، ولكن بعض السمات تفلح في البقاء والاستمرار وتحتفظ بصورتها الأصلية. وأن ملامح الثقافة وسماتها تنتقل بالفعل من مجتمع إلى مجتمع آخر نتيجة الهجرة أو غيرها من وسائل الاتصال الثقافي كاللغة مثلا. وما يزال كثير من العلماء المحدثين يبحثون بدراسات الثقافة في المجتمع المحلي ويحاولون أن يعرفوا تاريخ الثقافة على أساس أنها عملية مستمرة ومتصلة وأن معرفة الماضي تساعد بشكل فعّال على فهم الحاضر بشكل واضح.
3. خاصية التعقيد: إن الثقافة مفهوم معقد إلى أبعد حدود التعقيد نظراً لاشتمالها على عدد كبير جداً من السمات والملامح والعناصر التي حاولت بعض التعريفات أن تذكر جانب منها، ويرجع ذلك التعقيد إلى تراكم التراث الاجتماعي عبر عصور طويلة من الزمن، وإلى استعارة كثير من

[1] إبراهيم مذكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، ط2، مصر، 1975، ص 231.
[2] قيس النوري, المدخل إلى علم الإنسان, دار الكتب للطباعة, الموصل, 1983, ص120.
[3] علي سيد الصاوي, نظرية الثقافة, سلسلة عالم المعرفة, الكويت, 1997 , ص9.
[4] شاكر مصطفى سليم, الجبايش, مطبعة العاني, بغداد, 1970 , ص38
[5] B. Ruth, Patterns of culture, New York, 1957, P.99.

السمات الثقافية من خارج المجتمع نفسه. إن تعقيد الثقافة يعني في الحقيقة أن الفرد لا يستطيع اكتساب جميع عناصرها السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه. وأن العلماء لا يستطيعون تسجيل كل مظاهر وسمات أي من الثقافات التي يدرسونها1.

وقد حاول بعض العلماء أن يفسروا ذلك التعقيد في الثقافة من شيء من البساطة التي تساعد على تحليل الثقافة وعلى هذا الأساس فقد تم تمييز نوعين من الثقافة: الثقافة المادية، الثقافة اللامادية. وتشمل الثقافة المادية كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة وكل ما ينتجه العمل الإنساني من أشياء ملموسة وكل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية. في حين تشمل الثقافة اللامادية مظاهر السلوك التي تتمثل بالعادات والتقاليد التي تعبّر عن المثل والقيم والأفكار والمعتقدات، ولو أن بعض العلماء يميلون إلى أخراج الثقافة المادية على أساس أنها مجرد حصيلة للنشاط المقرر ثقافيا.

4. خاصية الانتشار: للثقافة القدرة على الانتشار من مجتمع لآخر عبر الحدود السياسية ولا تمنعها الحدود الجغرافية، حيث نجد تشابها في السمات الثقافية لدى الكثير من المجتمعات المتباعدة جغرافيا وتختلف تشكيلاتها السياسية والسلالية واللغوية.
5. ويرى العلماء أن سهولة انتشار الثقافة يعود إلى تشابه الظروف الطبيعية السائدة في تلك المجتمعات كونهم قد يتشابهون في نمط التفكير الإنساني في كل زمان وفي أي مكان نتيجة لتشابه التكوين العقلي لجميع البشر. ويعرف هذا الاتجاه عند علماء الإنثروبولوجيا باسم (مدرسة النشأة المستقلّة) حيث اعتمدت تعاليمها وأفكارها على فلسفة التنوير وحتمية الظروف الطبيعية والبيئية. والسبب الآخر المؤدي إلى سهولة انتشار الثقافة من مجتمع لآخر هو كثرة الاتصال بين المجتمعات عن طريق الهجرة والتجارة وكذلك الحروب والنزاعات وغيرها من وسائل الاتصال[2].

4 2 3 الثقافة والمجتمع:

هناك حقيقة معلومة تشير إلى أن كثيرا من المجتمعات المتشابهة في بنائها الاجتماعي تكون مختلفة تماما في بنائها الثقافي.

في هذا الجانب لابد لنا من التطرق إلى الإنثروبولوجيا الثقافية التي تهتم بدراسة القيم والعادات والأعراف والتقاليد وغيرها من مكونات الثقافة كانت تمثل امتداد للتفكير الإنثولوجي الذي كان يسود ويستحوذ على تفكير علماء القرن التاسع عشر ومنهم (تايلور -Taylor)[3] الذي يلجأ إلى الاستعانة بأحداث التاريخ ونظريات علم النفس لتفسير الظواهر الثقافية لدى الشعوب كتحريم الزواج من الأقارب والرغبة بالزواج من الأغراب بقصد توسيع دائرة القرابة والمصاهرة والنسب كون هذا يؤدي إلى اتساع أواصر السيكولوجية في ذلك إلى النفور الطبيعي في الزواج بين الأقارب بحيث ينظر الرجل إلى العلاقة مع أية امرأة من جماعة القرابة على أنها نوع من الزنا بالمحارم. أو الخوف من ضعف النسل أو انتقال الأمراض الوراثية بين الأزواج الأقارب. إن كل هذه التأويلات تختلف عن تلك التي يقوم عليها التفسير الاجتماعي الذي يلجأ إليه أتباع الاتجاه البنائي[4].

---

[1] أحمد أبو زيد, البناء الاجتماعي, الجزء الأول, المفهومات مع المفهومات, الدار القومية للطباعة والنشر, الإسكندرية, 1966, ص185.

[2] أحمد أبو زيد, مرجع سابق, ص187.

[3] إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Tylor : 1832 - 1917 هو أنثروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد 1909 – 1896 . أهم كتبه " الثقافة البدائية " 1871 و"النثروبولوجية " 1881.

[4] المرجع سابق, ص198.

يرى الكثير من العلماء الآن ضرورة وضع مناهج وأسس لدراسة المجتمعات الإنسانية على وفق أسس ثقافية وضرورة وضع استراتيجيات محددة لعلم الثقافة (Culturology) لأن الثقافة أصبحت تمثل الحقيقة النهائية بذاتها وأن المجتمع ليس إلا أداة ووسيلة لقيام الثقافة ووجودها واستمرارها.

4 2 4الثقافة العربية:

لقد اعتز العرب بثقافتهم المتميزة والعريقة كونها انطلقت من تراثهم الحضاري الزاخر بمختلف أنواع العلوم والمعارف، وكونها أصيلة وأعطت للعالم كل القيم الإنسانية كحضارة السومريين والآشوريين والبابليين والفرعونيين والفينيقيين والكنعانيين وغيرهم، حيث انطلقت منهم، وأول ملحمة لمعالجة مشكلة الحياة والموت، أول منظومة لقوانين الحياة في شريعة حمورابي وتأسست قوانين أول عمارة في العالم هي عمارة الأهرامات، وهكذا الحال في بيت المقدس ودلمون [1] ومكتبة آشور وغير ذلك. وفي العصور الحديثة نذكر أن الثقافة العربية انتشرت وتوغلت حتى وصلت إلى أبعد نقطة في العالم على يد قادة الفتح العربي الإسلامي وسادت الثقافة العربية الإسلامية العالم كله لقرون عديدة.

أما اليوم فقد توزعت الثقافة العربية وانتظمت تحت مؤسسات متعددة وأسماء مختلفة تقوم كل مؤسسة بواجبات ومسؤوليات محددة متجاوبة مع التطور الحاصل في العالم ومستجيبة لمتطلبات الحياة المعاصرة، وهكذا يمكن تقسيم مصادر الثقافة في الوطن العربي إلى ما يأتي:

أولاً- مؤسسات تربوية وتعليمية: وتشمل الجامعات ومراكز البحوث والمدارس ورياض الأطفال والمؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والورش التي تعقد بين فترة وأخرى. وهي تقوم بدور مناسب وضمن حدود إمكانياتها في نشر الوعي فيما يتعلق بالتربية والثقافة والعلوم. ولو تمكنا من تقييم دورها نجد أنها جميعا بحاجة إلى تطوير أكثر من أجل إكمال رسالتها الإنسانية في إحداث التطوير والتنمية الشاملة لعموم المجتمع.

ثانياً- مؤسسات الاتصال الجماهيري: وتشمل كافة الوسائل المرئية والسمعية والمقروءة كالتلفزيون والسينما والمسرح والإذاعة والوسائل المقروءة مثل الكتب والصحف والمجلات والنشرات والمعارض، وواقع الحال يؤكد أن هذه المؤسسات متقدمة في بلدان ومتأخرة في بلدان أخرى بسبب اختلاف البنى الاجتماعية.

ثالثاً- المؤسسات التراثية التي تشمل المتاحف والآثار والمعارض والبوسترات والسياحة، حيث نجد أن دورها غير كاف لنشر الثقافة العربية والإسلامية بين شعوب العالم، نأمل أن يزداد دورها وأهميتها في المستقبل.

ومن دراسة مفهوم التكوين الثقافي والمجتمع وخصائص الثقافة والثقافة العربية تبين أن الثقافة هي مجموع المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القيم والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضوا في المجتمع ولها مجموعة من الخصائص من التمايز والاستقلال عن الأفراد الذين يحملونها إلى الاستمرار والتعقيد وصولا إلى خاصية الانتشار ومن الممكن أن تتشابه المجتمعات في بنائها الاجتماعي وتختلف في تكوينها الثقافي كما من الممكن أن تختلف في بنائها الاجتماعي وتتشابه في تكوينها الثقافي.

[1] دلمون هي حضارة قامت في جزيرة البحرين وشرق الجزيرة العربية قبل خمسة آلاف سنة وعرفها السومريون بأرض الفردوس وأرض الخلود والحياة.

4 2 5النظريات الثقافية:

أولاً- نظرية روح الثقافة لـ(سابير Sapir [1] وهورف Whorf [2]):

إن نظرية روح الثقافة "لسابير وهورف" من تعريفها لـ"روح" ثقافة ما، على أنها مجموعة عامة من المفاهيم الأولية التي تستخدم كإطار مرجعي لمعظم أفراد ذلك المجتمع. وتؤكد هذه "النظرية"على إمكانية روح الثقافة من خلال التمثيل الدقيق للغة المجتمع[3].

وترى هذه النظرية أن أي ثقافة تتميز "بروح" معينة، وهي مجموعة، الخصائص النفسية المجردة التي تستنتج من تحليل المادة الثقافية، وتسيطر تلك الروح على شخصيات حاملي الثقافة، وتتمثل هذه الروح من جانبين هما[4]:

1. الجانب الاستمراري يعني الوجود الدائم لإطار مرجعي أو منظور محدد يتكون من مجموعة من القواعد والمقاييس التي تحكم العمليات العقلية، ويشبه هذا المنظور البديهيات الهندسية.
2. الجانب التطوري: وهو خطة الثقافة التي تنكشف تدريجيا من خلال تاريخ ثقافة معينة يمكن الوصول إلى تحديد روحها كما هو الحال بالنسبة لدراسة الهندسة من خلال العملية التأريخية لنمو نظرياتها5.

ثانياً- نظرية أسلوب النظر إلى الحياة لـ(ريدفيلد Redfield):

يشير هذا المفهوم "أسلوب النظر إلى الحياة" أساسا لمضمون معرفي، ويعرفه (ريدفيلد) أنه النظرة الخارجية إلى الوجود، وهي نظرة عامة تميز شعبا ما، وهي الطريقة التي بها يرى عضو في مجتمع ما نفسه بالنسبة إلى كل أعضاء الجماعة الآخرين داخل المجتمع الذي يعيش فيه[6]. ويؤكد "ريدفيلد" أن هذا المفهوم يشمل مجموعة واسعة من المعتقدات التي تمثل إجابات لأسئلة "أين أعيش – بين ماذا أتحرك – وما علاقاتي بهذه الأشياء ...الخ". ويرى "ريدفيلد" أن بعض عقائد أسلوب النظر إلى الحياة هي عموميات نفسية. وهي الاعتقاد بما يأتي:

1. الاعتقاد بتقسيم الأشياء إلى الأمور المتعلقة بالنفس والأمور الخارجة عن النفس.
2. الاعتقاد بتقسيم الأمور الخارجة عن النفس إلى أمور إنسانية وأمور مادية وأمور فوق الطبيعية.
3. الاعتقاد بالتمييز بين الأرض والسماء وبين النهار والليل وبين الولادة والوفاة، وما إلى ذلك7.
4. إن نظرية (ريدفيلد) كانت نتيجة لدراساته الأنثروبولوجية التي قام بها على المجتمعات البدائية. إذ لاحظ من خلالها أن أسلوب الحياة في هذه المجتمعات يتميز بثلاث خواص أساسية هي:
   - عدم وجود فاصل بين النفسي واللا نفسي، فالإنسان البدائي يميل إلى رؤية نفسه متحدا مع الطبيعة وليس خارجا عنها.
   - يشارك الإنسان البدائي في المحافظة على ذلك النسق الواحد "الإنسان في الطبيعة" بدلا من أن يحاول تغييره أو السيطرة عليه.

---

[1] إدوارد سابير Edward Sapir ، 1939- 1884 عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) وعلم اللغة. بحث في العلاقة بين اللغة والثقافة والشخصية. وساعد في تأسيس فرعين جديدين للبحث في علم الإنسان هما: 1 -علم الإنسان اللغوي الذي يحلل دور اللغة في المجتمعات المختلفة، 2 -علم الإنسان النفسي الذي ينظر في العلاقة بين الثقافة والشخصية. كما قام سابير باستحداث وسائل تمكّن العلماء من إعادة بناء التاريخ الثقافي والحضاري رغم اندثار الآثار المكتوبة.

[2] بنيامين لي وورف Benjamin Lee Whorf ، لغوي أمريكي شهير 1897 – 1971.

[3] محمد سعيد فرح, ما علم الاجتماع, منشأة المصارف للنشر, الإسكندرية, 1977, ص226.

[4] سامية الساعاتي, الثقافة والشخصية, مركز الكتب الثقافية, 1983, ص240.

[5] محمد سعيد فرح, مرجع سابق, ص226.

[6] عاطف وصفي, الثقافة والشخصية, الشخصية المصرية التقليدية ومحدداتها الثقافية, دار المعارف مصر, 1977, ص151.

[7] حسن همام وآخرون, مدخل إلى علم الاجتماع, دار الثقافة, 1982, ص180-183

- للعالم دلالة أخلاقية على اعتبار أن كل شيء في الطبيعة حي، لذلك يجب أن تكون علاقة الإنسان بالطبيعة علاقة أخلاقية[1].

ثالثاً- نظرية البناء الأساسي للشخصية لـ(أبرام كاردنر-Abram Kardiner)[2]:

إن نظرية البناء الأساسي للشخصية (لأبرام كاردنر) تؤكد أن أفراد المجتمع الحاملين لثقافة واحدة يشتركون في سمات معينة للشخصية وأطلق على تلك السمات "البناء الأساسي للشخصية"، وقد عرفها بكونها الأدوار المتكيفة عند الأفراد، وهي عامة عند جميع أفراد المجتمع الواحد [3].

ويرى أن البناء الأساسي للشخصية هو الصيغة الكلية للشخصية العامة التي يشترك فيها معظم أعضاء المجتمع الواحد نتيجة للخبرات المبكرة المتشابهة التي يشتركون فيها[4].

ويرى (كاردنر) أن هناك أنماط مؤثرة في تكوين الشخصية أطلق عليها تسمية "النظم الأولية" وهي مجموعة النظم التي تتمتع نسبيا بالثبات والتأثر الضعيف بالتغيرات المناخية والاقتصادية وينظر إليها أفراد المجتمع على أنها أمور طبيعية، وهي تشمل نظام الأسرة والنظم التربوية في مرحلة الطفولة كالفطام والتدريب على السلوك والمحرمات الجنسية فضلا عن التكوين الداخلي للجماعة [5].

والنوع الثاني من النظم هي "النظم الثانوية" كالآداب الشعبية والمعتقدات والطقوس الدينية. وقد لاحظ (كاردنر) أن المعتقدات الدينية تشكل في بعض الأحيان عن طريق عملية إسقاط لبعض خصائص "البناء الأساسي للشخصية"، فمثلا قد ترجع مفاهيم المجتمع عن الآلهة وعلاقتهم بها "للنظم الأولية" التي تحدد علاقات الطفل بوالديه[6].

رابعاً- نظرية الشخصية القومية لـ(والاس-Wallace)[7]:

إن نظرية الشخصية القومية "لوالاس" تختص بدراسة الدول السياسية و تحدد شخصية أفرادها، ويتضمن ترابط عدد كبير من العناصر في بناء واحد وانتظامها ويجمع بين تلك العناصر علاقات ديناميكية متداخلة[8]. ويرى "والاس" أن مفهوم الشخصية القومية يشبه مفهوم "الشخصية الرئيسية" وهو يفضل استخدام المفهوم الأخير لأنه ينطبق على جميع الثقافات والمجتمعات، في حين ينطبق مفهوم " الشخصية القومية" على المجتمعات المتمدنة مثل الدول والأمم، ولا يمكن استخدامه في دراسة القبائل البدائية أو المناطق الثقافية[9].

أكد "والاس" وجود دوافع في الشخصية القومية وهي دوافع مركزية ودوافع هامشية، والمهم فيها هو الدوافع "المركزية" وهي العناصر الرئيسة في البناء النفسي، وتتسم تلك العناصر بالعمومية في المجتمع، ويكتسب أعضاء المجتمع الدوافع المركزية في مرحلة الطفولة المبكرة [10].

إن "نظرية الشخصية القومية" تنطلق من افتراض مؤدّاه "أن تجارب الطفولة تحدد الملامح الرئيسة

---

[1] سامية الساعاتي, مرجع سابق, ص243.

[2] أبرام كاردنر Abram Kardiner، 1891 – 1981 محلل نفسي وإتنولوجي أمريكي، وأحد أبرز مؤسسي الأنتروبولوجية الثقافية، وهي علم يختص بدراسة مختلف الثقافات التي أنشأها الإنسان عبر التاريخ.

[3] عاطف وصفي, مرجع سابق, 1977, ص157.

[4] قيس النوري, طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثريولوجيا الاجتماعية، مطبعة الإدارة, 1972, ص247.

[5] ابراهام كاردنز, مفهوم تركيب الشخصية الأساسية, تحرير الفلنتون, ترجمة عبد الملك الناشر, المكتبة العصرية, بيروت, 1967, ص205.

[6] ابراهامكاردنز, مرجع سابق, ص243.

[7] ألفرد راسل والاس بالإنجليزية Alfred Russel Wallace، ولد في 8 يناير 1823 وتوفي في 7 نوفمبر 1913 هو عالم طبيعة بريطاني، ومستكشف، وعالم جغرافيا، وعالم أحياء وعلم الإنسان وهو الذي طرح نظرية التطور بالانتقاء الطبيعي بصورة مستقلة عن داروين واشتهر بها.فقد إهتم ألفرد بدراسة المجتمعات البشرية حيث أن زيادة السكان تتم بطريقة هندسية في حين أن زيادة كمية الغذاء تتم بشكل أبطأ .[1]أرسل والاس مقالته إلى داروين فأبدى إعجابه بها ويتطابق أفكارهما، فاشتملها في كتابه أصل الأنواع واستعمل بعض مصطلحات والاس فيه.

[8] قيس النوري, الانثروبولوجيا النفسية, دارالحكمة للنشر, بغداد, 1990, ص84

[9] المرجع السابق, ص84.

[10] عاطف وصفي, مرجع سابق, ص152.

لشخصية الإنسان الراشد، وأن وحدة الحضارة تعني تماثل الأساليب التربوية التي تؤدي بدورها إلى خلق نمط قومي مشترك تتسم به شخصية سكان المجتمع".

خامساً- نظرية سجية الثقافة لـ(روث بندكت Ruth Benedict)[1]:

إن إصلاح "Ethos" سجية الثقافة في هذه النظرية أسلوب لخبرة عاطفية يضفي عليه أعضاء مجتمع ما قيمة مشتركة. ويعني الصيغة العاطفية للسلوك المنمط اجتماعيا، في حين يعني مرة أخرى "إنه مجموعة من المشاعر والعواطف نحو العالم وتؤثر تلك المجموعة في معظم سلوك حاملي الثقافة الواحدة[2].

ولكن الإنثروبولوجي "باتسون" نادى برأي آخر بعد دراسته الميدانية الجديدة، فقد لاحظ وجود ثنائية في سجية واحدة، أي وجود مجموعتين من العواطف السائدة، مجموعة خاصة بالذكور والثانية خاصة بالإناث[3].

نلاحظ أن الجديد الذي جاء به "باتسون" هو تقسيم مفهوم "سجية الثقافة" إلى سجية للذكور وسجية للإناث، بعد أن كان سجية للذكور يفهم على أنه صيغة كلية عامة تشمل سلوك الذكور والإناث معا.

وقد تطور هذا المفهوم في دراسات أخرى فمن أنموذج "لبندكت" إلى "مزاج" لبيلو، و"التعبير العاطفي" لكنبرج.

سادساً- نظرية شخصيات المركز لـ (رالف لنتون-Ralph Linton)[4]:

اشتقت نظرية شخصيات المركز "للنتون" من نظرية سجية الثقافة "لروث بندكت" وثنائية السجية القائم على أساس النوع، فقد طبقت هذه النظرية في المراكز الأخرى في المجتمع، مثل مركز الطفل ومركز الزوج ومركز الأم ومركز الأب ومركز الجد ومركز المحارب ومركز التاجر وما إلى ذلك من المراكز الأخرى[5].

وقد قدم "لينتون"اقتراحا بهذا الاتجاه، ويتمثل في تقديم مفهوم "شخصية المركز"، إذ يؤكد إن شغل الأفراد للمراكز المختلفة والأدوار المرتبطة بها يطبع شخصيات تلك الأفراد بطابع أطلق عليها اصطلاح "شخصيات المركز"[6].

ويرى "لينتون" أن شخصيات المركز لا تتناقض هي والبناء الرئيس للشخصية في المجتمع وإنما تتكامل معه. وهو بهذا يؤكد مبدأ التكامل الثقافي الذي هو أساس نظرية الصيغة الكلية[7].

سابعاً- نظرية الثيمات لـ(أوبلر-Oboler):

إن نظرية الثيمات "لأوبلر" تؤكد على أن كل ثقافة فيها عدد محدود من القيم والأفكار والاتجاهات تدور حول مكونات الحياة السعيدة والأهداف الحقيقية للوجود الإنساني. ولقد نادى (أوبلر) بوجود "ثيمات" تميز كل ثقافة ويعرفها بأنها توكيدات دينامية، تشكل طبيعة الواقع عند أعضاء الجماعة، ففي

---

[1] روث فولتون بندكت Ruth Benedict 1887 - 1948عالمة أمريكية بالأنثروبولوجيا. كانت تلميذة وزميلة لفرانز بواس في جامعة كولومبيا. أسهمت في توسيع مجال الأنثربولوجيا بدراسة مفهوم الدوافع الثقافية وعلاقة الشخصية بالثقافة.

[2] سامية الساعاتي, مرجع سابق, ص245.

[3] عاطف وصفي, مرجع سابق, ص152.

[4] رالف لنتون فيلادلفيا 27 فبراير 1893 - نيو هيفن، كونيتيكت 24 ديسمبر 1953 كان مواطن أمريكي قدير وعالم في مجال الأنطروبولوجيا في منتصف القرن العشرين، عرف رالف خصيصا لكتاباته The Study of Man (1936) و .(1955) The Tree of Cultureمن المساهمات الكبيرة التي ساهم بها رالف في علم الأنطروبلوجيا كان تعريف التميز بين الحالة والدور.

[5] سامية الساعاتي, مرجع سابق, ص87.

[6] قيس النوري, مرجع سابق, ص109.

[7] عاطف وصفي, مرجع سابق, ص154.

كل ثقافة توجد مجموعة من القوى التي يؤكد أفراد الجماعة على أهميتها وتسيطر تلك القوى على تفاعل الأفراد وسلوكهم أي على الكثير من الأنماط الثقافية[1].

إن هذه النظرية تعارض الفكرة القائلة بوجود مبدأ تكاملي. إذ يرى "أوبلر" الذي عارض المبدأ التكاملي بأنه تسيطر على الثقافة أكثر من ثيمة واحدة وتتفاعل هذه الثيمات أو الموضوعات كقوى دينامية، وتتوازن مع بعضها بدلا من أن يكون هناك مجموعة من الأنشطة تدور حول محور واحد [2]. فهو يعارض الاتجاه التكاملي.

وقد حدث تطور لمفهوم "الثيمات" وأصبح يدل على مجموعة من القضايا والمبادئ العامة المتعلقة بموضوع الحياة الطيبة والأهداف الصحيحة والدائمة للوجود الإنساني كما تحددها ثقافة ما.

ثامنا: نظرية الشخصية المنوالية لـ(لينتون [3]Ralph Linton):

إن نظرية "الشخصية المنوالية لـ "لينتون" يختلف الأمر فيها، إذ تمثل التركيب الإحصائي المتنافر. ويقصد بصفة "المنوالية" إن متغيراً ما يتمتع بأعلى تكرار في توزيع ما، إذ أن "الشخصية المنوالية" مفهوم إحصائي يشير إلى نمط الشخصية الذي يخرج بأكثر عدد من التكرارات بين مختلف أنماط الشخصية في مجتمع واحد[4].

ولذلك يطبق مفهوم "الشخصية المنوالية" على أي منهج يحدد الشخصية المميزة لأي جماعة ثقافية عن طريق الميل المركزي لأي توزيع تكراري معين. ولما كان استنتاج التوزيعات الإحصائية لسمات الشخصية من المادة الثقافية غير ممكن، فيتجه إلى الاختبارات النفسية لعينة من الجماعة الثقافية [5].

يؤكد "لينتون" أن مصطلح نظرية "الشخصية المنوالية" يختلف عن مصطلح "البناء الأساسي" لكاردينر، على اعتبار أن الشخصية المنوالية يمكن أن تصاغ مباشرة وبطريقة موضوعية عن طريق دراسة تكرارات تشكيلات الشخصية المختلفة بين أعضاء المجتمع، فهو يركز على الجوانب الكمية، في حين أن مصطلح البناء الأساسي للشخصية يركز على الكيفية[6].

إن حقيقة مفهوم الشخصية ينطلق من حقيقة أساسية يؤكدها أصحاب هذا المفهوم وهي أن أفراد المجتمعات الثابتة أو المتصفة بالديمومة غالبا ما يظهرون سمات محددة بصورة أكثر تكرارا من الجماعات الوقتية أو غير الخاضعة لتنظيم اجتماعي مشترك[7].

4 3 التنمية المستدامة:

4 3 1 مفهوم التنمية المستدامة:

ظهر هذا المفهوم في أواسط الثمانينيات من القرن الماضي ليشير إلى ضرورة المحافظة على البيئة وعلى الموارد البشرية القابلة للنضوب والعمل على إيجاد بيئة متوازنة. (Ecosystems) والتوصل إلى قوانين تحكم الأنظمة البيئية وقد انتشر هذا المفهوم بسبب كثرة حوادث الإساءة إلى البيئة، وارتفاع درجة التلوث عالميا وتردي الإنتاج بصورة عامة، وبسبب تعثر السياسات التنموية في دول العالم الثالث والتخلف الاجتماعي، والمجاعة ونقص التغذية، كل ذلك أدى إلى تفاقم حالة التأخر، بصورة خاصة والتراجع في عدد كبير من المجتمعات الإنسانية وخاصة في أفريقيا وآسيا وأميركا الجنوبية.

---

[1] سامية الساعاتي, مرجع سابق, ص148.

[2] عاطف وصفي, مرجع سابق, ص156.

[3] رالف لينتون 1893-1953. عالم أنثروبلوجي درس الأنتربولوجيا في جامعة كولومبيا ثم في يال ،و قد قام بدراسات أنتربولوجية في جزر المركيز و في مدغشقر

[4] ناظم هاشم العبيدي, علم نفس الشخصية, دار الحكمة للنشر, 1990, ص53.

[5] عاطف وصفي, مرجع سابق, ص160.

[6] سامية الساعاتي, مرجع سابق, ص248.

[7] قيس النوري, مرجع سابق, النظريات الاجتماعية, ص73.

إن كلمة (Sustainable) تعني في اللغة العربية (قابلية الاستمرار) أو الديمومة كما تعني القابلية للتحمل. وتقارير الأمم المتحدة المتعلقة بالتنمية تستخدم (التنمية المستدامة). وقد نلجأ إلى اللغة العربية ونستخدم كلمة (الدعم) للتعبير عن أحد معاني المفهوم، والتنمية تجد في ذاتها ما يدعمها أو يدعم استمرارها فتكون بذلك (تنمية متداعمة) وهي في ذات الوقت تكون محتملة ومقبولة من كافة فئات المجتمع. وقد يشير المعنى الأول لفعل Sustain إلى دعم أو أيّد بالإضافة إلى استمر وعلى هذا الأساس ظهر التشابه مع مفهوم التنمية بالاعتماد على النفس أو التنمية المركزة ذاتيا[1].

وهكذا فإن التنمية المستدامة = التنمية المستمرة = التنمية المتداعمة = التنمية المعتمدة على النفس =التنمية المركزة ذاتيا = التنمية المعتمدة و المدعمة ذاتيا. وقد يمتد هذا المفهوم ليشمل أوجه ونشاطات متعددة: بشرية، بيئية، سياسية، اقتصادية، وأن معنى الديمومة والاستمرار يشير في التنمية إلى الامتداد وإلى الروابط بين الأجيال أي أن الجيل الحالي يجب أن يترك للأجيال القادمة مخزونا كافيا من الموارد الطبيعية نظاما بيئيا سليما وغير مصاب بالتلوث، ومستوى كافي من القدرة على امتلاك العلوم والتكنولوجيا، بحيث تتمكن هذه الأجيال من الاستمرار في التنمية والاستفادة من فوائدها ونتائجها المختلفة.

4 3 2 مبادئ التنمية المستدامة[2]:

أولاً- مبدأ العدالة:

يشير مبدأ العدالة إلى إمكانية حصول الناس على حقوق متوازنة في المجتمع من حيث المكانة والثروة، والتمتع بحصة متوازنة والمشاركة المنصفة في عملية التنمية من خلال السعي إلى اكتشاف مقومات التنمية.

وقد أكد ذلك العالم (جون رولس-John Rawls)[3] بنظريته المعروفة حول العدالة، فهو لا يؤمن بمبدأ البحث عن الفائدة الشخصية كمبدأ لتنظيم المجتمع، لأنه يؤمن بمبدأ إيجاد توازن ملائم بين طلبات المنافسة على ثروات البلاد إذ ليس من المعقول أن تكون حصة البعض أقل لكي يعيش الآخرون برفاهية وتؤخذ حقوقهم في الثروة الوطنية وتضاف إلى حقوق غيرهم.

واستنادا على أفكار هذا المبدأ فإن (رولس) يؤسس نموذجا واضحا للعلاقات المجتمعية معتمداً على تيارات الفلسفة اليونانية القديمة الداعية إلى مبدأ الإنصاف والعلاقات المنصفة بين الناس ويؤكد أن العدالة هي استقامة العلاقات بين الأشخاص وتناسق المجتمع، لأن في ذلك ضمانة طويلة الأمد لجدية وحيوية أي نظام اقتصادي واجتماعي، وفي ذلك أيضا ضمان للتنمية المستدامة.

ثانياً- مبدأ التمكين:

إن مفهوم التمكين يعد من المفاهيم الرئيسة في تأكيد مقومات التنمية المستدامة، وتعني كلمة التمكين أن الناس يجب أن يكونوا في وضع يتيح لهم المشاركة الكاملة في القرارات والآليات التي توجه حياتهم ومصيرهم، وهذه يجب أن لا تصاغ في غيابهم ودون أن يتمكنوا من التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم الفعلية وطموحهم.

---

[1] جور قرم، التنمية البشرية المستدامة والاقتصاد الكلي، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 6، الأمم المتحدة، نيويورك، 1997، ص3.

[2] إيمان الطائي وحسن الفلاحي، التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 11، بغداد، ص28.

[3] جون رولس 1921 - 2002 بالإنجليزية John Rawls، فيلسوف أمريكي ليبرالي وأستاذ فلسفة سياسية في هارفرد .من أهم مؤلفاته : نظرية العدالة - الليبرالية السياسية - قانون الجماعات البشرية. يعتبر رولس من منظري ومؤسسي الليبرالية الجديدة ذات الميول الاشتراكية، حيث اهتم بالعدالة الاجتماعية.

وأن هذه المشاركة تتيح لهم الوصول إلى خيارات أوسع في توجيه مصيرهم وفتح مجالات عمل جديدة، والحصول على وسائل إنتاج وعمل ولو متواضعة. وليس من الإنصاف أن تتخذ قرارات اقتصادية واجتماعية وبيئية دون سماع وجهة نظر جميع المعنيين ومشاركتهم في صياغتها لكي تراعي مصالحهم الحيوية.

من هنا ظهرت الحاجة إلى ضرورة المشاركة في الحياة السياسية، وتقوية الهيئات المهنية والمدنية لكي يكون للجميع صوت في مناقشة القضايا الاقتصادية والسياسية ومحاولة التأثير في اتخاذ القرارات.

ثالثاً- مبدأ التقارب الاجتماعي:

إن تطبيق هذا المبدأ يرتكز على تنمية الموارد البشرية والقضاء على البطالة وعدم تهميش فئات واسعة من المجتمعات وتطور التمكين والمشاركة وتثبيت مبدأ المساءلة وحسن الإدارة، وفي هذا الجانب تمنح للتنمية أولوية في تأمين (الرأسمال البشري) وتؤكد لنا تجارب الغرب في مجال التنمية إن كافة الجهود البشرية المتوجهة نحو تنظيم الإنتاج والعلاقات الاجتماعية ونحو الابتكار. جميعها تعد من العناصر التي تعجّل في تصاعد معدلات الدخل الوطني، العلمي والتطبيقي ويقول (ستيفان دي فيلدر) أن الكثير من الدول الفقيرة بالموارد الطبيعية اختارت أن تستثمر بشكل مكثف في المهارات البشرية، وهكذا فإن تراكم المهارات التقنية على الصعيد الفردي مهم لتكوين (الرأسمال البشري) وتسريع معدلات النمو الاقتصادي، مع التأكيد على أهمية استقامة نمط من العلاقات بين الأشخاص في المجتمع كعنصر أساسي في تكوين الرأسمال المجتمعي الذي يؤدي إلى تراكم المهارات الفردية التي تصب في مجرى التنمية المستدامة.

إن موضوع القضاء على الفقر أصبح اليوم هدفا أساسا يؤدي إلى مقاربة آليات التنمية من منظور جديد يطور قابلية النمو في الاستمرار والتداعم الذاتي، فالإنسان ثروة بشرية يجب الاعتناء بها وعدم إهمالها. ولكل إنسان إمكانية ذاتية للمشاركة في دورة الإنتاج في العلاقات المجتمعية المفيدة شرط أن تفتح أمامه الخيارات، أي أن لا يعيش في حرمان من المساهمة في عالم الإنتاج والمعرفة والمهارة التقنية[1].

4 3 3معوقات التنمية المستدامة:

يؤكد الإعلان العربي عن التنمية المستدامة في الوطن العربي لعام 2002م على أنه قد حدثت إنجازات كثيرة في مجال التنمية المستدامة، شملت المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وقد برزت آثارها الإيجابية واضحة في حياة المواطن العربي الصحية والتعليمية والاقتصادية، كارتفاع مستوى الدخل، وتحسن الخدمات الصحية، وزيادة دور المرأة في التعليم وتوفير فرص العمل، وانخفاض نسبي في معدل النمو السكاني، وارتفاع عمر الفرد.

ولكن بالرغم من هذه النتائج الإيجابية التي تحققت فإن جهود التنمية المستدامة في الوطن العربي مازالت تواجه معوقات كبيرة ستكون لها آثار معرقلة لعدة سنين نذكر منها ما يأتي: ضعف الاستقرار الأمني، بسبب زيادة الأوضاع المؤدية إلى ذلك. ولا تكاد دولة عربية تخلو من مشكلة أمنية أو أكثر كالأراضي الفلسطيني، والعراق، والجزائر، والصومال، والسودان، وسورية، واليمن، ولبنان، وبلدان أخرى واقعة تحت التهديد. إن هذه الأوضاع تكون منفّرة لرؤوس الأموال التي يمكن أن توظف داخل البلدان العربية والاستفادة منها والحيلولة دون تصديرها إلى الخارج. تعرض المناطق العربية بصفة دائمة لظروف مناخية متطرفة، وانخفاض معدلات الأمطار، وارتفاع درجات الحرارة، مما يؤدي إلى

[1] جور قرم، التنمية البشرية المستدامة والاقتصاد الكلي، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 6، الأمم المتحدة، نيويورك، 1997، ص11.

زيادة الجفاف وارتفاع نسب التصحر، وهذا يؤدي إلى انخفاض ساعات العمل، وقلة الإنتاج إلى حدود متدنية في فصل الصيف.
النقص الحاد في الموارد المائية وتلوث الموجود منها، وقلة الأراضي الصالحة للاستغلال في الإنتاج الزراعي وعدم استغلال المياه الجوفية للتقليل من آثار الجفاف. وكذلك النقص الشديد في الطاقة في أكثر الدول العربية.
مشكلة الفقر في بعض الدول العربية ما تزال مستمرة مع تزايد حدّة الأمّية، وارتفاع عدد السكان والبطالة، وتراكم الديون وفوائدها، وعدم استغلال الموارد الطبيعية والبشرية بشكل أمثل،وزيادة الهجرة من الأرياف إلى المدن. ضعف ملائمة التقنيات والتجارب المستوردة من الدول المتقدمة مع الظروف الاجتماعية والبيئية في الوطن العربي، ونقص الكفاءات الوطنية القادرة على توظيفها لخدمة مشاريع التنمية "جوهانز بيرغ 2002 م".
من خلال ما تقدم في هذا الميدان يمكن أن نلخص عدد من المشكلات التنموية التي تعاني منها معظم أقطار الوطن العربي نذكر أهمها كما يأتي:

- مشكلات صحية: حيث الانخفاض الواضح في مستوى الخدمات الصحية، في معظم المؤسسات الصحية وتراجع في نسب الغذاء المتوازن، وقلة كبيرة في المياه الصالحة للشرب في معظم البلدان النامية، وعدم وضع حلول مناسبة لها.
- مشكلات غذائية: لقد أشرنا سابقا إلى أن معظم أراضي الوطن العربي صحراء ولا توجد فيها أنهار إلا في بعض البلدان، وانخفاض مستوى هطول الأمطار كل ذلك أدى إلى ضعف في إنتاج الغذاء بكل أنواعه النباتي والحيواني مما أدى إلى حصول مجاعة أو ما يشبه المجاعة في عدد من الأقطار العربية والإفريقية.
- مشكلات تربوية: لقد أشارت الكثير من الوقائع أن هناك نسبة كبيرة جدا من أبناء المجتمع العربي يعانون من الأمّية، مما أدى إلى انخفاض مستوى التحصيل الدراسي في مختلف المراحل الدراسية، وارتفاع مستوى النفقات الدراسية، وازدياد أعداد الطلبة المتسربين من المدارس في المراحل الأولى من الدراسة وضعف في المناهج المقررة، وشمولها لجميع أنواع المعرفة. وقلة أعداد المعلمين، والتدريسيين، كل ذلك أدى إلى انخفاض في أعداد المتعلمين، وهذا أدى إلى ضعف قدرتهم على مسايرة التطور الحاصل في العالم المتحضر، وانخفاض وتراجع دور الفرد في عمليات التنمية.

4 3 4 دور المؤسسات الثقافية في التنمية المستدامة:

إن المؤسسات الثقافية كافة يمكن أن تؤدي دوراً بارزاً في جميع عمليات التنمية المستدامة، فالجامعات ينبغي لها القيام بفتح فروع جديدة واختصاصات نادرة على اختلاف المستويات والدرجات العلمية، مع وضع برامج حديثة ومتطورة تأخذ بعين الاعتبار حاجات كل بلد ومتطلبات كل مرحلة. فإنها قد تصل بالجيل الحالي إلى أعلى مستويات المعرفة، لأن الإنسان العربي يمتاز عن الباقي بأنه أكثر ذكاء ولديه قدرة واسعة على الاستيعاب والاكتشاف ولديه قدرة فائقة على التحمل والصبر خاصة في مجال البحوث، والتوصل إلى أدق النتائج في مختلف جوانب المعرفة. ولديه قدرات لم يتم اكتشافها فهي كامنة وتحتاج إلى ما يفعلها، فإذا ما أردنا تنمية مستدامة وشاملة لكل جوانب الحياة علينا التوجه نحو الجامعات، فهي تؤسس لكل فعاليات المجتمع في مجال التنمية، وتهيئ الفرص لمراكز البحوث عن طريق إمدادهم بالخبرات النظرية والكفاءات الميدانية، وتكشف عن حالات الإبداع التي يتميز بها بعض الطلبة، عند ذلك تقوم هذه المراكز بتحويل النظريات إلى ممارسات ميدانية على شكل قوانين

ومبادئ توظف لخدمة كافة شرائح المجتمع وتهيئ لهم الفرص المناسبة لنقل المجتمع إلى أحوال متقدمة.
أما باقي المؤسسات الثقافية كالتلفزيون والإذاعة والمسرح فيمكن أن تقوم بمهمة توجيه الجمهور نحو حب العمل والمواطنة والإخلاص والولاء للوطن وإشاعة روح التعاون والمحبة بين أبناء الشعب والمساهمة في حل المشكلات الاجتماعية والتربوية والصحية التي قد تحدث هنا أو هناك، ولها دور تثقيفي وتوجيهي وأخلاقي وتعمل على إشاعة روح المشاركة والحرص على تبصير الناس بالمصلحة الوطنية المشتركة التي تجمعهم وأن المحافظة على مصلحة البلد يعد من أهم مسؤوليات الفرد اتجاه وطنه والسعي لغرس قيم حب الوطن والوفاء والنزاهة والشجاعة والكرم والسخاء وكلها سمات تتسم بها الشخصية العربية منذ أقدم العصور، وهناك تساؤل يفرض نفسه في هذا الميدان:
كم جامعة وكم كلية وكم قسم خرج من مقاعد الدراسة وتوجه إلى الميدان..إلى المجتمع.. إلى ساحات العمل..إلى المواطن ودرس، وتعرف على مشكلاته، واقعه وحاجاته المختلفة ووضع الحلول المناسبة لها ميدانيا، نقول هناك قلة قليلة من الجامعات العربية تقوم بهذه المهمة والمفروض أن جميع الجامعات باختلاف كلياتها وأقسامها تقوم بالتوجه إلى ميادين العمل كل حسب اختصاصه والسعي نحو ممارسة الدور الذي ينتظره منهم المجتمع، وأن نبتعد عن الدراسة النظرية والحصول على المؤهلات العلمية والتباهي بها فقط.
إن الرسالة الإنسانية والأخلاقية للعلم والمعرفة هي التطبيق في الميدان والمختبر وليس في قاعات الدراسة وكل درس أو محاضرة لا تنتهي في الميدان لا تحقق هدفها، وعلينا جميعا أن نوظف معرفتنا في الميدان ولجميع التخصصات لأن في ذلك يكمن سر بناء المجتمع بناءا حضاريا وإنسانيا.

4 3 5 الثقافة والتنمية المستدامة:

إن الثقافة بمعناها الواسع تعد أحد الأبعاد الأساسية في عملية التنمية وإن هناك علاقة جدلية بين التنمية الثقافية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية. فكل منها مؤثر في الآخر ويتأثر به ومتوقف عليه. ويقوم العامل البشري بدور فعّال في تهيئة الظروف لعمليات التفاعل بين الثقافة وبين العوامل المرتبطة بها. وإن الإنسان هو الغاية الأساسية في كل عملية تنمية وفي ذات الوقت يعد الأداة الرئيسة من أدواتها.
ولا يمكن أن تتكامل عناصر الثقافة وتتفاعل بدون استغلال الكفاءات العربية الداخلية وعودة الخارجية المهاجرة إلى بلدانها. لذلك يجب علينا السعي إلى جلب هذه الكفاءات، وتيسير تنقلها في البلاد العربية، وذلك بتوفير ظروف العمل المناسبة، وتوفير الامتيازات الممنوحة لهم في الخارج، لكي يساهموا في عمليات التنمية ويوظفوا خبراتهم واختصاصاتهم في خدمة شعوبهم، لأن بلدانهم بأشد الحاجة لهم.

4 4 خلاصة الفصل:

تطرق البحث في هذا الفصل لدراسة مفهوم البناء الاجتماعي وأسسه النظرية ومفهوم التكوين الثقافي ونظرياته انتقالا إلى التنمية المستدامة وعلاقتها بالثقافة والمؤسسات الثقافية ومن خلال ما تم عرضه في الفصل من نظريات وأفكار وآراء مختلفة تخص البناء الاجتماعي، والبناء الثقافي، والتنمية المستدامة يمكننا أن نستنتج:
أن الإنسان يشكل بصورة عامة محور وأساس البناء الاجتماعي وعليه تعتمد مختلف الأطر الاجتماعية فهو الذي يسير النظم التي تبنى بموجبها المجتمعات. فإذا صلح الإنسان صلح البناء الاجتماعي. وعليه يتوجب على كل من له قرار يصب في رعاية الإنسان وحمايته وتطويره أن يهتم

بثقافة الإنسان وبتطويره وتجديد أفكاره وتطلعاته، وأن يضع البرامج والخطط لتمكينه من مواكبة التطور الحاصل في العالم.
فإذا أردنا التوصل إلى مجتمع تسوده المعرفة والأخلاق علينا أن نغرسهما في الإنسان أولاً ثم تعم المجتمع بالكامل بعد حين. وإذا أهملنا ذلك فإن بناء المجتمع سوف يتصدع عبر الزمن بسبب أنواع الهجمات التي يتعرض لها من الخارج والتي تستهدف بناءه وكيانه الداخلي.
وعلينا جميعا أن نهتم بالإنسان ونؤسس المعاهد التي نحتاجها في تنمية الإنسان وإعادة تجديده وبناء منظومة أفكاره طبقا لقواعد طبيعته ونساعده على تنظيم عملية استيعاب الكم الهائل من المعلومات التي يتعرض لها يوميا وأن نساعده على بناء شخصيته ونجعله أكثر تأثيرا في المجتمع بحيث يستطيع هو أن يسيّر الأحداث لا أن تسيّره، وضرورة تهيئة بيئة مناسبة للإنسان وتطويع الظروف البيئية المحيطة لخدمة الإنسان وبالتالي خدمة المجتمع، ومحاولة إعادة تشكيل سلوكه عن طريق إحداث تغيرات مدروسة في قوانين البيئة، يمكن من خلالها التوصل إلى نموذج إنساني متكامل السمات والخصائص يستطيع أن يكون عنصرا فاعلا ومؤثرا في المجتمع.
وللإنسان دور بارز في البناء الثقافي للمجتمعات فهو الذي يشكل الأفكار والقيم ويحافظ عليها، وهو يشكل العنصر الفعال في ثقافة أي مجتمع، وأن الاهتمام به رعايته وإعداده سوف يسهم في إيجاد إنسان يستطيع أن يواجه التحديات التي يفرضها الغزو الثقافي العالمي الذي يحاول إلغاء الهوية المحلية.
وتتلخص نظريات البناء الاجتماعي بأن أصحاب نظرية الاستجابة نظروا إلى الجماعة نظرة تحليلية أما أصحاب النظرية الكلية فقد اهتموا بالجماعة ككل وبالمقابل درست نظرية الستاتيكيا – ديناميكيا التنظيم الاجتماعي ودرست شروط وجود المجتمع وبنائه الاجتماعي أما براون في نظريته العلاقات الثنائية أكد أن الوحدات الأساسية التي تؤلف البناء الاجتماعي تتمثل بالأفراد الذين يمارسون أدوارا اجتماعية وبريجارد في نظريته العلاقات الدائمة يعتبر أن البناء الاجتماعي يتألف من نسق من الأبنية المستقلة بعضها عن البعض الآخر أما روبرت ريدفيلد في نظريته لم يدرس العلاقات الثنائية فقط بل أخذ بعين الاعتبار العلاقات الدائمة أيضا ونظرية الفعل لبارسونز تؤكد على الشخصية بوصفها أداة الفعل الذي يشترك فيه الإنسان لتحقيق التوقعات المنظمة لأدوار البناء الاجتماعي أما النظرية الإسلامية تقول بأن دوافع نشوء المجتمعات ترتكز على ثلاث نقاط أساسية تتمثل ب قانون الزوجية والتعارف وتبادل المنافع .
أما نظريات التكوين الثقافي فتتلخص بأن نظرية روح الثقافة "لسابير وهورف" ترى أن أي ثقافة تتميز "بروح" معينة، وهي مجموعة، الخصائص النفسية المجردة التي تستنتج من تحليل المادة الثقافية أما نظرية أسلوب النظر إلى الحياة لـ(ريدفيلد) تعرف بالنظرة الخارجية إلى الوجود ونظرية البناء الأساسي للشخصية (لأبرام كاردنر) تؤكد أن أفراد المجتمع الحاملين لثقافة واحدة يشتركون في سمات معينة للشخصية بينما نظرية الشخصية القومية "لوالاس" تختص بدراسة الدول السياسية و تحدد شخصية أفرادها أما نظرية سجية الثقافة لـ(روث بندكت) تعنى بالصيغة العاطفية للسلوك المنمط اجتماعيا واشتقت نظرية شخصيات المركز "للنتون" من نظرية سجية الثقافة "لروث بندكت" وثنائية السجية القائم على أساس النوع، وقد طبقت هذه النظرية في مراكز اجتماعية، مثل مركز الطفل ومركز الزوج ومركز الأم وغير ذلك. ونظرية الثيمات "لأوبلر" تؤكد على أن كل ثقافة فيها عدد محدود من القيم والأفكار والاتجاهات تدور حول مكونات الحياة السعيدة والأهداف الحقيقية للوجود الإنساني، بينما نظرية "الشخصية المنوالية لـ "لينتون" يختلف الأمر فيها، إذ تمثل التركيب الإحصائي المتنافر.

الفصل الخامس

تجارب عالمية وعربية ومحلية في عملية الحفاظ والتنمية

5 تجارب عالمية وعربية ومحلية في عملية الحفاظ والتنمية:

تنفرد المدن القديمة في سورية، بتراث عمراني ومعالم وآثار قل نظيره ا بين مدن العالم، امتزج فيها العمق الحضاري بالعمق التاريخي، باعتبارها مهداً للحضارات القديمة المتعاقبة، على أراضيها ومساحاتها الحضرية جبلت عصارة المعرفة والحضارة.
وبعد أن قام البحث بعرض المفاهيم المختلفة التي تدخل في صلب العملية التنموية وتأطير الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية ودور الأسرة فيها ودراسة دور المتغيرات الثقافية في التنمية الحضرية وتناول التركيبات الثقافية والاجتماعية وتأثيرها في التنمية المستدامة، لابد من وضع هذه المفاهيم والأسس النظرية موضع التطبيق واستغلالها في تحديد وتطوير الاستراتيجيات التنموية للمدن السورية القديمة ذات الأهمية الثقافية كمدينة معلولا.
حيث تمثل مدينة معلولا مثالاً رائعاً للمدن التاريخية المأهولة بسكانها في العالم العربي، التي لا تزال تزاول وظائفها الحضرية، وهي جديرة بدراسة هيكلتها العمرانية، بهدف تأهيلها وصيانتها وتثمين تراثها ونسيجها العمراني القديم، وفتح أفاق سياحية أكبر تساهم في تنمية مدينة معلولا الحالية، وفي رفع مستوى معيشة سكانها وتطوير الاقتصاد الحضري للمدينة القديمة، وتأمين الصلة والاندماج بين النسيج الحضري القديم والنسيج الحضري الجديد.
ولدراسة هذه المدينة ومواردها ونسيجها العمراني وسبل استثمار الأبعاد الثقافية في عملية التنمية فيها لابد من التعرف على مجموعة من التجارب العالمية والعربية والمحلية في هذا المجال والتي طبقت فيها مفاهيم وأسس التنمية الحضرية واستغلت فيها الموارد الثقافية بأقصى طاقاتها للنهوض بها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا. ولابد أن تكون هذه النماذج المدروسة حواضر آهلة بالسكان كما في مدينة معلولا وذات خصائص مشتركة معها من حيث نوعية الموارد الثقافية الموجودة فيها واندماج النسيج العمراني القديم فيها مع الجديد.
فالتجارب المختارة جميعها مأهولة بالسكان وذات نسيج عمراني قديم مرتبط مع الحديث وذات تراث ثقافي غني تعاقبت عليه مجموعة من الحضارات. وكل من هذه المدن استثمرت مواردها الثقافية بطريقة معينة واتبعت إداراتها استراتيجيات مختلفة عن بعضها في تنميتها.

تجربة عالمية	تجربة عربية	تجربة محلية
• مخطط الحفاظ لمدينة هوتونغ بيجين	• مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية	• المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية "دمشق القديمة"

رسم توضيحي 2: التجارب المشابهة

1 5 تجارب عالمية (مخطط الحفاظ لمدينة هوتونغ بيجين Beijing Hutong Conservation Plan):

1 1 5 مقدمة تاريخية:

يعود تاريخ مدينة بكين إلى فترة سلالة" تشوالغربية"، وكانت تعرف باسم "جي". وفي عصر" الممالك المتحاربة"، أصبحت عاصمة لأقوى هذه الممالك: "يان". تراجع دورها السياسي بعدها، إلا أنها ظلت مدينة هامة ومركزا تجاريا في شمال الصين لأكثر من ألف سنة. منذ مطلع القرن الـ 10 م، أصبحت عاصمة ثانية لسلالة "لياو" وصارت تعرف باسم "يانجينغ".

ثم استعادت دورها السياسي الريادي عندما اتخذتها الأسر المتعاقبة على حكم البلاد -جين، يوان، مينغ وتشينغ -عاصمة لها (سنوات 1115وحتى 1911م)، عدا دورها السياسي أصبحت بكين عاصمة الثقافة، وقد خلفت هذه الفترة العديد من الشواهد. على غرار القصر الإمبراطوري وطلل إنسان بكين في منطقة تشوكوديان، والقصر الصيفي، المعبد السماوي والقبور الثلاثة عشر لأسرة مينغ، وقد أدرجت منظمة اليونسكو كل هذه المعالم في قائمة التراث الثقافي العالمي.

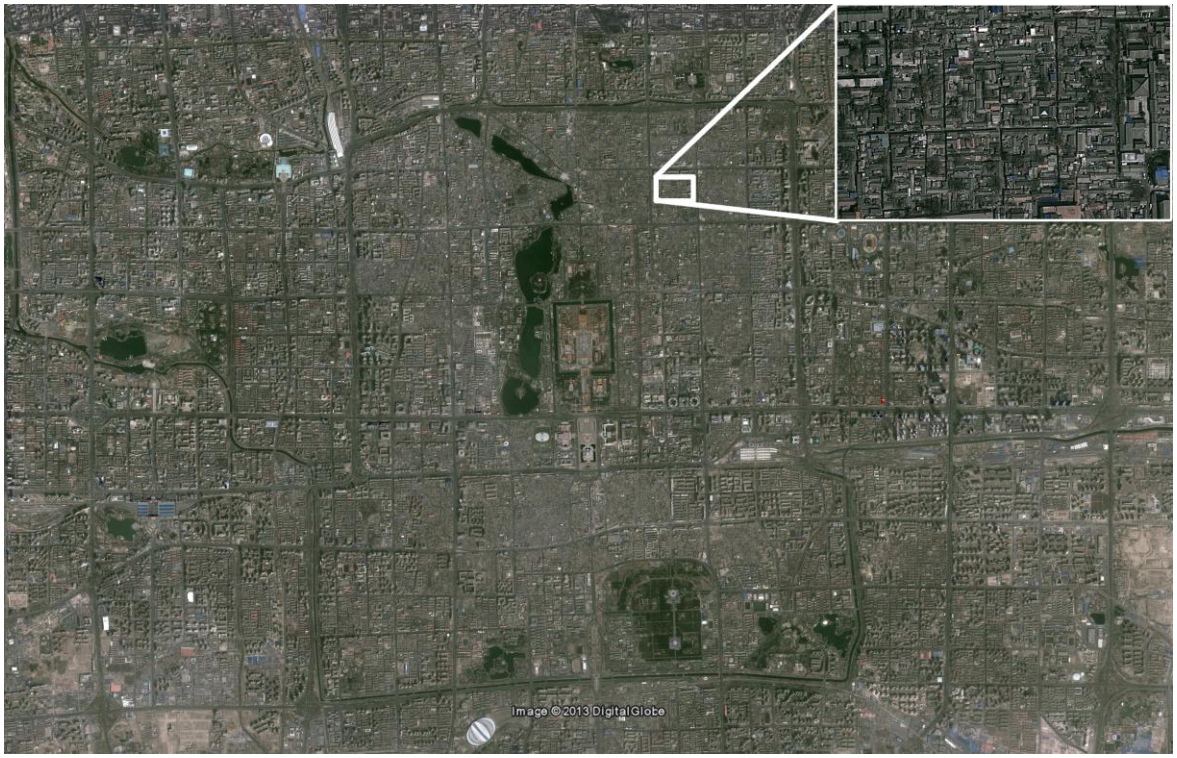

شكل 1: صورة جوية لمدينة هوتونغ بيجين

بعد قيام الثورة الشعبية سنة 1949م، تم اتخاذ "بكين" عاصمة رسمية لـ"جمهورية الصين الشعبية". أخذت حركة التجديد والتطور تزدهر في المدينة منذ ثمانينات القرن العشرين، ثم ازدادت وتيرة التحديث سرعة، فظهرت المباني الحديثة، والطرقات السريعة المتقاطعة وغيرها. تحاول المدينة اليوم أن تحافظ على ملامحها القديمة، وفي نفس الوقت أن تظهر ملامحها الحديثة[1].

[1] ar. wikipedia. org/wiki/بكين.

5 1 2 وصف عام لمدينة هوتونغ:

شكل2 : زقاق في هوتونغ

Hu Tong (المبسطة الصيني 胡同 ؛ الصينية التقليدية 胡同) هي نوع من الشوارع أو الأزقة الضيقة المرتبطة ببكين، الصين.

هوتونغ هي الأزقة التي شكّلتها خطوط 1siheyuan وأفنية المساكن التقليدية. تم تشكيل العديد من الأحياء من خلال تجمع البيوت التقليدية الواحد بجانب الآخر، ومن ثم تجمع هوتونغ2 واحد إلى آخر.

منذ منتصف القرن العشرين انخفض عدد الأزقة بشكل كبير حيث تم هدم جزء منها لافساح الطريق للطرق والمباني الجديد. وفي الآونة الأخيرة تم تعيين بعض الأزقة والمناطق المحمية في محاولة للحفاظ على هذا الجانب من التاريخ الثقافي الصيني.

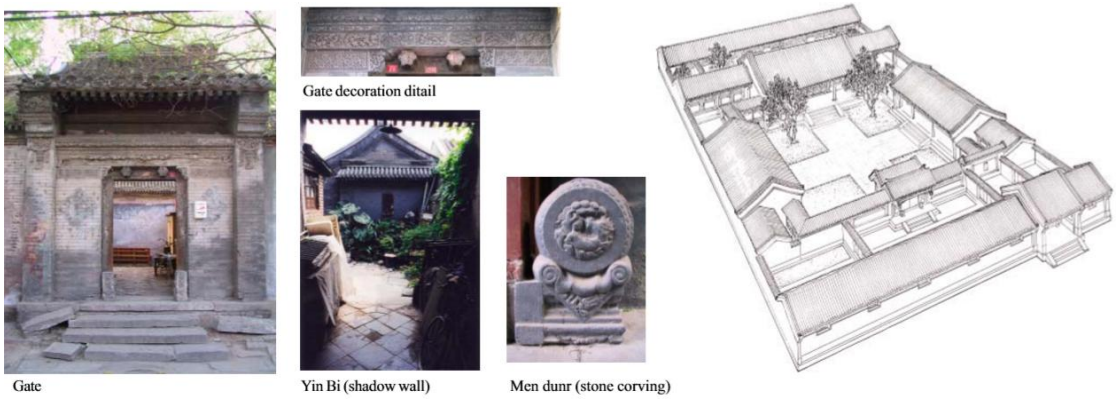

شكل 3: السيخيهوان (البيت الرباعي)

وجاءت تسميتها من كلمة (هوتونغ) التى تعنى البئر باللغة المنغولية، حيث كان السكان يحفرون الابار للتزود بالماء. وفى الحقيقة ان ازقة بكين القديمة يتراوح عرضها بين متر و 10 أمتار، واطولها يمتد لاكثر من 20 منعطفا.

5 1 3 تطور المدينة[3]:

خلال فترة إزدهار الأسر الملكية في الصين كان الأباطرة يخططون المدن وينظمون المناطق السكنية وفقا لأنظمة المعاملات لأسرة تشو(1277-777ق م). في قلب الحاضرة تكون المدينة المحرمة، محاطة في دوائر مركزية بالمدينة الداخلية والمدينة الخارجية. كان المواطنون ذوي المكانة الاجتماعية العالية يسمح لهم بالإقامة على مقربة من مراكز الدوائر.

كانت الأزقة الأرستقراطية في تلك الأيام تقع شرقي وغربي القصر الإمبراطوري وكانت الحارات مرتبة على جانبيها بيوت فسيحة وحدائق مسورة ومع الابتعاد عن القصر إلى جنوبه وشماله كانت أزقة العامة من الناس، حيث يقيم ويعمل التجار والفنانون الحرفيون والعمال.

---

[1] البيت الرباعي (siheyuan) هونتيجة التطور الطبولوجي الذي بدأ في القرن الثاني عشر وكون حتى الثمانميات هيكل العديد من مدن شمال ووسط الصين، بما فيها العاصمة بكين وشيآن. هوترجمة للعمارة التقليدية الصينية التي تعتمد على التنظيم الاجتماعي للأسرة الموسعة، التي تصل أحياناً إلى 100 شخص.

[2] يتم استخدام كلمة هوتونغ أيضا للإشارة إلى هذه الأحياء.

[3] Tibet Heritage Fund International, Beijing Hutong Conservation Plan, P. P. 9-10-11.

البيوت التي تصطف على جانبي الهوتونغ، سواء كانت فسيحة أو متواضعة كانت تسمى عادة سيخهيوان، أي الدار الرباعية، وهي عبارة عن مجمع سكني يتكون من بنايات تحيط بفناء. كانت سيخهيوان الكبيرة للمسؤولين الكبار والتجار الأثرياء تكون غالبا مزينة بالنحت وذات أفاريز سقف ملونة وأعمدة وحديقة جميلة. سيخهيوان الخاصة بعامة الناس كانت أصغر من حيث الحجم وأكثر بساطة في زخارفها وديكوراتها.

والواقع أن هوتونغ عبارة عن ممر تكون من خلال إنشاء العديد من سيخهيوان بأحجام مختلفة، كلها مرتبة بالقرب من بعضها. وتقريبا كل الدور الرباعية يكون لها بناياتها الرئيسية وبوابات تواجه الجنوب من أجل إضاءة أفضل، ومن ثم فإن الغالبية من الأزقة تمتد من الشرق إلى الغرب. بين الأزقة الرئيسية العديد من الحارات الصغيرة تمتد إلى الشمال والجنوب كممرات.

مع بداية القرن العشرين تفككت أسرة تشينغ، وظهر الأثر الأجنبي كبيرا في حياة الناس وانتهى تاريخ الصين الإمبراطوري.

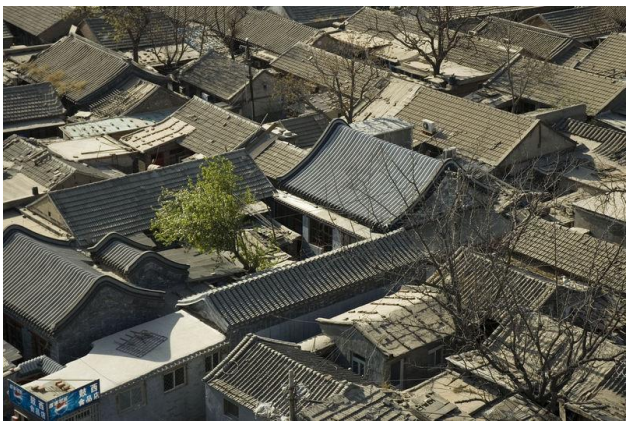

شكل4 : صورة علوية لبيوت مدينة هوتونغ بيجين

خلال فترة جمهورية الصين (1911-1948) لم يكن المجتمع مستقرا، مع وجود الحرب الأهلية وتكرار الغزوالأجنبي.

تدهورت مدينة بكين وساءت ظروف الأزقة. كانت سيخهيوان في السابق تسكنها أسرة واحدة ولكنها قسمت ليتقاسم الإقامة فيها عدد من العائلات.

وصل عدد الأزقة المدرجة في سجلات أسرة يوان إلى 1330 عام 1949، مع وجود خمسة آلاف حارة صغيرة امتدت بطرق غير قانونية بين الأزقة القانونية.

خلال عشرات السنين منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949، اختفت العديد من الأزقة القديمة لتحل محلها بنايات عالية، وترك العديد من السكان الحارات التي عاشت فيها عائلاتهم لأجيال، حيث أعيد توطينهم في بنايات من شقق سكنية ذات مرافق حديثة وفي حي شيتشنغ فقط اختفى 200هوتونغ من بين 820 هوتونغ كانت موجودة عام 1949، ووفقاً لما تقول لجنة بكين للبناء سيتم خلال عام 2004 إزالة بيوت قديمة على مساحة 250 ألف متر مربع، 20 ألف مسكن، وهو ما يعني أن المزيد من الأزقة سوف يختفي.

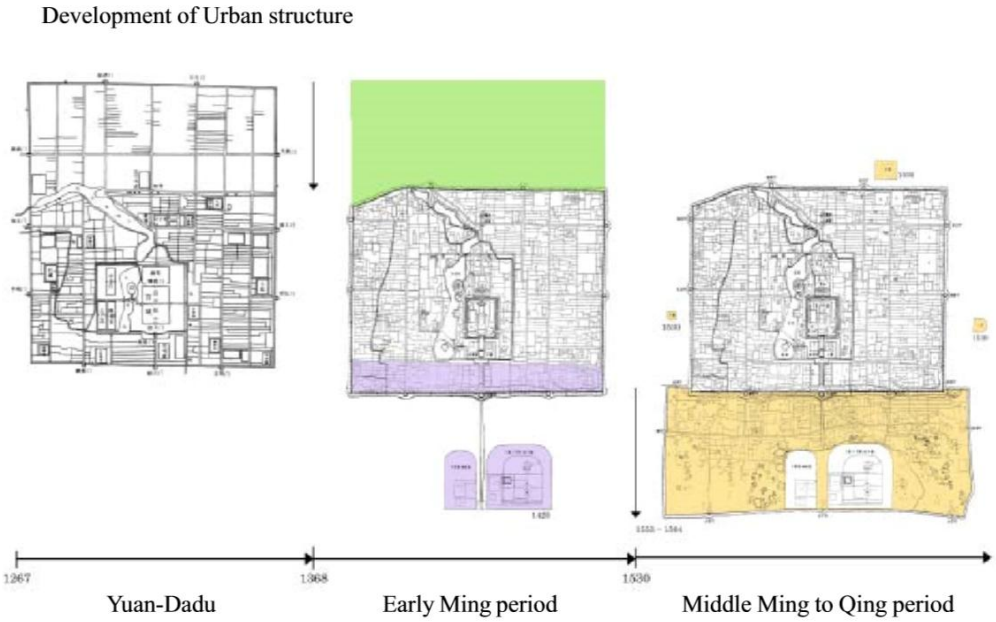

مخطط 1: تطور مدينة هوتونغ بيجين

5 1 4 استراتيجية الإرتقاء[1]:

تقسم مدينة بكين إلى مقاطعتين تضم كل مقاطعة 16 منطقة، منطقة المدينة القديمة داخل الطريق الدائري الثاني تتألف من أربعة مقاطعات يتم التعامل معها من قبل إدارة المدينة القديمة وعدد من الإدارات التي تشتمل على لجنة تخطيط العاصمة ولجنة بكين لتخطيط المدن ومكتب مدينة بكين للآثار الثقافية ومكتب مدينة بكين للإسكان والبناء. وتحتاج قضايا تخطيط مدينة بكين للموافقة عليها من قبل مجلس الدولة.

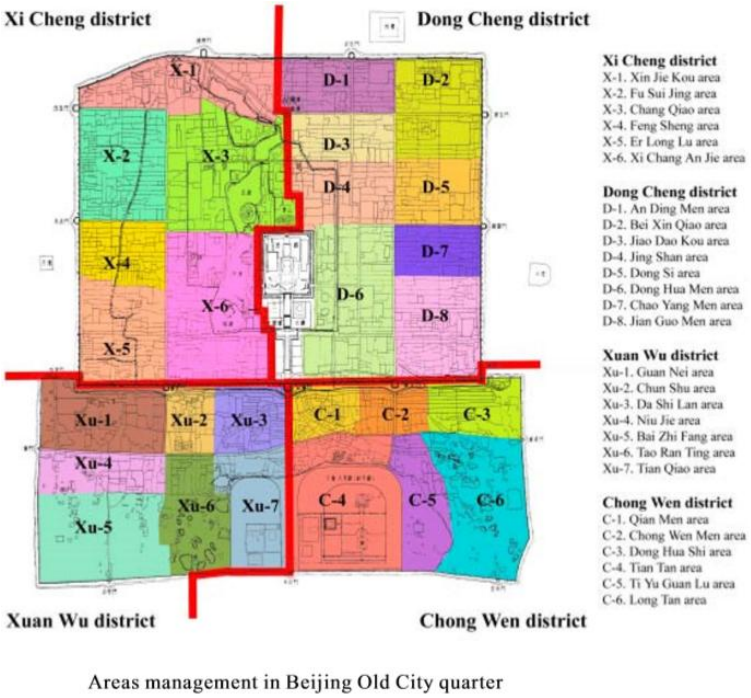

Areas management in Beijing Old City quarter

مخطط 2: إدارة المناطق في المدينة القديمة

[1] Tibet Heritage Fund International, Beijing Hutong Conservation Plan, P. P. 26-27.

تفاصيل إدارة مدينة بكين الأكثر صلة بالتخطيط تلخص فيما يلي:

1. إدارة تخطيط المدن:

وفقا لأحكام خطة مدينة بكين ومدينة ماستر عام 1991 – 2010 كل مكاتب التخطيط مسؤولة عن التخطيط والإشراف على تنفيذ بناء الطرق وإدارة المرور وحماية البيئة والحفاظ التاريخي.

2. حماية الآثار الثقافية:

في عام 1982 وضعت مدينة هوتونغ الثقافية التاريخية تحت نظام الصين ل حماية التراث من قبل مجلس الدولة الصيني، حيث أدرج 3550 موقعا تحت مستويات مختلفة من المحافظة هذه المواقع تغطي أكثر من 2 مليون متر مربع. وتعد بكين أكبر منطقة للتراث الثقافي وتحوي على أكبر عدد من المواقع الفريدة من أي مدينة في الصين، تم التوافق على خمسة مواقع في بكين وسجلت مواقع التراث أكثر من 60 موقع آخر تحت حماية المستوى الوطني و243 موقع تحت مستوى البلدية و517 مواقع يتم تسجيلها تحت مقاطعة ومستوى المقاطعات و2513 مواقع محلية.

تشمل المواقع المحمية القصور الامبراطورية والمباني الدينية والحدائق الامبراطورية ومباني النقابة ومساكن الناس المشهورة وبقايا أسوار المدينة والمعابد والجسور والنصب التذكارية الثورية.

ووفقا للقوانين والأنظمة المعمول بها في حماية الآثار الثقافية إن مكتب الآثار الثقافية في كل منطقة هوالمسؤول عن إدارة وصيانة المواقع المحمية على المستوى المحلي.

3. إدارة الإسكان:

تعد إدارة الإسكان والمساكن من مسؤولية وزارة الإسكان وتقسم أنواع المساكن إلى أربعة وهي:

الإسكان العام والإسكان الخاص ووحدات سكن العمال وحماية الآثار الثقافية حيث تقسم المسؤولية على النحوالتالي:

- الإسكان العام: وزارة الإسكان المحلي هي المسؤولة عن الإدارة والصيانة يوما بعد يوم.
- الإسكان الخاص: مالكون خاصون يحملون مسؤولية الصيانة بشكل كامل، وطلب ملكيتها يمكن أن يحل محل تخطيط بمستوى عالي مع إعادة التطوير لهذه الممتلكات.
- وحدة عمل سكنية: توفير السكن للموظفين تعتبر جزء من حزمة مصالحهم. وكل وحدة عمل هي المسؤولة عن الإدارة وأحيانا الموظفين يسهمون في عملية الصيانة إذا كان لديهم حيازة طويلة المدى.
- منطقة الآثار الثقافية المحلية: مكتب الآثار الثقافية المحلية هي المسؤولة عن الصيانة حيث يسكن المواقع المحمية ويطلب من السكان احترام سلامة المبنى المعماري.

4. الإدارة الاقتصادية:

الإدارة الصناعية والتجارية هي المسؤولة عن الأنشطة الاقتصادية والإشراف على الأسواق والأعمال والتراخيص.

5. الأمن العام وإدارة السكان:

هناك مركز رئيسي للشرطة في كل منطقة. مركز شرطة أمن يدير الأمان وسلامة المجتمعات مع تعاون سكاني.

الإدارة السكانية تقع على عاتق الشرطة ويجري تقسيمها إلى إدارة السكان المحليين والسكان غير الأصليين (ذلك بدون تصريح إقامة من بكين بمن فيهم العمال المهاجرون والعمال المؤقتون والطلاب والأجانب).

6. إدارة البيئة والنظافة:

مكاتب البيئة والنظافة هي الفعالة بشكل ملحوظ على المستوى المحلي في الحفاظ على ممرات هوتونغ نظيفة وجمع وإعادة تدوير القمامة.

7. الإدارة الخضراء:

مع أنه لم يكن هناك العديد من المساحات الخضراء في منطقة هوتونغ هناك مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشجار سواء في الباحات أو الممرات، مكتب غرين هوالمسؤول على التسجيل والحفاظ على هذه الأشجار.

8. السياحة:

التراث الثقافي واحد من أهم السمات الرئيسية لمدينة بكين. مما يجعل بكين واحدة من أعلى الوجهات السياحية في الصين. والمحافظة على المناطق التاريخية المتبقية أمر حيوي لهوية بكين وعلى المدى الطويل والمصالح التجارية في المدينة.

2 5 تجارب عربية (مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية):

شكل 5: صورة جوية لمدينة القاهرة

1 2 5 مقدمة تاريخية:

أسسها القائد المعز لدين الله من عدة مدن [1] لتكون عاصمته بعد أن أسس الدولة الفاطمية، وقد قام جوهر الصقلي سنة 358 هـ (969 م) ببناء سور حول ثلاث مدن وقام بتسمية المدن الثلاث القاهرة، وتضمّ القاهرة مدينة الفسطاط التي أسسها عمروبن العاص سنة 20 هـ، ومدينة العسكر التي أسسها

[1] الفسطاط، والعسكر، والقطائع.

صالح بن علي العباسي سنة 132 هـ، ومدينة القطائع التي أسسها أحمد بن طولون سنة 256 هـ، بالإضافة إلى الأحياء التي طرأت عليها بعد عهد صلاح الدين وحتى الآن[1].

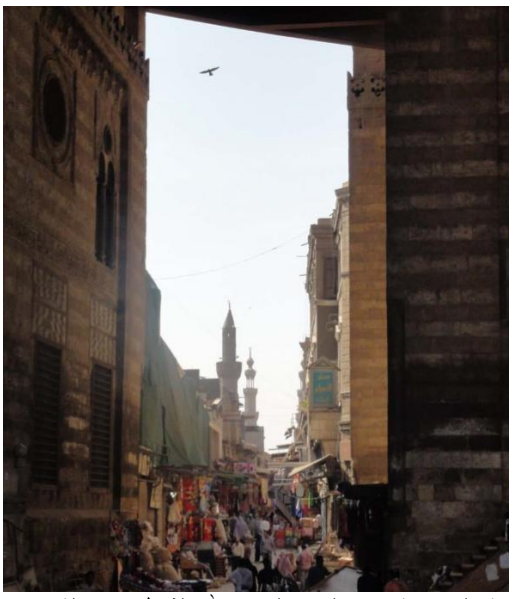

شكل6 : شارع المعز لدين الله الفاطمي - القاهرة

5 2 2 وصف عام لمدينة القاهرة:

[2]القاهرة هي عاصمة جمهورية مصر العربية وأهم مدنها علي الإطلاق، يبلغ عدد سكان ها 7787000 نسمة حسب إحصائيات 2007 يمثلون حوالي 10% من إجمالى سكان مصر، في حين يبلغ عدد سكان القاهرة الكبرى 20 مليونًا ونصف مليون نسمة. يسكنها أكثر من ربع سكان مصر البالغ تعدادهم بالداخل والخارج 76 مليونا نسمة تقريباً حسب إحصاء 2006، وتصل الكثافة السكانية بها إلى أكثر من 15 ألف نسمة لكل كيلومتر مربع، وسميت تاريخيا باسم مدينة الألف مئذنة لكثرة مساجدها. القاهرة هي أكبر مدينة أفريقية والأكثر سكاناً في أفريقيا والشرق الأوسط وهي محافظة- مدينة، أي أنها محافظة تشغل كامل مساحتها مدينة واحدة، وفي نفس الوقت مدينة كبيرة تشكل محافظة بذاتها. وبالرغم من كونها كمدينة هي الأكبر إلا أنها تعد من أصغر محافظات مصر كمحافظة. هناك أيضا ما يعرف باسم القاهرة الكبرى وهي كيان إداري شبه رسمي يضم بالإضافة إلى مدينة/محافظة القاهرة مدينة الجيزة وبعضاً من ضواحيها وشبرا الخيمة من محافظة القليوبية بالإضافة إلى محافظتي حلوان سابقاً والسادس من أكتوبر[3].

5 2 3 تطور المدينة[4]:

أولاً- القاهرة في عام 1807:

على مر الزمن تطورت مدينة القاهرة على سفح هضبة المقطم، بعيدا عن مجرى النيل الذي استمر في الزحف غرباً، مما أدى لتوفير أراض للنموالعمراني، خريطة الحملة الفرنسية هي الخريطة التحليلية الأولى التي تصف مورفولوجية المدينة في عام 1807.

ثانياً- تطور المدينة: 1807-1888:

خريطة القاهرة التي أعدها ل. توليبه في عام 1888 تمثل مرحلة تطور المدينة أثناء الفترة الخديوية، مع جهود التحديث المبذولة إبان تلك الفترة والطبيعة الكوزموبولتانيه - متعددة الأجناس- التي طرأت على المدينة. تم إدخال نماذج عمرانية غريبة في منطقة وسط البلد، وذخر ذلك الحيز المكاني بمعالم جديدة تعكس انتشار المؤسسات الجديدة والكيانات الاقتصادية وكذلك التغيرات الاجتماعية. أثرت هذه العملية على النسيج العمراني ما قبل المعاصر، مع افتتاح محاور جديدة وعملية موسعة لتجديد المباني، إلا أنها لم تغير من بنية وهيكل المدينة التاريخية.

[1] ar. wikipedia. org/wiki/القاهرة.

[3] المرجع السابق.

[4]إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة، 2012، ص 18-22.

ثالثاً- تطور المدينة: 1888 – 1948:

تم تجميع لوحتان صادرتان عن هيئة المساحة المصرية تمثلان ((خريطة الآثار الإسلامية))، ومقارنتها بالخريطتين اللتين تعودان إلى 1807 و1888. أظهرت الخريطة المقارنة تطور القاهرة أثناء أوائل القرن العشرين، بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وبدء الانتداب البريطاني ، فبتلك الفترة تطورت القاهرة على نسق عاصمة لأمة مستقلة، في ظل وجود جهد مبذول من أجل التحديث وفرض الشخصية الكوزموبوليتانية، التي تتسم بتدعيم المظاهر الإدارية والزيادة السكانية.

رابعاً- الثابت والمتغير في النسيج العمراني للقاهرة التاريخية: 1807-2006:

من الواضح أن القرن التاسع عشر شهد عملية التحول الكبير في بنية وصورة القاهرة التاريخية، لا سيما ما يخص نسيجها العمراني السكني. ورغم الحفاظ على عدد كبير من الآثار إلا أن القصور والبيوت الكبيرة تم هجرها أو تقسيمها إلى وحدات أصغر. تم استبدال البيوت ذوات الحدائق والأفنية بعمارات ووحدات سكنية يتم تأجيرها، كما حدث تغير في السمات المعمارية والطبوغرافية للمدينة، حيث أثرت الخسارة الجزئية في السمات التراثية على ممتلك التراث العالمي.

شكل 7: منظر عام للقاهرة من مئذنة جامع المؤيد

إلا أن مكونات المورفولوجية العمرانية للقاهرة التاريخية تظهر استمرارية ملحوظة خلال مراحل تطور المدينة. فالنقاط المحورية، والنسيج التاريخي المتضام وخطوط تنظيم الشوارع حافظت على تسمياتها الأصلية التي تعود إلى ما قبل المرحلة المعاصرة (درب، حارة، عطفة، زقاق).

أثرت هذه المكونات على سمات وتوجهات التنمية العمرانية أثناء مرحلة التطور المبكر للمدينة المعاصرة، إلا أن بعض المواقع ظلت نقاط التقاء لم يتم حلها، بين النسيج المعاصر وما قبل المعاصر للقاهرة، ومن أجل تحديد سياسة حفاظ ملائمة ؛ فلابد من إلقاء المزيد من الضوء، بقدر أكبر من التفصيل، على الثابت والمتغير في المدينة ما قبل المعاصرة.

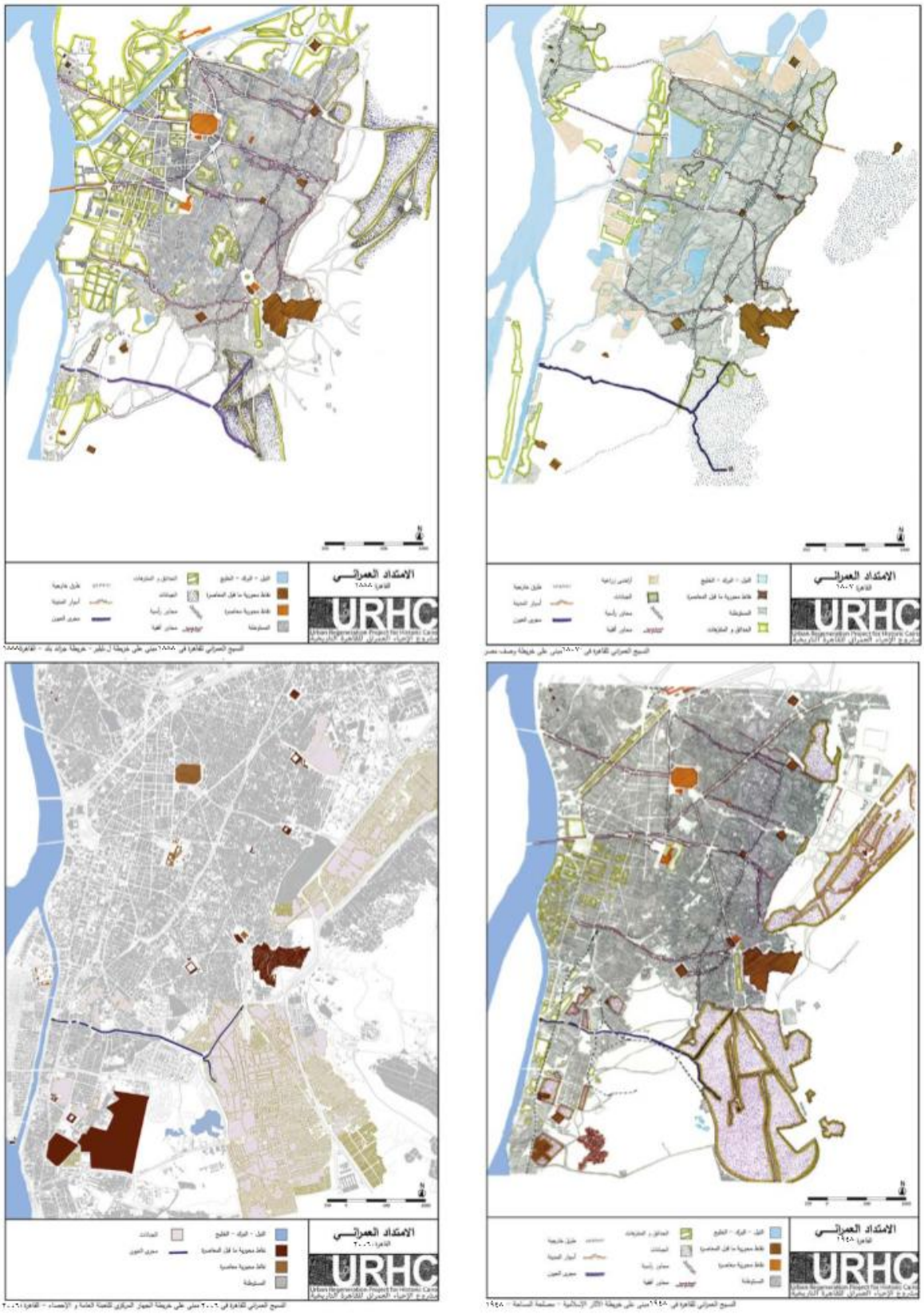

مخطط 3: تطور مدينة القاهرة التاريخية

5 2 4إدراج القاهرة في قائمة التراث العالمي:

سجلت القاهرة في قائمة التراث العالمي عام 1979 حسب المعايير (vi) (v) (i) [1].
إن المقارنة بين خريطة القاهرة (الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، 2006)، وخريطة الحملة الفرنسية (القاهرة في 1807)، تكشف عن النسيج ما قبل المعاصر الذي احتفظ بسماته (مثل النقاط المحورية وأنماط الشوارع والمناطق المبنية والفراغات) في إطار تطورات القرن التاسع عشر. استمرار وديمومة هذه السمات التي تبرر تسجيل الممتلك ضمن قائمة التراث العالمي وهوشرط للحفاظ على القيمة العالمية الاستثنائية للمتلك.

5 2 5 استراتيجية الإرتقاء[2]:

كان هناك ضرورة لوضع سياسة حفاظ شاملة واضحة التعريفات لحماية القاهرة التاريخية، وذلك من أجل الحفاظ على عناصر القيمة العالمية الاستثنائية المادية وغير المادية للممتلك. تتطلب سياسة الحفاظ التي ستشتمل عليها خطة الإدارة، وجود أدوات تخطيطية وخطط عمل تفصيلية مدعومة بقوانين ملائمة، هذه مهمة عاجلة تتطلب التنسيق بين مختلف الإدارت والهيئات المعنية لمنع المزيد من الأضرار اللاحقة بالنسيج العمراني. أظهر تقييم مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية لقيم التراث وجود حالات متباينة للحفاظ في الموقع، وألقى الضوء على الحاجة لجملة من إجراءات الحماية المختلفة، بناء على تقييم كل شياخة [3] على حدة. كما توصل التقييم إلى أن المناطق الفرعية تتطلب مستويات أعلى أو أقل من الحماية وكذلك «المناطق الهشة» داخل ممتلك التراث العالمي.
حدود مناطق الحفاظ لممتلك التراث العالمي التى يقترحها مشروع الإحياء العمرانى للقاهرة التاريخية كالآتي:

1. المنطقة 1: المناطق العمرانية المحمية ما قبل المعاصرة: وتشمل النسيج العمراني «ما قبل المعاصر»، حيث تم الحفاظ على نمط المناطق الارتكازية الشوارع التي يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع عشر.
2. المنطقة 2: المناطق العمرانية الانتقالية، ومنها النسيج «المعاصر» المنشأ بعد القرن التاسع عشر، متمثلة في أكثر الحالات عن طريق شق للشوارع الجديدة وردم للترع والبحيرات التي كانت تشغل النسيج «ما قبل المعاصر».
3. المنطقة 3: الجبانات الأثرية، وتشمل الجبانات الشمالية والجنوبية التي تحولت جزئيا إلى مناطق سكنية مدمجة، وأيضاً، غير ذلك من مناطق الدفن المجاورة لسور المدينة الشمالي.
4. المنطقة 4: مناطق التنقيب الأثري، وتشمل موقع الفسطاط الأثري وأجزاء أسوار المدينة التاريخية التي تم التنقيب عنها.
5. المنطقة 5: مناطق الحدائق والمناظر الطبيعية الخاضعة للحماية، ومنها حديقة الأزهر وغيرها من الحدائق داخل الموقع، والمناطق غير المطورة المحيطة بالقلعة.

تقييم قيم التراث العمراني أدى إلى اقتراح التنوع في إجراءات الحماية بالنسبة لمناطق الحفاظ، لاسيما في المناطق العمرانية «المحمية» و«الانتقالية» فيما يتعلق بعناصر التقييم المختلفة المستخدمة في الدراسة المسحية. بناء على التقييم الممنوح للشياخات، من المقترح تقسيم المنطقة 1 والمنطقة 2 إلى المناطق الفرعية الآتية:

---

[1] قائمة التراث العالمي، منظمة اليونيسكو، http://whc. unesco. org/en/list/.
[2] إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، مرجع سابق، ص 47-49.
[3] شياخة: منطقة.

- المناطق العمرانية ذات قيمة التراث الأعلى.
- المناطق العمرانية ذات قيمة التراث النسبية.

كما تم اقتراح إجراء تقسيم فرعي للمنطقة 3:

- الجبانات ذات النسيج العمراني المدمج تاريخيا والمتفاعل مع مناطق الدفن ومناطق تمركز الآثار.
- الجبانات التي تحتوي تاريخيا على مناطق دفن فيها آثار متناثرة في أنحائها، والتي شهدت مؤخرا تطوارت سكنية الطابع.

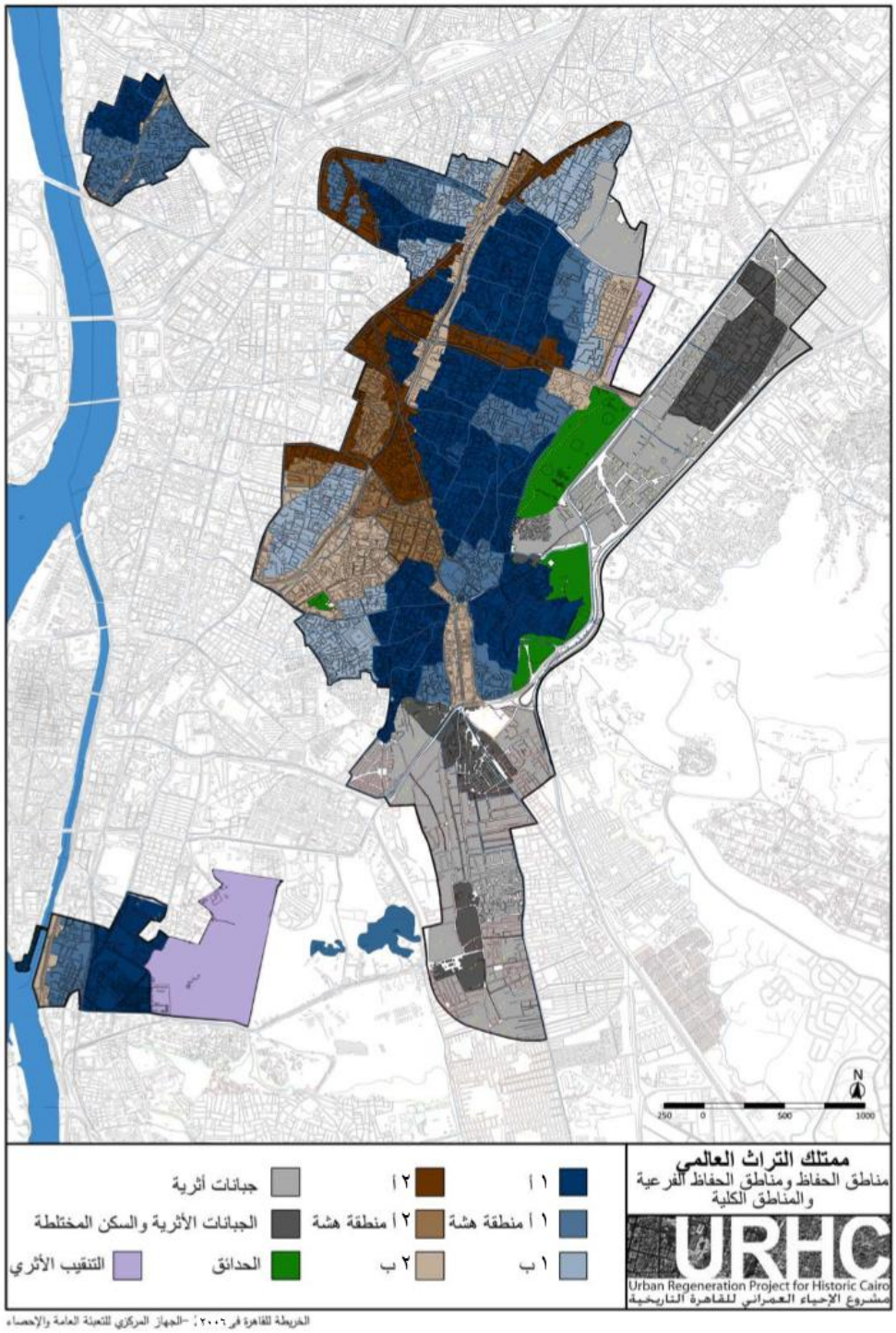

مخطط4 : مناطق الحفاظ في القاهرة التاريخية

من عناصر مشروع الإحياء العمر اني للقاهرة التاريخية الهامة، حملة التوعية الإ علامية لتسليط الضوء على القيم العالمية الاستثنائية للقاهرة التاريخية، ولتعزيز قيمها الثقافية والاجتماعية والنسيج العمراني والمعماري والحرف اليدوية والاحتفالات والأسواق، الحملة بدأت في عام 2013.
على مستوى المجتمع المحلي، عملت الحملة على تعزيز أواصر العلاقة بين السكان والقاهرة التاريخية، مع التركيز على دورهم في صيانة الموقع والحفاظ عليه ، وللوفاء بهذا الهدف سوف يتم اختيار «أدوات» وتطبيق «خطوات عمل» لتهيئة مزايا اجتماعية وثقافية واقتصادية لسكان القاهرة التاريخية، الهدف هوالتوعية بقيم التراث الخاصة على مستوى الجمهور الأوسع بالمدينة في اتصالها ببيان القيمة العالمية الاستثنائية ، وبسبب تنوع المخاطبين بالحملة، سوف يتم تصميم الحملة بحيث تخاطب احتياجات وتوقعات مختلف المجموعات.
كما وفرت الحملة «أدوات» لضمان التخطيط والتنفيذ الفعالين لخططها على المدى القصير والطويل على حد سواء. سوف تكشف هذه الأدوات عن ثراء النسيج العمراني التاريخي وأهمية الآثار في الموقع، مع إلقاء الضوء على تعايش مختلف الثقافات في الموقع، وكذلك الصلات المميزة بين المستوطنة التاريخية والتقاليد الحية فيها.

5 2 6الأهداف الاستراتيجية والأدوات لحملة التوعية بالقاهرة التاريخية:

الأهداف الرئيسية لحملة التوعية بالقاهرة التاريخية هي:

1. تعزيز وتحسين صورة وسمعة ممتلك التراث العالمي.
2. دعم وتقوية أواصر العلاقات بين مختلف المجموعات المستهدفة والموقع، لتشمل السكان، بمن فيهم ملّاك العقارات، والشخصيات القيادية بالمجتمع المحلي، والمجتمع المدني، بالإضافة إلى كافة السكان (مصريين وأجانب).
3. تشجيع وتحسين الأنشطة التقليدية (تجارية وثقافية) والفعاليات والاحتفالات التراثية.
4. رعاية ودعم التعريف بالتراث وإشر اك المتخصصين في إعادة تأهيل القاهرة التاريخية.
5. التشجيع على سياحة التراث الثقافي وتحسين إمكانية التنقل في أرجاء الموقع وتسهيل الوصول إليه.
6. توجيه المستثمرين نحو الاستثمار في التدخلات المستدامة لإفادة الموقع.

شكل8 : أطفال في منطقة سوق السلاح في القاهرة

الأدوات الاستراتيجية:

تشتمل الحملة على جملة من الأدوات للوفاء بأهدافها:

1. العلاقات العامة/الوسائط المتعددة (مالتي ميديا).

من الضروري إعداد استراتيجية شاملة للعلاقات العامة والوسائط المتعددة (المالتي ميديا) من أجل المساعدة في ترويج مفهوم الحفاظ على التراث العمراني ومزايا الموقع للجمهور الأوسع.

2. الشعار والعلامة التجارية.

تم تصميم شعار عام للقاهرة التاريخية ليكون بداية لعملية خلق علامة تجارية للموقع. تحسين وتوسيع مدى المعرفة بصورة ممتلك التراث العالمي سوف يساعد الزوار في التعرف على عناصر الجذب والمبادرات والمشاريع الخاصة بالموقع، بما يدعم قيم التراث الخاصة بالقاهرة التاريخية.

شكل9 : شعار مشروع الحفاظ والإدارة في القاهرة التاريخية

3. التعليم.

ثمة حاجة ماسة لأدوات تعليمية قوية من أجل تمكين الأجيال الجديدة من المشاركة في الحفاظ على التراث، وليكونوا على دراية بالمخاطر التي تهدد التراث الثقافي لممتلك التراث العالمي.

4. أنشطة تفاعلية:

يمكن للأنشطة التفاعلية التي تستهدف قطاعات من الجمهور تعزيز التوعية بالقاهرة التاريخية وأن تدعم تعريف المجتمع المحلي بتراثه مع تشجيع الأطراف المعنية على المشاركة في حماية الموقع. حيث نجد أن مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية ركّز على ثلاثة محاور أساسية هي إعادة تنظيم القاهرة التاريخية بما يتناسب مع متطلبات الحفاظ وإعادة تأهيل المحاور والمباني التاريخية وأخيرا توعية الرأي العام والمجتمع المحلي بأهمية عملية الحفاظ وإعادة التأهيل.

3 5 تجارب محلية (المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية "دمشق القديمة"):

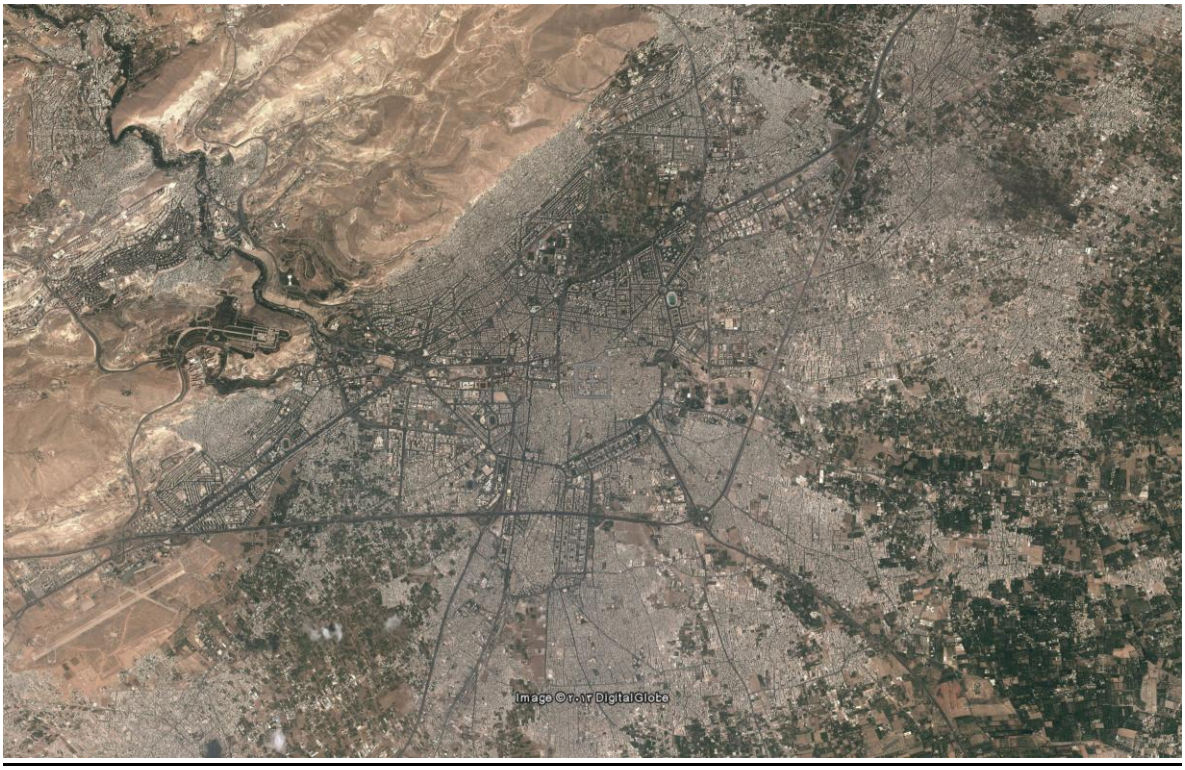

شكل 10: صورة جوية لمدينة دمشق

5 3 1 مقدمة تاريخية[1]:

تعتبر دمشق أقدم مدينة مازالت مأهولة في العالم وأقدم عاصمة في التاريخ مازالت مأهولة حتى الآن، وقد احتلت مكانة مرموقة في مجال العلم والثقافة والسياسة والفنون والأدب خلال الألف الثالث قبل الميلاد. ويعرف أنه في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، أسس الزعيم الآرامي ريزون مملكته في دمشق وكانت عاصمة له، وكانت مركزا للمنطقة على ما يبدو في ذلك الوقت. كانت عاصمة في مراحل وحضارات كثيرة في تاريخها الطويل وأصبحت عاصمة الدولة الأموية أكبر دولة إسلامية في التاريخ عام 661 في عهد الأمويين. هي إحدى عواصم بلاد الشام الأربع، وهي أيضا إحدى المدن الشامية القديمة التي أصبحت عاصمة المملكة العربية السورية التي شملت كامل بلاد الشام عام 1920 ومن ثم الجمهورية العربية السورية بعد استقلالها في العام 1946عن فرنسا.

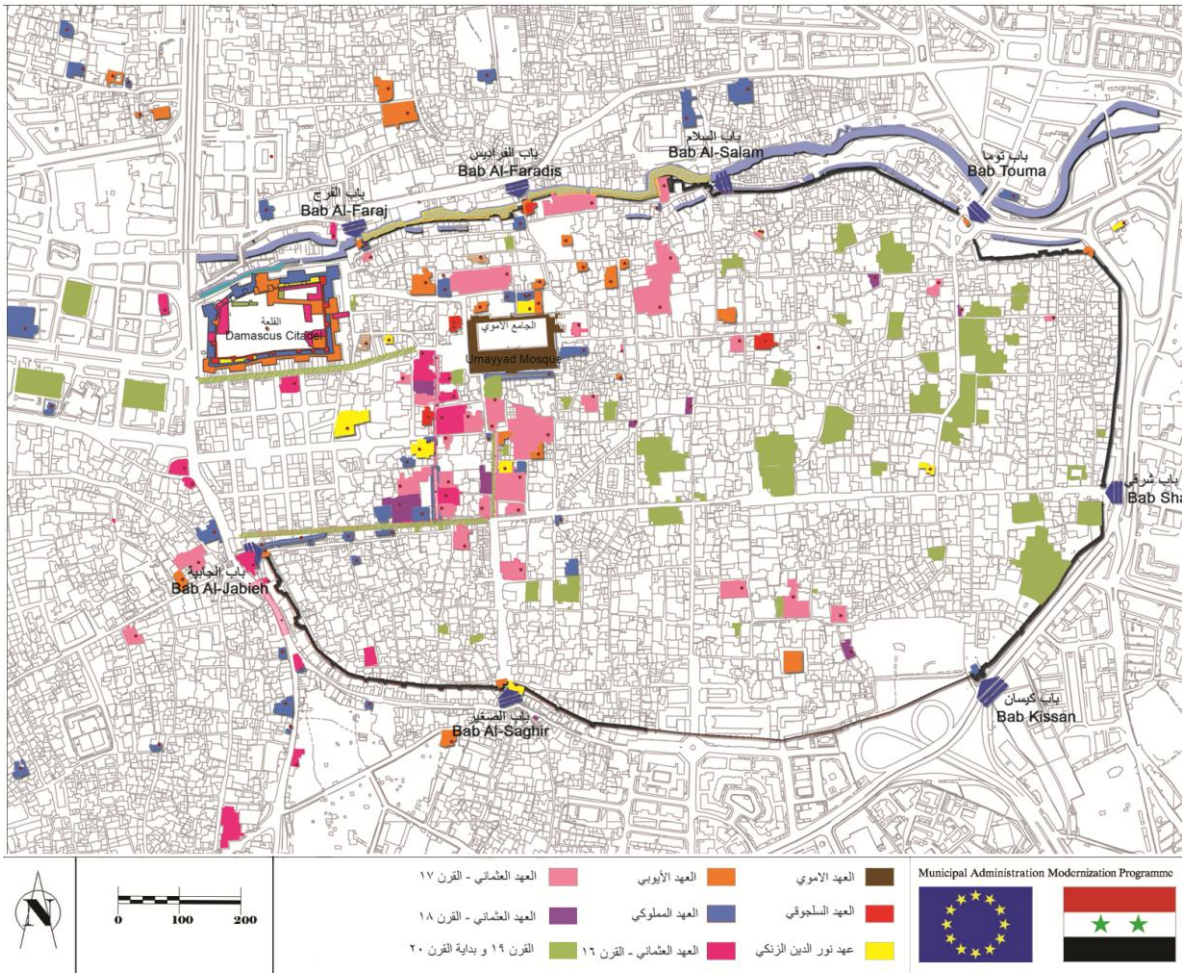

مخطط 5: المباني التاريخية التي تعود لحقب مختلفة

5 3 2 وصف عام لمدينة دمشق[2]:

دِمَشْق هي عاصمة الجمهورية العربية السورية ومركز محافظة دمشق. تبلغ مساحتها 105 كم2، كما تعتبر ثاني أكبر المدن السورية من حيث عدد السكان بعد حلب، ويتجاوز عدد سكانها مع الضواحي 2. 6 مليون نسمة عام 2009. تقع المدينة على خط طول 33 شرق، ودائرة عرض 36 شمال،

[1] https://ar. wikipedia. org/wiki/دمشق

[2] المرجع السابق.

حيث يقع جزء منها على سفوح جبل قاسيون والقسم الآخر الأكبر بما فيه دمشق القديمة، يقع على الضفة الجنوبية لنهر بردى. بينما تأخذ الأحياء الراقية للمدينة بالتوسع إلى جهة الشمال والشمال الغربي، تمتد الأحياء الأفقر باتجاه الشرق والجنوب، شغلت المنطقة مباني خدمية وأبنية سكنية حديثة منذ فترة خمسينات القرن الماضي، تحيط بها بساتين غوطة دمشق وجبل قاسيون وربوة دمشق، ترتفع المدينة عن سطح البحر بمعدل 680 متر، تُعرف أيضاً بأسماء الشام ومدينة الياسمين. تعتبر المدينة المركز الإداري والتعليمي للدولة ومن أهم المراكز الاقتصادية فيها. توجد فيها مقار الوزارات ومعظم المؤسسات الكبرى والسفارات الأجنبية وممثليات لمنظمات دولية.

The Hamidiyyeh Market in Old Damascus in 1890, named after Sultan Abdulhamid II.

شكل 11: سوق الحميدية 1890

5 3 3 تطور المدينة:

تمتد المدينة القديمة داخل الأسوار على مساحة تقارب 128 هكتاراً ولها تعداد سكاني بلغ حاليا 26 ألف نسمة[1].

تقع المدينة القديمة داخل السور ضمن مدينة دمشق والتي يقدر عدد سكانها 1,552,000 نسمة[2]، وتمثل ثلث المساحة الحقيقية لمدينة دمشق التاريخية فقط.

[1] استبيان برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM 2008/2007

[2] المكتب المركزي للإحصاء, تعداد 2004.

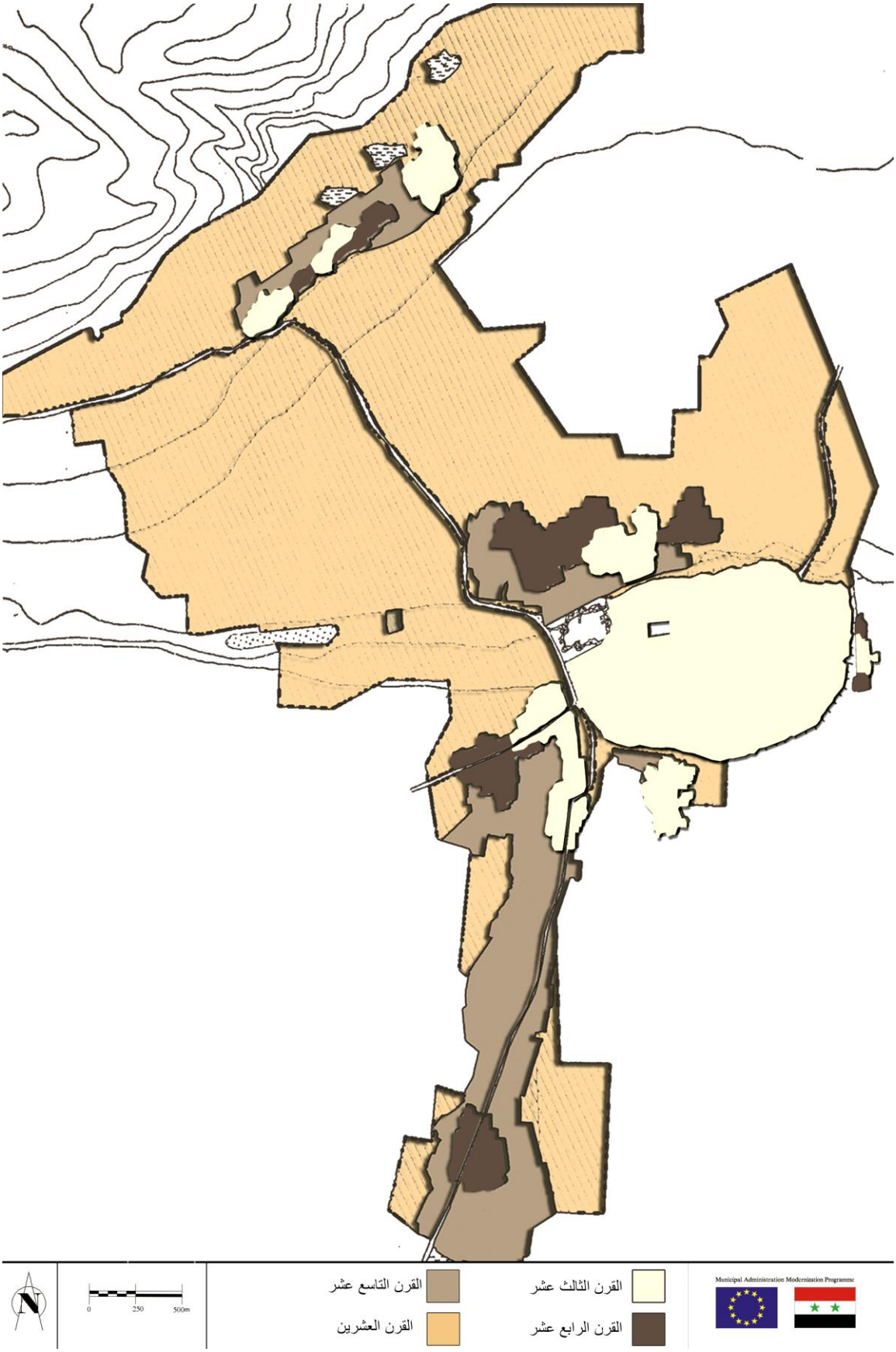

مخطط 6: تطور مدينة دمشق

أولاً- مخطط عام 1937م[1]:

صدر أول مخطط تنظيمي لمدينة دمشق عام 1937 كما صدر عام ١٩٣٨ نظام بناء جديد لها وجرى في أعقاب الحرب العالمية الثانية إدخال كثير من التعديلات عليه فصدر بموجب القرار رقم ٩٧ بتاريخ 1948/2/18 نظام بناء جديد تضمن تقسيم أراضي محافظة مدينة دمشق الممتازة إلى تسع مناطق عمرانية:

- منطقة الأحياء السكنية القديمة.
- أربع مناطق للأحياء السكنية الحديثة (قصور-أولى-ثانية-ثالثة).
- منطقة تجارية.
- منطقتان صناعيتان.
- منطقة البساتين.

ثانياً- المخطط التنظيمي لدمشق الكبرى إيكوشار- بانشويا عام 1968م[2]:

ركَّزَ المخطط التنظيمي لمدينة دمشق الذي وضعه ميشيل ايكوشار (Michel Ecochard) وجيوشي بانشويا (Gyoji Banshoya) في العام 1968 بشكل رئيسي على التوسع المنتظم للمدينة الحديثة وحدد برنامجاً طموحاً للتنمية. ففي دمشق القديمة تم فرض حماية ضعيفة للضواحي التاريخية وتوسيع عدد قليل من الطرق لتسهيل دخول المركبات إلى المدينة داخل السور، وبشكل خاص إلى الجامع الأموي.

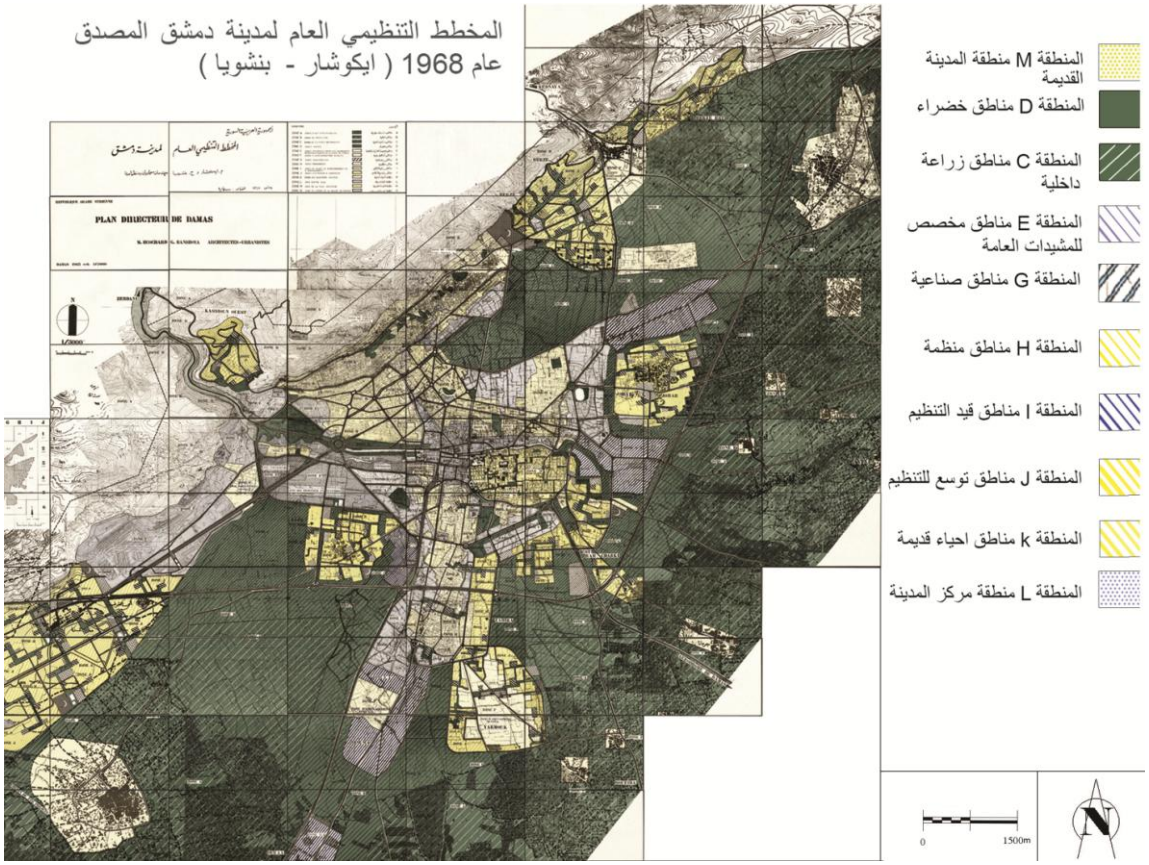

مخطط 7: المخطط التنظيمي لدمشق الكبرى 1968

[1] دينا الجابي، الاتجاهات المستقبلية الفضلى لتوسع مدينة دمشق بمساعدة تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، العدد 1، المجلد 25، دمشق 2009، ص 426-428.

[2] المرجع السابق.

5 3 4 إدراج دمشق في قائمة التراث العالمي:

بناء على اقتراح المديرية العامة للآثار والمتاحف سجلت مدينة دمشق داخل السور على قائمة التراث العالمي في الجلسة الثالثة للجنة التراث العالمي (من 23 إلى 26 تشرين الأول 1979) حيث أخذت بعين الاعتبار التحفظ الذي أبداه المجلس الدولي للآثار والمواقع "ايكوموس" (ICOMOS) فيما يتعلق بتهديد الموقع بسبب النمو العمراني السريع.

وقد سجلت مدينة دمشق وفق المعايير (i) (ii) (iii) (iv) (vi)[1].

5 3 5 استراتيجية الإرتقاء[2]:

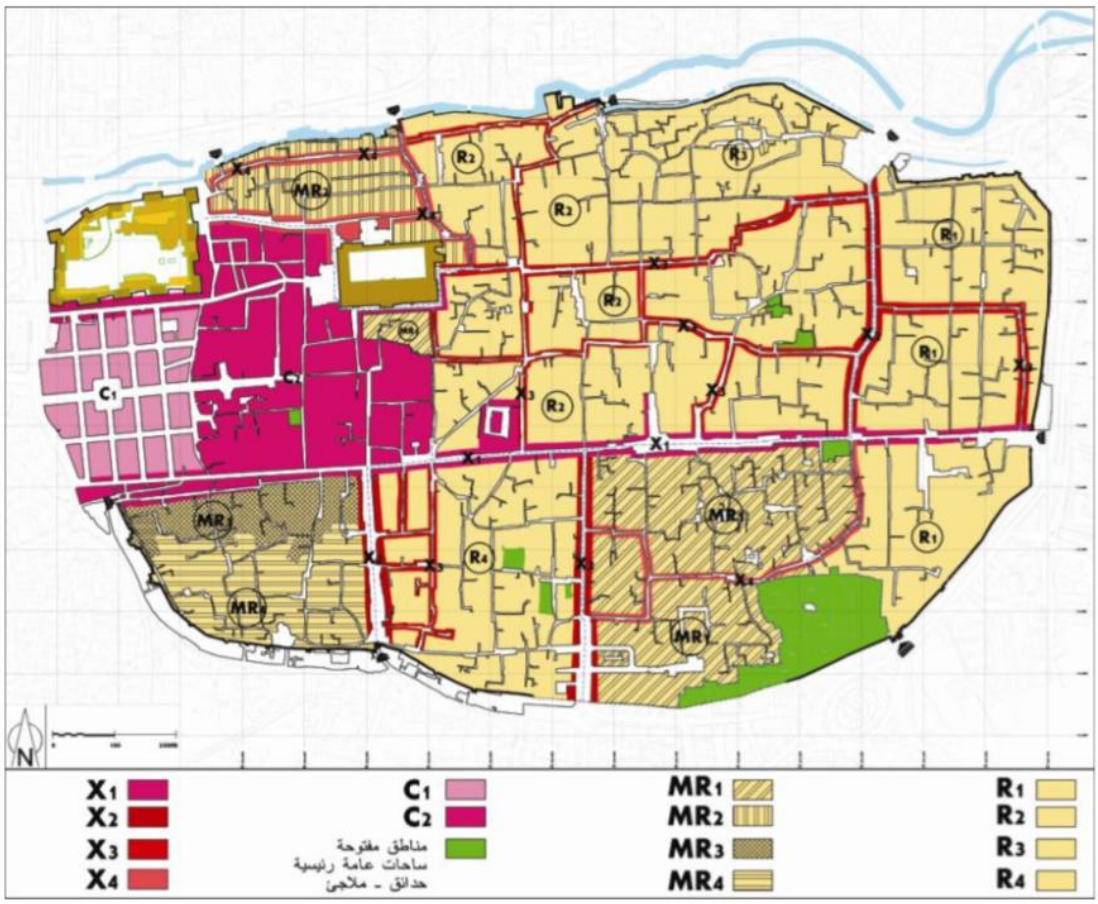

مخطط 8: المخطط التوجيهي المرحلي لمدينة دمشق القديمة 2008

تبنّت محافظة دمشق في تموز 2008 المخطط التوجيهي المرحلي للمدينة القديمة الذي قام بالتمييز بين استعمالات الأراضي على النحوالتالي:

للاستعمالات السكنية التقليدية.

- المناطق (R1-R2-R3-R4) للاستعمالات التجارية في القسم الغربي.
- المناطق (C1-C2) مناطق مختلطة الاستعمالات تضم الاستعمال السكني والتجاري معاً.
- المناطق (MR1-MR2-Mr3-MR4) لتنظيم التحول المحتمل إلى الاستعمال غير السكني وبحسب معطيات السوق.

[1] قائمة التراث العالمي، منظمة اليونيسكو، http://whc. unesco. org/en/list/.

[2] برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، دمشق، 2008/2007، ص 92-93.

إضافة إلى تقسيم الشوارع الرئيسية في المدينة داخل السور إلى محاور حيث تم تعريف استعمالات متنوعة:

- (X1) استعمال تجاري على طول شارع مدحت باشا.
- (X2) استعمالات تجارية وسياحية.
- (X3) استعمالات الحرف التقليدية والسياحية.
- (X4) استعمالات سياحية، ثقافية وحرف تقليدية.

يتم منح رخص توظيف المطاعم والمقاهي والفنادق حاليا من قبل مديرية دمشق القديمة وفق المخطط التوجيهي المرحلي المصدق وقد يتم العرض على اللجنة الفنية لبعض الحالات الخاصة وفق نظام البناء المعتمد وذلك في انتظار صدور المخطط التفصيلي والذي يتم العمل عليه من خلال برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM بالتعاون مع مديرية دمشق القديمة.
من المهم هنا أن نعرض ما تم من تقييم بما يتعلق بتطور المدينة القديمة وحمايتها حيث أوضحت لجنة التراث العالمي في تقريرها الصادر في نيسان 2008 (الوثيقة COM32) اليونسكو، عن اهتمامها بالنقاط التالية ذات الصلة بالتوجهات التنموية في المدينة داخل السور ومستوى الحماية الواجب تطبيقه في موقع التراث العالمي:

- عدم تحديد منطقة حماية للمدينة القديمة.
- الحاجة إلى صياغة حلول أكثر علمية لتقييم النتائج الأثرية في ضوء تحسينات البنية التحتية المخططة.
- تحسين الساحات العامة بطريقة تحترم وتبرز القيمة التراثية للبقايا الأثرية والتراث العمراني والمعماري.
- تطوير استراتيجية شاملة للحفاظ وإعادة تأهيل المساكن.
- تبني عملية شاملة للنقل والمرور تعمل على تحسين الدخول إلى المدينة وبنفس الوقت تحفظ نسيجه العمراني.
- مراجعة مخطط الحفاظ والتنمية ليشمل التطبيق لمزيد من الأنظمة الملائمة المفصلة، والتي من ضمنها الاستعمال الإلزامي للمواد والتقنيات التقليدية في أعمال الترميم.

اشتملت توصيات العمل في المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية في دمشق القديمة على تطوير وتفصيل المخطط التوجيهي المرحلي 2008 للمدينة داخل السور، والذي تم تنفيذه كجهد مرحلي لمواجهة القضايا الملحة للتطور السريع وسبق تلك المرحلة جهد مكثف لجمع البيانات والتحليلات انطلق في نهاية 2007 واكتملت في بداية 2009 والتي قدمت دراسة تفصيلية بالاعتماد على الاستبيان الاجتماعي الاقتصادي إضافة إلى دراسات تشمل جميع الاختصاصات.

شكل 12: دمشق القديمة -باب توما- بعد عملية الترميم

5 3 6 الأهداف الاستراتيجية[1]:

يهدف المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية في مدينة دمشق القديمة للعمل على تحقيق استراتيجيات أساسية كما يلي:

1. وضع إستراتيجية بعيدة المدى لإحياء عملية تطور المدينة داخل السور وضواحيها التاريخية معا كجزء ثقافي واجتماعي واقتصادي متكامل من تطور مدينة دمشق الكبرى بل وترتفع أهمية هذه الإستراتيجة في تكاملها إلى مستوى الجمهورية العربية السورية.
2. حماية المدينة داخل السور و"مناطق حمايتها" المحددة حديثاً من ضغوط التنمية الخارجية بشكل فاعل والحفاظ عليها كوحدة عمرانية متكاملة.
3. تحقيق التوازن بين حماية التكامل التاريخي وعمليات التنمية الحديثة الضرورية لاستدامة المدينة داخل السور كعنصر فاعل ضمن مدينة دمشق التاريخية.
4. دعم مديرية دمشق القديمة (الجهة المسؤولة مباشرة عن المدينة القديمة) بالموارد الم الية والتقنية اللازمة لتحديد ومباشرة استراتيجية التدخلات اللازمة لتنفيذ رؤية طويلة الأمد.
5. تبنّي ضوابط متجانسة لإعادة التأهيل لتحسين أوضاع المباني الجديدة لتتناسب من حيث كتلتها وشكلها مع محيطها التاريخي في المدينة داخل السور ومناطق حمايتها.
6. ضمان عملية اتخاذ قرارات عادلة وشفافة تشجع مساهمة كل الأطراف المعنية.
7. تنمية الفعاليات السياحية من خلال تفعيل دور السياحة الثقافية للفعاليات التاريخية الموجودة، وذلك ضمن إطار الحفاظ على القيمة التاريخية لهذه الفعاليات.

[1] برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، مرجع سابق، ص 93-95.

8. الحفاظ على التكامل البيئي والحد من أشكال تلوث الماء والهواء والضجيج.
9. التركيز على اعتبار المدينة القديمة منطقة متكاملة للمشاة والحد من استخدام السيارات فيها بضوابط وإجراءات معينة.
10. تطبيق معايير الترميم وإعادة البناء في تأهيل المباني داخل السور وتقديم مقترحات تحسينات معمارية للمباني في الضواحي التاريخية. وتأمين مواد البناء التقليدية وتدريب حرفيي البناء.
11. تنظيم وإدارة برامج نوعية لتوعية وتثقيف المجتمع.
12. تشجيع الاستثمارات الخاصة والتعاون بين القطاع الخاص والعام.

أهمية مدينة دمشق القديمة تكمن في استثمار دورها الثقافي والتاريخي الذي يؤثر إيجابا على المدينة خصوصا وعلى الجمهورية بشكل عام.

4 5 المتغيرات الثقافية ودورها:

التجربة	المتغيرات المستخدمة	استراتيجية التنمية
مخطط الحفاظ لمدينة هوتونغ بيجين	في مدينة هوتونغ تم الاستفادة بشكل كبير من تخطيط المدينة وأهميتها التاريخية داخل مدينة بيجين وأكد مخطط الحفاظ على ضرورة الاستفادة من الموارد الثقافية الموجودة حيث شمل المخطط إعادة تأهيل وترميم مجموعة من الأبنية المربعة ذات الأهمية والحفاظ على طابع المدينة مع التركيز على دور المجتمع في ذلك. حيث تعتبر هوتونغ مدينة تاريخية تراثية قديمة لها طابعها المعماري الخاص وأسلوب معماري وعمراني خاص بها ففيها النموذج العام المنتشر هوالبيوت المربعة للعائلات الكبيرة وتخطيط الشوارع يكون على شكل أزقة وشكل المدينة مربع، ويوجد لمدينة هوتونغ موارد ثقافية غير مادية وموارد عملية خاصة بها عادات وتقاليد وطقوس خاصة بسكانها تنبع من طبيعتهم وطبيعة عقائدهم.	منطقة المدينة القديمة داخل الطريق الدائري الثاني تتألف من أربعة مقاطعات يتم التعامل معها من قبل إدارة المدينة القديمة وعدد من الإدارات التي تشتمل على لجنة تخطيط العاصمة ولجنة بكين لتخطيط المدن ومكتب مدينة بكين للآثار الثقافية ومكتب مدينة بكين للإسكان والبناء. وتحتاج قضايا تخطيط مدينة بكين للموافقة عليها من قبل مجلس الدولة. وقسمت إدارة المدينة إلى: إدارة تخطيط المدن - حماية الآثار الثقافية - إدارة الإسكان - الإدارة الاقتصادية - الأمن العام وإدارة السكان - إدارة البيئة والنظافة - الإدارة الخضراء - السياحة
مشروع الإحياء العمراني للقاهرة	في مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية تم التأكيد على	أظهر تقييم مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية لقيم التراث وجود حالات متباينة للحفاظ

التاريخية	الأهمية الثقافية والتاريخية للقاهرة والاستفادة من تعاقب الحضارات والثقافات عليها بدء من الفاطميين وحتى العصر الحديث وتم التأكيد على أهمية دور المتغيرات الثقافية حيث شملت خطة التنمية العديد من فرص التنمية الثقافية كالإعلام والترويج للسياحة التاريخية والدور التاريخي للقاهرة والمهن اليدوية المحلية التي ترتبط بتراث المنطقة وتنمية المجتمع المحلي والتأكيد على دوره وصولا إلى إعادة تأهيل وترميم المدينة بشكل عام والمباني التراثية الهامة بشكل خاص. فللقاهرة تعتبر مدينة ثرية من حيث الآثار والقطع الفنية الأثرية والنسيج العم راني، بما يعبر تمام التعبير عن تاريخ القاهرة الطويل بصفتها عاصمة سياسية وثقافية وتجارية ودينية مهيمنة ورائدة في الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض المتوسط وفيها العديد من العناصر المعمارية والعمرانية التي تغني التراث العالمي. لقد أدى موقع القاهرة الاستراتيجي على حافة الدلتا بين نهر النيل (شرقا) وجبل المقطم (غربا) وكثرة الموارد الثقافية الطبيعية إلى التفاعل البشري المستمر مع الموقع، مما أدى إلى تشكيل المستوطنات وال عمران الخاص بالمكان.	في الموقع، وألقى الضوء على الحاجة لجملة من إجراءات الحماية المختلفة، بناء على تقييم كل شياخة على حدة. كما توصل التقييم إلى أن المناطق الفرعية تتطلب مستويات أعلى أو أقل من الحماية وكذلك «المناطق الهشة» داخل ممتلك التراث العالمي. من عناصر مشروع الإحياء الع مراني للقاهرة التاريخية الهامة، حملة التوعية لتسليط الضوء على القيم العالمية الاستثنائية للقاهرة التاريخية، ولتعزيز قيمها الثقافية والاجتماعية والنسيج العمراني والمعمار ي والحرف اليدوية والاحتفالات والأسواق. الحملة بدأت في عام 2013.
المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية "دمشق القديمة"	يشمل الإرث العمراني في المدينة التاريخية على إرث روماني يظهر في الشكل المتعامد للشوارع الرئيسية، وآثارٍ لمبانٍ تاريخية متعددة تعود لتلك الفترة. تحوي 110 أبنية مسجلة كمباني أثرية استناداً لقانون الآثار السوري [1]، 69 منها يقع داخل الأسوار، وتقع مسؤولية حمايتها	يعرض المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية في دمشق القديمة سلسلة التدخلات الضرورية لحماية موقع التراث العالمي وفي الوقت نفسه الحفاظ على دور المدينة القديمة كمركز اقتصادي حيوي ومنطقة سكنية متنوعة الدخل، كما يقترح أيضا سلسلة من التدخلات في منطقة الحماية خارج السور، تهدف إلى تحسين الدورة المرورية وتأمين مواقف السيارات وتأمين المساعدة للفعاليات المكملة.

[1] مرسوم تشريعي 222 الصادر في 1963/01/26

	على عاتق المديرية العامة للآثار والمتاحف. تنوعت هذه المباني ما بين مواقع أثرية ضخمة كالمسجد الأموي وقلعة دمشق وقصر العظم ومساجد صغيرة وكنائس وكنس ومدارس وحمامات وخانات وبيوت. كما وتحتوي المدينة القديمة على أربعة متاحف تشرف عليها وزارة الثقافة، هي: متحف التقاليد الشعبية في قصر العظم - متحف الوثائق التاريخية في بيت خالد العظم - متحف الطب العربي في البيمارستان النوري - متحف الخط العربي في المدرسة الجقمقية. كل هذه الموارد الثقافية مع اختلاف أهميتها شكلت فرصا تنموية تمت الاستفادة منها في مخطط الحفاظ والتنمية إضافة إلى أن المخطط أكد على إدارة الموقع بشكل متكامل لاستثمار كافة الموارد الثقافية الموجودة المادية الثابتة والمنقولة وغير المادية والعملية والطبيعية.	يصنف المخطط التدخلات بين مشاريع مادية ضخمة أو مجرد تدخلات بسيطة، وتأمين المساعدة الفنية وتنظيم التمويل بقروض منخفضة الفائدة لأصحاب الملكيات لمساعدتهم في أعمال الإصلاحات والتحسينات.

جدول 1: مقارنة بين التجارب العالمية

5 5 خلاصة الفصل:

درست الباحثة في هذا الفصل مجموعة من التجارب العالمية والعربية والمحلية في عملية الحفاظ والتنمية تتشابه مع الحالة الدراسية للبحث –مدينة معلولا- من حيث القيمة العالمية الاستثنائية وأهمية الموارد الثقافية الموجودة فيها.

فعلى الصعيد العالمي مدينة هوتونغ بيجين في الصين تعد من أقدم المدن الآهلة بالسكان ولها إرث ثقافي وإنساني كبير يتلخص بالسكان المحليين إضافة إلى أن هوتونغ مدينة تاريخية تراثية قديمة لها طابعها المعماري الخاص وأسلوب معماري وعمراني خاص بها ففي ها النموذج العام المنتشر هوالبيوت المربعة للعائلات الكبيرة وتخطيط الشوارع يكون على شكل أزقة وشكل المدينة مربع، ويوجد لمدينة هوتونغ موارد ثقافية غير مادية وموارد عملية خاصة بها عادات وتقاليد وطقوس خاصة بسكانها تنبع من طبيعتهم وطبيعة عقائدهم. وفي استراتيجية التنمية قسمت إدارة المدينة فيها إلى: إدارة تخطيط المدن - حماية الآثار الثقافية - إدارة الإسكان - الإدارة الاقتصادية - الأمن العام وإدارة السكان - إدارة البيئة والنظافة - الإدارة الخضراء – السياحة.

أما على الصعيد العربي فقد تم اختيار مدينة القاهرة التاريخية وسياسة الحفاظ والتنمية المتبعة فيها لما فيها من خصائص مميزة بدء من طبيعة السكان وطرز البناء المتنوعة الموجودة فيها والتي تعود

لعصور مختلفة فللقاهرة تعتبر مدينة ثرية من حيث الآثار والقطع الفنية الأثرية والنسيج العم راني والعادات والتقاليد السائدة ومن أهم ما جاء في استراتيجية التنمية، حملة التوعية بأهمية القاهرة التاريخية والقيمة الاستثنائية العالمية لما تحويه من موارد ثقافية بكافة أنواعها المادية الثابتة والمنقولة وغير المادية والعملية والطبيعية. على مستوى المجتمع المحلي، عملت الحملة على تعزيز أواصر العلاقة بين السكان والقاهرة التاريخية، مع التركيز على دورهم في صيانة الموقع والحفاظ عليه. للوفاء بهذا الهدف تم اختيار «أدوات» وتطبيق «خطوات عمل» لتهيئة مزايا اجتماعية وثقافية واقتصادية لسكان القاهرة التاريخية. الهدف هوالتوعية بقيم التراث الخاصة على مستوى الجمهور الأوسع بالمدينة في اتصالها ببيان القيمة العالمية الاستثنائية. بسبب التنوع في المخاطبين بالحملة، تم تصميم الحملة بحيث تخاطب احتياجات وتوقعات مختلف المجموعات.

أما على الصعيد المحلي فكان مشروع المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية لمدينة دمشق القديمة خير نموذج يمكن دراسته لما لمدينة دمشق من أهمية محلية وعربية وعالمية باعتبارها أقدم عاصمة مازالت مأهولة بالسكان حتى الوقت الحاضر ولكثرة الحضارات التي تعاقبت عليها منذ فجر التاريخ حتى الآن. فهي تحوي الكثير من الموارد الثقافية التي تشكل مع اختلاف أهميتها فرصا تنموية تمت الاستفادة منها في مخطط الحفاظ والتنمية إضافة إلى أن المخطط أكد على إدارة الموقع بشكل متكامل لاستثمار كافة الموارد الثقافية الموجودة. ويعرض المخطط المتكامل للحفاظ والتنمية في دمشق القديمة سلسلة التدخلات الضرورية لحماية موقع التراث العالمي وفي الوقت نفسه الحفاظ على دور المدينة القديمة كمركز اقتصادي حيوي ومنطقة سكنية متعددة الدخل، كما يقترح أيضاً سلسلة من التدخلات في منطقة الحماية خارج السور، تهدف إلى تحسين الدورة المرورية وتأمين مواقف السيارات كما تأمين المساعدة للفعاليات المكملة. يصنف المخطط التدخلات بين مشاريع مادية ضخمة أو مجرد تدخلات بسيطة، وتأمين المساعدة الفنية وتنظيم التمويل بقروض منخفضة الفائدة لأصحاب الملكيات لمساعدتهم في أعمال الإصلاحات والتحسينات.

وبالتالي إن دراسة أي حالة تتم من خلال عدة معايير تاريخ ثقافي، طبيعي، اقتصادي، معماري وعمراني ومن خلال الموارد الثقافية المتاحة مكانيا بأنواعها، والتي يجب الاستفادة منها في رسم خطط التنمية الخاصة بالمنطقة المدروسة إضافة إلى خصوصية كل منطقة وخطة الإدارة القابلة للتطبيق فيها، وبدا ذلك جليا في الحالات الثلاث السابقة. وهذا ما سيتم تطبيقه على الحالة الدراسية في الفصل القادم –مدينة معلولا- حيث سيعرض البحث أهمية مدينة معلولا ومعايير اختيارها كحالة للدراسة. وينتقل بعدها لدراسة الموارد الثقافية في معلولا بأنواعها ومناقشتها وتحديد تراتبيتها والآلية المثلى لاستغلالها في العملية التنموية لاستخلاص نتائج عامة تبين تراتبية البعد الثقافي في العملية التنموية لأي منطقة وفي رسم الخارطة التنموية الوطنية.

الفصل السادس

دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية دراسة الحالة /معلولا/

مدخل الجزء العملي:

تطرق البحث في الجزء النظري إلى دراسة دور المتغيرات الاجتماعية والثقافية ودور الأسرة في عملية التنمية الحضرية المستدامة بشكل نظري وطريقة استثمار الموارد الثقافية والخصائص المجتمعية لأي جماعة في عملية الارتقاء بالمناطق التاريخية وتنميتها بصورة تحافظ على هويتها الثقافية وتزيد من فعاليتها الاقتصادية وفي هذا الفصل سيقوم البحث بإسقاط الدراسة النظرية السابقة على بلدة معلولا بمقوماتها وإمكانياتها التاريخية التراثية المادية والمعنوية للخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات الشاملة ورؤى استشرافية لمستقبل البلدة لتفعيل اقتصادها وجذب الاستثمارات إليها.

استخدام نظم المعلومات الجغرافية:

يُعد موضوع توثيق المناطق الهامة والمواقع التراثية، أحد الوسائل الهامة في عملية الحفاظ عليها واستمرارها، وتعد الخرائط من أهم الجوانب التي يمكن أن تسهم في عملية التوثيق جغرافياً؛ تشمل قواعد البيانات الجغرافية أكثر من تمثيل خرائطي، فهي قواعد بيانات للمباني التي تشملها هذه المواقع من معلومات وبيانات، بعضها مربوط بمواقع جغرافية، إحداثيات محددة، والأخرى تأخذ أشكالاً مختلفة، مثل: الجداول والصور والأفلام، ووثائق خطية وخرائطية؛ وتتميز تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS[1] بالقدرة الفعالة في توثيق هذه المواقع، كمخزن رقمي، إضافة إلى القدرات التحليلية المتميزة لهذه البيانات، التي تقدمها هذه النظم.

يعتمد توثيق المواقع الأثرية على المساحة التصويرية، حيث تعتبر المساحة التصويرية الجوية والفضائية أهم عمليات المسح الأرضي للمواقع الأثرية، للحصول على بيانات تفصيلية دقيقة والتي تسهم في الحصول على البيانات الأساسية اللازمة لإنتاج تمثل الموقع باستخدام برمجيات نظم المعلومات الجغرافية، إلى جانب المعلومات الكمية، خاصة لإجراء العمليات التحليلية.

وتتجلى أهمية نظم المعلومات الجغرافية من خلال بناء قاعدة بيانات جغرافية يمكن من خلالها المساعدة في إد ارتها وتنميتها والحفاظ عليها بهدف استمراريتها ، والوصول إلى توثيق شمولي لها، وفقاً لتعدد المجالات التطبيقية المستخدمة، وتعتمد هذه الاستخدامات على اختلاف وجهات النظر حول تحديد وتصنيف الأهداف التطبيقية لها من خلال توفير قاعدة بيانات شمولية تتصف بالديمومة والمرونة الكافيه لتحديثها وتطويرها.[2]

نظام المعلومات الجغرافية:

يعد نظام المعلومات الجغرافية GIS طريقة لتنظيم المعلومات باستخدام الحاسوب وربطها بمواقعها المكانية، وهذا يعني التعامل مع البيانات من حيث إدخالها وتخزينها و استرجاعها ومعالجتها، إذ تقود هذه العمليات إلى بناء نظام بيانات مكون من طبقات تكون بهيئة خرائط لمنطقة معينة تشترك جميعها بالحدود نفسها على سطح الأرض.

ويتصف البرنامج بميزات ذات أهمية كبيرة منها إستيعاب مقدار كبير من البيانات المكانية والوصفية، وخزن وعرض المعلومات التي يمكن ربطها مع الموقع الجغرافي، وفق نظام إحداثيات معين وبذلك يمتلك ميزة مهمة هي ربط المعلومة بالموقع؛ فهو نظام لرسم الخرائط وإجراء عمليات تحليل التوزيع الجغرافي للبيانات المكانية بواسطة البيانات الوصفية المرتبطة بها وبالعكس، لمناطق واسعة تمثل العالم، أو جزءاً منه وبتفاصيل كبيرة أوصغيرة وبأية تقسيمات فرعية مثل: حدود سياسية أو إدارية، مناطق الإحصاء، مناطق البريد، مناطق إقليمية أو مشاريع وغير ذلك.

---

[1] GIS: Geographic Information System

[2] James A. Delle, A Good and Easy Speculation": Spatial Conflict, Collusion, and Resistance in Late 16th-Century Munster, Ireland, International Journal of Historical Archaeology 20003. (1): 11-35.

ويتمكن البرنامج من تمثيل جميع أنواع المظاهر الطبيعية والبشرية، إذ تتنوع مصادر المعلومات وبأشكال مختلفة لنظم المعلومات الجغرافية؛ وهو بذلك يوفر أنظمة قواعد بيانات قابلة للتحديث والإضافة والحذف، ويساعد على عرض تمثيل بصري للبيانات، لأي حقل من ملف الخريطة باشكال وألوان ورموز بأحجام مختلفة، مع إضافة طبقات متعددة للبيانات لنفس الخريطة؛ وإن أي تغيير في ملف المعلومات للخريطة سوف يقوم البرنامج بتحديث الرسم المعروض تلقائياً؛ وبذلك يمكن إنشاء خريطة غنية بالمعلومات، مختصراً بذلك الوقت والجهد والكلفة، فضلاً عن السرعة في العمل.
تكمن أهمية البرنامج في قوة تحليلاته، فهو يمتلك تنظيم كامل لأدوات السؤال مثل الوظائف الرياضية والعمليات المنطقية والتحليلات الإحصائية وعمليات التطابق والنمذجة وغير ذلك الكثير؛ وهي صفة فريدة أو استثنائية لعمل التحليلات المكانية للإجابة عن الأسئلة الجغرافية، وعرض نتائجها على الخرائط وتكون ذات فائدة مؤكدة لانها تحمل معلومات جديدة مستخلصة أو مستخرجة من التحليل المكاني.
إن عملية إستخلاص المعلومات الجديدة غير ممكنة والحصول عليها يكون بصعوبة كبيرة بدون إستخدام GIS؛ كما يساعد البرنامج على تمثيل المعلومات وإعطاء مخرجات ذات نوعية جيدة، لامتلاكه ادوات رسم تساعد على إنجاز الخرائط المطلوبة، وعرضها على شاشة الحاسوب، أو أخراجها بطبعها أو رسمها على الورق، أو Online، وكذلك إخراج الوثائق من تقارير أو جداول أو رسوم او مخططات؛ ويوفر إمكانية إستخدام الوسائط المتعددة Multimedia لعرض معلومات رقمية سمعية ومرئية مربوطة بالخرائط أو الرسوم أو الجداول، ويتمكن من عرض وإخراج وثيقة واحدة تحمل معلومات متنوعة مثل الخريطة والجداول والأشكال البيانية والصور.
وقدأثبت البرنامج فاعليته نظراً لأهميته في حفظ المعلومات والإستفادة منها بالتكامل مع المعلومات الأخرى المتاحة عن طريق معالجتها وتحليلها وتحديثها، وإعداد الخرائط والمخططات المتعلقة بها ودراسة العلاقات بين عدد كبير من المظاهر الجغرافية، فهي توفر لصناع القرار القاعدة التي يستند اليها لإتخاذ القرارات الصائبة في معالجة المشكلات القائمة بصورة علمية دقيقة.
ويتطلب البدء بإعداد البرنامج البيانات والمواد والبرامج الأتية:

1. استخدام خريطة رقمية للمنطقة المدروسة.
2. استخدام خرائط رقمية (Auto CAD) للحصول على عدد من الشبكات والمخططات التنظيمية والمظاهر الطبيعية والبشرية.
3. استخدام خرائط ورقية وعقارية.
4. ستخدام صور أقمار صناعية حديثة وقديمة.
5. استخدام برنامج نظام المعلومات الجغرافية Arc GIS (Desktop Arc3.2، Arc9.2) وGeoMedia Pro 6.
6. استخدام برنامج Image Analyses و Imagine ERDADS.
7. استخدام برنامج Photoshop، Auto CAD .
8. استخدام الأجهزة المساحية الحديثة (GPS) والمسوحات الحقلية.
9. استخدام أحدث المعلومات والتقنيات وبرامج الحاسوب في تصميم عناصر المشروع (Arc GIS Microsoft Office Programs).

وتبدأ مرحلة المعالجة بمراجعة البيانات وتدقيق مدى صحتها، من خلال النزول الميداني للتأكد من صحة البيانات مع مواقعها الصحيحة وحداثة البيانات، وأيضا التأكد من ربط المعلومات بين محتويات الجداول الإحصائية ومواقعها على الخريطة؛ بعدها تتم معالجة الأخطاء الناتجة من مراجعة الميدان

والأخطاء المدخلة في مرحلة إدخال البيانات، وعمل Mosaic للصور الفضائية لتكون الأساس في عمل المشروع عن طريق هيكلة وإعادة تجزئة الخريطة، حسب البيانات المتوفرة ثم إضافتها على النموذج باستخدام ArcGISDesktop حيث تمت عملية تأسيس الخريطة.

وتأتي بعد ذلك مرحلة التحليل والإخراج، وفي هذه المرحلة تُربط البيانات بالخريطة، ويتوفر بذل ك خريطة أساس، ومجموعة متكاملة من البيانات الاختصاصية المبوبة ضمن قواعد البيانات، مدققة وجاهزة لعملية الاخراج؛ وبعد ذلك يتم الوصول إلى المرحلة إخراج عدد من الخرائط وفق المراحل المختلفة للمشروع والاختصاصات المطلوبة.

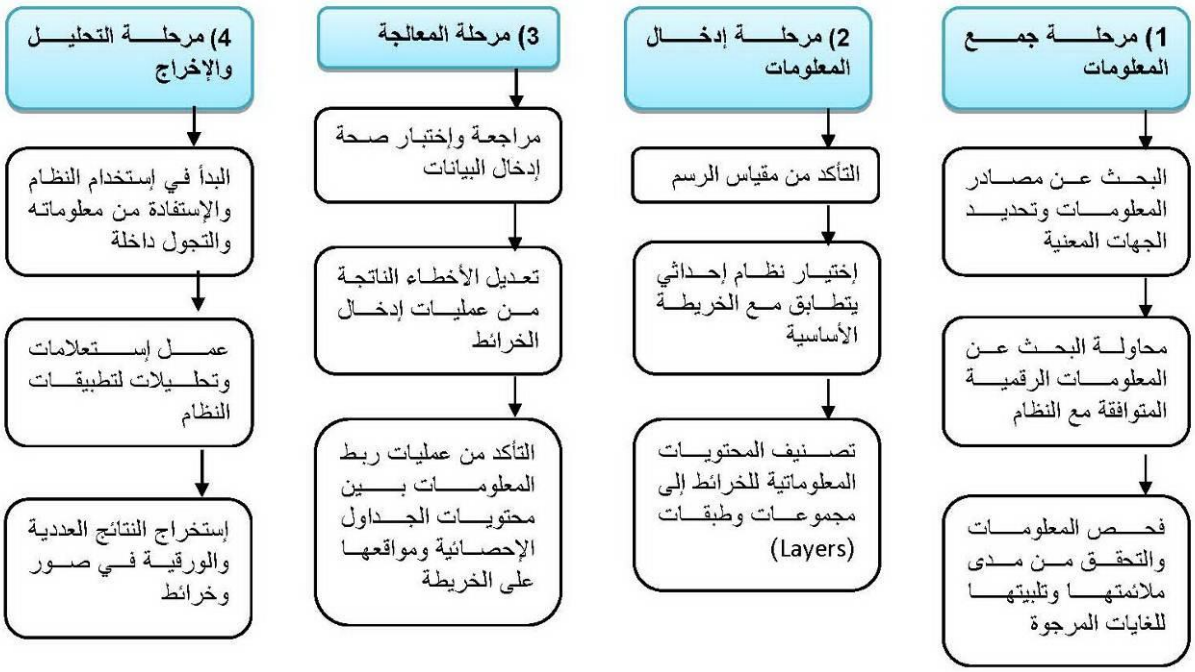

الرسم التوضيحي (3) المراحل المنهجية للعمل ببرنامج GIS.

المصدر: من إعداد الباحثة.

وقد استخدم لنمذجة بيانات معلولا جغرافياً برنامج (ARCGIS 9.2)، حيث تم تجهيز كافة طبقات النظام المقترح من خلال هذه البرمجية، ويمكن تحميل هذا النظام على شبكة الانترنت من خلال برنامج (ARCIMS 9.2) لنشر البيانات الجغرافية عبر شبكة إنترانت محلية لاحقاً ليصار إلى الاستفادة منها بالدراسات والتحليلات، حيث تتميز برمجية ArcGIS كأحد برمجيات نظام المعلومات الجغرافي، بقدرتها على ربط البيانات غير المكانية في قاعدة البيانات مع البيانات المكانية، عندها يكون قد أُنجزت قاعدة علاقات في نظام المعلومات الجغرافي The GIS Relational Data Base، تُمَكنُ من طرح العديد من الأسئلة المتعلقة بالظواهر المكانية وخصائصها غير المكانية، فيُمكن الحصول على المعلومات الخاصة بكل موقع على الخريطة مباشرة، كالمخططات والموقع الجغرافي وغيره، ويمكن هنا ربط هذه المعلومات مع الخريطة Link to Graphics، مما يوفر أداة هامة في عملية توثيق وإدارة وتطوير المواقع التنموية.[1]

وتتضمن الخريطة الرقمية لمعلولا عدد الطبقات Layers، وتحتوي هذه الطبقات على كافة المعلومات والمقومات الطبيعية والبشرية، ويمكن تعديلها وزيادتها والحذف منها حسبما يتطلب

[1] Lawrence B. Conyers, Introduction, in *Ground Penetrating Radar: An Introduction for Archaeologists*, Walnut Creek: Alta Mira Press, 2003. pp.11-21

موضوع التحليل والدراسة؛ فبرمجية ARCGIS 9.2 تمكن من القيام بالعديد من التحليلات على الخريطة، فكل ظاهرة Feature داخل الخريطة، تم ربطها بجدول البيانات الوصفية، وهي البيانات التي تضم معلومات تصف البيانات المكانية أو الجغرافية، وترتبط هذه البيانات الوصفية بالبيانات المكانية عن طريق نظام الترميز؛ ويعد تحديد الهدف من قاعدة البيانات المطلوبة، إلى جانب تحديد ما المطلوب إنجازه، دوراً هاماً في معرفة نوع البيانات المطلوبة، وشكل المخرجات.

وقد تمت عملية إنشاء قاعدة البيانات الجغرافية لبلدة معلولا استناداً إلى مقاطعة مضمون عدد من الدراسات السابقة للمنطقة مع بيانات المكتب المركزي للإحصاء ، وبعد أن أنجزت المراحل الفنية والخطوات المنهجية اللازمة، والتي شملت تحديد الاحتياجات والتصميم المنطقي والتصميم التفصيلي وتصميم التطبيقات والتنفيذ والتسليم، وقد شملت مرحلة تحديد الوضع الراهن وتقدير الاحتياجات المطلوبة من العتاد والأجهزة ومصادر البيانات وشبكات نقلها والتطبيقات والبرامج وأنظمة التشغيل المطلوبة لإنجاز النظام المقترح، وشملت عملية تصميم النظام العديد من الأعمال والمخرجات، [1] ومنها:

1. تصميم النموذج المنطقي والنموذج المادي لقاعدة البيانات الجغرافية.
2. تصميم منهجية إنتاج خريطة الأساس مدرج عليها الطرقات والاستخدامات.
3. تصميم شبكة نقل البيانات والمعلومات، والتي تتألف من بيانات إحصائية بسيطة.
4. ربط شبكة البيانات ببرنامج النمذجة، واستخلاص نتائج مركبة.

[1] إبراهيم خليل بظاظو، التخطيط والتسويق السياحي باستخدام GIS، الطبعة الأولى، دار الوراق للنشر، عمان، الأردن، 2009.

6 دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية /معلولا كحالة دراسية/:

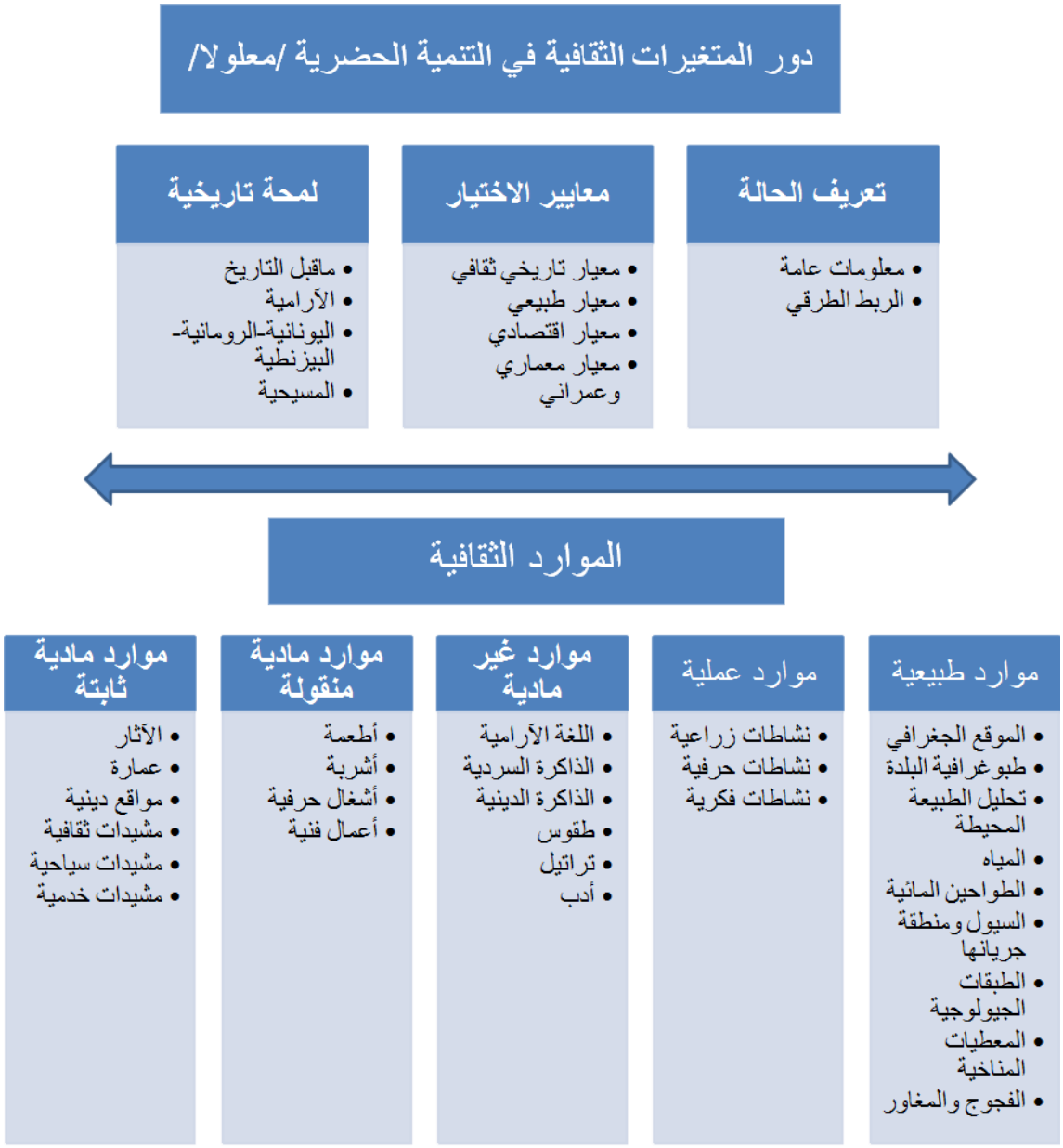

رسم توضيحي4: الحالة الدراسية

1 6 تعريف الحالة الدراسية:

1 1 6 أهمية بلدة معلولا:

معلولا (بالسريانية :ܡܥܠܘܠܐ) مدينة سورية تقع في شمال غرب دمشق. اسمها يعني المكان المرتفع ذو الهواء العليل حسب اللغة الآرامية التي ما زال سكان معلولا يتحدثون بها[1].

[1] http://ar. wikipedia. org/wiki/معلولا

تعتبر من الأوابد التاريخية النادرة على سطح الأرض التي ما تزال عامرة بالحضارات التي تتوالى على أرضها تشتهر بوجود معالم مسيحية مقدسة ومعالم قديمة مهمة يعود تاريخها للقرن العاشر قبل الميلاد. كما أن سكانها من المسيحيين والمسلمين ما زالوا يتكلمون باللغة الآرامية لغة المسيح حتى اليوم بجانب اللغة العربية كما في قرية جبعدين وبخعة(الصرخة) وعين التينة.

"تحتوي معلولا على معالم تاريخية متفردة أهمها الاديرة والكنائس والممرات الصخرية وعلى أثار مسيحية قديمة وهامة في تاريخ المسيحية منها كنيسة بيزنطية قديمة وأضرحة بيزنطية منحوتة في الصخر في قلب الجبل، كما يوجد فيها دير مار تقلا البطريركي . تتميز بيوت بلدة معلولا بارتفاع بعضها فوق بعض طبقات بحيث لا تعلو الطبقة الواحدة منها أكثر من ارتفاع بيت واحد لتتحول بذلك سطوح المنازل إلى أروقة ومعابر لما فوقها من بيوت لتكون ذات طابع متميز . أما الأوابد والأحجار الضخمة والكهوف والمغارات المحفورة في الصخر التي سكنها الإنسان القديم فتحكي قصة تاريخ آلاف السنين منذ العهد الارامي إلى العهد الروماني الذي سميت فيه معلولا سيلوكوبوليس إلى العهد البيزنطي الذي لعبت فيه دوراً دينياً مهماً عندما أصبحت بدءاً من القرن الرابع مركزاً لأسقفية استمرت حتى القرن السابع عشر"[1].

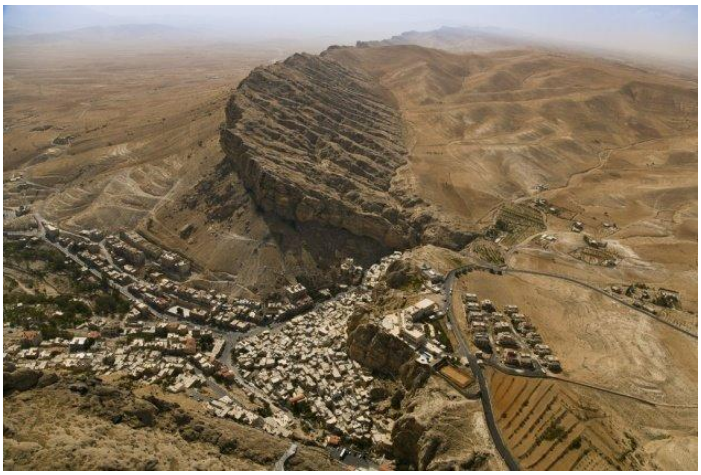

شكل 13: بلدة معلولا

شكل 14: البلدة القديمة

شهدت المدينة توسعاً عمرانياً فطرياً وبسيطاً عبر التاريخ إلى أن صدر أول مخطط تنظيمي لها عام /1965/ وشمل المخطط التنظيمي العام آنذاك البلدة القديمة على سفح التلة مع توسع عمراني بسيط جوار السهل وعلى السفوح الغربية والشرقية المحيطة به. أما الدراسة التنظيمية الثانية للبلدة فلقد صدقت عام /1998/ شهدت توسعات عمرانية جديدة على المخطط السابق امتدت شمال البلدة على الهضبة خلف فندق معلولا وجنوبا باتجاه بلدة عين التينة. تم إيقاف العمل بالمخطط الأخير جرى تنظيم عقد لتأهيل وتنظيم البلدة بين وزارة الإسكان والمرافق والوحدة الجامعية للدراسات الهندسية في جامعة دمشق.

[1] المرجع السابق

6 1 2 الربط الطرقي:

تقع بلدة معلولا على عدة محاور طرقية تربطها بجوارها من البلدات والقرى كما تربطها بالعاصمة دمشق وباقي محافظات القطر وهي: المحور الأول: ويتجه من بلدة معلولا باتجاه أوتوستراد (دمشق-حمص) ماراً ببلدة عين التينة فالأتوستراد عن طريق العقدة الطرقية الجديدة جوار خان العروس ويؤمن هذا المحور الربط مع مركز المنطقة في مدينة القطيفة ودمشق وحمص.

- المحور الثاني: يتجه من بلدة معلولا شمالا باتجاه بلدة الصرخة ومدينة يبرود ويتفرع عنه طريق باتجاه بلدة حوش عرب – رنكوس – صيدنايا كما يتفرع عنه طريق آخر باتجاه بلدة جبعدين.
- المحور الثالث: يتفرع من المحور الأول في منطقة متوسطة بين بلدة معلولا وبلدة عين التينة باتجاه التواني – صيدنايا ويتفرع منه أيضا طريق باتجاه جبعدين.

ويلاحظ أن الربط الطرقي للمحور الثاني مقيد بعبور الفج الغربي لبلدة معلولا والذي يمثل محددا طبيعيا (الانحدار، العرض، الضيق، الجليد. . .) ومن المفيد السعي لإيجاد طريق بديل لهذا الطريق[1].

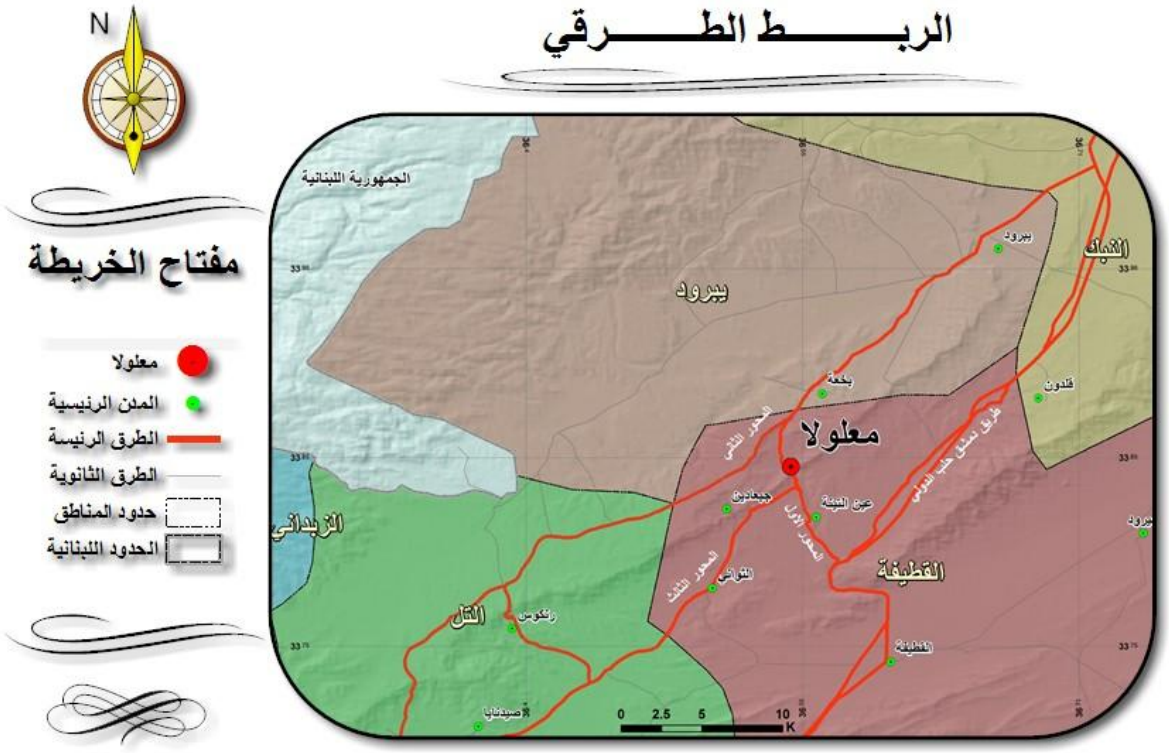

مخطط 9: الربط الطرقي

6 2 معايير الاختيار:

تمتلك بلدة معلولا من المقومات العمرانية والمعمارية ما يشجع على مراجعة ودراسة المعطيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وأثرها في التشكيل العمراني للبلدة ومراجعة المتغيرات بين فترة وأخرى، ودراسة ما يلزم من تعديل للمعايير والتشريعات التخطيطية وما تتطلبه من دراسات تفصيلية اقتصادية واجتماعية وعمرانية ومعرفة مدى توافقها مع تشكل النسيج الحضري للبلدة وأثرها في تشكيل الخارطة التنموية من جهة أخرى.

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون، تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، 2004، ص2.

6 2 1 المعيار التاريخي والثقافي:

تعتبر مدينة معلولا من أهم المواقع المسجلة رسمياً في الجمهورية العربية السورية فقد صدر القرار رقم 243\أ تاريخ 1976\10\13 الذي نص على تسجيل المنطقة القديمة مع الفجين في عداد المواقع الأثرية أما منطقة الفوقا من معلولا فقد سجلت بالقرار رقم 2\أ تاريخ 1966\1\9 وسجل دير مار تقلا بالقرار رقم 170\ أ تاريخ 1998\1\2 حيث يمنع هدم العقارات ضمن المنطقة المذكورة أو ترميمها دون موافقة السلطات الأثرية.

- كما سجلت مدينة معلولا على اللائحة التوجيهية أو القائمة المؤقتة لليونسكوعام1999 6\8 وفق المعيارين VI – V (المعيارين 5- 6) [1]

حيث نصت المادة 77 من المبادئ التوجيهية لتنفيذ اتفاقية التراث العالمي شباط 2005 أن اللجنة تعتبر الممتلك ذا قيمة عالمية استثنائية إذا ما استوفت واحد أو أكثر من المعايير المحددة [2] وقد حددت المعايير التالية لوضع معلولا ضمن القائمة. . . . . .

معايير التسجيل في قائمة التراث العالمي (Selection criteria):

المعيار 5: يقدم نموذجاً بارزاً لمستوطنة بشرية تقليدية أو لأسلوب تقليدي لاستخدام الأراضي أولاستغلال البحار، يمثل ثقافة أو (ثقافات) معينة، أو يمثل التفاعل بين الإنسان وبيئته، لاسيما عندما يصبح عرضة للاندثار بتأثير تحولات لا رجعة فيها.

المعيار 6: يكون مقترناً على نحو مباشر أو ملموس بأحداث أو تقاليد حية، أو بمعتقدات أو بمصنفات أدبية أو فنية ذات أهمية عالمية بارزة (ترى اللجنة أن هذا المعيار يستحسن استخدامه مقترناً بمعايير أخرى)[3].

6 2 2 المعيار الطبيعي:

تتمتع بلدة معلولا بقيمة طبيعية كبيرة من حيث التضاريس الموجودة فيها (حيث تقع إلى الشمال الغربي من مدينة دمشق وعلى بعد 58 كم تقريبا من مدينة دمشق بين السلسلتين الجبليتين الثانية والثالثة من منطقة القلمون في لحف جبل معلولا الذي ترتفع قمته إلى 1913م من سلسلة لبنان الشرقية[4].

وتتوزع أراضيها على شكل هضاب مختلفة الارتفاع غالبا ما تكون ذات ميول منتظمة تصل إلى (15% - 20%) حيث تقع على حافة السلسلة الجبلية الوعرة والتي تشكل منحدراتها جروفاً صخرية مرتفعة وشديدة الانحدار باتجاه الجنوب[5].

[1] http://whc. unesco. org/en

[2] د. موفق دغمان، مخطط إدارة موقع مدينة معلولا التاريخية، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق 2011\5، ص ص7-8

[3] http://whc. unesco. org/en/criteria/

[4] الياس نصرالله، الموسوعة العربية، المجلد التاسع عشر، العلوم الإنسانية، التاريخ والجغرافيا والآثار، معلولا، هيئة الموسوعة العربية السورية، ص 115.

[5] د. نتاليا عطفة، الدراسة الإقليمية لمناطق التل وصيدنايا ومعلولا، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق 2009، ص 19

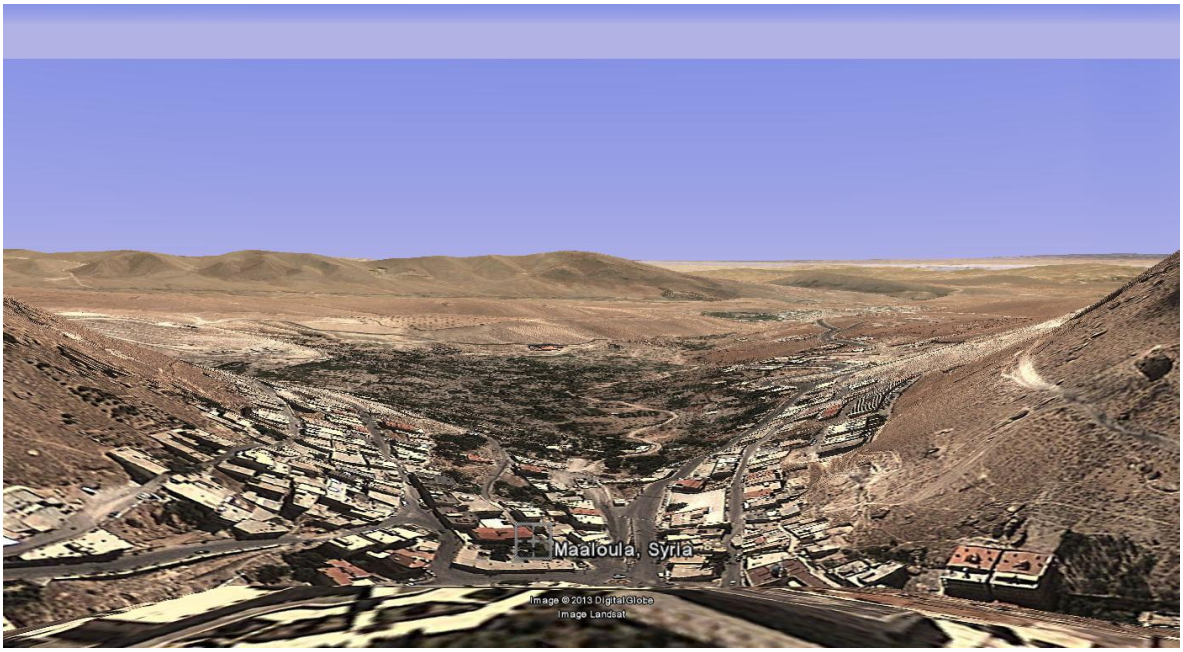

شكل15: معلولا

6 2 3 المعيار الاقتصادي:

منطقة معلولا منطقة زراعية سياحية بشكل أساسي فهي منطقة ذات إنتاج عالي زراعياً يغني المناظر الطبيعية فيها إضافة إلى غناها بالمعالم وعوامل الجذب السياحية والتي تتمثل بـ:

1. الطبيعة الجميلة والمتنوعة والمناخ الصحي.
2. الارتفاع الشاهق لقمم الجبال والتي تغطى بالثلوج لفترة طويلة.
3. التوازن المناخي الفريد.
4. عناصر مميزة للجذب السياحي (الكهوف الأثرية، الصفة التراكبية لبيوت البلدة القديمة، الطبيعة الصخرية، اللغة الآرامية، طقوس الاحتفالات الدينية).
5. المواقع الأثرية.
6. المحور السياحي صيدنايا-معلولا.

6 2 4 المعيار المعماري والعمراني:

تتميز البلدة بقيمة معمارية كبيرة بسبب النسيج العمراني الفريد الذي تتكون منه، حيث يمثل نمطاً معمارياً مميزاً ومجموعة من الحقب الزمنية المتلاحقة والمتنوعة. بدءاً من الكهوف والمغاور وانتهاءً بالأبنية الطابقية الحديثة.

6 3 لمحة تاريخية:

سكن الإنسان القديم معلولا منذ أقدم العصور، وتعاقبت على معلولا وغيرها من مدن سورية عهود الأكاديين والأموريين، والآراميين والآشوريين، والكلدانيين والفرس، واليونان والرومان، والغساسنة والبيزنطيين، والأمويين والعباسيين، والسلاجقة والصليبيين، والأيوبيين والمماليك، والعثمانيين والفرنسيين نهاية بالاستقلال[1].

[1] بشير زهدي، معلولا المدينة الأثرية والسياحية النموذجية، منشورات المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق 1987، ص16

تستمد معلولا شهرتها اليوم من ثلاث خصائص هي موقعها ومظهرها، الكنائس والأديرة التاريخية الموجودة فيها، واللهجة الآرامية المحكية من قبل سكانها.

تضم معلولا عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة والمزارات والمصليّات. ومعظمها يعود إلى القرون الميلادية الأولى. ولايزال عدد من هذه المنشآت الدينية قائماً في حين تعرض بعضها إلى الخراب بمرور الزمان. وقد أحصيت فيها اثنتا عشر كنيسة من أهمها كنيسة القديس ليونتيوس (St. Leontius)، التي وجدت فيها فسيفساء يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، وكنيسة القديس الياس وكنيسة القديس جورج. وهذه الكنائس قائمة اليوم في مواضع كنائس بيزنطية قديمة. ومن الكنائس التي بقيت آثارها كنائس القديس سابا والقديس توما والقديسة بربارا. [1]

على يمين مدخل الشق الجبلي يوجد الدير السفلي المكرس للقديسة تقلا (ST. Thecla) التي يوجد ضريحها في كهف فوق الدير. ويوجد على المسطح الذي يعلوالشطر الأيسر من البلدة دير مار سركيس (St. Sergius) الذي شيد في القرن الرابع الميلادي وهو أحد الفرسان السوريين الذين اعتنقوا المسيحية وقتلوا في عهد ماكسيمانوس (Maximanus) في عام 297م. وبجانب الدير توجد كنيسة مار سركيس. ويلاحظ وجود بقايا أضرحة قديمة منحوتة في الصخر خلف الكنيسة.

إن اللهجة الآرامية المتداولة في معلولا حالياً تعود إلى أصول لغوية تطورت إليها اللغة الآرامية منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلادي. ومن المعروف أن اللغة الآرامية مرت بعدة مراحل كانت أقدمها الآرامية القديمة التي استمرت من القرن الحادي عشر قبل الميلاد حتى منتصف الألف الأول الميلادي. وأعقبتها "الآرامية الإمبراطورية" التي عاصرت زمن الإمبراطورية الفارسية الأخمينية (530 - 330 ق. م). ودخلت اللغة الآرامية في مرحلة جديدة من مراحل تطورها من عهد المكابيين[2] (عام 195 أو 164ق. م). وإلى هذه المرحلة المتأخرة تعود اللهجة المستعملة في معلولا والمنطقة المجاورة لها[3].
ويتم تقسيم التطور التاريخي لمعلولا إلى حقب حسب ما يلي:

1 3 6 معلولا ما قبل التاريخ:

أثبتت الدراسات التي قامت في الجروف الصخرية الممتدة على طرفي وادي مجر يبرود وعلى سفوح الجبال الواقعة إلى الشرق من بلدتي معولا ويبرود أن الإنسان بما خلفه من آثار عديدة منها تلك الكهوف والملاجئ والأدوات التي استخدمها وبقايا عظام الحيوانات التي كان يصطادها قد سكن هذه المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ. وكانت هذه المنطقة غنية بالماء والعيون وحتى الإنسان العاقل الذي عاش خلال الفترة مابين 10-7 آلاف سنة ق. م هذا الإنسان الجديد لم يكتف بسكنى الكهوف الطبيعية بل أقام كهوف ومغاور وفق تصور مسبق لها صممها ونفذها وفق احتياجاته الدنيوية والدينية وتسمى عادة "المغاور الاصطناعية".

---

[1] Ross Burns Monuments of Syria, An Hisorical Guide, (London, 1994), pp. 145-6.

[2] المكابيون: هي مجموعة عسكرية يهودية قامت الثورة على حكام سوريا السلوقيين .تمكن المكابيون من تكوين السلالة الحشمونية التي حكمت فلسطين من 164 ق.م. وحتى 63 ق.م. قبل وقوعها في يد بومبى الروماني. اشتهر المكابيون بعصبيتهم الدينية حيث ركزوا على دور الديانة اليهودية في الحياة اليومية وحدوا من انتشار اللغة والثقافة اليونانية في المنطقة.

[3] موقع اكتشف سوريا http://www. discover-syria. com/bank/2579

6 3 2 معلولا الآرامية:

الآراميون نسبة إلى أرام بن سام بن نوح ،أما آرام "البلاد" فهو الاسم الذي أطلقه الأقدمون على بلاد سورية وبعضهم على بلاد ما بين النهرين أيضاً وقد زالت المملكة الآرامية على يد الآشوريين سنة 734ق. م.

والطابع الآرامي في معلولا، كما في بخعا وجبعدين ظاهر للعيان وغالب ويتجسد أيضا فيما ورثه الناس عن أجدادهم الآراميين العظماء من أوابد نجدها في بعض المغاور والكهوف والنواويس (اللحود) المنتشرة هنا وهناك، وفي اللغة التي مازالت وسيلة التواصل ليس فيما بينهم وحسب، إنما بينهم وبين ذلك التاريخ الطويل الضارب في القدم.

6 3 3 معلولا في العهود اليونانية –الرومانية –البيزنطية:

سيطر الإغريق على سورية مع احتلال الأسكندر الكبير منذ 333ق. م وحتى 64 ق. م، ثم خضعت لسيطرة الرومان منذ 64 ق. م وحتى 395 م، حيث انتقلت السيطرة إلى عاصمة الدولة البيزنطية التي استمرت إلى حين دخول الجيوش العربية لبلاد الشام في حدود منتصف القرن السابع الميلادي[1].

بقي السكان السائدون في القلمون خلال الفترة الرومانية البيزنطية يتألفون من العنصر الآرامي. كان هذا العنصر يسكن الهضاب العالية ويشكل كذلك الأكثرية في دساكر خط الحدود المحصّن التي كانت فيها جاليات رومانية قليلة أو كثيرة نتيجة لإقامة الموظفين وجنود الفرق الرومانية. وتأثرت الطبقة الميسورة من السكان الأصليين بتماسها مع هذا العنصر الجديد من ناحية أخلاقها وعاداتها وأسمائها.

تأثرت معلولا بحضارات كثيرة كالحضارة اليونانية والحضارة الرومانية الغربية منها والبيزنطية التي تركت بعض بصماتها على الحياة الدينية والفكرية والعسكرية، كما تبين بعض الدراسات الأثرية العائدة لتلك المرحلة ويمكن تلخيص هذه التأثيرات بما يلي:

-حارب المعلوليون الاسكندر الكبير عند مروره بالقرب من البلدة في محل جنوبي البلدة يدعى " ميدان الخيل " ويقع بين معلولا وعين التينة

-ذكر بطليموس الكلودي معلولا في جغرافيته ودعاها "كليما –مغلولون " وهو الاسم الذي يعبر عن المقاطعة التي كانت معلولا عاصمتها[1].

6 3 4 معلولا المسيحية:

دخلت المسيحية معلولا في القرن الأول الميلادي، حيث كان أهالي معلولا يقيمون الفروض الإلهية في هذه المغاور. وبشكل عام يعتقد بأن القديس توما هو رسول القلمون الأول. ولعل مغارة الخوري يوسف التي كانت معبداً لإله الشمس أصبحت معبداً مسيحياً وكذلك المغارة الواقعة غربي دير مار سركيس بما فيها من مذابح وحنايا وكراسي وخزائن محفورة بالصخر هي من أماكن العبادة الرئيسية قبل بناء الكنائس[2].

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص 58

2 د. رضوان طحلاوي وأخرون، مرجع سابق، ص62

4 6 الموارد الثقافية في بلدة معلولا:

تتميز معلولا بغنى مواردها الثقافية وتنوعها حيث تم تصنيف موارد التراث الثقافي في خمس فئات عامة هي:

1. الموارد المادية الثابتة (غير المنقولة) وتضم الآثار التاريخية والعمارة والمشيدات سواء أكانت تاريخية كالقلاع والأسوار ودور العبادة والطواحين. . أم حديثة كالمسارح ودور السينما وقاعات الموسيقى والتماثيل والنصب. . .
2. الموارد المادية المنقولة وتضم المهن اليدوية كالنحاسيات والخشبيات والزجاجيات والفسيفساء إلى جانب الموارد ذات العلاقة بالطعام والشراب أو ذات العلاقة بالطب الشعبي
3. الموارد غير المادية كالذاكرة السردية بكل تشعباتها، والشعر والأدب والموسيقى والرقص والفن والعادات والأعراف والأفكار والدين والطقوس والأعياد الشعبية. . .
4. الموارد الطبيعية وتضم موارد المياه والغابات والصحراء والبادية والمكونات النباتية والحيوانية التي تحيا فيها.
5. الموارد العملية وتضم كل أشكال الخبرات التي ابتدعها الإنسان أثناء صراعه من أجل البقاء مثل النواعير وصادات الرياح وقنوات الري وأساليب الزراعة. . . [1]

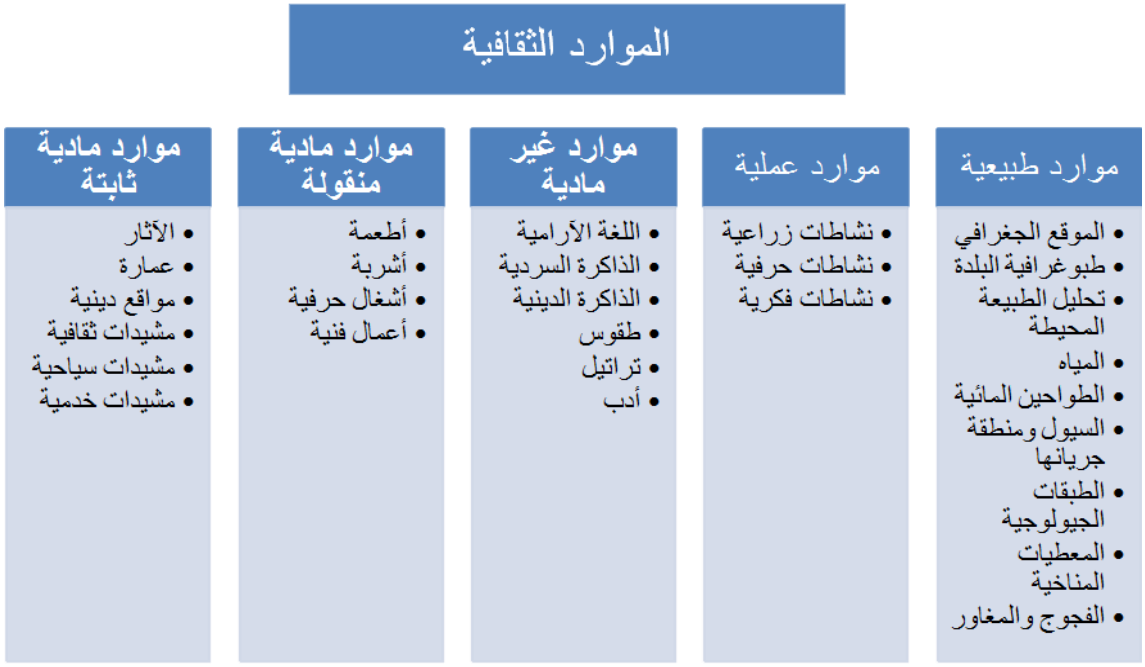

رسم توضيحي5: الموارد الثقافية

[1] د. حسان عباس، مشروعبناء الخارطة الثقافية في سورية، المنطقة النموذجية الأولى، ص19

6 4 1 موارد مادية ثابتة

وتضم كافة العناصر المادية التي أنشأها الإنسان والثابتة في مكانها والتي تعكس تاريخ البلدة وثقافتها ومدى تخديمها.

6 4 1 1 الآثار:

تضم معلولا عددا كبيرا من الأوابد والأديرة والكنائس والمزارات اندثر معظمها وبقي بعضها الاخر قائماً يستقبل الزوار من جميع أنحاء العالم للتبرك وإيفاء النذور سنوياً.

ويضاف إلى رصيد معلولا التاريخي جمال المدينة المعماري فالبلدة تقع كالعقاب في وكره ، بيوتها مؤسسة على الصخر إضافة إلى عدد كبيرمن المغاور التي تعود إلى العصر الحجري حت ى ليخيل للناظرين أنها مبنية فوق بعضها البعض ومسالكها إلى ذلك ضيقة ، وفي منعطفات الجبل مغاور وكهوف واسعة يتحصن فيها السكان في الغارات معتصمين بمواقعها الحصينة ولاتزال السلالم الخشبية القديمة شاهداً حياً على ذلك الزمن العصيب.

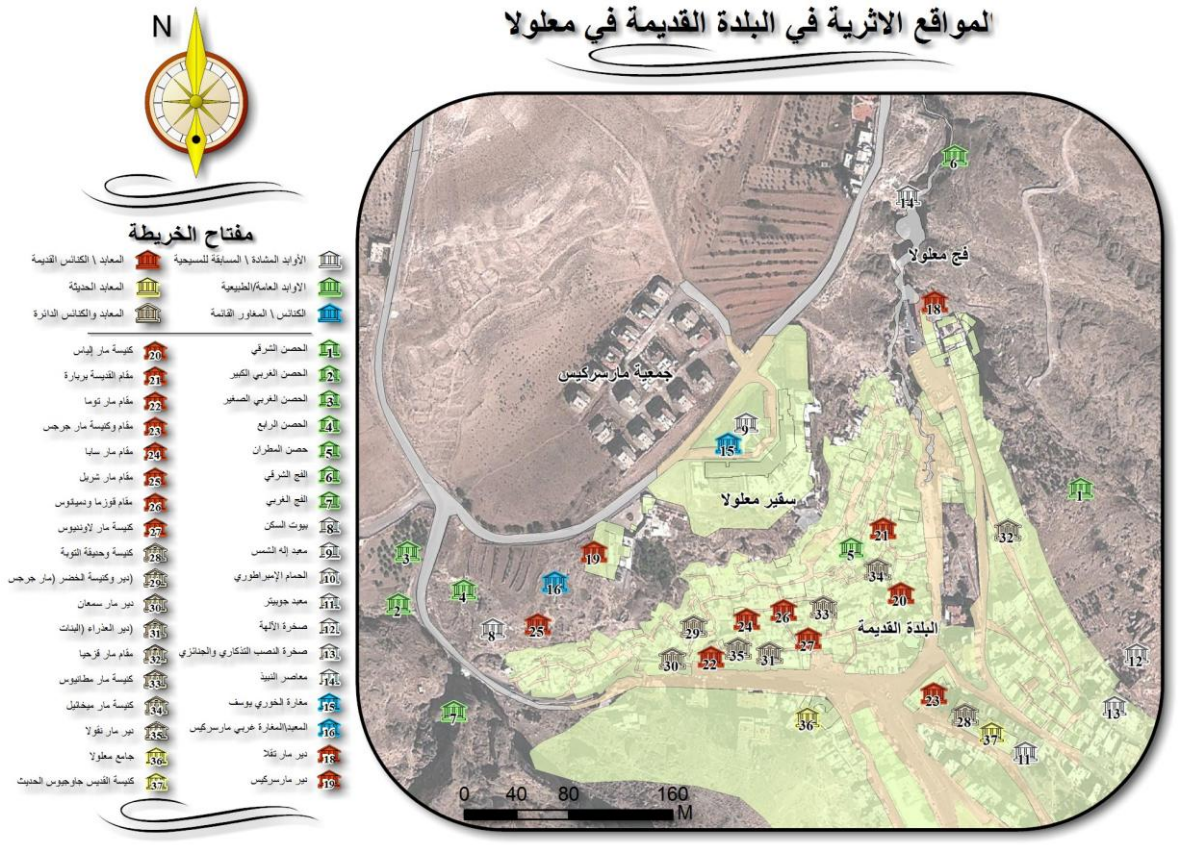

مخطط 10: المواقع الأثرية في معلولا

أولاً- دير مارتقلا:

هو دير بطريركي عريق لطائفة الروم الأرثوذكس في معلولا، يحمل اسم القديسة تقلا ويحوي رفاتها وهي ابنة أحد الامراء السلوقيين وتلميذة القديس بولس إضافة إلى ماء مقدس للتبرك، ويقع في مكان بارز من القرية ويطل من جوف الكهف الصخري الذي عاشت فيه بعد هروبها من أهل السوء حيث

لا يزال هذا الكهف ظاهراً حتى اليوم، وفي رحابه بني دير مار تقلا الذي بقي حتى الآن رمزاً للقداسة وحياة القديسين. أما بناء الدير فيعود إلى القرن الرابع الميلادي، حيث بني على مرحلتين:
المرحلة الأولى: وتتمثل في الكهف الواقع في قلب الجبل الشرقي المطل على الدير الحالي وفي ركن الكهف يقع " مقام وضريح القديسة " الذي يضم رفاتها، وقد أكدت المصادر التاريخية أن البطريرك الانطاكي مكاريوس بن الزعيم قد جزم لرعيته انها دفنت فيه فعلا .
المرحلة الثانية: وتقع في جهة المغارة الشرقية حيث توجد كنيسة قديمة تحتوي على مائدة حجرية ولها مذبح محفور في الصخر.
أما الدير الحالي فيعود بناؤه إلى القرن الثامن عشر وقد بنته راهبات الدير، حيث بنين غرفهن من أموالهن الخاصة وجعلنها وقفا للدير بعد وفاتهن[1].

شكل16: دير مار تقلا مع الكنيسة

تصعد إلى الدير بدرج حجري عريض ينتهي ببوابة مرتفعة مقوسنة تضم لوحات كتابية عدة حديثة العهد مؤرخة ذكرت فيها أسماء المتبرعين ببعض المنشآت. ثم تصعد درجا آخر إلى اليمين يقود إلى الفسحة السماوية للدير وفي صدرها درجان يرقيان للطابق الثاني المعقود بالأقواس نصف الدائرية وإلى مقام القديسة تقلا والآخر إلى غرف الدير[2].

تعرضت مكتبة الدير كغيرها من مكتبات الأديرة القديمة لعاديات الزمن من جهة، وللإهمال والجهل من جهة ثانية، ففي الوقت الذي كانت فيه تكبر وتغتني على يد الغيورين والمهتمين، كانت تنهار

[1] مروة كريدية، معلولا راهبة هاربة من الأساطير، http://www. ankawa. com/forum/index. php?topic=219883. 0;wap
[2] د. قتيبة الشهابي ود. متري هاجي أثناسيو، أديرة وكنائس دمشق وريفها، موسوعة كنائس دمشق، المجلد الثالث، دمشق، 2004، ص 244.

وتفتقر على يد المهملين والجاهلين[1]، فقد كانت تحتوي مخزونا ثقافيا متمثلا بالمخطوطات والكتب المقدسة والتفاسير وكتب العهد القديم إلا أن معظمها تعرض للإهمال وكذلك للنهب في الفترة العثمانية.

ثانيا- دير مارسركيس وباخوس:

والتسمية الشهيرة له هي مار سركيس، حيث تعتبر معلولا منذ انتشار المسيحية مركزاً دينياً هاماً. فهي كغيرها من المناطق انتعشت وظهرت من بين الكهوف إلى وجه الأرض بعد صدور مرسوم ميلانوعام 313 م الذي أباح فيه قيصر القسطنطين الحرية الدينية وتحولت المعابد الوثنية إلى كنائس وكان دير مار سركيس واحداً منها وقد بنيت كنيسته (حسب تقدير علماء الآثار المسيحيين) مابين 313 - 325 م وهو تاريخ انعقاد المجمع المسكوني الأول الذي شارك فيه أسقف من معلولا باسم أفتيخيس. كما أن مذابح الكنيسة الباقية حتى الآن تجمع في صفاتها ما بين المعتقدات المسيحية والمعتقدات الوثنية. فقد كانت في مرحلة انتقالية ما بين المتوارث والمحفوظ في الأذهان، وما بين الجديد الذي يحمل في طياته ثورة على الواقع والمفاهيم السائدة والقيم. وقد ظهرت هذه الحالة واضحة وجلية في هذه الكنيسة، فالمذبح الوثني الموجود ذو حافة عامودية يبلغ ارتفاعها 7سم تقريبا هي في الأصل تستخدم في الطقوس الوثنية لكي تمنع دماء الذبيحة الإلهية من التساقط أو الهدر حيث تجمع عن طريق ثقب في البلاطة لأن كل ما تحتويه الذبيحة مقدس بعد تقديمها والصلاة عليها، وهذا الطقس مرفوض في الديانة المسيحية ومع ذلك ظل موجوداً في هياكلها ماعدا ثقب تصريف الدماء، كما انعدمت صور الأضاحي الطاهرة التي كانت تحفر على هذه الحافة وبهذا يظهر سطحها أملساً خالياً من أي حفر أو رسم. والسبب هو أن الدين المسيحي ينبذ الذبائح الدموية ويكتفي بتقديم القرابين[2].

شكل 17: دير مار جورجيوس وباخوس

والدير صغير بسيط على مستوى طابقين تعلوهما قبة نصف كروية فوقها الصليب، وبجوار القبة برج للناقوس أخفض من القبة الرئيسية. تلج إلى الدير عبر باب قديم منخفض – كما في معظم الأديان القديمة

[1] راما الياس كرياكي، معلولا التاريخ والآثار، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق، 1996، ص 23.
[2] المرجع السابق، ص 24-25.

تجبر على الانحناء خشوعاً وتعرقل دخول الراجلة وتعيق عبور الفرسان – ينتهي إلى درج حجري قديم يفضي إلى فسحة سماوية صغيرة في جوانبها أروقة معقودة بأقواس مرتفعة مدببة الرأس، وفي صدرها درج حديث يفضي إلى الطابق الثاني[1].

وكان هذا الدير يقيم فيه رهبان فلاحون ومزارعون ومتعبدون، وقد عرف باسم (القديس سركيس والقديس باخوس) الذين قضى عليهما الرومان الوثنيون. فحفظت سورية ذكريات هذين القديسين، بل وأطلقت اسم القديس سركيس على مدينة في حوض الفرات، قرب الرقة فعرفت باسمه (سرجيوبوليس / حاليا: الرصافة)[2].

ومما يدل على قدم كنيسة هذا الدير هو خشبها القديم الذي تحويه جدران الكنيسة وبابها الأثري. فقد أرسلت عينات من خشبها إلى المخابر العلمية الحديثة في ألمانيا لتحليلها فتبين أن عمرها يزيد عن 2000 سنة. ومما يذكر أن جدران الكنيسة كانت فيما مضى مزينة برسوم دينية جدارية (فريسكات) لاتزال آثارها ظاهرة على الجوانب وقد اكتشف حديثا قطعة لا تزال محتفظة بألوانها الزاهية. ويبدو أن الرسوم كانت شائعة في كنائس المنطقة. كما تشهد بذلك الرسوم الماثلة التي اكتشفت على جدران مقام مار الياس الأثري التابع لبلدة المعرة قرب صيدنايا، وكذلك في دير مار موسى الحبشي التابع لمدينة النبك. إن ما سبق ذكره عن الخشب القديم المدرج في جدران الكنيسة والشكل الفريد لهياكلها الأثرية واشتراك أسقفها أفتيخيس في المجمع المسكوني الأول عام 325 م، كل ذلك يشكل خير دليل على أن كنيسة دير مار سركيس هي من أقدم الكنائس ليس في سورية فحسب وإنما في العالم أجمع[3].

والدير للروم الكاثوليك حيث يرتفع حو الي 1622 م عن سطح البحر، وله منظر رائع يطل على القرية وتكتنفه الصخور والآثار القديمة من مدافن وكهوف وغيرها. لكن الصعود إليه صعب وشاق، والدير ضخم الحجارة مربع الشكل ذو قناطر تحيط بطبقتيه على طراز الديارات القديمة[3].

كما يوجد في الدير مجموعة من الأيقونات الأثرية الرائعة وأشهرها أيقونة السيدة العذراء ويعتقد أنها منقولة عن الأصل المنسوب إلى القديس لوقا الإنجيلي، وأيقونة الصليب وعشاء الرب الأخير وأيقونة يوحنا المعمدان. وهناك مجموعة من الأيقونات القيمة التي تزيّن أيقونستانس الكنيسة وهي بريشة الرسام الشهير ميخائيل الكريتي الذي عملها للدير عام 1813 م وأيقونتان من الفن البولوني (القرن 17) تقدمة الجنرال أندرس أثناء زيارته لمعلولا[3].

وفي قدس الأقداس مائدته المقدّسة هي رخامية قائمة على حجر ومؤلفة من بلاطة شكلها نصف مستدير تحيطها حفّة قليلة الارتفاع ممّا يدعم المقولة بأنها مصمّمة للذبائح كما في الديانات الوثنية ولكن غير الدموية في الديانة المسيحية، وهذا المذبح الفريد قد يكون أقدم ما في العالم المسيحي وما زالت تقام فيها الصلوات منذ عام (325) م وحتى يومنا هذا . . . هذا وتتناثر حول الدير آثار من العصر البيزنطي، وإلى الخلف منه كهوف طبيعية وقبور محفورة في الصخر يحمل بعضها نقوشاً يونانية[4].

يحتفل هذا الدير بعيد شفيعَيه القدّيسَين سرجيوس وباخوس في 7 تشرين الأول من كل عام وفي عيد الصليب (14 أيلول) تقام احتفالات دينية وشعبية كبيرة في كل البلدة[4].

[1] د. قتيبة الشهابي ود. متري هاجي أثناسيو، أديرة وكنائس دمشق وريفها، موسوعة كنائس دمشق، المجلد الثالث، دمشق، 2004، ص 241.

[2] بشير زهدي، مرجع سابق، ص 22 -23.

[3] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 65-66

[4] موسوعة قنشرين للكنائس والأديرة (http://www. qenshrin. com/church/church. php?id=15)

ثالثاً- الكهوف والمدافن والمقابر:

جبال معلولا وصخورها غنية بالكهوف الاصطناعية والطبيعية، وغنية أيضا بالمقابر الصخرية الموغلة في القدم المصطفة قرب بعضها البعض في بقع مكشوفة تحوي كل منها عشرات القبور ليس لها أغطية، يعتقد أنها كانت مغطاة ببلاطات صخرية زالت مع الزمن .
استخدمت الكهوف لأغراض متعددة، للعبادة والسكن وللدفن، بعض هذه الكهوف عجيبة فهي محفورة في منتصف الجبل لا يمكن الوصول إليها إلا بسلالم طويلة، استخدمها الأهالي كحصون وملاجئ في فترة الاحتلال العثماني وقت الغزوات.
يقول العلماء أن كهوف معلولا تدل على أن هذه المنطقة من أقدم المناطق التي سكنت في الشرق الأوسط أي سكنت منذ فترة تعود لـ 50 – 60 ألف سنة خلت. ومن المؤكد أن إنسان كرومانيون[1] قد سكنها منذ نحو30 ألف سنة وترك لنا شواهد تدل عليه في كهوفها.

1. المدافن:

تقع غالبيتها في السطح المنبسط الكائن في أعلى الصخور المطلة على معلولا من الناحية الغربية وفي جوار دير مارسركيس وهي تعد بالعشرات وأغلبها في أسلوب واحد هي عبارة عن قاعة منقورة في الصخر مربعة الشكل تبلغ أبعادها 5*5 وارتفاعها 2. 5م ويتم الدخول إلى المدفن من ممر منحدر يؤدي إلى باب حجري ذوعتبة علوية ومن ثم إلى داخل الباب الذي يتصل في القاعة وأهم هذه المدافن مدفن الخوري يوسف ومدفن يقع بالقسم الغربي كان يستخدم مقهى للسيد سمعان بطرس ومدفن من الجهة الشرقية للمدفن يستخدمه دير مارسركيس كمخزن للعلف [2].

2. المقابر:

نعني بالمقابر سقوف اللحود المتلاصقة المنقورة في الصخر الكائنة في بقعة مكشوفة وليس لها مدخل خاص كالمدفن وتقع بعض هذه المقابر في أجزاء مجوفة من جانبي الشقوق وتضم كل مقبرة بضع عشرات من هذه اللحود ويتراوح مقياس كل منها 60 سم عرضا و200 سم طولاً ولا يوجد عليها أي أثار للكتابة أو النقوش كما أنه ليس لها أغطية وأغلب الظن أنها كانت مغطاة ببلاطات حجرية كالنواويس لكنها زالت مع مرور الزمن[3].

شكل 18: المقابر في الفجوج

[1] الكرومانيون هو اسم غير رسمي لأول إنسان قديم (الإنسان الأول) من العصر الحجري القديم الأوروبي.
[2] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 60-61.
[3] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص ص 60-61.

3. الكهوف(المغاور):

تقع هذه الكهوف في سفوح الصخور المطلة على البلدة القديمة وهي التي شملها قرار التسجيل الأول وتقع هذه الكهوف بارتفاعات مختلفة وأغلبها ليس لها طريق سوى التسلق بواسطة السلالم ومنها ما هوعميق يصل إلى 10 متر ومنها قليل العمق وكلها محفورة باليد وبعضها طبيعي سويت مداخلها ونحتت بشكل مربع ومستطيل على هيئة الأبواب ومن المعتقد بأنها سكنت في الفترة المسيحية خوفا من الاضطهاد الذي عاشه المسيحيون.

شكل 19: أحد كهوف معلولا

ونجد في معلولا الكثير من الأساطير الشعبية التي ترتبط بشكل أو بـآخر بطبيعة المنطقة الجبلية ففي الفج الغربي في محلة (شارونايا) ما يدعى بالمشنقة جانبها صخرة المحكمة وتقول الأسطورة أن رجال القضاء كان يقفون عليها لنشر حكم الإعدام وأن الملك كان يقف على رأس الصخرة المقابلة للتصديق على الحكم ونجد ما يماثلها عند الفج الشرقي[1].

رابعاً- خربة معلولا:

يعتبر الموقع من الدرجة الثالثة ولم تجري له أية أبحاث أثرية أو تنقيبات، حددت له دائرة الآثار بريف دمشق حرماً يبلغ 100م. وتقع إلى الشرق من معلولا بمسافة 3كم[2].

خامساً- البلدة القديمة:

تقع البلدة القديمة (معلولا الأثرية) بين شارع مارالياس وقمة الجبل الذي يحتضن دير مارسركيس وتتميز بنسيجها العمراني الفريد الذي يضم البيوت المبنية في سفح الجبل على شكل تدرجات تتراكب

[1] د. نتاليا عطفة، مشروع التخطيط الإقليمي لأقإليم التل وصيدنايا ومعلولا، التقرير الآثاري، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق 2009، ص 41.

[2] د. نتاليا عطفة، المرجع السابق، ص 41.

فوق بعضها والأزقة الضيقة المتعرجة والأدراج المحفورة في الصخر ولا تزال بعض العناصر المعمارية القديمة (تيجان، أعمدة، قواعد، سواكف) تظهر هنا وهناك.

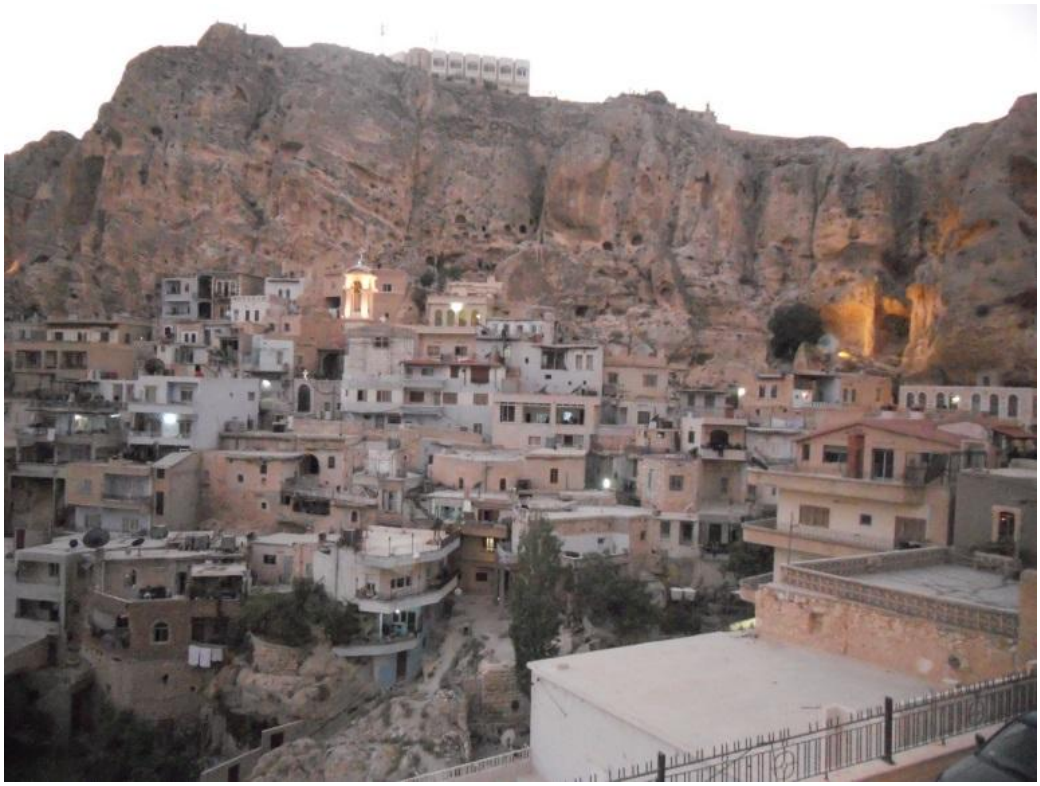

شكل 20 : معلولا (البلدة القديمة)

تتميز معلولا بشكلها العجائبي فهي قرية مبنية في الصخر قوية من صلب التاريخ بناها أهلها بالاتفاق مع الطبيعة فكانت دلالة على قدرة الإنسان وحكمة الطبيعة وروعة الخلق.
جدران صخرية قائمة تحتضن البلدة من جهات ثلاث شرقاً وشمالاً وغرباً ومن جهة الجنوب ينحدر واديها الذي تغطيه ظلال الأشجارالتي ترتوي من سواقي المياه القادمة من الفجين الشرقي والغربي ومنازل قديمة للسكان مطلية بالكلس الأزرق ترتسم على صدر ذلك الجدار الصخري الشاهق اكتظت متدرجة فوق بعضها البعض.

سادساً- حمام الملكة (خارج حدود البلدة القديمة):

أسفل معلولا هيكل روماني قديم يدعونه (حمام الملكة) يقال أنه كان معبداً وثنياً، ولما تنصّر أهل معلولا اتخذوه كنيسة. لكنه الآن عبارة عن أطلال، فلم يبق منه إلا مجموعة صغيرة من الحجارة الضخمة المرصوفة تدلّ على أن البناء كان ضخماً وذو شأن عظيم.

سابعاً- المكتشفات الأثرية والتاريخية:

اكتشف ومنذ عهد ليس بالبعيد كنيسة فخمة وجدت تحت أنقاض مزار الخضر " القديس جورجيوس " وأخرجت أعمدتها من تحت الأنقاض فإذا بها تشبه في هندستها كاتدرائية يبرود المعروفة. ويبدو أن الكنيستين في معلولا ويبرود من مخلفات العهد الروماني في سورية. وأنهما كانا معبدين للآلهة جوبيتر قبل أن يتحولا إلى كنيسة[1].

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص 66

ثامناً- الحصون:

لاحظ سكان مدينة معلولا أن طبيعة مدينتهم الصخرية والكهوف الطبيعية المحفورة في قلب الصخور تساعدهم على تشييد الحصون وفي معلولا الآن حصنين مكشوفين أحدهما في الجبل الشرقي وهو صغير الحجم وله فتحتان كبيرتان تشرفان على القرية ويتم النزول إليه من قمة الجبل، والحصن الغربي وهو كبير المساحة حيث يتسع لأكثر من مئتي شخص ويحتوي على عدد من الممرات المسدودة وتقطر من سقفه نقط من الماء تسد حاجة من يتحصن به، ويصعد إليه من خلال سلم خشبي لأن بابه يرتفع عن الأرض أكثر من خمسة أمتار.

أما حصن معلولا الرئيسي ووفق ما ذكرته بعض المصادر التاريخية فيقع خلف البلدة في قلب الصخر وله بابان أحدهما من الفج الغربي والآخر من الفج الشرقي ويضم كهوف كبيرة وواسعة مما يتيح القدرة على المقاومة ولفترة طويلة وحتى الآن ما يزال هذا الحصن محتفظاً بأسراره إذ لم يتم كشفه والوصول إلى أبوابه.

شكل 21 : الحصن الغربي

6 4 1 2 عمارة معلولا:

للحديث عن العمارة في معلولا لابد من العودة إلى النشأة الأولى لهذا التجمع الاستيطاني الهام الذي اعتبر نقطة جذب أساسية للإنسان القديم من أجل السكن حيث يؤمن لساكنيه الحماية من المخاطر.

بدأ الاستيطان في الكهوف والمغاور وتطورت هذه الكهوف داخليا طبقا لتطور حاجات الإنسان، وقد ساهمت طبوغرافية الموقع للبلدة القديمة على خلق مسالك تربط بين هذه الكهوف ومع ظهور المعابد الأولى وهي عبارة

شكل 22: درج في بلدة معلولا القديمة

عن كهوف تجمع الإنسان حولها وارتبط اكثر بهذا الموقع. . . . ومن ثم تطورت هذه المعابد وأدخل الإنسان عليها مداخلات معمارية كما هوالحال في معبد أبولون (كنيسة مار سركيس الحالية) المؤلف من كهف وبعض الفراغات، وبنفس هذا التطور طور الإنسان كهفه والحق به بعض الفراغات البسيطة بما أتاح له الموقع مع استعمال مواد أولية، وطور الإنسان في نفس المسالك التي تربط هذا السكن.

أولاً- أنواع السكن:

ويمكن تصنيف النماذج السكنية في بلدة معلولا القديمة على النحو التالي:

1. سكن قديم من الحجر الغشيم، ومن الطين وأسقف خشبية مع وجود كهوف. يتكون من تراكبات معقدة، مؤلفة من عدة مستويات. غالباً ما تستعمل الأسطح التابعة للمسكن نفسه أو للجوار للنشاطات العديدة وللنوم في الصيف.

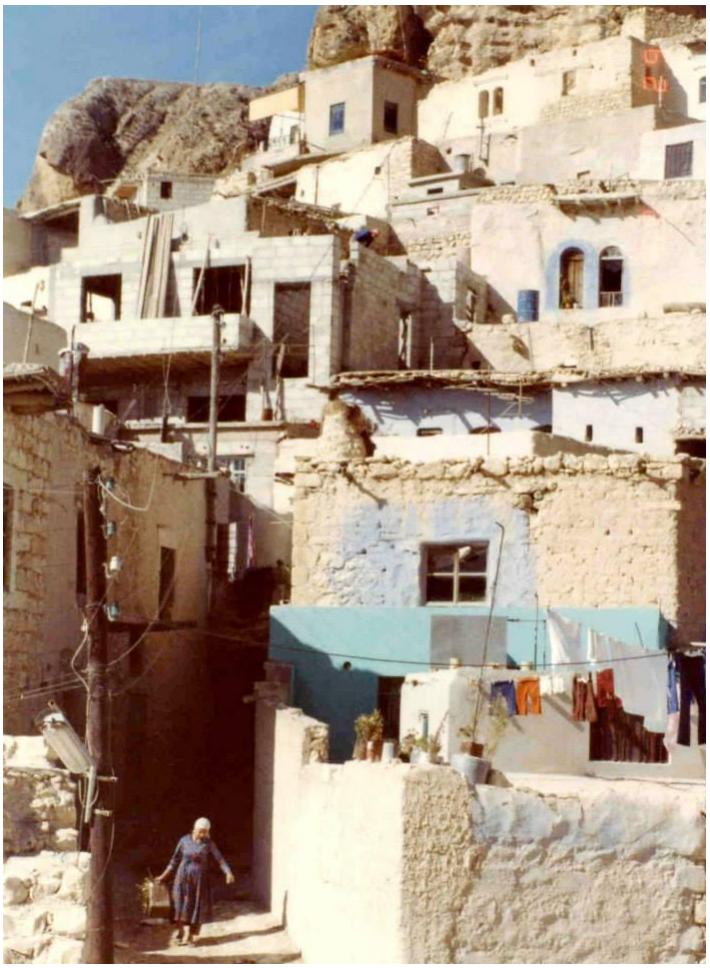

شكل 23: بيوت معلولا

2. سكن ذو واجهات حجرية مؤلف من رواق أمامي وغالباً هذا الرواق يأخذ شكلاً ثلاثياً مع اقواس نصف دائرية أو شبه مدببة تستند إلى أعمدة بساق قصير طوله بين 90 إلى 120 سم، مع تاج بسيط. الهيكل الداخلي من مواد مختلطة مع أسقف خشبية ولها مغاور وكهوف – غالبا الطابق الأرضي مخصص للمؤن والتخزين والطابق العلوي للمعيشة والنوم.
3. سكن بأبنية حجرية وله أكثر من واجهة حجرية يعود بناؤه إلى نهاية القرن التاسع عشر وله شرفات محدودة العرض،تمتد على طول الواجهة وهذه الأبنية غالباً ما تتميز بأبوابها الحجرية وخطوطها المعمارية المدروسة للواجهات.
4. سكن مبني بمواد اسمنتية وناتج عن مداخلات على البناء القديم أو اقامة بناء مكان البناء القديم بالكامل ولها شرفات كبيرة، وبعض هذه الشرفات مزججة. بعضها يعطي حجماً جميلاً، لكن لا يوجد فيه عناصر معمارية وإنما كتلة أحيانا تكون جميلة بتوضعها فوق الصخور.

ثالثاً- الاعتبارات المناخية والبيئية:

يتميز موقع معلولا بالاعتبارات المناخية والبيئية التالية:

1. التوجيه المثالي:

هو الجنوبي الشرقي لهذا المنحدر في موقع المدينة القديمة وقد انعكس هذا على تصميم البيت من حيث الانفتاح نحوالجنوب الشرقي للمنزل وتشكيله لأكبر واجهة مطلة على هذا الاتجاه، وغالبية المنازل بواجهة واحدة طولية ومغلقة من الاطراف الاخرى إما بالجبل أو بالجوار.

إضافة إلى أن حرص المواطنين على الاستفادة من هذا التوجيه والمتوافق مع الاطلالة الجيدة خلق نوعا من النظام في البناء والمعتمد على احترام مساكن الغير وعدم حجب التشميس والرؤيا وهذا ما أوجد نظام أشبه بالتيراسات المتراكبة، اضافة لتخصيص هذه المساكن بأكبر شرفات ممكنة على الاتجاه الجنوبي الشرقي حيث تطورت هذه الشرفات لتصبح أروقة تؤمن الحماية من اشعة الشمس في فصل الصيف والرياح في فصل الشتاء مع إمكانية دخول الشمس إليها.

2. الحماية الحرارية:

الحماية الحرارية هي كافة الوسائل والطرق المتبعة في تخفيض الانتقال الحراري بين الوسط الداخلي والخارجي وتتعلق بالعناصر التالية:

- طبيعة الموقع.
- النسيج المتراص ودرجة المسامية.
- المعامل الكلي لنقل الحرارة لمواد البناء.
- اللون ومادة الحماية.

3. طبيعة الموقع:

إن طبوغرافة موقع معلولا ساهم بشكل كبير في الحماية الحرارية صيفا وشتاء وقد كان لوجود الكهوف في غالبية السكن ميزةً كبيرةً في مجال الحماية الحرارية، وهذا ما يفسر استعمال الكهوف كفراغات لتخزين وحفظ الأطعمة.

كما أن تكوين الموقع بما يحده من الصخرة الشرقية والصخرة الغربية حدّا من البيئة الحرارية اللازمة وكذلك الحماية من هبات الرياح الباردة التي غالباً تأتي من الاتجاه الغربي والغربي الشمالي.

4. النسيج المتراص ودرجة المسامية:

إن النسيج العمراني المتراص لبلدة معلولا قد أمّن الحماية الحرارية بأشكال مختلفة من التظليل المفضل في فصل الصيف، ودخول الشمس في فصل الشتاء مع الحماية من الرياح، ونتيجة انفتاح هذا النسيج على الجهة الجنوبية الشرقية وانغلاقه من بقية الجهات في غالبية المساكن، وقلل من تعرض سطوح هذا النسيج للعوامل الجوية المختلفة.

5. المعامل الكلي لنقل الحرارة لمواد البناء:

إن استخدام المواد التقليدية من طينية وحجرية وبسماكات كبيرة في أبنية بلدة معلولا أدّى إلى توفير المعامل الكلي لنقل الحرارة وبشكل يتكيف مع المتطلبات طبقاً للظروف المناخية.

إن معلولا هي كبقية البلدات القديمة تتصف مبانيها بفتحات محدودة الأبعاد وبشكل توفي بالهدف وهي الرؤيا المحددة والإنارة المطلوبة والتشميس والتهوية.

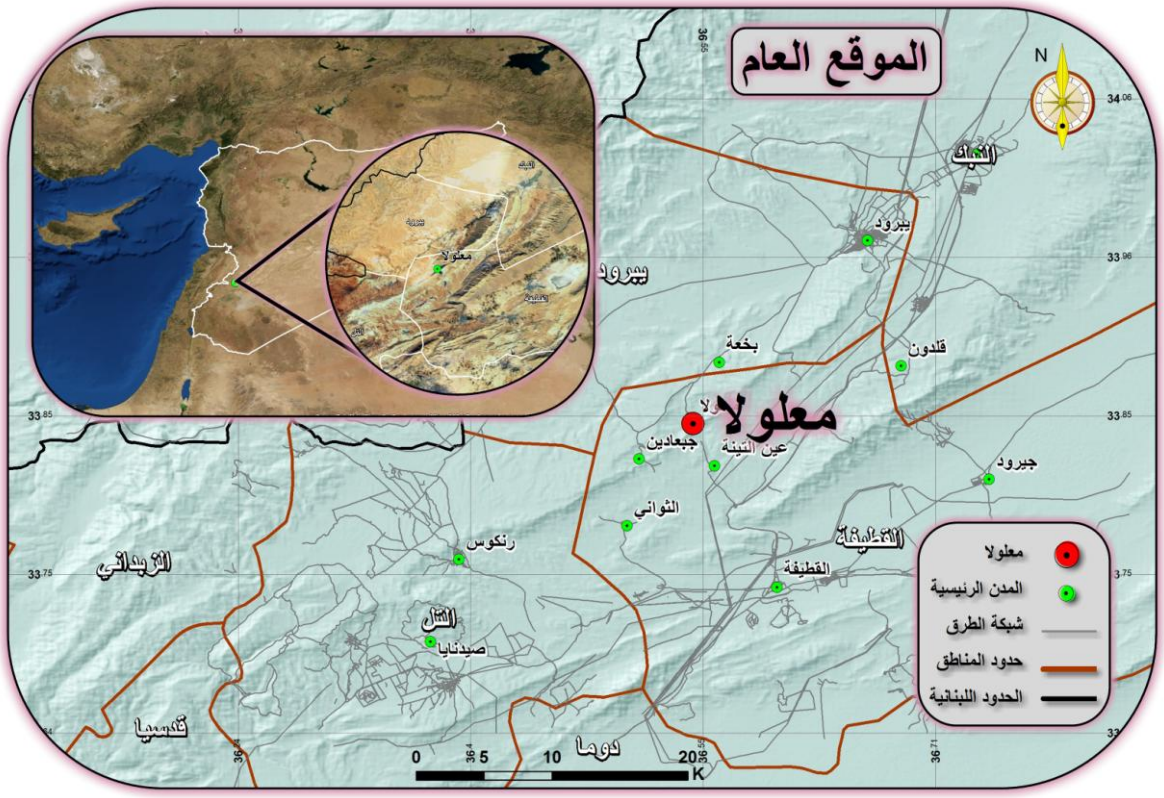

مخطط 11: المواقع العام لمعلولا

6. اللون:

إن ما يلفت الانتباه في معلولا هو حفاظها على اللون الابيض المائل إلى الازرق والناتج عن استخدام مادة الحوارة الممزوجة بالنيلة، إن هذا اللون ساعد على عكس أشعة الشمس في فصل الصيف وبالتالي التخفيف من عبور أشعة الشمس عبر هذه الجدران.

7. مقاومة الرطوبة والثلوج ومياه الامطار:

ربما تكون مشكلة الثلوج في معلولا من أهم المشاكل التي تعاني منها البلدة وأبنيتها. وتصل إلى حد أن تصبح كامل النشاطات في البلدة متوقفة من جراء كميات الثلوج المتراكمة وخلال مدة تصل أحيانا لأكثر من أسبوع.

8. تأثير الثلوج على المباني:

إن الاسقف الأفقية ونوعية المواد المشكلة لها تجعل من موضوع الثلوج مشكلة كبيرة وتشكل أوزاناً خطرة على البنية الانشائية للأبنية خاصة وأن جميع الأسقف تعتمد في إنشائها على الخشب وطبقة من الأغصان تعلوها طبقة من الطين، ولقد اضطر أه الي معلولا إلى اتخاذ اجراءات متعددة منها تقوية طبقة الطين بالصيانة الدائمة وقبل حلول فصل الشتاء، مع تدعيم الأسقف بأعمدة متوسطية تخوفا من هبوطات تحدث من جراء الرطوبة والثلوج، كما يقوم الأه الي وبصورة مباشرة في كل يوم ثلجي بقشط كميات الثلوج من خلال نظام خاص أوجدته بلدة معلولا يسمى " طريق الثلج " وهو حق الجار بنقل الثلج المتراكم على عقاره إلى العقارات المجاورة وصولاً إلى الطريق العام وهذا النظام له أخلاقياته ووسائله وأعرافه الخاصة به، مثل وجود أبواب ومنافذ بين العقارات تفتح في حالات الثلوج والطوارئ.

9. الأمطار:

تشكل الأمطار لأهل معلولا مجموعة من الصعوبات تتمثل في عدم استيعاب شبكة الصرف الصحي والمطري لكميات الامطار وتؤثر هذه الأمطار وكثافتها على مواد البناء التقليدية وتؤدي إلى تهالك الطبقات السطحية فيها وهو ما يؤدي إلى رشح المياه منها ومن ثم إلى انهيارات جزئية وأحياناً كلية، ومما يزيد المشكلة تعقيداً هي الحالة المادية لأه الي معلولا التي تقف عاجزة عن عمليات الترميم المطلوبة وبشكل دائم وهو أمر لابد من تقديم الحلول المناسبة له على كافة الأصعدة.

وهنالك مشكلة أخرى وهي رشح المياه الجوفية من كهوف المنازل والتي تقف الأه الي عاجزة عن ايجاد طريقة لوقف هذا الموضوع سوى فتح قناة صغيرة تعبر كامل المسكن باتجاه نقاط الصرف الموجودة. وهناك حلول عديدة مختلفة يقوم بها الأه الي تبعاً لإمكانياتهم وحجم المشكلة لديهم.

	كانون الثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	تموز	آب	أيلول	تشرين الثاني	كانون الأول	كانون الثاني	المعدل العام
كمية الهطول السنوية مم	75	35	20	15	10	-	-	-	-	15	35	35	225
معدل الحرارة الجافة السنوية	3	4	8	12	16	21	23	24	19	16	9	6	5 .13
معدل الحرارة العظمى	8	10	13	18	23	29	31	32	28	22	16	10	20
معدل الحرارة الصغرى	0	1	2	6	10	14	16	17	13	10	5	2	8
معدل الرطوبة النسبية	75	70	60	50	45	35	35	30	45	50	65	70	%53

جد

رابعاً- الطابع المعماري المحلي:

يغلب على المباني والنسيج العمراني في بلدة معلولا الطابع العام الذي تختص به بلدات قرى القلمون مع خصوصية معلولا بموقعها الجميل وانسجامها مع محيطها. ومن خلال عمليات الرفع والتصوير للبلدة يمكن تمييز أهم العناصر المعمارية المتوفرة بهذه البلدة.

1. الملامح والمفردات المعمارية الخاصة:

القوس الحجري المرتكز على عمود قصير لا يرتفع لأكثر من 120 سم. مع تاج بسيط غالباً ما تكون الأقواس ضمن مجموعة ثلاثية وتشكّل في الطابق الأول رواقاً ممتداً على الواجهة المطلة على البلدة.

شكل 24 : مفردات معمارية متنوعة من معلولا

وللأبواب عدة نماذج من الفتحات، بعضها بدائي الشكل مؤلف من فتحة ضمن الهيكل الانشائي للجدران وبعتبة حجرية أو خشبية بسيطة، وهومنخفض الارتفاع مع باب بدائي من مختلف المواد بعضها مؤلف من خشب (الحيلان) المستعمل في بيادر القمح وهو شائع في بيوت معلولا إضافة إلى وجود آليّ تقليدية بالفتح والإغلاق معتمدة على آلية خاصة عرفت بها المنطقة وتعتبر هذه الاقفال قطع أثرية، وهي تعبر عن كفاءات أهل المنطقة في مجال الحرفة. وتوجد نماذج أخرى أكثر تطوراً وهي أبواب غالباً ما تكون مصنوعة بتشكيل هندسي أيضاً وهو طراز شهدته المنطقة في بداية القرن الماضي وهو ما تؤكده الكتابات التأسيسية المنقوشة على العتبات الحجرية، إضافة إلى وجود أبواب حديدية مشغولة بطريقة فنية شاعت في نفس الفترة.

2. النوافذ والفتحات:

تتصف النوافذ الحجرية بشكل عام بأبعاد محدودة وهي موزعة بإيقاع غالباً ما يكون مزدوج، أو موزعة بشكل عفوي. وغالباً ما تكون عتبات النوافذ على نوعين: أفقية أو قوسية. ويلاحظ في بعض الواجهات الحجرية ذات الاقواس فتحات صغيرة بين الأقواس تهدف إلى وجود إيقاع زخرفي.

3. مواد البناء والإكساء المستخدمة والألوان:

- الجدران:

استخدم الحجر الكلسي المقصب بشكل عام في بناء جدران السكن التقليدي، وبرع الحرفيون في تأمين هذه المواد ونحتها وتقصيبها لوفرتها في المنطقة. وبنيت هذه الجدران بأساليب متنوعة،جدران حجرية منحوتة بسماكة تتراوح بين 40-60 سم وسطياً وجدران حجرية مبنية من الحجر الدبش بسماكة تصل حتى 70 سم. استخدمت المونة الكلسية كمادة رابطة تقليدية واستبدلت بالمونة الاسمنتية حديثاً لسهولة تنفيذها ومتانتها، تتوضع هذه الجدران على أساس حجري مستمر غير عميق نظراً لتوضع هذه الجدران على الكتل الصخرية.

- الأسقف:

انتشر في منطقة القلمون الأعلى شجر اللزاب الصنوبري بالإضافة إلى شجر الحور، واستخدمت بشكل عام جذوع هذه الأشجار في تسقيف الدور السكنية واعتمد نظام الجائز الرئيسي الذي تعلوه الجوائز الثانوية ذات أقطار تراوحت بين 15-20 سم وبتباعد 20-30 سم محورياً تستند الجذوع الثانوية على الجدران الحجرية مباشرة حيث تعلوها طبقة من أغصان (الشيح) في الدور المتوسطة والفقيرة وطبقة من الدفوف الخشبية في البيوت الميسورة كما استخدم القوس القاطع الوسطي في بعض الأحيان بهدف تقليص المجاز والتقليل من الجذوع الخشبية الطويلة التي قد تكون غالية الثمن ونادرة. كما يمكن مشاهدة نظام العمود الخشبي الذي يتوضع وسط الفراغ ووسط الجائز الرئيسي للمساعدة في زيادة تحمل الجملة الإنشائية التي تتعرض للأوزان الكبيرة نتيجة الثلوج والحمولات الحية.

4. مواد الاكساء:

- الكلس الحي: وهوكربونات الكالسيوم تحرق قطع الكلس المستخرجة من باطن الأرض فتتحول عندها إلى أوكسيد الكالسيوم، ثم يطفأ بالماء ليشكل عجينة مرنة سرعان ما تتصلب وتلتصق بشدة عند مزجها بالماء وقشور القنب وتخميرها. وقد اشتهرت مدينة جيرود بمقالع الكلس وطرق تحضيره. وقد أضيفت هذه الطبقة على السطح الخارجي والداخلي للجدران وقد طليت باللون الازرق الذي ميز المدينة خلال فترات زمنية سابقة، حيث أعطى اللون المشترك مجموعة من الميزات التي تعبّر عن وحدة المكان والمجتمع والبيئة.
- الحوّار: وهوالشخص الذي يمتهن مهنة تحوير الجدران أي تبييضها. ولتحضير هذه المادة تخلط قطع الحوار المنقوع بالماء ويمزج ببعض المواد حتى يصبح لزجا ويؤتى بعصا طويلة على رأسها فرشاة من شعر فتغمس ويدهن الجدار عدة مرات حتى يصبح الجدار وكأنه مكلّس. وكان أهل القرى الذين يتقنون هذه الصنعة وهم من القلمون الأدنى يذهبون إلى محافر (مقالع) الحوار ويأتون بها وهي مادة نقية أساسها كلسي وهي ذات رائحة ذكية وتنحل بالماء بسهولة.
- التكحيل: غالباً ما تكون أعمال الكحلة التقليدية وهي ملء الفواصل بين القطع الحجرية المنحوتة وتنفذ بشكل عام بصورة غائرة عن سطح الحجر بسماكة وسطية تصل إلى 3 مم ويوصى بأن لا تبرز عن حدود الحجر (السطح الخارجي). حيث يجب إزالة كل آثار الكحلة عن السطح الخارجي للحجر وتكون مادة الكحلة تقليديا من كلس ورمل مطحون واستبدل الكلس بالاسمنت في المرحلة الحالية.
- العدسة: استخدمت العدسة المشكلة من مواد أهمها القصرمل والتراب والماء وشكلت الطبقة النهائية للأرضيات وعتبات النوافذ والأدراج داخل المسكن واستعيض عنها نظراً لغياب هذه الحرفة وموادها بالطبقات الاسمنتية والبلاط وغيرها من مواد الاكساء الحديثة.

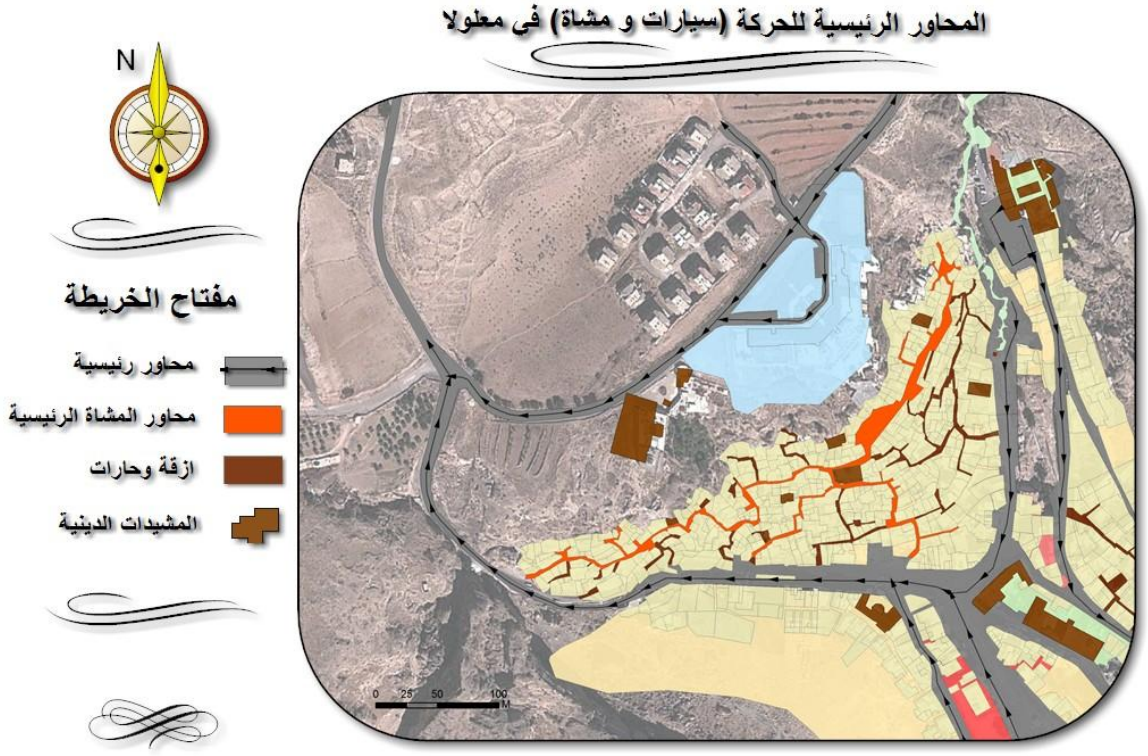

مخطط 12: محاور الحركة الرئيسية (سيارات-مشاة)

خامساً- الوضع الفيزيائي للبلدة:

- استعمالات الأبنية:

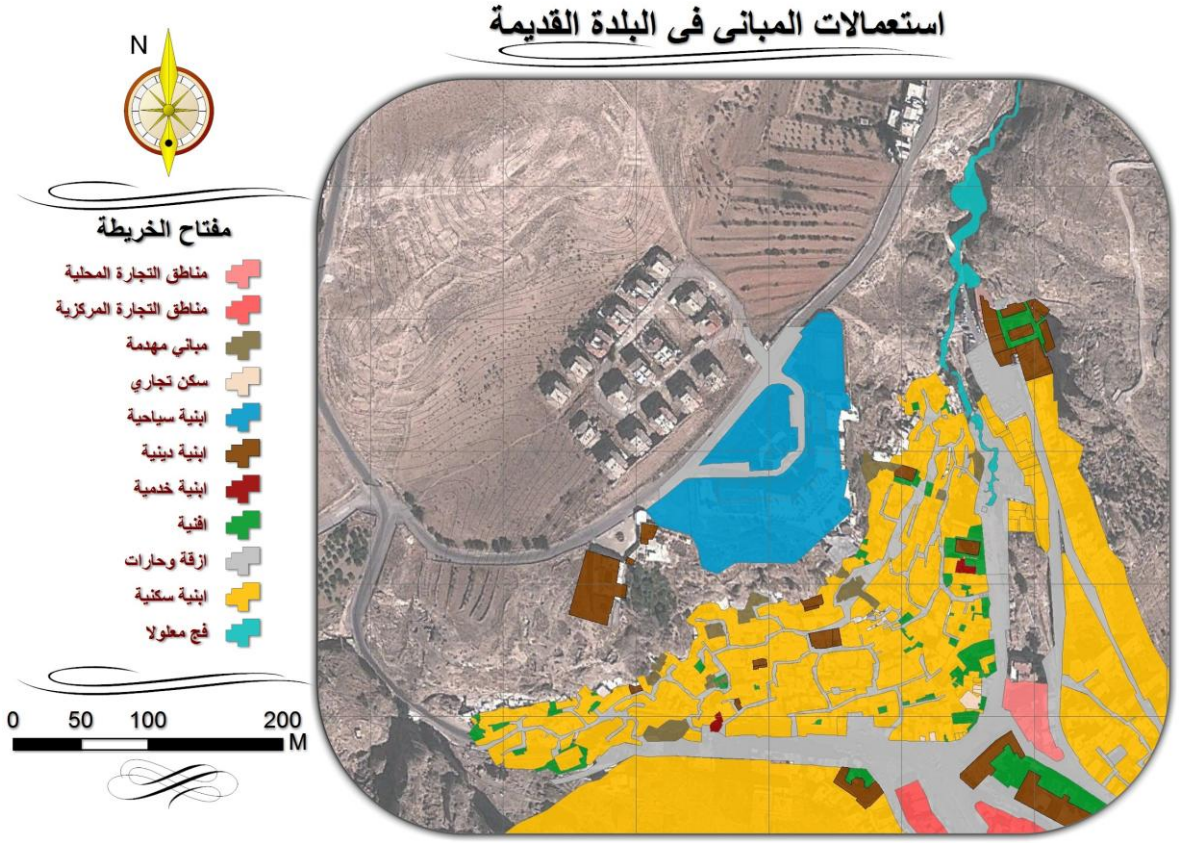

مخطط13: استعمالات المباني في بلدة معلولا

يغلب على البلدة القديمة الطابع السكني فمعظم مبانيها تستخدم للسكن إضافة لوجود مجموعة من الأبنية الدينية والتاريخية من الكنائس والأديرة والمقامات ومجموعة من الكهوف كما تحتوي البلدة القديمة على معصرة لإنتاج الدبس ومجموعة من الخدمات التجارية التي تنتشر في أطراف البلدة في المنطقة الجنوبية وخاصة المنطقة المطلة على الساحة الرئيسية ويمكن ملاحظة ذلك من المخطط.

- الحالة الفيزيائية للأبنية:

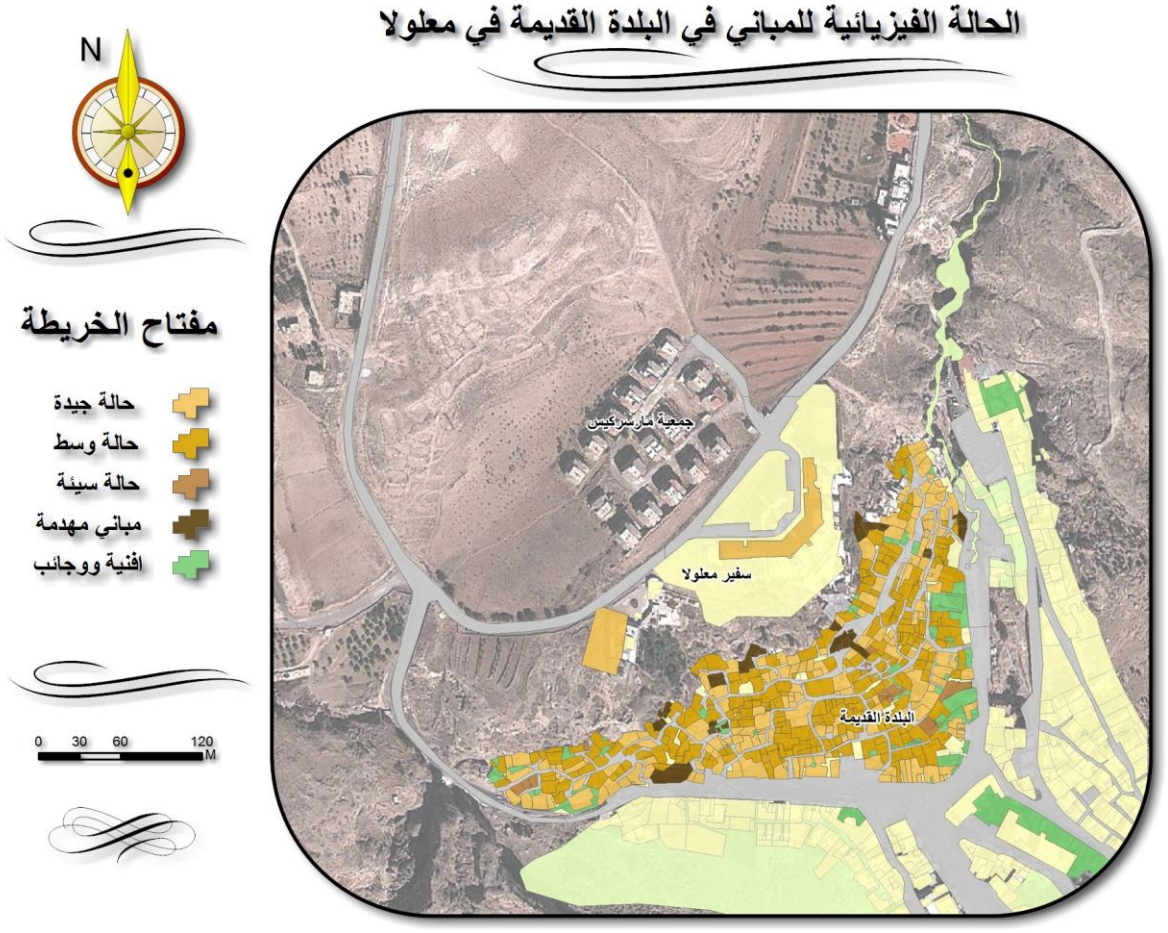

مخطط 14: الحالة الفيزيائية للمباني في بلدة معلولا

معظم مباني البلدة المبنية من مواد تقليدية حالتها الفيزيائية سيئة حيث أن معظمها متهدم أو مهدد بالسقوط.

كما يوجد مجموعة من المباني ذات حالة فيزيائية جيدة فهي مشيدة من البيتون ومواد إكساؤها حديثة مع استعارات سطحية بصورة مشوهة عن البناء التقليدي كإكساء بعض عناصر الواجهات بالخشب وهو ما يعكس المفهوم الخاطئ عن الذات أو الحفاظ على المباني من قبل السلطات الإدارية (في فترة من الفترات ألزم نظام البناء بوضع إكساء خشبي بأسفل الشرفات والبروزات بهدف إعطاء الطابع القديم) وتعتبر هذه المواد بصورتها الراهنة إحدى عوامل التلوث البصري للحالة الفيزيائية للمدينة القديمة.

- ارتفاعات الابنية:

معظم المباني في معلولا مكون من طابقين وتصل في بعض الحالات النادرة إلى ثلاث طوابق وهذا ما يوضحه مخطط ارتفاعات المباني المقدم. حيث تتواجد الكتل المكونة من ثلاث طوابق على أطراف

المدينة القديمة من الجهة الجنوبية المطلة على الساحة ونتيجة لترخيص حديث نسبياً ووفق المخطط التنظيمي المصدق.

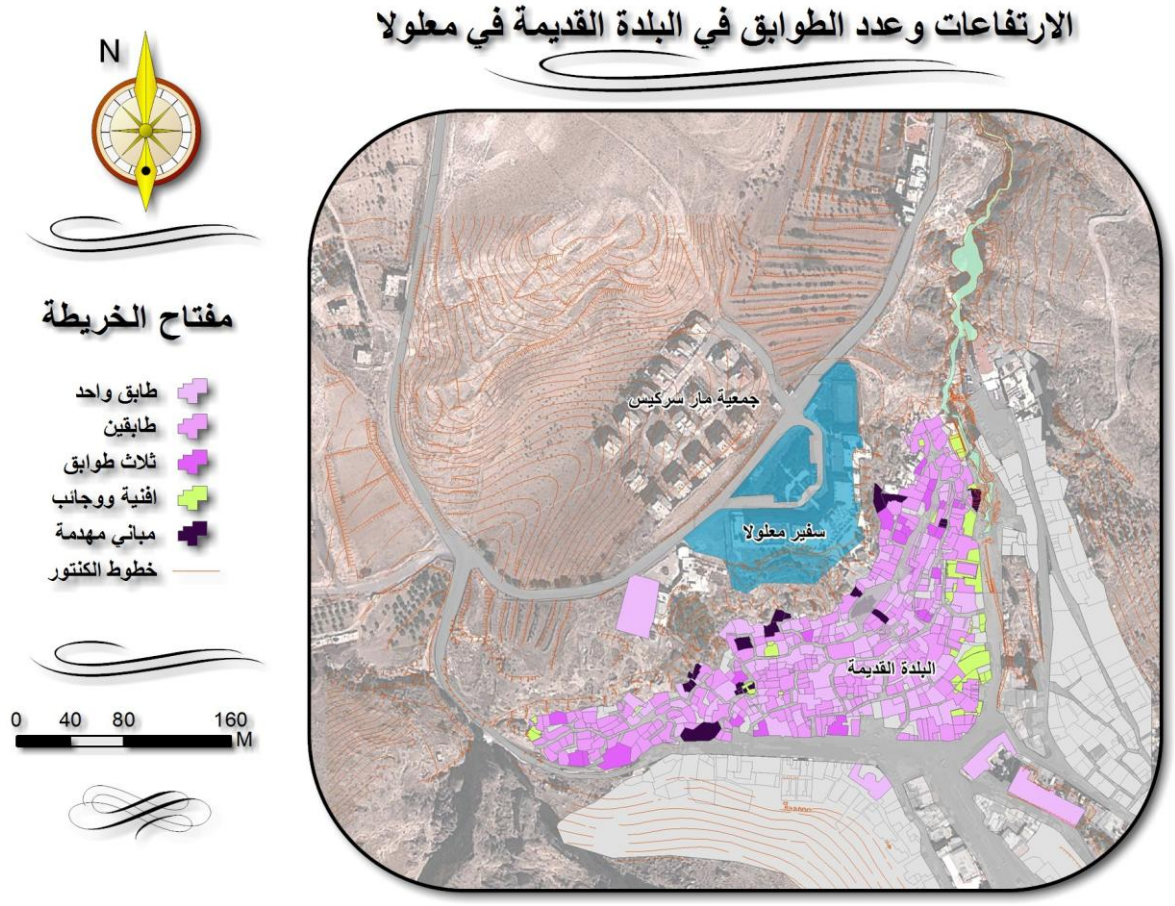

مخطط 15: ارتفاعات المباني في بلدة معلولا

- النسيج العمراني:

النسيج العمراني في بلدة معلولا هو نسيج قديم وبالتالي يتميز بأنه نسيج متراص ومتراكب بل إن طبيعة الموقع في هذه البلدة يضيف ميزات أخرى اختصت بها معلولا وهو النسيج المتداخل والمتراكب (تيراس) وهو نسيج مطل بواجهته الجنوبية على الوادي، والتكوين العام لنسيج المدينة يتماشى مع طبيعة الأرض ومع متطلبات الحركة والتنقل، وكذلك التوجيه واحترام العوامل البيئية والطبيعية، ولهذا فإننا نرى من خلال المصور المساحي للمدينة القديمة أن المسطحات الأفقية هي المساحة المسيطرة على تكوين المدينة.

- العوامل الصحية المتوفرة (التشميس والتهوية):

تم تناول هذا الموضوع في المعالجات المناخية والبيئية للسكن ويمكن تلخيص ذلك بأن النسيج العمراني والأبنية قد تميزت بالتوجيه الجيد للتشميس وذلك من خلال توافق الموقع مع الاتجاهات المناخية المفضلة.

- المشيدات والخدمات العامة:

بالرجوع إلى مصورات استعمالات الأراضي يتبين أن غالبية النسيج ذو صفة سكنية عدا بعض العقارات المحدودة والتي تستخدم كمراكز دينية على الشكل التالي:

- الأديرة: دير مار تقلا، دير مار سركيس، دير مار جورجيوس.
- المقامات: مقام القديسين قوزما ودميانوس، مقام القديس شربل، مقام القديس سابا، مقام القديس توما.
- الكنائس: كنيسة مار الياس، كنيسة مار لاونديوس، كنيسة القديسة بربارة.
وفي المنطقة الجنوبية من البلدة تتوزع في الطابق الارضي بعض المحلات التجارية وهي تخدم كامل البلدة القديمة والحديثة إضافة إلى وجود بناء المعصرة الصغير لصناعة الدبس.

- الدراسة البصرية في المنطقة التراثية:

يمكن تمييز نوعين من العناصر البصرية في البلدة القديمة:
- العناصر البصرية ضمن الأزقة ومحاور الحركة والتنقل وتتميز هذه العناصر بالأمور التالية:
1. التنوع وعدم الرتابة من خلال تنوع العناصر المعمارية المشكلة لهذه المحاور : فتتداخل هذه الصخور مع أرضية المسالك الترابية أو الاصطناعية وعناصر البناء المجاور التي تعيش تداخلا مميزاً من اختلاف وتنوع المواد (الخشب – الصخر الطبيعي – مواد بيتونية – حجر منحوت – حجر خشن – مواد طينية. . . . . الخ) كلها تظهر في منظومة طبيعية غنية بعيدة عن الرتابة والملل وهو ما يلفت انتباه الزائر.
- تنوع مسار الحركة في هذه الأزقة وتنوع طبيعة منحدراتها التي تتبع الطبيعة الطبوغرافية للبلدة، وغالباً ما تنتهي هذه المسارات بمراكز دينية هامة تضيف بعداً روحياً من خلال تمازج هذه الأبنية الدينية مع الطبيعة التي تشكل خلفية قوية في كثير من المحاور لهذه الابنية والمسارات. وربما يكمن ذلك في سر السحر الخاص لهذه البلدة.
- عنصر المفاجأة من خلال تنوع العناصر الطبيعية المختلفة التي تطل من زوايا الأبنية والسباطات.
- تنوع العناصر اللونية سواء من جدلية الظل والنور في تواتر السباطات في محاور المشاة والأزقة أو في ايقاع لوني متدرج للمباني ناتج عن استعمال طبقات إكساء خارجية يختلف لونها مع الزمن ويتدرج من الأبيض حتى اللون الأزرق.
2. العناصر البصرية للنسيج العمراني بمظهريه الداخلي والخارجي:

يتميز المحور البصري للمباني بأنه محور بصري أفقي، وهي حالة نادرة في الأبنية القديمة التي تعتمد على المحور الشاقولي حيث يتجه نحوالسماء، وهو ما يفسر حجم الفراغ والباحات الداخلية فيها وانغلاقها.
أما في أبنية معلولا فالمحاور البصرية في غالبية المباني محاور أفقية تمتد إلى اللانهاية باتجاه الوادي وهي تنقل المواطن من حيز محدود ضمن أبنيته وفراغاته الصغيرة إلى حيز كبير.
ويختلف الموضوع بصرياً إذا ما صعدنا إلى أسطح المباني والتي تستخدم في أغراض عديدة، هنا يختلف المحور البصري ليحوي على مختلف الرؤى الأفقية والشاقولية لتبدوالطبيعة كاملة وأيضاً يختلف المشهد والمحاور البصرية ليلاً ونهاراً في أيام الصيف بحيث يعيش الساكن في حالة مختلفة تبدو فيها الطبيعة هي العنصر الأساسي المسيطر.

- التجانس البصري بين النسيج العمراني للبلدة القديمة ومحيطها الجديد:

لقد حددت المدينة القديمة نتيجة قرار صدر عن المديرية العامة للآثار والمتاحف آخذاً بعين الاعتبار المحددات الطبيعية وهي الفج الشرقي والفج الغربي إلا أنه في حقيقة الأمر أن المدينة القديمة كانت

تمتد إلى تلال المنطقة الشرقية باتجاه دير مار تقلا وتلال المنطقة الغربية باتجاه المحكمة وما زالت بعض المباني الهامة والجميلة في هاتين المنطقتين واللتين تعتبران محيط البلدة القديمة[1].

6 4 1 3 مواقع دينية:

تعتبر المراكز الدينية إحدى المقومات الأساسية للتراث الحضاري التي يعتمد عليها المخطط في إعادة تخطيط المدينة القديمة أو في تخطيط المدينة الحديثة بحيث يكون عنصر تجانس بين التخطيط العمراني الحديث والمحيط التاريخي للمدينة[2].

مخطط 16: المشيدات الدينية في بلدة معلولا

أولا: دير مار تقلا:

يعتبر دير مارتقلا رمزاً للقداسة وحياة القديسين وسبق الحديث عنه في الفقرة (6-4-1-1).

ثانيا: مقام القديسة تقلا:

تنحدر القديسة تقلا من أطراف مدينة إيقونة (على حدود اليونان) من والدين وثنيين، وتعتبر أولى شهيدات المسيحية، وتلميذة القديس بولس، ففي سنة 45 للميلاد ابتدأ الرسول بولس داعياً لعبادة الله والإنجيل الشريف الذي دعي لأجله، وعند مروره بمدينة أيقونة سمعت القديسة تقلا كلامه، فخشع

[1] د. موفق دغمان، دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق 2011/5، ص58

[2] د. عبد الباقي ابراهيم, تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة, مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية, ص20

قلبها لما فيه من روحانية ودعوة لعبادة الله الواحد، فاتّبعته معارضة بذلك أبويها اللذين دأبا على أن يردّاها عن ذلك إلا أنها أبت فحاول والدها حرقها إلا أن قدرة الله ومشيئته حالت دون ذلك حيث اكفهرت السماء بالسحب السوداء وأمطرت برداً شديداً على المحرقة فانطفأت النار، إلا أن والدها حاول إعادة قتلها بأكثر من طريقة، ولكن الإله الواحد كان معها، وقد عجب الناس لعظيم أمرها حيث ملأ خبرها أصقاع المدن المحيطة، وعندها هربت القديسة تقلا سيراً على الأقدام واجتازت أنطاكية دخولاً إلى شمال سورية حيث تابعت رسالة التبشير في كل مكان بالإله القدير والرب يسوع والمعمودية المقدسة إلى أن وصلت إلى منطقة القلمون، وأقامت هناك حيث حصلت المعجزة الأكبر عندما لاحقها رجال والدها الطاغي، ووصلت إلى مكان مسدود فشق الله لها الجبل بفج عظيم دخلت إليه تختبئ خلفه من عيونهم وظلت في معلولا إلى أن ماتت ودفنت هناك.

والمقام عبارة عن مغارة في لحف صخرة كبيرة، لها باب حديدي صغير بدرفة يصعد إليها بست درجات، وهي مجمع صغير تحت الصخر يتألف من قوسين متناظرين يتوسطه شبك حديدي مستطيل الشكل، إلى اليمين يوجد المزار وفوقه أيقونة القديسة تقلا، للمزار بابان خشبيان متناظران يعلو كل منهما جملون خشبي فوقه الصليب، ويتوضع المزار تحت صخرة يتوسطها أيقونة السيد المسيح وفي الأسفل حشوات تحوي نذورات ذهبية وغيرها وفوقها أربعة أيقونات: للقديسة تقلا فيسوع فالسيدة المرشدة فالقديسة بربارة فالقديس أنطونيوس الكبير، وفي جدران المقام أيقونات مقدسية سورية صغيرة وكبيرة قديمة هامة وأخرى روسيّة الفن[1].

ثالثاً- دير مارسركيس وباخوس:

دير قديم وشهير له أهمية دينية كبيرة وقد تم ذكره سابقاً في الفقرة (6-4-1-1).

شكل 25 : دير مارسركيس وباخوس

شكل 26 : دير مارتقلا

1 د. قتيبة الشهابي ود. متري هاجي أثناسيو، أديرة وكنائس دمشق وريفها، موسوعة كنائس دمشق، المجلد الثالث، دمشق، 2004، ص 246.

رابعاً- تمثال السيدة العذراء:

شكل 27 : تمثال سيدة السلام في معلولا

تمثال سيدة السلام في معلولا من التحف الفنية المميزة في معلولا حيث وضع أعلى الجرف الصخري في مكان يطل على البلدة القديمة ومعلولا بالكامل بحيث لا يسع الزائر لمعلولا إلا أن يلاحظه.

خامساً- تمثال السيد المسيح:

تم إزاحة الستار عن تمثالِ السيد المسيح في دير القديسة تقلا ببلدة معلولا السورية يوم الأربعاء 24 سبتمبر/أيلول 2008، استكمالاً للنشاطات التي بدأها صندوق القديس بولس الرسول في سورية. وقد قام بصنع هذا التمثال النحات الروسي الشهير الكسندر روكافشنيكوف، الذي قال معلقاً " "هوعملي الثاني المكرس للأرض المقدسة في سورية. ففي عام 2005، وفي بلدة كوكب التابعة لريف دمشق قمنا بنصب تمثال بولس الرسول، وها نحن اليوم أقمنا في معلولا تمثالاً للسيد المسيح". نصب هذا التمثال الذي يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار على السور المطل على باحة الدير[1].

1 قناة روسيا إليوم، http://arabic. rt. com/news/19300/

شكل 28: تمثال السيد المسيح في معلولا

سادساً- الفج الشرقي:

هو من أهم المناطق الأثرية، وإضافة إلى أهميته من النواحي الروحية والدينية يشكل بطبغرافيته وعناصره المائية وتنوعه الحيوي نقطة جذب سياحي ذات أهمية كبيرة لبلدة معلولا.

ويمكننا تقسيم معالم هذا الفج إلى: النبع الشرقي ويسمى الحمام والمحكمة ودرج صخري إلى المعاصر والمدافن والمشنقة وممر الفج.

سابعاً- كنيسة مار الياس:

تم خلال أعمال التنقيب وتوسيع الكنيسة عام 1925م ظهور أعمدة وفسيفساء أشهرها فسيفساء تابوت العهد التي تصور التابوت مع ملاكين حارسين عند طرفيه وحوله الغزلان لكن للأسف الشديد فقد تم نهب هذه الفسيفساء قديماً ولم يبق لها أثر يدل عليها مما يشكل خسارة فادحة أضرت بالكنيسة كثيراً. بالإضافة إلى الأعمدة الصخرية والفسيفساء هناك أثر آخر تم الحصول عليه وهو جرن كبير من الحجر خاص بالمعمودية موجود حالياً في الكنيسة كما يوجد فيها عدد من الأيقونات[1].

ثامناً- كنيسة القديسة بربارة:

كانت فيما مضى معبد وثني، ودليل وثنيتها هوهيكلها الذي يتجه نحوالغرب بينما الكنائس تتجه هياكلها نحوالشرق. كما كانت فيما مضى أكبر مما عليه الآن فقد استولى الأهالي على أطرافها وسكنوها إلى أن أصبحت على وضعها الحالي حيث تم تجديدها وتسويرها، كما حافظوعلى هيكلها القديم المحفور في وسطه بشكل شبه دائري، يعتقد أنها كانت معبدا لإله الشمس[2].

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص 66

[2] راما كرياكي، مرجع سابق، ص 28.

تاسعاً- مزار مار قوزما ودميانوس:

مزار قديم تم تجديده حديثاً وهو ملاصق للجبل في ظهره وهناك مغارة منحوتة بارتفاع 20م وعلى بابها نجد كتابة يونانية لم يعرف حتى الآن ترجمة لها[1].

عاشراً- مزار مار سابا:

كان معبداً وثنياً، تحول إلى مزار للروم الكاثوليك والآن تتم فيه عمليات التجديد حيث ظهر خلالها شمعات رومانية متوجة، قواعدها محفورة. وهناك العديد من المزارات القديمة نذكر منها مزار مار توما ومار سمعان ومار شربل وجميعها تقع في البلدة القديمة[2].

أحد عشر- دير الراهبات:

استخدم مكانه لأجل السكن، لكنه قديما كان ديرا ضخما دمر بسبب الزلزال. ويعتقد أنه كان ديرا خاصا بالراهبات في بداية طريقهن للرهبنة.

اثنا عشر- كنيسة التوبة:

كانت كنيسة كبيرة وواسعة المساحة وذات شأن هام جداً، وعلى أغلب الظن أنها الكنيسة التي تم اكتشاف أنقاضها من عهد قريب تحت أنقاض كنيسة جورجيوس وأخرجوا عواميدها من تحت الأنقاض وأصبح مكانها يسمى جنينة التوبة.

ثلاثة عشر- كنيسة القديس لاونديوس:

وهي للروم الكاثوليك ويقال أنها من القرن الخامس كانت عبارة عن مقام تم توسيعها وتجديدها حديثا وهي بناء من الحجر الكلسي يقع وسط المدينة القديمة.

أربعة عشر- جامع معلولا:

تم تدشينه في 1953/8/13[3] يتميز هذا الجامع بعمارته الحديثة الجميلة، ومأذنته المربعة المحلية، وموقعه –كبقية الجوامع- في مكان تجمع المواطنين قرب الساحة العامة والينبوع، وذلك كمكان عبادة ومبنى يجمع الإنسان بأخيه الإنسان[4].

6 4 1 4 مشيدات ثقافية:

إضافة إلى تمثال السيدة العذراء وتمثال السيد المسيح اللذان يعتبران من المنحوتات الهامة وقد تم ذكرهما في الفقرة (6-4-1-3) لدينا:

أولاً- مراكز تعليم اللغة الآرامية:

قامت عدة محاولات بعضها باء بالفشل لتعليم اللغة الآرامية:

- قامت الكنيسة التي تشجع الشباب على تعلم اللغة وإبقائها حية بإنشاء مركز ثقافي لتعليم اللغة الآرامية وآدابها ومكتبة ضخمة ملحقة بها حيث قام قداسة البطريرك موران مور إغناطيوس زكا الأول عيواص الكلي الطوبى بشراء ثماني قطع أرض، على رأس تلة تقابل مدينة معلولا الأثرية،

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون، مرجع سابق، ص 66
[2] راما كرياكي، مرجع سابق، ص 29.
[3] الياس نصر الله، أوابد المعلوليين ومآثرهم، سلسلة معلوليات، الكتاب الثاني، دمشق، 2004، ص 172.
[4] بشير زهدي، مرجع سابق، ص 27

وتقع ما بين معلولا وعين التينة، وقد بلغت المساحة الإجمالية لهذه الأراضي حوالى 65000 متر مربع، وسجلت رسمياً في السجلات العقارية باسم بطريركية السريان الأرثوذكس[1].

- أقيمت في عام 2003 مدرسة صيفية لتعليم اللغة الآرامية في البلدة برعاية الكنيسة.

ثانياً- معهد اللغة الآرامية:

ارتأى بعض أهالي معلولا ضرورة إحياء اللغة الآرامية في القرية، وذلك بتأسيس معهد اللغة الآرامية في معلولا، لتدريس هذه اللغة نطقاً وكتابة. . . وكان من الأجدر بالمسؤولين عن المعهد اعتماد الحرف الآرامي السوري القديم لتدريس اللغة، أو على الأقل الحرف السرياني الشهير، أو حتى التدمري أو النبطي أو العربي، ذلك أن الحروف العربية تستوعب كل لغات سورية القديمة، إلا أنهم – أي المسؤولين في معهد معلولا وجامعة دمشق- اختاروا ما سمّوه بالحرف المربّع (العبري)، وكتبوا به منهاج اللغة الآرامية (كتاب من تاليف جورج رزق الله) وشرعوا بتدريسه في المعهد. مما أدى لاحقاً إلى إغلاق المعهد بسبب الوقوع في إشكالية استخدام الحرف العبري.

6 4 1- 5 مشيدات سياحية

أولاً- فندق معلولا:

فندق بتصنيف أربع نجوم ذو إطلالة رائعة من قمة جبل معلولا حيث يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر 1428م.

ثانياً- مطاعم

عدة مطاعم صغيرة من أشهرها طلة الوادي ومطعم العائلات ومطعم ساحة مار تقلا ومطعم ومقهى موسمي (قهوة معلولا) شمال الفج ومقصف جوار دار البلدية.

ثالثاً- دير مار تقلا:

تعيش اليوم في دير مار تقلا رهبنة نسائية ترعى شؤونه وتعتني به وبزائريه وسبق ذكره في الفقرة (6-4-1-1).

رابعاً- دير مار سركيس وباخوس:

دير قديم وشهير يؤمّه السيّاح من كل أنحاء العالَم وسبق ذكره في الفقرة (6-4-1-1).

6 4 1- 6 مشيدات خدمية:

أولاً- الفعاليات الخدمية:

ويتركز النشاط الخدمي في المجالات التالية:

- المهن العلمية: وعدد العاملين بحدود 35 عامل، عيادة طبيب بشري، عيادة طبيب أسنان، صيدلية، مكاتب هندسية، مكتب محامي مكتب آثار، مستوصف.
- الفعاليات الإدارية والتعليمية: عدد العاملين بحدود 65 شخص، مدرسة الشهيد يوسف الخوري ومدرسة غطاس شاهين، مركز الناحية ودار البلدية، دائرة النفوس ووحدة إرشادية، مركزي البريد والهاتف وطوارئ الكهرباء، المؤسسة الاستهلاكية.

[1] http://www. syrian-orthodox. com/readnews. php?id=1307

- محلات تجارية وسياحية: عدد العاملين بحدود 115 شخصاً، حيث يوجد محلات متنوعة، أفران، سناكات، كافتريا، مطعمين اضافة لفندق معلولا.
- محلات حرفية: عدد العاملين بحدود 45 شخصاً، حلاق، حداد، أدوات صحية، ألبسة، أحذية، صيانة سيارات، محطة وقود، وتغليف حبوب.
- خدمات متفرقة: إنتاج حيواني في المنطقة مداجن ومباقر.
- وسائط نقل: عدد العاملين بحدود 23.

ثانياً- شبكات البنية التحتية:

تعاني شبكات البنية التحتية في بلدة معلولا القديمة من مشاكل كبيرة تنعكس على النسب الإنشائية والمعمارية والحياة الاجتماعية والسياحية والاقتصادية للسكان.

1. شبكة المياه الحلوة:

بعد الاطلاع على مخطط شبكة المياه الحلوة تبين أن بلدة معلولا تتغذى بخط مياه من محطة ضخ خان العروس.

إن القساطل المستخدمة تتألف من قساطل من الحديد أو الفونت أو الأترنيت تعاني هذه الشبكة من السطحية ومن القدم والاهتراء ولذلك فكثيراً ما تنفجر من جراء الصقيع أو الضغط العالي.

وأن خطوط المياه المالحة تسير جنبا إلى جنب مع خطوط المياه الحلوة وبالتالي فهي تؤثر على هذه الخطوط حين تفجرها بحيث يتم تلوث الخطوط بالمياه المالحة.

2. شبكة الصرف الصحي:

إن الدراسة التفصيلية لشبكة الصرف الصحي هي غالباً لا تتطابق مع الواقع فبعض الخطوط التي استبدلت والحفر التي جددت تم تغيير جزءاً من مواقعها وبالنتيجة عند تقييم هذه الشبكة يلاحظ ضرورة إعادة النظر فيها كلياً ووضع دراسات عامة وتفصيلية تناسب الوضع الطبوغرافي والسكني في البلدة القديمة.

3. شبكة الكهرباء:

بعد الاطلاع على المخطط رقم 352 المستلم من قبل لجنة المتابعة بتاريخ 2004/11/9 تبين أن الوضع العام لشبكات التوتر المنخفض سيء جداً وبحاجة إلى إعادة دراسة بما في ذلك شبكات الإنارة مع ضرورة لحظ إنارة تزينية للمنشآت السياحية ومع الأخذ بعين الاعتبار الظروف المناخية من سيول وثلوج.

4. شبكة الهاتف:

إن وضع شبكة الهاتف بحاجة إلى إعادة الدراسة وخاصة في البلدة القديمة الأثرية وذلك نظراً لتشابك الخطوط الهاتفية مع خطوط الكهرباء كما أن المقسم قد يكون بحاجة إلى زيادة طاقته على ضوء توسع المخطط العمراني للبلدة .

6 4 2 موارد مادية منقولة

6 4 2 1 أطعمة[1]:

أولاً- دبس العنب:

شكل 29: صناعة الدبس في معلولا

صناعة دبس العنب في معلولا من اشهر الصناعات في معلولا ويعتبر الدبس المعلولي من أجود أنواع الدبس في المنطقة وبمذاق متميز جداً وهذه الصناعة عمرها مئات السنين في معلولا.

ومن المعاصر الموجودة حاليا معصرة دير مار تقلا ومعصرة دير مار سركيس ومعصرة بيت سلمون ومعصرة بيت عجينة ومعصرة بيت دحدودح[2].

- في الصورة السيد ميخائيل شنيص (أبوالياس) مستثمر المعصرة الوحيدة المتبقية الصالحة للعمل وأولاده يتابعون هذه الصناعة التقليدية ويساعدونه.

ثانياً- صناعة الكشك البيتي المعلولي:

اشتهرت معلولا أسوة بالكثير من قرى الارياف السورية بصناعة الكشك وخصوصا لجهة استعمال القمح البلدي وحليب الغنم الدسم كمواد أولية في صناعته.

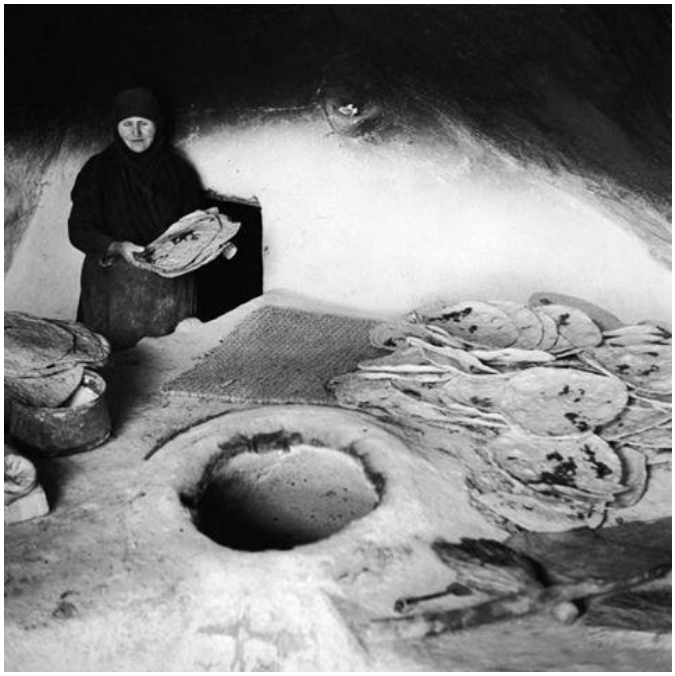

شكل 30: صناعة الخبز المعلولي

ثالثاً- صناعة الخبز المعلولي المعروك / المرقد:

هذا النوع من الخبز هوخبز سوري صنع لأول مرة في معلولا منذ عدة قرون، ونقله بعض أبناء هذه البلدة إلى دمشق أواخر القرن التاسع عشر وكانوا الوحيدين الذين يعرفون سر هذه الصناعة، بقي الوضع كذلك إلى أواسط القرن العشرين حيث بدأ يزداد عدد العارفين بسر صناعة هذا الخبز. وقد نقله أبناء معلولا المهاجرين إلى بلدان الاغتراب. . . وهكذا حتى انتشر

[1] معظم الصناعات المتعلقة بالأطعمة والأشربة كانت تتم في البيوت ولكن هنالك عمليات معينة كالطحن والتبريد وما إلى هنالك كانت تتم في أماكن خاصة.

[2] د. موفق دغمان، دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق 5\2011، ص ص82-83

في معظم أنحاء العالم.

رابعاً- صناعة البرغل:

يعتبر البرغل من أهم المواد الغذائية الأساسية لدى كافة الفلاحين وحتى يومنا هذا ويعتمد الفلاح عليه كثيراً في غذائه حتى صاروا يسمونه (أبوالركب)[1].

خامساً- العسل:

العسل من أهم المنتجات في سورية وتنتشر صناعته في مختلف مناطقها. كان سكان معلولا مشهورين قديماً بتربية النحل، وحرصهم على الحصول على أفخر أنواع العسل مما كان يوفر لهم ألذ أنواع الغذاء والحلويات. وقد اكتشفوا مع الزمن فوائد العسل الطبية مما زادهم اهتماماً به واعتماداً عليه في شفاء الكثير من الأمراض المحلية، وتنشيط الجسم وتقويته وتكحيل العيون به لفوائده[2].

6 4 2 2 أشربة:

المناطق الجبلية عموماً ومنطقة القلمون خصوصا اشتهرت بمجموعة من المشروبات التي ترتبط بنوع المزروعات فيها.

فقد اشتهرت معلولا بخمر الهضاب، الذي كان مرغوباً في روما، مثلها مثل ضيع جبل سنير كمعربا والمعرة وصيدنايا وعين التينة وحلبون، التي كانت كما جاء عند الزيات "مألف روّاد القصف والطرب ومنتجع عشّاق الصهباء"[3] ومازالت معلولا تنتج أفخر أنواع النبيذ المشهور عند الجميع[4].

حيث تنتشر في معظم أنحاء معلولا القديمة معاصر للنبيذ وبخاصة في شمالي معلولا مشرفة على فج مارتقلا حيث يوجد أكبر تجمع لها، وتعرف لدى المعلوليين الآن باسم المعاصر. وفي الجرف الصخري الواقع غربي دير مار سركيس. والمعاصر هذه عبارة عن كهوف محفورة بالصخر أعدت لعصر العنب وتصنيعه نبيذاً[5].

شكل 31: صناعة الزبيب في معلولا

6 4 2 3 أشغال حرفية:

سكان مدينة معلولا كانوا قديماً يعملون بالزراعة وتربية المواشي كمورد أساسي للعيش، وينتجون البطاطا والعنب وبعض أنواع الحبوب، ويربون دودة القز وينتجون خيوط الحرير الطبيعي، ويقيمون مبادلات وعلاقات تجارية مع المدن والقرى المجاورة فقد كانوا

[1] د. موفق دغمان، دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق 5\2011، ص 83
[2] بشير زهدي، مرجع سابق، ص 36
[3] حبيب الزيات، خبايا الزوايا في تاريخ صيدنايا، ط 1982، ص34
[4] الياس نصرالله، معلولا حكاية الإنسان وقدسية الأرض واللسان، سلسلة معلوليات، الكتاب الأول، دمشق، 2002، ص 45.
[5] الياس نصر الله، أوابد المعلوليين ومآثرهم، سلسلة معلوليات، الكتاب الثاني، دمشق، 2004، ص 39.

يبادلون الخوخ بالشعير والزبيب مع قرية التواني ويبرود، كما اعتمدوا على الصناعات اليدوية البسيطة ومنها العبي والبسط التي تعتمد في صنعها على النول اليدوي، إضافة إلى المشروبات الكحولية من العنب.

6 4 2 4 أعمال فنية:

معلولا بلدة جبلية عريقة، مثقلة بالتاريخ والفن، ما جعلها ملهمة للفنانين التشكيليين والمعماريين والمصورين الضوئيين على مدى عقود طويلة، ولا زالت حتى اليوم.

شكّل النسيج العمراني لهذه البلدة، ومحيطها الطبيعي النادر والفريد، مادة غنيّة وشهيّة، للفنانين التشكيليين السوريين، على اختلاف الأدوات والوسائل التعبيريّة التي يشتغلون عليها، ولا تزال حاضرة، بهذا الشكل أو ذاك، في نتاجاتهم الإبداعيّة، رغم ما لحق بعمارتها من تلفيق وتشويه أساء إلى عمارتها القديمة الشديدة الوقع في الروح والإحساس، لبساطتها وعفويتها وتآلفها المدهش مع محيطها الطبيعي، لا سيما التشكيلات الصخريّة العجيبة المحيطة ببيوتها كما تحيط الأم الحنون بطفلها.

أولاً- رسم:

نظراً للطبيعة الخلابة في بلدة معلولا وغناها بالمعالم التاريخية فقد لاقت من الفنان التشكيلي السوري وضيوفه من العرب والأجانب، اهتماماً كبيراً، بحيث صار معروفاً عنها بأنها (ملهمة الفنانين) لكثرة ما قاموا بزيارتها وتأملها ورسمها.

شكل 32: لوحة للفنان لؤي كيالي عن معلولا

يدفعهم إلى ذلك، التناغم الفريد الذي يتمتع به نسيجها العمراني مع المحيط الطبيعي الناهض فيه. فإذا ما استثنينا الكثير من الفنانين القدامى ورسامي الأيقونات المعروفين منهم والمجهولين، فإن من أوائل من تناول هذه البلدة في أعمالهم، الفنانون الرواد، وفي طليعتهم يأتي المصور (نصير شورى) الذي زار البلدة بصحبة الفنان اللبناني الرائد (صليبا الدويهي) في أربعينيات القرن الماضي، ولمس فيها الكثير من اللمحات الفنيّة، ونقلها إلى زملائه الذين تقاطروا إليها، وسطروا معها حكايات خالدة من العشق، ترجموها إلى لوحات فنيّة بالألوان الزيتية والمائيّة، تُشكّل الآن، جزءاً مهماً وجميلاً، من التصوير السوري المعاصر.

من الفنانين الذين سحرتهم معلولا نذكر: لؤي كيالي، رشاد مصطفى، فاتح المدرس، ميشيل كرشة، ميلاد الشايب (وهو ابن البلدة)، ممدوح قشلان، عبد المنان شما، غازي الخالدي، جورج جنورة، خليل عكاري. . . وغيرهم[1].

[1] د. محمود شاهين، معلولا ذاكرة الصخر والإنسان، ملحق ثقافي، جريدة الثورة، 19/5/2009م

ثانياً- تصوير دنيوي:

لما لهذه البلدة من أهمية وتاريخ لم يقتصر الاهتمام بهذه البلدة على الفنانين التشكيليين، وإنما شمل أيضاً المصورين الضوئيين الهواة الباحثين عن مادة مناسبة لعدساتهم، فكانت معلولا ونسيجها العمراني والطبيعي والاجتماعي هذه المادة، حيث أشبعوها رصداً وتصويراً، وأقيمت لها، معارض عديدة داخل سورية وخارجها.

كما صدر حولها مجموعة من الكتب أخرها وأهمها الكتاب المصور (معلولا. . . ذاكرة الصخر والإنسان) للفنان الضوئي السوري المتميز (فرج شماس) الذي أمضى في الإعداد له وإنجازه، سنوات عديدة، تُوجت بهذا الكتاب المتقن تصويراً ونصاً وطباعة وإخراجاً والموضوع باللغتين: العربيّة والإنكليزيّة[1].

شكل 33: صورة التقطها الفنان فرج شماس

ثالثاً- تصوير ديني:

في معلولا الكثير من الأديرة والكنائس التي تعود لعصور مختلفة وكلها يحوي أيقونات أثرية رائعة أشهرها:

1. أيقونة السيدة العذراء حاملة الطفل يسوع، ويعتقد أنها منقولة عن الأصل المنسوب إلى القديس لوقا الإنجيلي.
2. أيقونة الصليب وعشاء الرب يسوع الأخير، فهي تمثل في نصفها الأعلى المسيح مصلوباً وإلى جانبيه مريم العذراء ويوحنا الحبيب، وفي النصف الأسفل مشهد العشاء الأخير بحيث تظهر المائدة بشكل نصف دائرة تماماً لبلاطة هيكل القديس سرجيوس الآنفة الذكر.
3. أيقونة النبي السابق يوحنا المعمدان الذي يبدو في وضع فريد لافاً رجلاً على رجل مبتسماً للدلالة على ارتياحه بعدما فرغ من أداء مهمته بتمهيد السبيل للسيد المسيح، من أجمل أيقونات الدير أيضاً المجموعة القيمة التي تزين الأيقونسطاس وهي بريشة الرسام الشهير ميخائيل الكريتي الذي عملها للدير عام / 1813/، وفي الدير أيقونتان من الفن البولوني (القرن 17)، قدمهما الجنرال اندرس وقفاً مؤبداً للكنيسة تعبيراً عن شكره لما لقيه من حسن الضيافة والتكريم حين حل بعد إطلاق سراحه من الأسر عام /1943/ ضيفاً على الدير[2].

شكل 34: الأيقونات في كنيسة مارتقلا

[1] د. محمود شاهين، مرجع سابق.

[2] https://www. facebook. com/PalestinianCatholics/posts/212722605524897

رابعاً- نحت:

من أهم المنحوتات في بلدة معلولة منحوتة السيد المسيح والتي قام النحات الروسي الشهير الكسندر روكافشنيكوف بصنعها ووضعت في دير مارتقلا في معلولا وسبق الحديث عنها.

خامساً- النقوش:

في بلدة معلولا نقوش متنوعة في الفجوج والكهوف والمغاور وتعود إلى حقب مختلفة وتقسم إلى:

1. نقوش يونانية: وأهمها:

شكل 35: نقش في منطقة حمام الملكة

- نقش سحيم بن تيودورسبن مينلبون: يفهم من هذا النقش أن سيفيروس (سحيم) ابن تيودورس بن فيليبون أنجز هذا المدفن في عام 509 سلوقي وهذه السنة تبدأ في أول تشرين الأول سنة 197 أو 187 ميلادي ويبدو أن سيفروس أو (سحيم) هو أحد الأمراء السلوقيون الذين حكموا في معلولا وكان كاهن المعبد في الوقت نفسه.

- نقش سيفراموس: كان رئيس أحبار معبد الشمس، وجمع بشخصه الولاية على الأمور الدينية والمدنية ملك معلولا واستقل عن الدولة الرومانية ولهذا الاسم أهمية كبيرة في التاريخ الروماني اليوناني1.

2. النقوش المسيحية:

كان في أحد المغاور اسم السيد المسيح وانتصاره على الوثنية بأحرف يونانية كبيرة حمراء وفي هذا الكهف منفذ إلى مقام داخلي أشبه بمذبح الكنائس اليونانية الملتفة الحنايا. وهذا النقش يعتبر الدليل الذي لا يحتاج لتعليق وإن سوزمدن يؤكد أن انتشار المسيحية في سورية الداخلية كان بطيئاً ولكن في القلمون ومعلولا خاصة انتشرت منذ القرن الأول مع الرسول بولس والقديسة تقلا[1].

6 4 3 موارد غير مادية:

6 4 3 1- اللغة الآرامية:

من المعروف أنّ لغة سورية القديمة خلال الألفين الثاني والأول قبل ميلاد السيد المسيح هي اللغة الآرامية، وقد استمرت هذه اللغة في القرون الميلادية الأولى وتفرعت إلى لهجات منها السريانية التي تحدث بها معظم الشعب السوري.

واستمرت اللغة الآرامية -كلغة كلام غير مكتوبة- إلى وقتنا هذا في قرى سوريّة الثلاث معلولا، بخعة (صرخة)، وجبعدين، وسبب استمرار هذه اللغة في القرى المذكورة هو أنها كانت محصنة ومعزولة عن المدن لطبيعتها الجبلية القاسية وظروفها التاريخية، بالإضافة إلى أن معلولا احتضنت المسيحية

[1] د. موفق دغمان، دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق، 2011، ص 23-24.

الأولى، فساهم رجال الدين المسيحي في الحفاظ على اللغة الآرامية كلغة تخاطب وصلوات – ولاسيما أنها كانت لغة السيد المسيح-، ومعظم سكان هذه القرى مازالوا يتحدثون بلسان آرامي دون إجادة الكتابة بهذه اللغة القديمة، كما أنه لا يوجد حتى تاريخه أي نقش مسطور بالآرامية في معلولا.

ولكن، تحتوي المتاحف السورية على نماذج من الكتابات الآرامية عُثر عليها في مواقع مختلفة من القطر، كالجزيرة السورية وحلب وحماة وإدلب، وقد تمت هذه الكتابات بواسطة ما نسمّيه الحرف الآرامي السوري القديم، وأبجديته واضحة جداً على النقوش الموجودة، وهي مشتقة من الأبجدية الكنعانية التي انتشرت في المنطقة في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، كما يوجد تشابه كبير بين اللغات الكنعانية والآرامية والعربية من حيث جذور الأفعال والكلمات والقواعد والمصطلحات، فهذه اللغات تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات الشرقية القديمة.

شكل 36: اللغة الآرامية المكتوبة

واللغة الآرامية حالة نادرة تؤثر على العمل التخطيطي حيث أن معلولا والصرخة وجبعدين الحواضر الآهلة الوحيدة في العالم التي تتكلم اللغة الآرامية الأصلية مما يعطيها خصوصية على مستوى العالم وليس فقط في سورية. وقد أولت الحكومات السورية مؤخراً اهتماماً كبيراً باللغة الآرامية.

واللغة الآرامية تعتبر من التراث العالمي المعنوي وتعد جزءاً من تراث معلولا واللغة الآرامية إحدى اللغات السامية التي كانت تتحدث بها القبائل الآرامية في الشرق الأدنى القديم قبل الميلاد وهنالك لهجات عديدة تفرعت عنها. ولابد من الذكر أن لغة معلولا الآرامية امتزجت بها الكثير من الكلمات العربية والأعجمية.

وقد قسم العلماء اللغة الآرامية إلى لهجتين رئيسيتين هما اللهجة الشرقية وهي المستخدمة في بلاد ما بين النهرين واللهجة الغربية وهي مستخدمة في بلاد الشام. واللهجة الغربية كان يتكلم بها أهل سورية حتى القرن الثالث عشر وظلت محكية حتى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ولا تزال هذه اللهجة محكية في القرى الثلاث المذكورة في القلمون.

ونظراً لأهمية هذه اللغة فقد قصد معلولا بعض أساتذة اللغات السامية لدراستها فمثلا جاء المستشرق الألماني فيرنير آرنولد Werner Arnold بمهمة علمية من جامعة أرلنجن الألمانية لدراسة الآرامية الغربية عدة سنوات متنقلا بين معلولا وبخعا (الصرخة) وجبعدين يدرس ويبحث في هذه اللغة وقد أسماه أهل معلولا (أبو ابراهيم) وقام هذا المستشرق بوضع عدة كتب ومعجم حول هذه اللغة وضعها بين أيدي طلبة الجامعات الألمانية[1].

كما لا بد أن نذكر اهتمام بعض أه الي معلولا بهذه اللغة وحبهم لها إذ وضع حنين فضلو فرنسيس كتابا بعنوان: الآرامية المحكية في كل من معلولا وبخعا وجبعدين.

[1] د. طحلاوي وأخرون، مرجع سابق، ص 26.

وتحتل اللغة السريانية الآرامية أحد المقامات الأولى بين لغات العالم من حيث اهتمام الباحثين في اللغات القديمة والتاريخ القديم وذلك لأنها اللغة التى تكلم بها السيد المسيح بلهجتها الجليلية وأمه العذراء القديسة مريم ناغته وخاطبته بها والرسل القديسون بشروا بها. إن حروف اللغة هي اثنان وعشرون حرفا تكتب بصيغتين الأولى هي الصيغة الصغيرة. أما الصيغة الثانية فهي الصيغة الكبيرة التي تسمى أسترنجيلي حيث تجمع الحروف كلها بست كلمات هي:ابهد، ى وز، حطت، كلمن، سعفوء، قرشة لا[1].

وإن الارقام فى اللغة الارامية هى الحروف الهجائية نفسها وتبدأ من الواحد وليس من الصفر كما فى اللغات الاخرى حيث لاوجود للصفر فى اللغة الارامية ولهذا فان تسلسل الترقيم يبدأ كما يلي: الأرقام التى تتكون من حرف واحد هى الحروف الابجدية من أ إلى ي التى تبدأ بالواحد وتنتهى بالعشرة أما الارقام المتكونة من حرفين فإن الحرف الأول من اليمين يرمز إلى العشرات والثانى إلى الاحاد وإذا كانت الأرقام متكونة من ثلاثة أحرف فإن الحرف الأول من اليمين يمثل المئات والذى بعده يرمز إلى العشرات والأخير يكون للآحاد وهكذا بصورة تصاعدية إلى الآلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف[2].

6 4 3 2 ذاكرة سردية:

بعد الحديث مع بعض أه الي معلولا وسؤالهم عن القصص والأساطير المنتشرة بين كهوف وبيوت معلولا وأديرتها سمعت الكثير من القصص المشوقة التي يتناقلها أهلها جيلا بعد جيل.

فكما تردد المرويات الشعبية أن ظاهرة طبيعية حدثت في الفج الغربي حيث كان جداراً جبلياً أملس، منتصباً كراحة الكف، قبل أن تصل إليه فتاة مسيحية، هي القديسة تقلا هاربة من ظلم أبيها الوثني، وجنود الوالي الروماني، الذين يلاحقونها ويريدون قتلها، لكن الصخور اضطربت وانشقت دفعة واحدة، حينما سجدت الصبية تبتهل إلى العذراء لكي تنقذها. وهكذا وجد الفج، هذا الممر الصخري الغريب، الذي يسير متعرجاً بين جدارين عموديين، يضيقان حيناً، حتى ليخيل للسائرين أن الدرب مسدودة، ويتسعان حيناً إلى فرجة أو عدة أذرع، ليعودا فيضيقان حتى يصل السالك إلى الفسحة والنور، وخلال المرور فيه يرى السائر مءعالم طبيعية عديدة تتمثل بطبيعة الصخور وتشكيلاتها المختلفة التي تعطيه أجواء خلابة.

وفي الفج، في محلة «شاروناياا» ما يدعى بالمشنقة. عند أحد جانبيها صخرة المحكمة. حيث أن رجال القضاء يقفون لإعلان حكم الإعدام، ويقف الملك أعلى الصخر المقابل للتصديق على الحكم، كما تقول الأسطورة.

وأه الي معلولا يعلمون بوجود سرداب حفر داخل الهضبة، حيث يبدأ من رأس الفج الغربي بمدخل عسير، وينتهي عند الفج الشرقي. وقد نحتت فوق مدخله الغربي حية ضخمة تعويذة للوقاية من الهلاك. وقد كان أه الي معلولا يلجؤون إلى هذا السرداب عندما يداهمهم الخطر، وجعلوا له مسيل ماء ينفذ إليه، ليزودهم بماء الشرب عند الحاجة.

وتروي الحكايات الشعبية أنه كان للملك موتيزوس ولد صغير، يلعب عند مخرج النهر من مغارة في ساحة شاروناياا الواقعة أول الفج الغربي. فغفل الحراس عن الولد وغرق في النهر، ولم يدركوه إلا ميتاً. وكان الولد وحيد أبيه، أثيراً جداً لديه، فحزن حزناً شديداً وأمر بردم النهر والنبع الذي كان إلى

[1] معلولا قصة تحكي تاريخ آلاف السنين- الوكالة العربية السورية للأنباء – سانا –
http://www. ankawa. com/forum/index. php?topic=188035. 0;wap2

[2] المرجع السابق.

جواره، وانحبس النهر والنبع قروناً عديدة. كان النهر يمرّ في قناة جهة الشرق، ويميل جهة البيادر، حيث الحمام الإمبراطوري، وتحته مطحنة، فتوقفا عن العمل، وأصاب أهل المنطقة خسائر فادحة.
ومن الروايات المتناقلة أيضاً بين أهل القرية قصة الكنز، الذي يأسف أهل القرية من عدم عثورهم عليه، حيث يقال أنه يتألف من مجموعات ثمينة من الأواني الفضية والذهبية، كان الروم قد خبؤوها قبل مغادرتهم الأرض السورية، بعد الفتح العربي الإسلامي. وقد جاء ذكر الكنز في كتاب الكنوز، الذي يتناقل أه الي معلولا أخباره، وهويتحدث عن وجود تلك الدفائن في موقع ما من هذه القرية ذات الأسرار. ولعل آخر من رأى الكنز فيما يقولون شاب عاش قبل مئة عام اسمه إبراهيم يواكيم. فهذا الشاب كان في صغره كسولاً، ويهرب من المدرسة، ليختبئ في مزار مار توما، وقد ظهر له في المقام شيخ جليل فتح أمامه طاقة في الصخر، وأراه كميات من الذهب قائلاً له: خذ ما تريد، فخاف الولد وقال: هذا مال وقف لا آخذ منه. فقال الشيخ: أكافئك على أمانتك، فأهبك عوضاً عن الذهب روح علم وفهم.
وقد كبر إبراهيم يواكيم، وقضى حياته بالطب، ماهراً فيه، فما رأى مريضاً حتى عرف علته، ووصف له الدواء الناجع إن كان داؤه قابلاً للشفاء، وإلا صارحه بعبث التداوي، ويقال أن شهرة هذا الطبيب قد ذاعت في زمنه في كل مكان.
وكان في البلدة مكان يدعى حمام الملكة، تحيط به أسطورة رهيبة، تقول أنه كان معبداً رومانيا، يجتمع فيه الوثنيون، ليمارسوا ألواناً من التهتك والشعائر الخليعة، فأتاهم أحد رجال الله، ويحكى أنه كان بولس الرسول، يدعوهم للتوبة، فما سمعوا نصحه، فهدم الله الحمام على رؤوسهم، فخرج الباقون عن الوثنية واعتنقوا المسيحية وبنوا هناك كنيسة.
وهكذا يسمع من يزور معلولا الأساطير والأقاصيص الطريفة التي تعود لقرون خلت. فعلى هذه الصخرة ظهر القديس الفارس جاورجيوس (الخضر) على حصانه الأبيض، وهناك ما تزال آثار قدمي القديسة تقلا محفورتين في الجبل، وفي ذلك الحقل توقفت القديسة نفسها لتستريح من جند أبيها، وتحدثت إلى فلاح يحرث الأرض، فرجته ليساعدها على النجاة من مطارديها، بأن يقول لهم أنها مرت به وقت كان يفلح الحقل. . وقد فعل فلما رأى الجند سنابل القمح تغطي الحقل بكامله، ونمت بأعجوبة أيقنوا أنها سبقتهم منذ زمن طويل، ويئسوا من العثور عليها، وعادوا أدراجهم.

6 4 3 3 ذاكرة دينية:

في سورية عموما خليط عجيب من الديانات والطوائف الدينية المتنوعة التي تشكل فسيفساء تغني التراث الثقافي لسورية والمنطقة ففي معلولا تظهر الدراسات الاجتماعية أن الغالبية العظمى من السكان تعتنق الديانة المسيحية، بنسبة 85% تقريبا و15% ممن يعتنقون الديانة الإسلامية.
وبالنسبة للمسيحين هناك طائفتين: طائفة الروم الاورثوذكس، والروم الكاثوليك. وقال فيها فريدريك بايكون "تتمتع معلولا بالخصوصية المسيحية وذلك لقربها من الأرض المقدسة ومن طبيعة الكتاب المقدس (من ناحية اللهجة) والتي تشكل التوازن اللغوي الأقرب للغة المحكية في فلسطين في زمن المسيح"[1] ويعتبر أه الي معلولا من المسيحين الأوائل إذ دخلتها الديانة المسيحية منذ القرن الأول الميلادي بواسطة القديس توما، ومارس أهلها العبادة في المغاور والكهوف وحوّلوا المعابد الوثنية القائمة إلى أماكن للعبادة المسيحية.

[1] Pichon. Frédéric, Maaloula (XIXe-XXIe siècles). Du vieux avec du neuf, Enjeux religieux: Maaloula ou l'Orient immmobile chrétien, paris p. 1

وقبل المسيحية كان المعلوليون الآراميون شديدي التدين وكثيري الاحترام لآلهتهم وكهنتهم وسدنتهم وكانت عبادة الشمس متأصلة في قلوبهم وعاداتهم قبل السيطرة اليونانية.
الأمر الذي لا شك فيه أنهم تأثروا بالفكر الإغريقي الديني وألهتهم ففي شرق المدينة في أعلى البيادر خلف بيت الحداد (شحودة) نجد كتلة صخرية يبرز على سطحها الشرقي نحت يمثل إلهين وهما عبارة عن تمثالين نصفيين ضمن إطارين يمكن أنا يكونوا إما هليوس وإثينا أو شمش واللات[1].

6 4 3 4 طقوس:

للطقوس الدينية في معلولا نكهة خاصة وطابع خاص فمازال ذلك الجبل الصخري محتفظا بالكثير من الذكريات التي تتحدث عن الصليب والعيد.

شكل 37: عيد الصليب في معلولا

ففي عيد الصليب توقد النيران فوق قمة الجبلين بهذا التاريخ من كل عام، طبيعة الاحتفال هنا تبدأ بين أه الي "معلولا" قبل المناسبة بثلاثة أيام فيقومون بتحضير الاطعمة والنبيذ المصنوع محلياً بمهارة كذلك نقل الإطارات والاخشاب إلى قمم الجبال العالية حيث تبدأ المناسبة بإقامة صلوات في الكنائس خاصة بهذه المناسبة الدينية الكريمة ثم يذهب الكهنة والمطارنة بعراضة شعبية إلى قمة الجبال ليشعلوا النار هناك حيث يبدأ الرقص والغناء مع حلقات الدبكة الجبلية وعادة يأتي الكثير من القرى والأماكن المحيطة بمعلولا ليشاركوا بهذا الاحتفال[2].

6 4 3 5 أدب:

لم تحظ بلدة معلولا باهتمام الفنانين والمصورين فحسب بل ألفت كتب عنها وسلاسل أدبية وطبعت عنها مجموعة كبيرة من الكراسات والكتب، كان آخرها الكتاب المميز جداً للمصور الضوئي الفنان فرج شماس الذي – كما يبدو -بذل جهداً نوعياً واستثنائياً ولعدة سنوات. من أجل تقديم كتاب مصور عن معلولا لم نعهد مثله فيما صدر عنها من كتب سابقاً.
وهنالك العديد من الكتب والمؤلفات الأخرى عن بلدة معلولا التي أخرجت الكثير من الكتاب المبدعين كالأستاذ الياس أنطون نصر الذي ألف سلسلة من الكتب (معلوليات) تتحدث عن بلدة معلولا وتراثها وتاريخها.

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص23
[2] http://qatanaorthodox. wordpress. com/category/ مناسبات-وأعياد

6 4 4موارد عملية:

6 4 4 1 نشاطات زراعية:

معلولا من البلدات ذات الإنتاج الزراعي العالي في ريف دمشق حيث قام الإنسان مذ سكن هذه الأرض بتطويع جروفها وهضابها بشكل مدرجات لتناسب الحياة الزراعية وتقسم الأراضي المزروعة في معلولا إلى أراضي مروية وأراضي بعلية:

أولاً- الأراضي المروية:

وهي الأراضي التي يسقيها الإنسان وتقع في ساحة الوطا (معلولا التحتا) حيث زرعها الإنسان المعلولي منذ القدم وقد سواها بشكل مصاطب متدرجة بعضها فوق بعض وزرعت بكل صنوف المزروعات التي يحتاج إليها. ونقلت المياه إليها من نبعين خارجين من الفجين الشرقي والغربي ووزعت إلى عدادين على أسماء العائلات والأديرة المعلولية.

ثانياً- الأرض البعل:

وهي واسعة ومحيطة بالبلدة من كل الجهات وتعتمد بالدرجة الأولى على مياه الأمطار. وتحتوي هذه الأراضي على عدة ينابيع تعتمد في تغذيتها على الثلوج المتساقطة شتاء منها: (عين السودا، عين طرايا /عين طروبا بالآرامية أي عين الجبل/، عين شرايا، عين بوقاثا).

شكل 38: الأراضي الزراعية في معلولا

6 4 4 2 نشاطات حرفية:

أولاً- الزجاج والخزف:

إن تاريخ هذه الصناعة قديم، ويعدّ عملاً متوارثًاً عن الأجداد حيث يرى الأب غرغوريوس أبوسمره أن معلولا كانت عامرة بصناعاتها ومنها صناعة القيشاني وهو نوع من الخزف المشهور في بلاد الشام وتوابعها. كما كانت صناعة الفخار مزدهرة فيها عندما كان الناس بحاجة إلى الخوابي التي كانت توجد في كل البيوت، بالإضافة إلى الأواني الأخرى للطبخ وللإضاءة. وقد اكتشف في منطقة "عين شيريا" أتون لطبخ الفخار، ومخزن فخّار تحت بيت السيد نجيب بخيل إلى جنب الوادي. وحدث سيل جارف قذف صخرة كبيرة من أمام باب المستودع فدخلت المياه وجرفت كل ما هنالك مخلّفة خسارة كبيرة بالإضافة إلى صنع القزاز /البلور/ بديع الأشكال والألوان.[1]

ثانياً- الخمر والخبز:

لما كانت معظم أراضي معلولا الواسعة والشاسعة لا يسقى زرعها فقد غلب على مزروعاتها العنب والتين فاشتهرت بخمرها المعروف تاريخياً بخمر الهضاب الذي كان مرغوباً في روما. واليوم تراجعت معظم هذه الصناعات والتفت أهل المدينة للعمل في مدينة دمشق، وقد عرف سكان معلولا بالخبازين حيث امتهنوا مهنة الخبازة والأفران، والخبز المعلولي له شهرة كبيرة، وما زال معظمهم يعمل بها سواء في أنحاء سورية وخاصة دمشق وفي المهجر.

ثالثاً- الحرير الطبيعي:

إن أهالي معلولا كانوا يتقنون صناعة الحرير الطبيعي وكانت صناعة مزدهرة في مراحل تاريخية قديمة وكانت معلولا تسمى (أم الحرير[2]) وكانت مقصداً للكثيرين من كافة البلدان لشراء الحرير كان المعلوليون يقومون بتربية دودة القز التي تصنع شرانق الحرير في بيوتهم من خلال مناقل خشبية وتغذيتها بأوراق شجر التوت الذي كان يزرع في حقول معلولا /السقي/ بكثرة لأجل ذلك وبعد تحول دود القز إلى فراشات يقومون بجمع الشرانق وأخذها إلى المكان المسمى / الحلالات / حيث يقومون بحل الشرانق عن طريق قوالب خشبية كانت مركبة على صخور متوضعة هناك بالقرب من ساقية الماء التي تخترق الموقع وبالتالي تحويلها إلى خيوط حريرية وهذا ما يفسر وجود العديد من أشجار التوت حتى الآن في منطقة الحلالات ومن هنا أخذ المكان اسمه وهذه الخيوط كانت تستعمل لأمورهم الحياتية أو يقومون بمقايضتها مع سكان القرى المجاورة بمواد أخرى أو بيعها لتجار قادمون من مناطق بعيدة لتسويقها. في هذا الموقع صخرة كبيرة نسبيا فيها تجويف منحوت وفيه بعض الحفر المنسقة وهو مكان لتركيب (الحلالة) الخشبية اللازمة لحل الشرانق ومع الأسف تم إزالة الكتلة الصخرية بأعمال التجريف التي حصلت.

هذه الصنعة وتجارتها قد فقدت أهميتها مع مرور الزمن الأمر الذي جعل أهالي معلولا يتخلون عنها تدريجيا والاهتمام أكثر في زراعة الحبوب والبطاطا والأشجار المثمرة فيما بعد.

[1] غريغوريوس أبوسمرة، تاريخ معلولا، منشورات مجلة الرسالة المخلصية، 1951م، ص ص11-12

[2] باسيلوس عيسى نصر الله، في معلولا الحاضرة، مجلة المسرة، المجلد 3، الجزء 14، ك2، نيسان 1913م، ص 859

رابعاً- صناعة النسيج:

إحدى الصناعات الحرفية المشهورة في سورية حيث يذكر الأب غريغوريوس أنها انتشرت في معلولا واشتهر النسيج المعلولي بالدقة والفن، وصنع شقق الشعر لبيوت الشعر[1]. وكذلك صنع العباءات الصوفية التي كان يرتديها معظم الناس آنذاك، وبخاصة في فصل الشتاء[2].

خامساً- اليد العاملة:

نسبة كبيرة من أه الي معلولا هجروا البلدة باتجاه دمشق أو المهجر لذلك من الصعب وضع جدول لتوزيع اليد العاملة، حيث أن الوضع الاقتصادي المتدني قد دفع بأهالي معلولا إلى احتراف غالبية المهن الحرفية ويتبين من الدراسات السكانية للمدينة القديمة وكذلك من المعلومات المتوفرة لدى مجلس مدينة معلولا أن المهن والوظائف متوزعة كالتالي:

مهن خدمية: (بقاليات – كافتيريا ومطعم – أكشاك – أفران – لحام – شركات نقل الوقود).

مهن حرفية: (نجارة – حدادة – ميكانيك سيارات – صيانة وبناء الأبنية).

مهن علمية: (محام – طبيب – مهندس – صيدلي).

المهنة الخاصة الناتجة عن الطبيعة العمرانية والطبوغرافية في البلدة القديمة: وهي مهنة نقل المواد بمختلف أنواعها باستخدام الحيوانات وبالتالي نرى أن زرائب الحيوانات موزعة في أماكن عدة في المغاور وكهوف الطرقات وأحيانا في البيوت نفسها وتقوم هذه الحيوانات إضافة إلى عملها في المجال الزراعي بنقل المواد الأساسية والتموينية: (كمواد البناء – الأنقاض – أسطوانات الغاز – الوقود)، كما تحمل أحيانا بعض القاطنين الذين يصعب عليهم تسلق هذه المستويات والتي تصل إلى أكثر من 50م [3].

6 4 4 3 نشاطات فكرية:

ترتبط العلاقات الإنسانية من ناحية بالمقومات الإقتصادية للمجتمع، كما ترتبط من ناحية أخرى بمقوماته الثقافية والتعليمية وكلاهما يتأثر بالموجات الحضارية التي يتعرض لها المجتمع على مر التاريخ، ولما كانت المقومات العلمية أو التكنولوجية للمجتمع تتطور مع الزمن فإن العلاقات الإنسانية لهذا المجتمع تلحق بدورها هذا التطور وإن تخلفت عنه في معدل التغير، وهذا مثل آخر لمدى تكامل العناصر المكونة للبيئة الثقافية للمدينة[4].

إن من أبرز النشاطات الفكرية في معلولا الأعياد والطقوس الدينية:

فمن أهم التقاليد التي يتميز بها أهل معلولا هي احتفالهم بالأعياد الدينية والطقوس التي يمارسونها في هذه الأعياد ومن أهمها: عيد الصليب، عيد القديسين سركيس وتقلا اللذان يعتبران شفيعي معلولا.

عيد الصليب: يحتفل المسيحيون بعيد الصليب ليلة 13 أيلول ويوم 14 أيلول من كل عام، وهذا العيد يعود إلى بدايات المسيحية حيث أرسلت الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين الجنود لاسترداد عود الصليب المقدس بعد أن استولى عليه الفرس ضمن الغنائم التي استولوا عليها من كنيسة القيامة بفلسطين. وقد طلبت إليهم إبلاغها بنتيجة المعركة بإشعال النار على قمة الجبل في حال انتصارهم وتمكنهم من استعادته ومن ثم يتم إشعال النار من قبل المناطق الأخرى التي ترى منها الشعلة وهكذا

---

[1] غريغوريوس أبوسمرة، مرجع سابق، ص12.

[2] الياس نصرالله، معلولا حكاية الإنسان وقدسية الأرض واللسان، ط 2002، ص 45.

[3] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص27.

[4] د. عبد الباقي ابراهيم, تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة, مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية, ص 19.

يتم نقل الخبر من نقطة إلى أخرى حتى يصل النبأ إلى القسطنطينية (عاصمة المملكة) وهي إحدى وسائل نقل الخبر في ذلك الوقت.

وكانت معلولا واحداً من 26 موقعا فوق الجبال مابين القدس في فلسطين والقسطنطينية، تم فيها إشعال النار للدلالة على إيجاد عود الصليب المقدس. ولا يزال المسيحيون حتى يومنا هذا يأتون إلى معلولا لإحياء هذه الذكرى سنويا وتستقبل معلولا الآلاف من الزوار المحتفلين بهذا العيد من كافة أنحاء القطر وكذلك من لبنان والأردن ولا يزال المغتربون من أه الي معلولا يأتون لزيارتها في هذه المناسبة الدينية. ويتم الاحتفال بانطلاق العراضة من ساحة القرية مساءً ويشارك فيها جميع الأه الي حتى المسلمين منهم (إلى عهد قريب) ثم يصعد الشبان الكاثوليك إلى أعالي الصخور في الجانب الغربي من طريق قرب المشنقة الموجودة بنهاية الفج الغربي ويصعد الشبان الأرثوذكس إلى الجانب الشرقي ويشعلون النيران بواسطة الإطارات (الدواليب) والأخشاب ويضعون أعواد الصليب المنارة في رؤوس هذه الجبال ثم في منتصف الليل يبدأ شبان كل حي برمي بقايا الخشب المحترق (القرميات) من الأعلى بالتناوب ويرافق هذا إطلاق بعض الألعاب النارية وما زالت هذه الليلة هي من أكثر أيام السنة فرحاً حتى أصبحت في الوقت الحاضر تشكل ضغطاً كبيراً على المدينة من ناحية التجمعات البشرية وحركة الوصول إلى وسط المدينة وساحاتها وكنائسها وأديرتها. وفي اليوم التالي يقتصر الاحتفال على أه الي معلولا بعد مغادرة الزوار ولكن لا يتم إشعال أية نيران.

أما بالنسبة لعيد القديس سركيس في 7 تشرين الأول وهو يوم استشهاد القديسين سركيس وباخوس في سيرجيوبوليس (الرصافة) وعيد القديسة تقلا الواقع في 24 أيلول فهما عيدان محليان تقتصر الاحتفالات فيهما على أه الي معلولا وتتم بإقامة القداديس الدينية في الكنائس ومن ثم إقامة حلقات الرقص والعراضات[1].

عيد التجلي:[2]

تحتفل الكنيسة في السادس من شهر آب بعيد تجلي (ربنا يسوع المسيح). في التجلي اجتمع موسى النبي وهو رمز الفصح والعبور وإيليا الحي وهو رمز الانبعاث وتلامذة المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا وهؤلاء الثلاثة اختيروا لحكمة حيث بطرس استشهد بالصعب ميتة ويعقوب أول الرسل الشهداء ويوحنا هو الوحيد الذي تبع المسيح حتى الصليب وهو أول من وقف في وجه الهراطقة وبذلك كانوا شهودا على قوة ربنا يسوع المسيح حين جاءه صوت آتياً من السماء (هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت). لقد صعد بهم إلى الجبل بعيدا عن صخب العالم كي يعاينوا دون أي غموض ان السيد المسيح ليس إيليا أو يوحنا المعمدان كما كان البعض يعتقد وبأنه ابن الله الحي ويريهم مجد لاهوته قبل قيامته وقبل آلامه وهم بالتجلي شاهدوا ناسوته ومجد لاهوته ليكونوا شهودا على ذلك.

5 4 6 موارد طبيعية:

أن الإتزان الآمن بين طبيعة وخصوصية بلدة معلولا والارتقاء بها يمكن تحقيقه بثنائية يصعب فصلها لإرتباط عناصرهما إرتباطاً وثيقاً ولما لهما من تأثير متبادل على بعضهما البعض.

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص 7.

[2] http://www.radio-abana.org/show-1,N-517.html

6 4 5 1 الموقع الجغرافي:

يلعب الموقع الجغرافي دورا هاما في تحديد تضاريس البلدة ومناخها وميزاتها الطبيعية فعلى بعد إحدى وخمسون كيلومترا عن مدينة دمشق وعلى الطريق الدولي المؤدية إلى حمص يقع مفرق معلولا حيث تبعد البلدة عن عقدة المفرق 7 كم. وعلى مقربة من عين التينة التي تبعد عن العقدة المذكورة مسافة 3 كم تطل سلسلة الجبال المحيطة بمعلولا وهي:

1. الصخر الشرقي ويبلغ ارتفاع ذروته 1664 م عن سطح البحر.
2. الصخر الغربي بذروة ارتفاعها 1685 م عن سطح البحر وتدعى رأس الروس[1].

حيث يشكل هذان الصخران مع جوف بلدة معلولا شكلا أقرب إلى طائر عملاق جناحاه عبارة عن السلسلتين الشرقية والغربية والوادي المتصل من بلدة معلولا حتى قرية عين التينة يشكل جسم هذا الطائر العملاق، حيث أن التكوين الصخري ذوالخطوط الشاقولية هو الذي أعطى هذا الشكل المميز.

كما أن هذا الطائر يظهر واضحاً من الاتجاه الغربي من موقع هضبة تدعى عنترايا ويسميها أهل معلولا (عين طرايا – وهي كلمة آرامية تلفظ عين طرو: أي عين الجبل)[1].

شكل 39: صورة جوية لمعلولا

يبلغ ارتفاع هذه الهضبة 1659 م عن سطح البحر وتقع على طريق يصل بين بلدتي يبرود شمالاً ورنكوس جنوباً وتبعد عن معلولا مسافة 500 م.

وتطل هضبة البيادر بارتفاع 1478م عن سطح البحر وهي حدود بلدة معلولا من الجهة الشمالية. هذه الهضاب والسلاسل الجبلية المحيطة بمعلولا هي من سلسلة جبال القلمون الأعلى.

6 4 5 2 طبوغرافية البلدة:

تتوضع معلولا على منحدر صخري شديد وتكون أشبه بجرف كامل في عدة أماكن، وهي تقوم كما ذكرنا سابقاً بين ثلاث تلال مشكلة حرف (Y) وبالطبع فإن هذه الطبيعة الجبلية قد فرضت معايير معمارية وعمرانية لها خصوصيتها أثرّت على شكل البلدة عبر العصور.

تقع بلدة معلولا القديمة على منحدر التلة الوسطى وهي تلة مار سركيس، حيث تعلوعن سطح البحر في منطقة فندق معلولا مقدار 1428 م، وبتراوح انحداره بين 40% - 50% تقريبا حيث يصل ارتفاع أدنى نقطة في البلدة القديمة إلى 1318 م عن سطح البحر[1].

وفي التلة الشرقية حيث تقوم عليها مبان سكنية ودينية هامة بعضها قديم ويتمركز في القسم الشمالي من هذه التلة قرب دير مار تقلا وقسم حديث هو منطقة التوسع للمدينة. ويبلغ متوسط الانحدار فيها بحدود 40% وهو ما يسمى منطقة البيادر وتقوم على التلة الغربية مبان حديثة خاصة بالاتجاه الجنوبي ويصل انحدارها إلى 45% كما تتوسع المدينة في المرتفعات العليا شمال دير سركيس (سكن الجمعية) ويتراوح انحدارها بين 7% - 2%.

6 4 5 3 تحليل الطبيعة المحيطة:

إن التنوع الطبوغرافي السائد في المنطقة والتنوع الطبيعي والموقع الجغرافي المناسب وتوفر الأرض الزراعية والينابيع المائية المتوفرة بكثرة في المنطقة جعلها منطقة استقرار حيوي مناسبة كما أن تداخل الطبيعة في معلولا بين هضابها ووديانها، فجاجها وشعابها وانسياب مياهها في الوديان والهضاب، والاخضرار واليبوسة، ثلوجها وحرارتها تلخص في نفس المشاهد قدسية الكون والخليقة. ومن هنا تكمن مهمة الحفاظ على المباني والنسيج العمراني، وهي مهمة لابد من تسليط الضوء عليها، فالتشويه الذي يصيب الطبيعة لا يمكن تداركه، أما عمل الإنسان فيمكن إصلاحه أو التعويض عنه.

تحيط بالمدينة مجموعة من الجبال والهضاب فمن الشمال يقع جبل دلل ومنطقة البيادر وصخرة البيضة، ومن الشمال الغربي ضهرة عنترايا (عين طرو) وضهرة مخايل (ميخائيل)، ومن الغرب الضهرة الطويلة ورأس الروس ومن الجنوب واد يطلق عليه تسمية الوادي الكبير وأهل المدينة يدعونه وادي السيل، ومن الشرق توجد هضبة الصخر الشرقي.

تتفرق هذه الجبال والهضاب عن بعضها بواديين رئيسيين (يسمى كل منهما فجاً) أحدهما في الجهة الشرقية والآخر في الجهة الغربية. والفج باللغة الآرامية – اللهجة المعلولية– يسمى ذحكونا أي المضيق ويشكلان حدود المدينة القديمة في الوقت الراهن ومناطق عبور المغاور التي كان يقطنها إنسان ما قبل التاريخ في المنطقة العلوية حول دير مار سركيس.

وساهم جمال وتناغم العناصر الطبيعية في معلولا في نسج الروايات والأساطير (مثل أسطورة فج مار تقلا – أساطير حول ملوك وملكات معلولا).

كما تسبب فتح الطريق المعبد الذي تم إيصاله إلى الفج الغربي في اندثار العديد من المعالم الأثرية الطبيعية كصخرة المحكمة والمقاعد التي كانت تحيط بها.

وتتوضع بيوت البلدة بين هذين الفجين كمدرّج على منحدر الجبل الشاهق وعلى جانبه إلى الأمام جداران صخريان شاهقان يحدانها من الشرق والغرب. وتمتزج هذه المساكن مع تكوين الجبل فتصبح جزءاً منه ويصبح جزءاً منها. ويعتقد أن بيوت هذه المدينة كانت عبارة عن كهوف ضمن الجبل يتم الصعود إليها عبر أدراج ومصاطب حجرية ويؤكد ذلك وجود العديد من المغاور الواسعة التي سكنها

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص 8.

الإنسان الأول في العصر الحجري ويمكن مشاهدة مثيلاتها في مدينة يبرود وما حولها، وهذه المغاور المنحوتة تدل على أنها مرت بكل الحضارات القديمة وكان لها استخدامات متعددة[1].

6 4 5 4 المياه:

رغم صغر مساحة بلدة معلولا إلا أنها تقع على صدر جبال القلمون المتفرعة من السلسة الشرقية. حيث شكلت هذه الجبال سداً منيعاً يخزن كميات كبيرة من مياه الأمطار والثلوج مشكلة حوضاً مائياً كبيراً يُدعى (حوض المجر) ويُعتبر من أهم مصدر لمياه معلولا إذ أن معظم أراضيها الغربية تقع فوق هذا الحوض إضافة إلى تسرُّب مياه هذا الحوض عبر فتحات صخرية عند الفجين الشرقي والغربي حيث يُوجد النبع الغربي والنبع الشرقي اللذين يسقيان البلدة من الأزل إضافة إلى ري السقي ونظراً لغزارة هذين النبعين أقيمت عليهما عدة طواحين.

أسماء عيون الماء في معلولا:

1. عين بوقث
2. عين شيرو
3. عين طرايا (عنطرو)2
4. عين لكومشا (السوداء)
5. عين كشيكشا (القسيس)
6. عين أو كّا
7. عين مصيندوثا
8. عين سوحثا (الساحة)
9. عين النمِّس
10. عين سُمَّيقو(السّماق)
11. عين عَقونو(الغربان).

إضافة أنه هناك ثلاثة آبار قديمة رومانية هي: بئر الخرزة وبئر الحزبة وبئر دنحا.

كما يوجد عشرات من مصانع المياه القديمة الرومانية والبيزنطية متوضعة على مفارق الطرق الزراعية القديمة[3].

أما مياه الوادي التي تسقي البساتين والأراضي فهي منحدرة من فجيها، وكانت المياه دائمة الجريان صيفاً وشتاءً دون انقطاع، ولكن مع انخفاض نسبة تلك المياه في العقود الأخيرة ظهرت الحاجة إلى وضع نظام لتقسيم المياه وتنظيمها فاستعملوا لذلك الساعة الرملية، وكانت المياه تدير عدداً من الطواحين المائية في أيام غزارتها، أما في الوقت الحالي فسكان المدينة يعتمدون بشكل رئيسي في حياتهم اليومية على السياحة حيث يؤم المدينة آلاف من السياح والزائرين من مختلف دول العالم.

6 4 5 5 الطواحين المائية:

تظهر البحوث التاريخية أن منطقة حوض البحر المتوسط قد شهدت استخدام الطاحونة المائية في القرن الأول قبل الميلاد، وكان هناك نوعان من هذه الطواحين. ولا يزال النوع الأول قيد التشغيل حتى يومنا هذا في كل من إسكندنافيا والبلقان وبلدان الشرق الأدنى. وفيها يتم تركيب العجلة المائية

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص 8-12.
[2] - عنطرو: مؤلفة من كلمتين عين نطورو(عين النواطير).
[3] د. موفق دغمان، مرجع سابق، ص 67.

أفقياً في أسفل الطاحونة بحيث يدور الطرف السفلي لمحورها الرأسي المصنوع من الحديد، داخل محمل من الحجارة الثقيلة (الصخرية منها). ويمر الطرف العلوي للمحور عبر فتحة في حجر الرحى السفلي ويتصل مباشرة بحجر الرحى العلوي، وبذلك تحتاج إلى مسننات لنقل الحركة. وتكون سرعة دوران حجر الرحى مماثلة لسرعة دوران العجلة المائية، وتدار الأخيرة بفعل الماء الهابط من علو من مجرى مياه جارية باستمرار.

وفي معلولا نظراً لغزارة مياه النبعين الشرقي والغربي وتوضعهما المرتفع حيث تنحدر مياههما بشدة استفاد القدماء في معلولا من ذلك وأنشؤوا العديد من الطواحين على مجرى النبعين أساسها أن تدار دولاب خشبي بقوة الماء المندفع نحو مسنناتها الخارجية، محركة بدورها أحجار الطاحون وبدون أي جهد إنساني وحيواني.

والطواحين بحاجة إلى تنظيم كبير من ناحية المياه والناحية العمرانية وهذا ما يجعلها تدخل ضمن المنشآت الصناعية الإنتاجية وما تلاحظه من كثرة الطواحين في معلولا يعود إلى التواجد السكاني الدائم وحاجاتهم إلى الدقيق لصناعة الخبز ولقلة هذه الطواحين أو انعدامها في القلمون الأسفل وذلك لندرة المياه هناك، وهذا ما جعل من معلولا مركزاً رئيسياً للطحن في القلمون.

ومما يجب ملاحظته هو أن كل الطواحين في معلولا تعمل على حجر واحد خلال أربع وعشرين ساعة بينما طاحونة المجر تعمل بثلاث أحجار دفعة واحدة وذلك بسبب غزارة المياه المندفعة إلى الطاحون.

أسماء الطواحين على النبع الشرقي:

1. طاحونة دير مار تقلا
2. طاحونة عبد الله المعلم
3. الطاحونة الوسطانية
4. طاحونة بيت سعيد

النبع الغربي:

1. طاحونة بيت حداد
2. طاحون الجامع
3. طاحونة قمصا (الحراء)
4. طاحونة مكان (تعمل شتاءاً)
5. طاحونة بيت المعلم.

إن الينابيع والمجاري المائية كانت مناطق استيطان رئيسية للإنسان منذ العصور الحجرية حيث قامت بجوارها الحياة الحضرية واعتمدت على النشاطات الزراعية بمختلف أنواعها، إنها تعطي الماء اللازم لري المزروعات وسقاية الحيوانات وهنالك العديد من الينابيع في منطقة معلولا وكلها تنبع من المناطق العالي في معلولا، وتصبّ جميعها في ساقيتين رئيسيتين هما الساقية الشرقية والساقية الغربية، وتعمل بنظام مائي خاص وكانت تتوضع على هذه المجاري المائية النواعير وكانت إحداها قائمة في وادي السيل بمعلولا، وساهمت الأقنية المارة بالفجين الشرقي والغربي والتي تمر فيها مياه الينابيع في إنشاء حمامات منذ العهد الروماني مثل حمام الملكة، كما أسهمت أيضاً في تكوين المميزات الطبيعية من خلال المناطق الخضراء وامتداداتها حيث تمتد الأشجار لتشكل بحدّ ذاتها محاور بصرية ومساحات خضراء تساهم في التخفيف من حدّة الصلابة التي تشكلها التلال والجبال

الصخرية مثل أشجار الحور ذات الامتداد الشاقولي ولابد من أن نذكر دور هذه العناصر الهامة في تكوين المشهد العام لمعلولا الطبيعية والعمل الإنساني معاً[1].

6 5 4 6 السيول ومنطقة جريانها:

شكل 40 : مجاري السيول في معلولا

بلدة معلولا تتعرض لسيول غزيرة نتيجة لموقعها بين ثلاث هضاب والانحدار الشديد في البلدة إضافة لغزارة الثلوج فيها وقد سجل تاريخها أكثر من كارثة من جراء هذه السيول، وعرف أقدمها في القرن 11 – 12 ميلادي فقد داهم جميع مناطق القلمون سيل مدمر آت من الجبال المرتفعة أدى إلى تغيير بعض معالم معلولا. وقد سميت العديد من السيول بأسماء ضحاياها كسيل أم نجيب عام 1921 م، وسيل عزيز عام 1937م. كما أن احتمال حدوث سيول مستقبلية وارد، الأمر الذي يتطلب معالجة جدية لدرء الأخطار المترتبة عن ذلك.

وتقع مجاري السيول الرئيسية في منطقتي الفج الشرقي والغربي حيث تتوجه المياه وباندفاع كبير، وفي الأحوال الطبيعية تجري المياه ضمن الأقنية عند الفج الغربي والشرقي وتقترن بالمياه الناتجة عن ذوبان الثلوج في المناطق المرتفعة المحيطة، ولهذا فإن حدوثها بشكل سنوي مقترن بكميات هطول الثلوج والأمطار. وتصل شدة هذه السيول في بعض السنوات إلى تدمير بعض الأبنية واقتلاع الأشجار والمزروعات. ويحافظ وادي السيل على وضعه الطبيعي ما عدا بعض التعديات على طبيعته من خلال المخطط التنظيمي لعام 1965 م ويظهر ذلك بوضوح في المنطقة الأقرب إلى ساحة البلدة وهو الأمر الذي يجب الانتباه إليه والعمل على أن يكون وادي السيل منطقة خضراء محمية[2].

7 5 4 6 الطبقات الجيولوجية لمنطقة معلولا:

بالاعتماد على التقرير الخاص ببلدة معلولا المقدم من المؤسسة العامة للجيولوجيا والثروة المعدنية حول الوضع الجيولوجي لبلدة معلولا المقدم بتاريخ كانون الثاني 2003 م تبين مايلي:

[1] د. موفق دغمان، مرجع سابق، ص68-69.
[2] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص 13.

تشكل منطقة معلولا جزءا من الخارطة الجيولوجية، حيث تعود أقدم التوضعات الكلسية إلى النورونيان K5T، والمكتشفة شرق طريق دمشق – حمص، مقابل مفرق عين التينة معلولا، وتتابع التوضعات الرسوبية المارلية والكلسية الأحدث باتجاه الغرب، وهي السينونيان K6 sn + cn، الكامبانيان K6 cp، الماسترختيان K6 m، الباليوسين P1، والإيوسين الأسفل P2 1، والإيوسين الأوسط P2 2، والإيوسين الأعلى P2 3، والأوليغوسين P3، والذي يتكشف في المنطقة على شكل جدار بارز في الطبيعة يطلق عليه تسمية (جدار معلولا)[1].

وتعود المخاطر الجيوديناميكية في منطقة دير مار تقلا وبلدة معلولا إلى تشققات جدار معلولا (الوحدة العليا)، فوق بناء الدير مباشرة، أو ناتجة عن سقوط عدد كبير من الكتل فوق المنحدر لمسافات متفاوتة وتوضعها بشكل غير مستقر، ويمكن أن تعاود سقوطها فوق أبنية القرية من جديد.

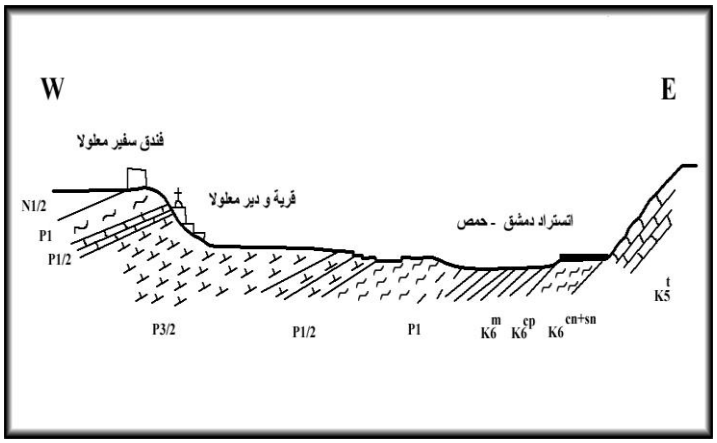

شكل 41: جيولوجية الأرض في معلولا

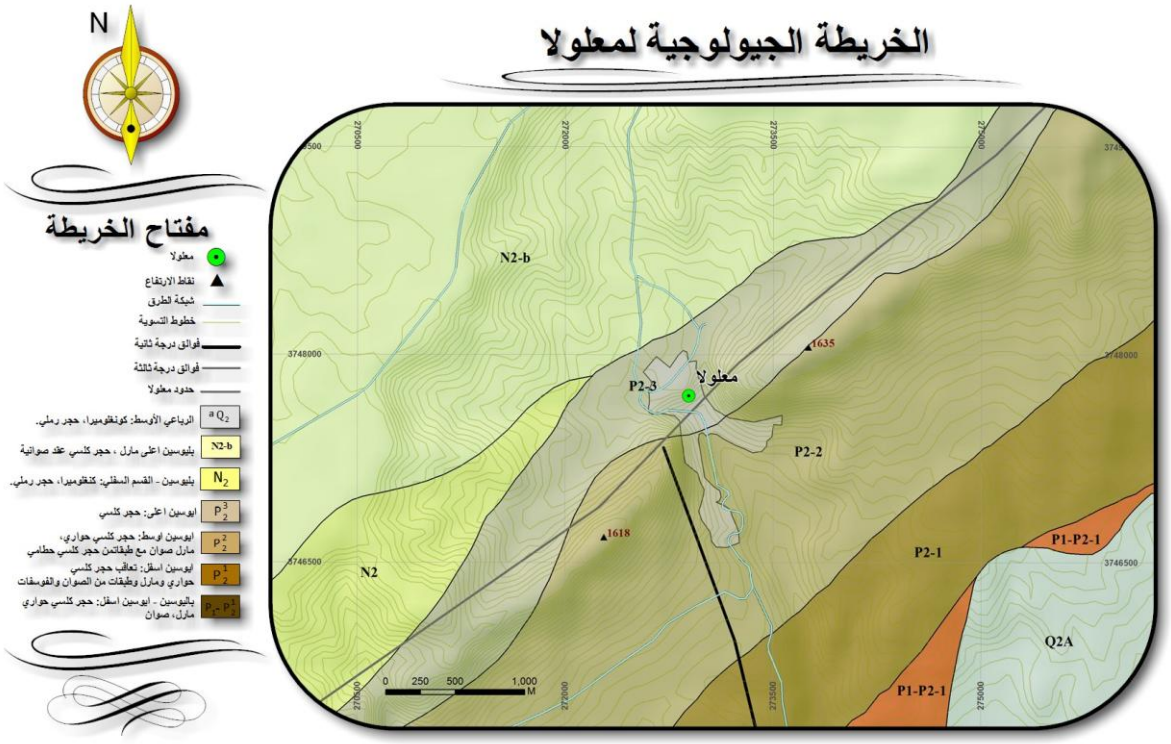

مخطط 17: الخريطة الجيولوجية لمعلولا

[1] د. رضوان طحلاوي وآخرون, مرجع سابق, ص 14.

تلعب عوامل الحت والتعرية والظروف المناخية وليتولوجية الصخور، إضافة إلى الثقالة الأرضية، الدور الأساسي والفعال في حدوث هذه المخاطر بتأثيرها المباشر على دير مار تقلا أو من جهة تأثيرها على الأبنية السكنية المجاورة.

6 4 5 8 المعطيات المناخية:

يعتبر مناخ مدينة معلولا مناخاً قارياً يتصف بالبرودة القاسية شتاءاً وبالاعتدال صيفاً وتتفاوت درجات الحرارة بين الليل والنهار بشكل ملحوظ.

6 4 5 9 الرياح السطحية:

الرياح السائدة غالبا رياح غربية أو جنوبية غربية، مصدرها الأساسي البحر الأبيض المتوسط، ونظرا لوقوع المنطقة ضمن سلسة من الجبال المحيطة يؤمن لها الحماية من الرياح الشديدة، إذ تلعب التضاريس المحلية دوراً رئيساً في تغيرات سرعة واتجاه الرياح.

6 4 5 10 الفجوج والمغاور:

أولاً- الفج الشرقي:

هو من المناطق الأثرية، وإضافة لأهميته من النواحي الروحية والدينية يشكل بطبغرافيته وعناصره المائية وتنوعه الحيوي نقطة جذب سياحي تعتبر بالمكانة الأولى لبلدة معلولا. إن عملية تأهيل هذا الفج تأتي بالدرجة الأولى من المشاريع الحيوية لبلدة معلولا، فهو يعاني من التلوث البصري الذي نجم عن الإهمال وعدم تنظيم المجرى المائي ومعالجة أرضيته. كما أن مجموعة العناصر الخدمية لمثل هذه المواقع غير متوفرة كالإنارة والنظافة وغير ذلك.

شكل 42: الفج الشرقي 1

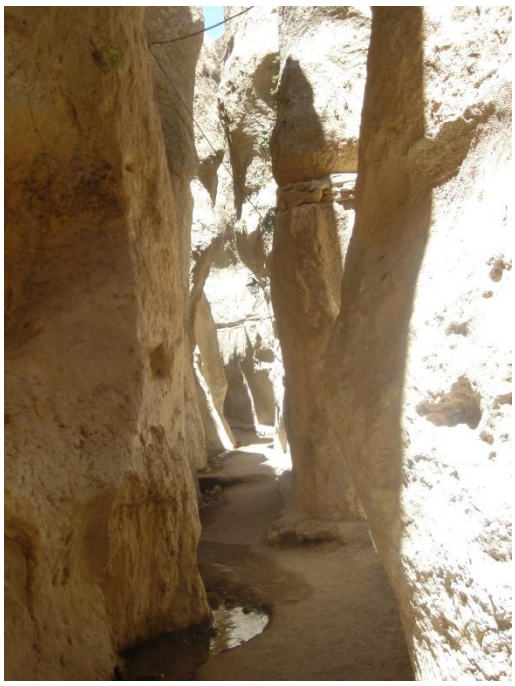

شكل 43: الفج الشرقي 2

يرتبط اسم هذا الفج باسم القديسة تقلا
ويمكننا تقسيم معالم هذا الفج إلى:
1 – النبع الشرقي ويسمى الحمام
2 – المحكمة
3 – درج صخري إلى المعاصر
4 – المدافن – المشنقة – ممر الفج

وتشكل منطقة معاصر دير مار تقلا موقعاً أثرياً هاماً، حيث توجد عدد من الكهوف الجميلة المتسعة فيها العديد من المدافن وكهف خاص حفرت به آبار كبيرة ومغزلية الشكل لحفظ الزيوت أو الخمور ، وعلى واجهة الكهف مشرب ماء يعلوه طير حمام أو نسر وعلى واجهة الكهف الأوسط نحت لرأس طمست معالمه وربما كان لأحد الأمراء السلوقيين الذين أقاموا في هذه المنطقة أو حكموا فيها. وأمام هذه الكهوف فسحة صخرية كبيرة فيها معاصر حجرية للزيوت وتجهيزاتها وفي منتصف هذه الفسحة الصخرية قاعة مكشوفة محفورة في الصخر (5 × 5 م) بارتفاع (2 م) تحوي أرضيتها على مصاطب صخرية على شكل مقاعد وجدارها الشرقي مزين بشبه مثلث والحائط الغربي عليه خطوط محيطة شبيه بسمكة وفمها مفتوح باتجاه جرن مخروطي يقع تحت رأس المنحوت. وهناك العديد من المدافن المنحوتة في الصخر.

شكل 44: الفج الشرقي 3

ثانياً- الفج الغربي:

يعتبرالفج الغربي من الأماكن الأثرية الطبيعية الهامة أيضاً لبلدة معلولا فبالإضافة إلى أنه محور رئيس يصل إلى دير مار سركيس يلاحظ توضع العديد من المواقع التاريخية الهامة فيه كالمحكمة والحصن وعيون المياه.

إن العمل على وضع خطة لدراسة موقع معلولا الأثري من خلال أعمال التنقيب والتحليل لما هو موجود يساعد على فهم أوسع وأشمل لمفهوم الاستيطان والتطور الذي ساهم في الوصول لهذا المنتج الثقافي الهام.

ثالثاً- المغاور:

وهي تعود لفترات ماقبل التاريخ وللفترات اليونانية والرومانية ويحوي بعضها كتابات يونانية تعود للفترة (333 - 64 ق. م) وبعضها الآخر تم استخدامها في الفترات الرومانية كمعابد وتعود للفترة (64م - 395م) وفي الفترة البيزنطية استخدم بعضها ككنائس مثل الكهف المسمى (كهف الخوري يوسف المذكور سابقا والموجود قرب المدخل الرئيسي للفندق) ورسومات الفريسك التي تمثل نسراً باسطاً جناحيه وهذه تمثل معتقدات دينية عائدة للفترة الرومانية كانوا يقومون بها من أجل راحة نفس الموتى.

شكل 45: المغاور في معلولا 1

وقد استخدمت بعض المغاور للسكن وبعضها الآخر للعبادة كما ذكرنا أولاستخدامات أخرى مثل المغاور الموجودة بالفج الغربي وتظهر الأحواض والأقنية التي حفرها الإنسان داخلها أنه كان لها وظائف أخرى كعصر الزيتون أو العنب لتصنيع النبيذ الذي اشهرت فيه معلولا منذ القدم. وبالنسبة للمغاور التي استخدمت كمأوى للإنسان القديم فقد قام بحفر العديد منها بأبعاد تتراوح 5-8 x3-4 م بشكل يكون الفراغ الداخلي للمغارة السكنية أكثر ارتفاعاً من المدخل وتتركز الغالبية العظمى من هذه المغاور في الكتلة الصخرية الموجودة غرب دير مار سركيس.

شكل 46: المغاور في معلولا 2

وهنالك المغاور المرتفعة التي يتم الصعود إليها بواسطة سلالم خشيبة (تم ذكرها سابقاً) ولا بد من أن نذكر المغارة التي يسميها أهل البلدة (الحصن) وهذه المغارة مرتبطة بأحداث تاريخية لبلدة معلولا إذ كان يلجأ إليها سكان البلدة لضمان سلامتهم في حالات الغزووالتعرض للأخطار وإلى جانبها مغاور أخرى استخدمت كحصون ولكن ذات مساحات أصغر من الحصن الرئيس[1].

[1] د. موفق دغمان، مرجع سابق، ص61-62.

5 6 تطور بلدة معلولا:

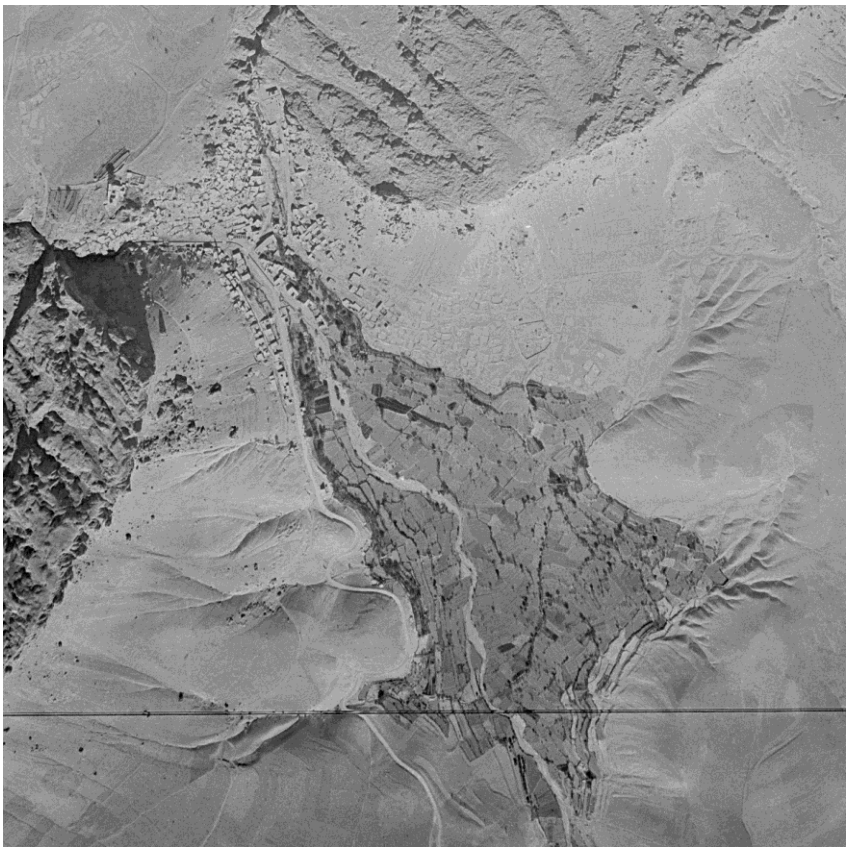

شكل 47: صورة جوية لبلدة معلولا سنة 1958

- تظهر الصور الجوية أن بلدة معلولا لم تشهد أي تطور أو توسع ملحوظ بين عامي 1958-1976.
- بينما تظهر هذه الصور تطوراً ملحوظاً في شكل البلدة وتخطيطها وبنيتها العمرانية حيث يظهر ذلك في الصورة العائدة لعام 1998 (شكل 48) حيث خططت الطرق وشقت طرق جديدة غيّرت من تضاريس البلدة وعلاقتها مع محيطها ودُمّر الفج الغربي لشق طريق للسيارات في نفس مسار الفج.
- كما تظهر الصورة ذاتها إنشاء فندق معلولا الذي بني بين عامي 1976-1998.
- ويُلحظ في هذه الصورة أيضاً التخطيط لأبنية سكنية طابقية حديثة شمال فندق معلولا.

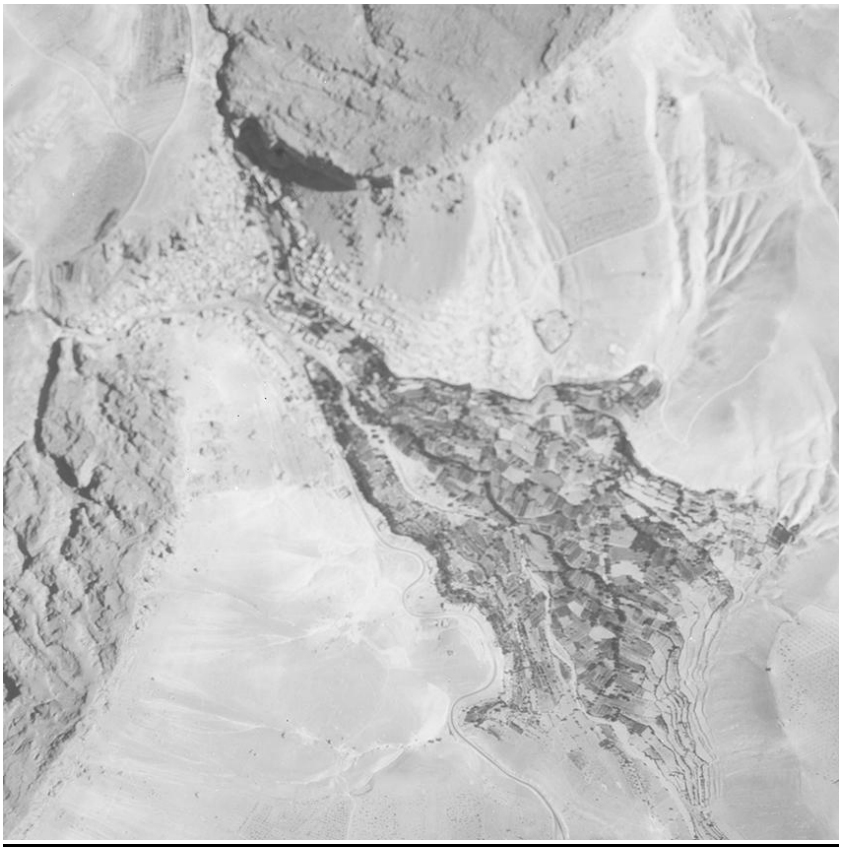

شكل 48: صورة جوية لبلدة معلولا سنة 1976

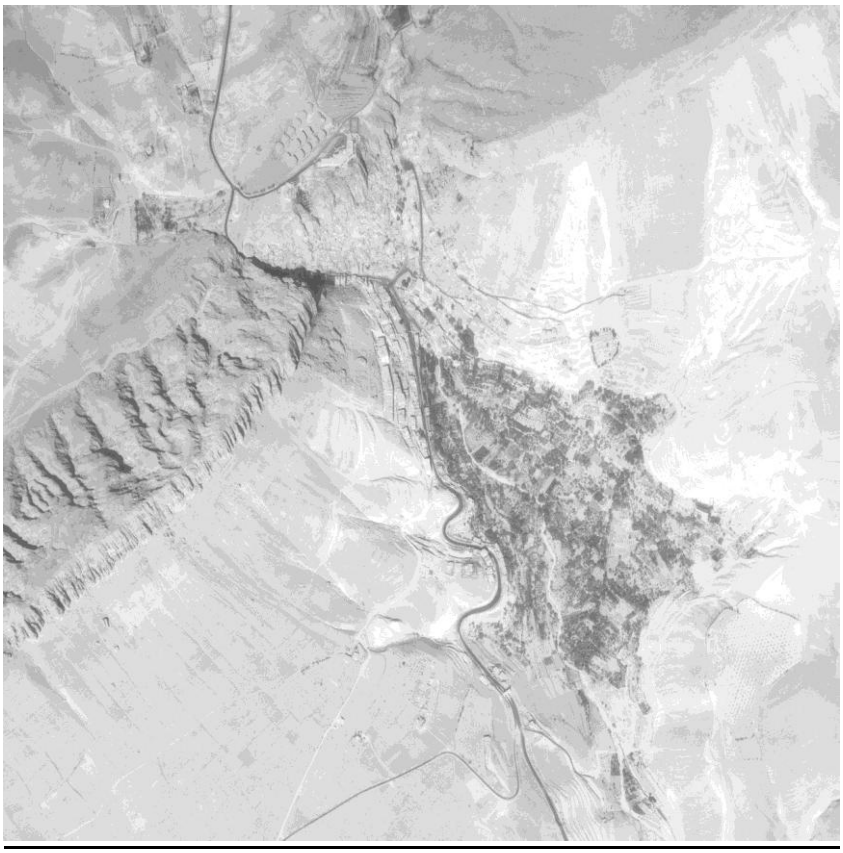

شكل 49: صورة جوية لبلدة معلولا سنة 1998

شكل 50: صورة جوية لبلدة معلولا سنة 2004

- الصورة العائدة لعام 2004 (شكل 49) تظهر إنهاء تشييد الأبنية السكنية السابقة الذكر إضافة إلى لحظ مجموعة جديدة من الأبنية الحديثة التي تفصل البلدة القديمة عن المنطقة الزراعية والفصل العمراني الحاصل بين أجزاء البلدة جراء المخططات التنظيمية.
- أما الصورة العائدة لعام 2012 (شكل 50) تظهر زيادة في كثافة البناء في منطقة توسع البلدة القديمة والسكن الحديث وزيادة في عملية الفصل العمراني والتشوه البصري في البلدة.

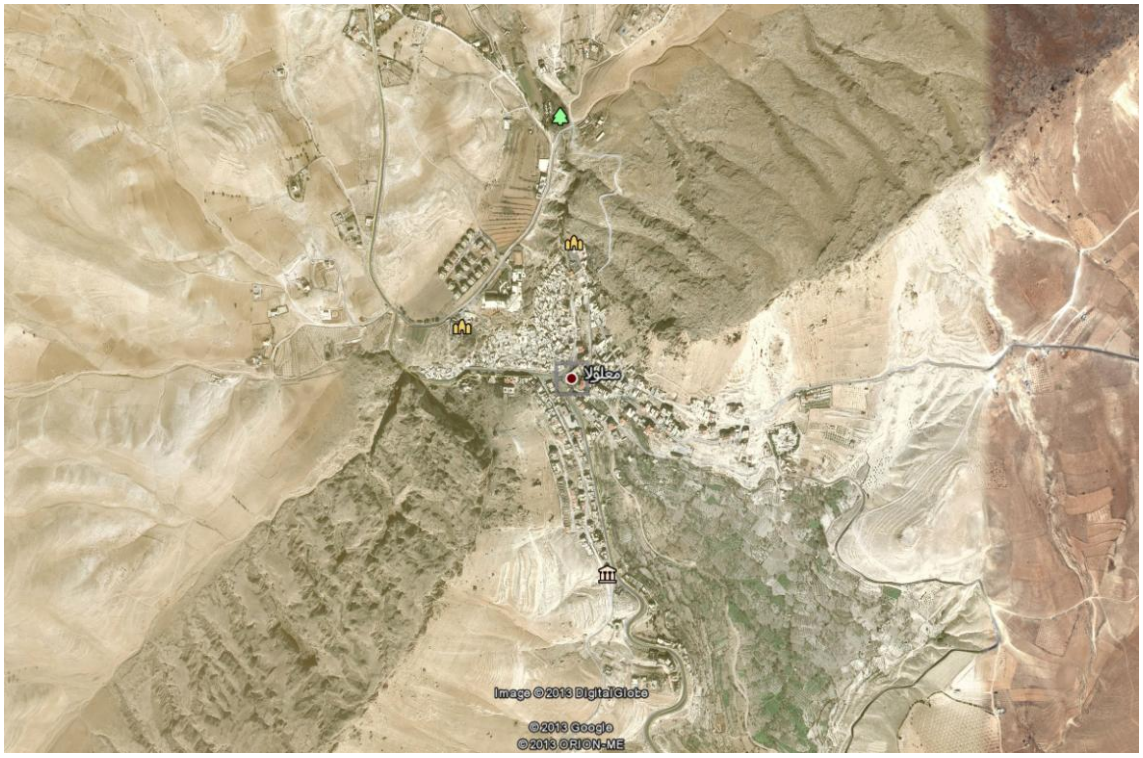

شكل 51: صورة جوية لبلدة معلولا سنة 2012

6 5 1 الدراسة التوثيقية للوضع الراهن لبلدة معلولا القديمة:

مساحة بلدة معلولا 180 هكتار وتبلغ مساحة البلدة القديمة في معلولا 5 هكتار وتشكل 2. 7% من كامل مساحة البلدة. تضم 240 عقار سكني وتحتوي على 70% من سكان البلدة[1]. وتشتمل البلدة القديمة في معلولا على مجموعة من المعالم المميزة (دينية، تاريخية، ثقافية، طبيعية).

6 5 2تحليل المخططات التنظيمية:

6 5 2 1 منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1965م[2]:

تبلغ مساحة المخطط التنظيمي الأول لعام 1965 مقدار 37. 67 هكتار.

ويحدد منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي أنواع المناطق السكنية التالية:

1. منطقة توسع البلدة القديمة وتحيط بالبلدة القديمة من جهتها الشمالية الشرقية، واعتمد فيها نظام منهاج الوجائب ذي الوجيبة الخلفية فقط.
2. منطقة سكن أول وتشمل منطقة الجمعية السياحية جوار فندق معلولا، ويحدد وجائب حدائقية تحيط البناء من كافة الجهات ومن عدة طوابق.
3. منطقة سكن ثاني وتشمل سفوح منطقة البيادر والسفوح في جوار دار البلدية، ويحدد نسبة البناء 50 % وارتفاع طابقين.
4. منطقة سكن حديث فتشمل التوسعات العمرانية المقترحة في المنطقة الجنوبية غرب طريق دمشق، ويحدد وجائب حدائقية تحيط البناء من كافة الجهات ومن عدة طوابق.

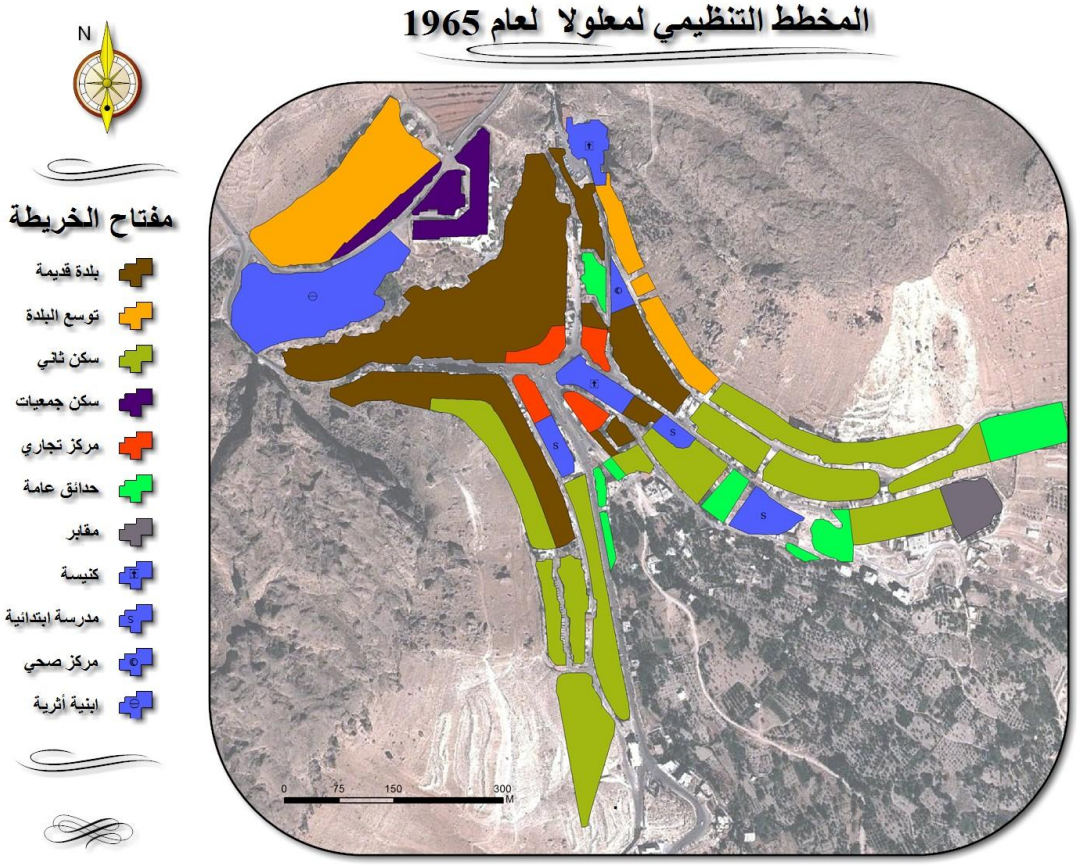

مخطط18: المخطط التنظيمي لعام 1965

[1] رهام فارس، استراتيجية الارتقاء بالبلدات التاريخية القديمة، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، 2008، ص113.

[2] منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1965م، محافظة ريف دمشق.

6 5 2 2 منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998م[1]:

يتضمن منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998 ستة مناطق عمرانية كما يلي:

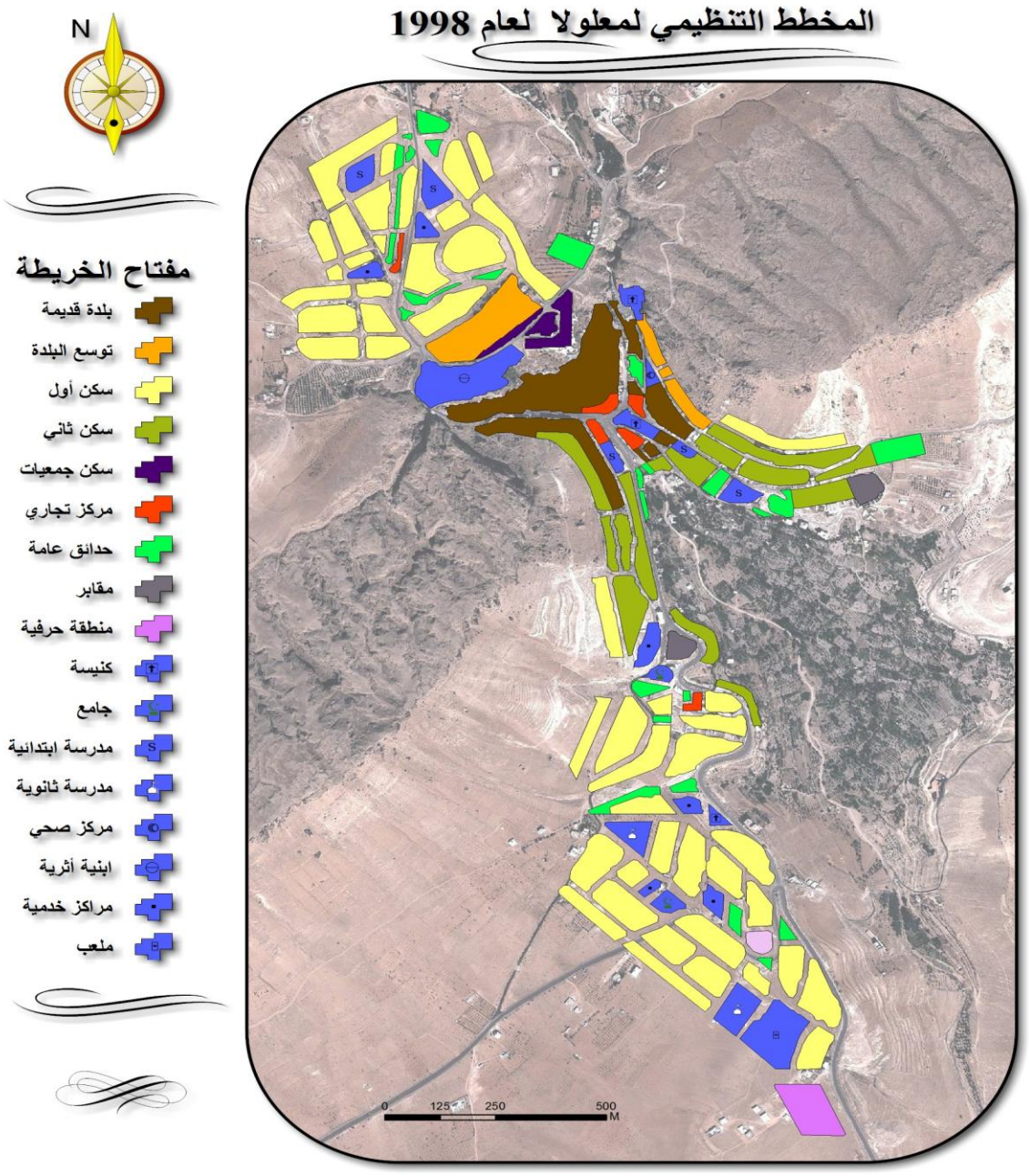

مخطط 19: المخطط التنظيمي لعام 1998

1. **منطقة توسع البلدة القديمة:** عبارة عن شريط سكني بعرض 40 م محدد بشارعين متوازيين أحدهما منفذ وبطول يبلغ 360 م ويجاور البلدة القديمة من جهة الشرق ومعظم الأراضي الواقعة على الشارع المنفذ مبنية.
2. **منطقة البلدة القديمة:** وتبلغ مساحتها 7. 0 هكتار وتتوزع هذه المساحة على المناطق التالية:

[1] منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998م، محافظة ريف دمشق.

- منطقة البلدة القديمة المسجلة في عداد المواقع الأثرية بين الفجين الشرقي والغربي في بلدة معلولا أي المنطقة المحصورة بين شارعي مار الياس والعين وتبلغ مساحتها 4. 3 هكتار ولهذه المنطقة اشتراطات خاصة في التعامل مع أبنيتها وتبلغ مساحتها 4. 3 هكتار.
وقد حدد منهاج الوجائب مساحة البناء بنسبة مئوية قصوى مقدراها 75 % من مساحة أرض العقار ودون تحديد وجائب وبارتفاع طابقين ودون مراعاة ميول الأرض وخصائص النسيج.
- منطقة السكن الأول: وهوعبارة عن سكن منفصل محاط بوجائب من كافة الجهات خاص بالجمعية السياحية وتقع هذه المنطقة شمال فندق معلولا وكافة الأبنية المشادة فيها غير ملحوظة على مخططات الرفع الطبوغرافي المسلمة للجهة الدارسة وتشكل هذه المنطقة جزءاً من المناطق المطلوب رفعها طبوغرافياً وتنزيلها على المخططات. هذا ولم يلحظ هذا النوع من السكن في مواقع أخرى من البلدة.
- منطقة السكن الثاني: عبارة عن سكن شريطي مع وجيبة أمامية وخلفية بعرض 3 م ودون وجائب جانبية. يغطي هذا النوع من السكن معظم رقعة العمران الجديد (منطقة البيادر – غرب طريق دمشق – منطقة الجمعية السكنية – جوار دار البلدية)، وسيبين الرفع الطبوغرافي الجديد حدود ومواقع المناطق المبنية وفق اشتراطات هذا النوع من السكن وتتطابق حدود هذه المنطقة في المخططين التنظيمين الصادرين عامي 1965 و1998م.
- منطقة السكن الحديث: يحدد منهاج الوجائب أن يكون ارتفاع البناء طابقين مع طابق جملوني مع وجود وجائب بعرض خمسة أمتار من كافة الجهات وبنسبة بناء قصوى مقدارها 40 % من مساحة أرض العقار. ومعظم الأراضي الواقعة ضمن هذه المنطقة غير مبنية.

	المخطط التنظيمي لعام (1965)			المخطط التنظيمي لعام (1998)	
	أقصى مساحة مبنية	عدد الطوابق	أقصى ارتفاع	أقصى مساحة مبنية	عدد الطوابق
سكن بلدة قديمة	%75	1	4 أمتار	%70	2 وراجع 3 وراجع 4 وراجع
سكن توسع البلدة	%60	2	8 أمتار	%50	3 وراجع 4 وراجع 5 وراجع
سكن أو ل	-			%40	3 وراجع 4 وراجع 5 وراجع
سكن حديث	-			%40	3 وراجع 4 وراجع 5 وراجع
سكن سياحي	-			%40	3 وراجع 4 وراجع

					5 وراجع
سكن جمعيات	-			%50	3 وراجع 4 وراجع 5 وراجع
سكن فيلات	-			%35	2 وراجع
المركز إداري	يمنع البناء عليه				4 مع قرميدي
المركز صحي					4 مع قرميدي
المركز ديني					طابق واحد
المدرسة إعدادية وثانوية					طابقين
الحدائق عامة	يمنع إشادة بناء منعاً باتاً			يمنع إشادة بناء منعاً باتاً	
الملاعب الرياضية	يمنع إشادة بناء منعاً باتاً			يمنع إشادة بناء منعاً باتاً	

جد

يتبين من الفقرتين السابقتين ما يلي:

- إن مساحة مخطط عام 1965 يشكل ما نسبته 36% فقط من مخطط 1998.
- إن مساحة المناطق السكنية تشكل ثلثي مساحة المخططين التنظيميين لعامي 1965 و1998.
- إن الاستيعاب النظري للمخطط التنظيمي لعام 1998 هو كما يلي:
- البلدة القديمة (6. 90-0. 9) × 1. 20/2 م2 = 3600 شخص تقريباً.
- منطقة السكن (الأول والثاني والحديث) 39×20/1 = 18500 شخص تقريباً.
- مجموع استيعاب المخطط = 18500+ 3600 = 22100 شخص.

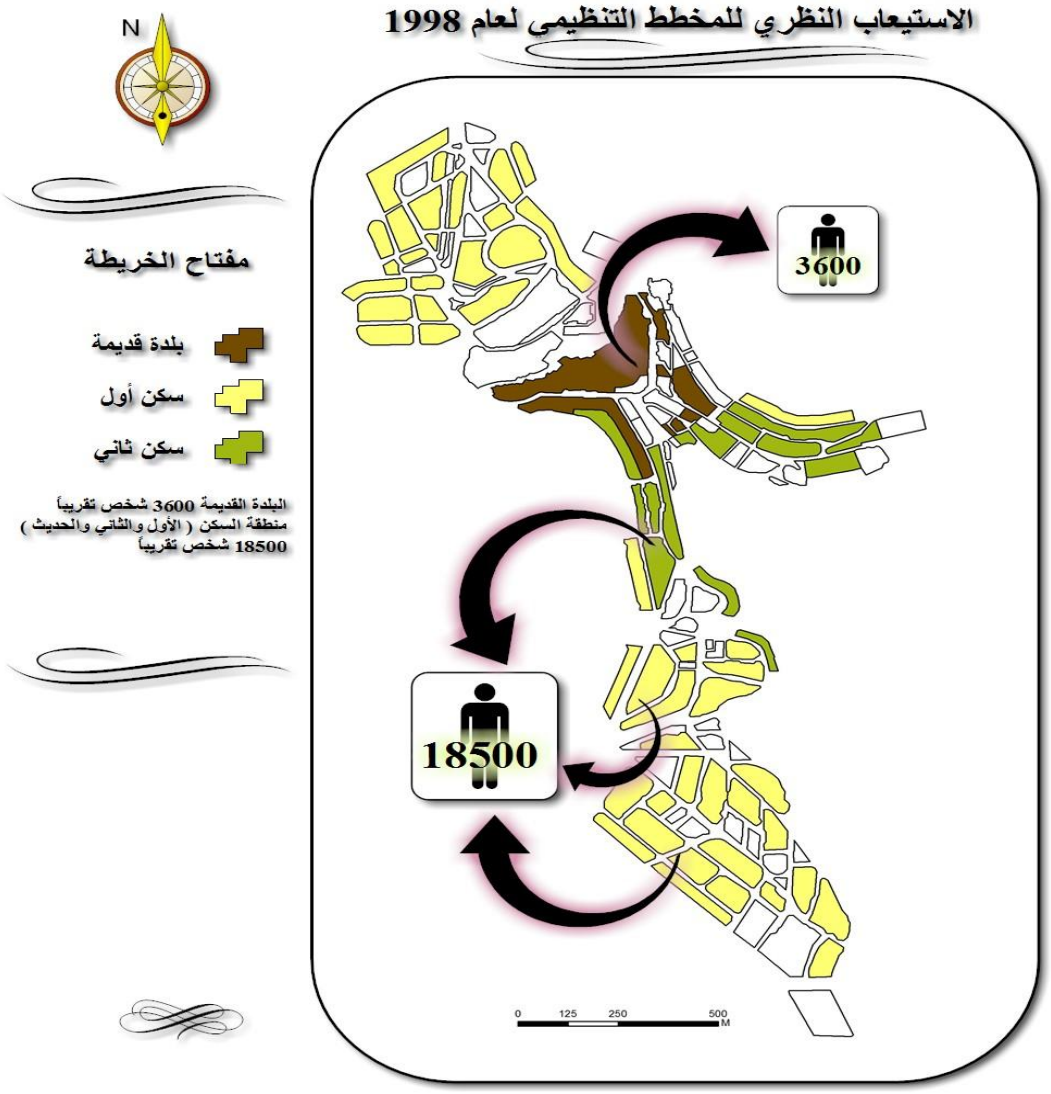

مخطط 20: الاستيعاب النظري للمخطط التنظيمي لعام 1998

مقارنة بين المخطط التنظيمي لعام 1965 و1998					
	توزيع المساحات بموجب المخطط التنظيمي لعام 1965 1		توزيع المساحات بموجب المخطط التنظيمي لعام 1998 2		
مساحة منطقة البلدة القديمة	0 .7	%من المخطط التنظيمي	0 .7		هكتار مع الطرقات
مساحة منطقة توسع البلدة القديمة	8 .0		83 .0		هكتار
مساحة الأبنية الإدارية	36 .2		37 .1		هكتار
مساحة منطقة السكن الأول	0 .7		36 .2		هكتار
مساحة منطقة السكن الثاني	33 .0		70 .7		هكتار
مساحة منطقة السكن الحديث	5 .0		32		هكتار

مساحة منطقة التجارة المحلية	422 .0		57 .0		هكتار
مساحة منطقة التجارة المركزية	36 .2		5 .0		هكتار
مساحة المدارس	422 .0		93 .3		هكتار
مساحة المستوصف	090 .0		019 .0		هكتار
مساحة المعابد	772 .0		8 .1		هكتار
مساحة المركز التجاري			14 .0		هكتار
مساحة المناطق السياحية			06 .1		هكتار
مساحة الحدائق العامة	883 .0		635 .2		هكتار
مساحة المناطق الأثرية	0 .5		0 .5		هكتار
مساحة المقابر			58 .1		هكتار
مساحة فندق معلولا			09 .1		هكتار
مساحة المناطق الخضراء العامة			028 .1		هكتار
مساحة المنطقة الحرفية			2 .1		هكتار
مساحة الملاعب الرياضية			6 .1		هكتار

جد

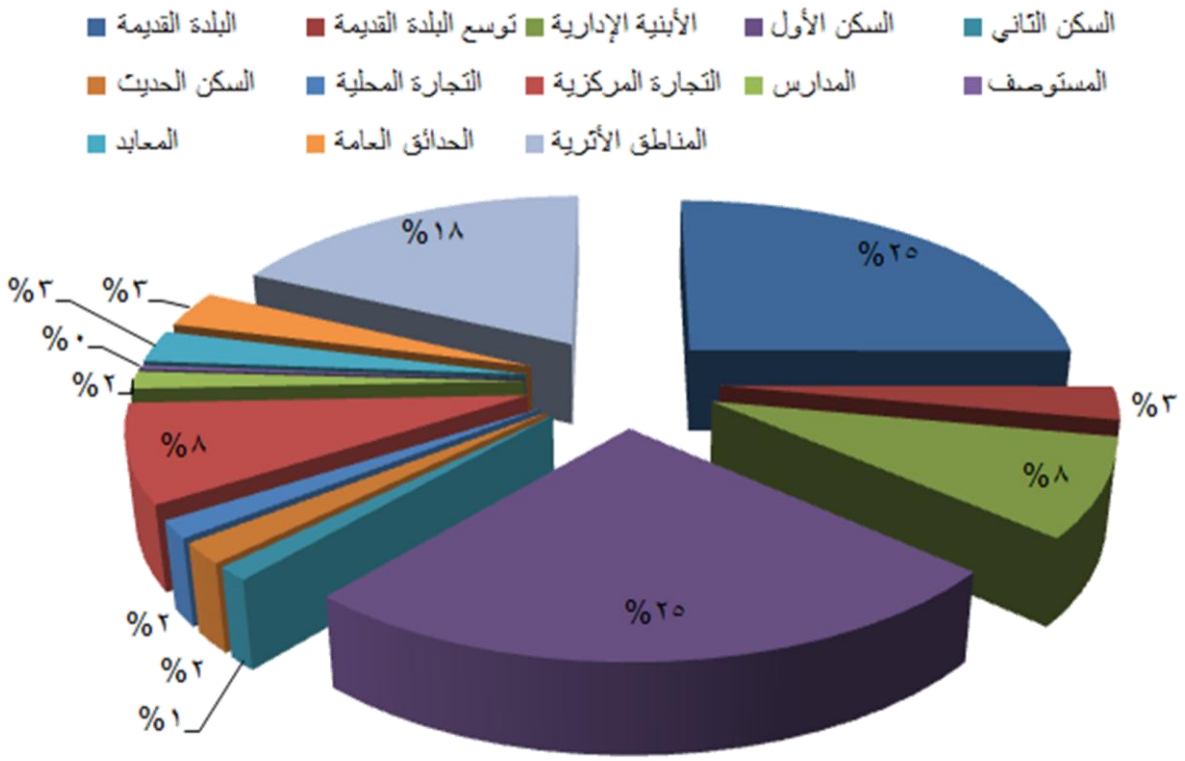

رسم توضيحي 6: توزع المساحات في المخطط التنظيمي لعام 1965

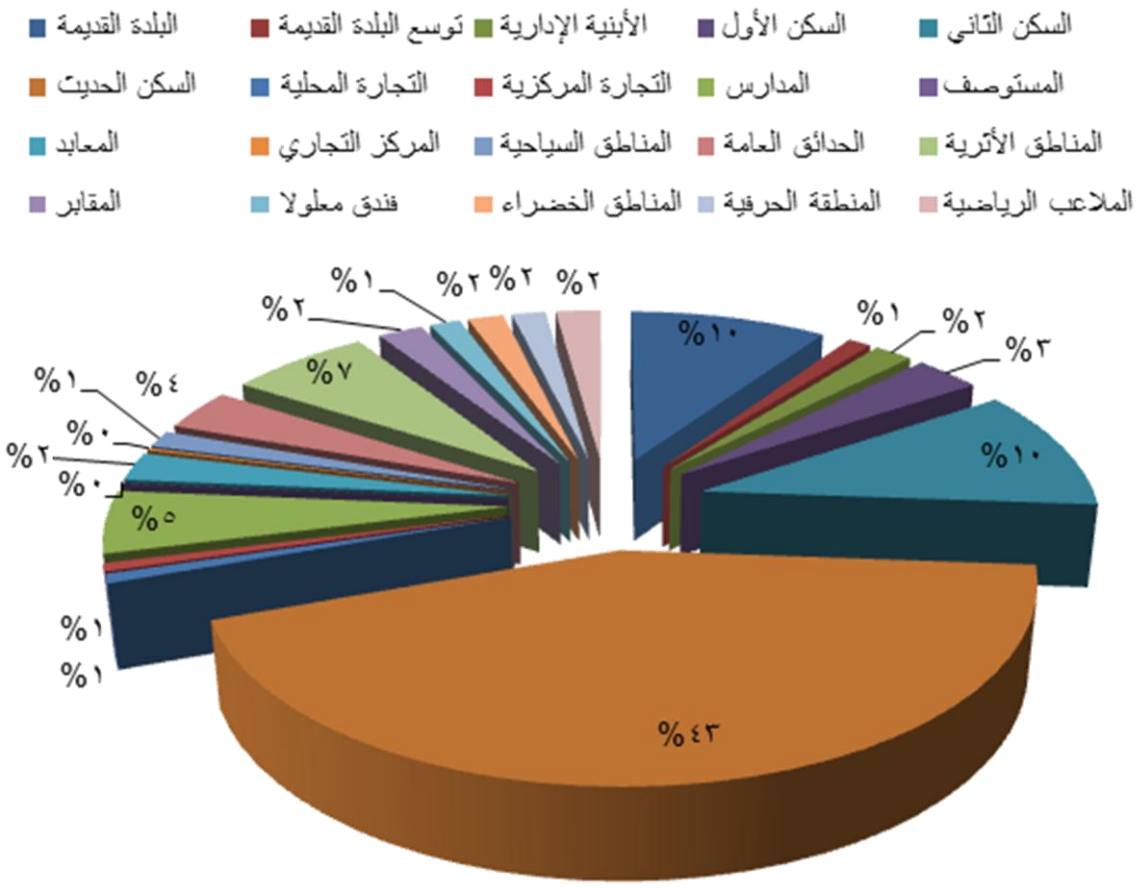

رسم توضيحي 7: توزع المساحات في المخطط التنظيمي لعام 1998

6 6 خلاصة الفصل:

درس البحث في هذا الفصل بلدة معلولا والموارد الثقافية المتنوعة الموجودة فيها حيث وجد ما يلي :

تحتوي معلولا على معالم تاريخية متفردة أهمها الأديرة والكنائس والممرات الصخرية وعلى أثار مسيحية قديمة وهامة في تاريخ المسيحية منها كنيسة بيزنطية قديمة وأضرحة بيزنطية منحوتة في الصخر في قلب الجبل، كما يوجد فيها دير مار تقلا البطريركي. تتميز بيوت بلدة معلولا بارتفاع بعضها فوق بعض طبقات بحيث لا تعلو الطبقة الواحدة منها أكثر من ارتفاع بيت واحد لتتحول بذلك سطوح المنازل إلى أروقة ومعابر لما فوقها من بيوت لتكون ذات طابع متميز. أما الأوابد والأحجار الضخمة والكهوف والمغارات المحفورة في الصخر التي سكنها الإنسان القديم فتحكي قصة تاريخ آلاف السنين.

فبلدة معلولا غنية بمواردها الثقافية بكافة أنواعها من الموارد المادية الثابتة من الآثار والمشيدات الدينية والسياحية إلى المشيدات الثقافية والخدمية والعمارة الموجودة فيها إلى الموارد الثقافية المنقولة من أطعمة وأشربة متنوعة اشتهرت بها البلدة والأشغال الحرفية والأعمال الفنية انتقالا إلى الموارد غير المادية والتي لها أهمية خاصة في البلدة لما تتمتع به من خصوصية كبيرة سواء بسبب انتشار اللغة الآرامية المحكية بين أهلها والقصص الدينية والدنيوية المتوارثة والطقوس الدينية والمؤلفات المنتشرة عنها إضافة إلى الموارد الثقافية العملية الزراعية والحرفية والنشاطات الفكرية وأخيرا مواردها الطبيعية وما تحويه من مميزات جغرافية وطبوغرافية وجيولوجية ومناخية ساهمت بشكل

كبير في تهيئة الظروف المناسبة للبلدة لترتكز في عملية التنمية الحضرية فيها بشكل رئيسي على مواردها الثقافية وليكون لهذه الموارد الأولوية والدور الأبرز في رفع مستوى المعيشة والارتقاء بهذه البلدة. وإن عملية وضع منطقة الدراسة في إطار خارطة ثقافية يمكن أن يصحح مسارات تنميتها، فقد أثبتت الدراسات في هذا المجال فشل الأساليب التنموية التي تبتعد عن المكوّن الثقافي لحيز التنمية، فعلى الرغم من تحقيق درجات من التنمية إلا أنها كانت تستهلك أبعاداً ثقافية واجتماعية وبيئية يستحيل تعويض الجزء الأكبر منها، وتصل تكاليف تعويض الأجزاء القليلة الباقية إلى أضعاف مجموع التحصيل المادي للتنمية المنجزة.

وتأتي أهمية البحث من خلال دراسة مسار تغير حجم تأثير الثقافة المحلية الخاصة على المنتج العمراني للتجمعات السكانية والمحيط الطبيعي لمنطقة الدراسة، ومن خلال ربط التغير الحاصل في ملامح المكان بتأثير التشريعات العمرانية والأسس التخطيطية المعاصرة التي تعمّم على المناطق كافة، استناداً لحجم سكانها دون النظر في الخصائص الثقافية التراثية للمكان وموارده التنموية الطبيعية، ودون مشاركة المجتمع المحلي في وضع الموجهات والخصائص التي تحدد ملامح المكان في الحاضر والمستقبل وتحافظ على أصالة الماضي، مخططاتها التنظيمية المتلاحقة لم تستثمر هذه الموارد والإمكانات الموجودة في البلدة بشكل صحيح بل أدت إلى إضعاف دورها في عملية التنمية مؤدية إلى تراجعها وهذا ما يتطلب منا العمل عليه لإعادة تفعيلها. ويزداد البحث أهمية عند إمكانية إدراج المنتج العمراني والمحيط الطبيعي كأحد الموارد الثقافية التي يمكن الاعتماد عليها في عمليات التنمية.

وفي الفصل القادم سيطرح البحث مجموعة من المشاريع والرؤى المستقبلية التنموية بشقيها الإحصائية والاستشرافية الحيوية التي ترتكز بشكل أساسي على استثمار الموارد الثقافية بكل أصنافها في عملية التنمية الحضرية ليكون المكون الثقافي الركيزة الأولى التي تتم من خلالها العملية التنموية.

الفصل السابع

تحليل الموارد الثقافية في بلدة معلولا

7 تحليل الموارد الثقافية في بلدة معلولا:

إن أهمية التراث لا تنبع فقط من كونه الوعاء "الناقل" للحضارة عبر الأجيال، بل يقترن بموضوع الهوية كونهما من تجليات وإفرازات الثقافة المحلية والإقليمية، ان التراث يمثل معطى "حركي" ناقل للحضارة والثقافة المحلية والإقليمية ويعبر عن المراحل التي تعاقبت على ذاكرة وتاريخ الأمة، وأن الدعوة لمحو ذاكرة وتاريخ الأمة، هي أشبه بمن يمحوالجينات البنيوية لكائن عضوي يحمل تاريخاً وحضارة وذاكرة تتضمن العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية والخبرات المتناقلة التي مرت بالأجيال من السلف إلى الخلف. [1]

وهذا يستدعي منا:

1. التفكير بجديه في مخزوننا التراثي والبيئي.
2. العمل على تأسيس وعي جديد بهما.
3. إيجاد أفضل الوسائل والطرق التي تساهم في الحفاظ عليهما.
4. إنشاء مشروعات حقيقية تساهم في الحفاظ على سلامة حال ما بقي من مكونات هذه البيئة المناخية والتراثية والعمرانية والثقافية.
5. توظيف التراث بشكل تكاملي في شتى جوانبه الطبيعية والثقافية والعمرانية كمورد اقتصادي ضمن خطط التنمية المستدامة.
6. تكامل دور التراث العمراني في التنمية الوطنية الشاملة بشكل عام، والتنمية السياحية بشكل خاص.
7. الاستفادة من المحافظة على التراث العمراني المحلي كآلية ذات جدوى اقتصادية للمجتمعات المحلية، تشجع على الهجرة العكسية من المراكز الحضرية المكتظة، إلى البلدات والقرى التراثية، مع ضرورة توفير حوافز ووسائل تمويل مستدامة والاستثمار في البنية التحتية.
8. إشراك المجتمعات المحلية في برامج المحافظة على التراث العمراني، ومشاريع تشغيلها.
9. والاستفادة من فوائد ومزايا إعادة تأهيل مباني التراث العمراني، وتوظيفه في الاستخدامات السكنية، والسياحية، والثقافية، وتنمية المجتمعات المحلية بما يسهم في إعادة توزيع المردود الاقتصادي للاستثمار في موارد التراث بصورة أكثر عدالة.
10. الحد من توسع المدن على حساب المناطق التقليدية.
11. التأكيد على دراسة تلك المناطق باعتبارها مناطق ذات طبيعة خاصة، يتم إعادة تأهيلها أخذا بعين الاعتبار متطلبات الأصالة والتكامل والأبعاد الوظيفية الاقتصادية الراهنة.
12. وضع ضوابط ملزمة لاحترام المنشآت الدينية، وحمايتها ضمن سياسات التخطيط العمراني، وفرض اشتراطات تنفيذ صارمة ، وربطها بالنسيج العمراني المحيط، مع تسهيل الوصول إليها.

[1] د. وحيد إمام الجمعية الافريقية للتنمية المستدامة، 2012، http://kenanaonline. com/users/AASD/posts/397732.

7 1 التحليل والمناقشة:

رسم توضيحي 8: التحليل والمناقشة

الموارد الثقافية		
المورد	**الملاحظات**	**التوصيات**
دير مار تقلا	1. لا يوجد إشارات دلالة للتعريف بالموقع. 2. الموقع يلزمه تأهيل من أجل الزيارة. 3. طرقات المشاة غير ملائمة ولا يوجد محاور واضحة. 4. وجود مساحات واسعة من مرائب السيارات حول الدير. 5. كثرة المشوهات البصرية كالأعمدة الكهربائية والعناصر المعمارية الدخيلة على المبنى.	1. وضع حراسة مناسبة لحماية الموقع ومنع عمليات التخريب فيه. 2. وضع لافتات للدلالة إلى الموقع ضمن البلدة لسهولة الوصول إليه مع تأمين طريق سهلة ومباشرة إليه. 3. تخفيض عدد مواقف السيارات الموجودة. 4. إزالة التشوه البصري. 5. تأمين الإنارة اللازمة للدير ليلا.
دير مار سركيس وباخوس	1. وجود مجمع سكني قيد الإنشاء من كتل إسمنتية كبيرة المساحة ومبنى الفندق، ولا يتلائم طابعها المعماري مع الطراز القديم للبلدة. 2. عدم وجود لوحات بيانية ومعلومات عن تاريخ وقيمة الدير والتكوين المعماري الخاص به وعمليات التأهيل والترميم المنفذة فيه في الموقع العام للدير.	1. مراعاة الطابع القديم في إكساء الأبنية المجاورة وذلك باستخدام مواد مناسبة كالحجر والزجاج. 2. إغناء الموقع بإشارات الدلالة والشروحات اللازمة. 3. منع البناء والتعدي على الحرم المخصص للمبنى وفي محيطه.
البلدة القديمة	1. عدم وجود مسارات للزيارة، والتي تحتاجها المنطقة وذلك بسبب المساحة الكبيرة والتنوع في آثار الموقع. 2. التعديات والمخالفات العشوائية الغير مضبوطة في البلدة. 3. وجود الكثير من التشويهات البصرية من خلال الكتابات العشوائية والنفايات الموجودة في المنطقة. 4. غياب لوحات الدلالة، والشروحات التي	1. حماية النسيج العمراني والمعماري الموجود في القرية من المخالفات العشوائية. 2. ترميم المباني التراثية وفق معايير علمية مدروسة وبإشراف المديرية العامة للآثار والمتاحف. 3. التوسع العمراني الحديث يجب أن يتم بشكل لا يسيء إلى البلدة القديمة والمشهد العام وخارج حدود الحرم

	تعرف بالموقع وترشد الزائرين بشكل مدروس. 5. عدم وجود برنامج واضح لترميم وتأهيل المباني الأثرية وغياب عملية التوظيف الصحيحة لها، مثل الكهوف البيزنطية الواقعة في الموقع. 6. غياب رقابة الدولة فلا يوجد شعبة آثار في هذه البلدة للحماية المباشرة من قبل مختصين آثاريين والاعتماد في موضوع المراقبة ينحصر على وجود حارس أو أكثر وهذا لايكفل الحماية والرقابة الكافية. 7. التوسع العمراني العشوائي بما يسيء للبلدة وخاصة خلال العشرين سنة المنصرمة. 8. تدني مستوى البنية التحتية. 9. عدم قدرة السكان على الترميم بالمواد المحلية. 10. ضرورة تأمين الخدمات الأساسية داخل المساكن. 11. التشوهات البصرية الناجمة عن البناء دون الأخذ بعين الإعتبار المحيط العمراني. 12. تهالك السيباطات والتي تعلوالأملاك العامة. 13. هجر العديد من البيوت القديمة وتحولها إلى خرابات وأماكن لتجميع القمامة. 14. عدم توفر المواد المحلية واليد العاملة والحرفية التقليدية. 15. الخطورة في بعض المحاور والطرقات. 16. عدم العناية بالطرقات والفرش العمراني وخاصة الأدراج وميول الطرقات. 17. التشوهات الناجمة عن استخدام المواد الحديثة.	الأثري ووفق ضابطة بناء تحدد المواصفات الفنية للبناء الحديث. 4. وضع مخطط عام للمدينة في وسط الساحة مع لمحة مختصرة عن معلولا مع مخطط عام للموقع مبيناً فيها مسارات الزيارة للمواقع والمباني داخل القرية والمواقع الأخرى. 5. لوحة دلالة لكل موقع (بذاته) تعطي لمحة تاريخية عن الأثر مع موقع الأثر ضمن المخطط العام وضمن مسارات الزيارة وفي نقاط واضحة وصحيحة حيث لا تسيء للموقع توضعاً وتصميماً. 6. إزالة كافة التشويهات البصرية. 7. تحديد أماكن مناسبة لمرائب السيارات بما لا يسيء إلى المباني. 8. تحديد مسارات الزيارة بطريقة تسهل على الزائرين معرفة المكان وبما يضمن سلامتهم من وضع لوحات تنبيه للزوار في الأماكن الخطرة. 9. تأمين الإنارة اللازمة للمباني التراثية والكهوف لإظهارها بشكل جيد.
الحالة الفيزيائية للمباني	1. الوضع المادي للمواطنين لا يسمح لهم بعملية الترميم والصيانة الدائمة. 2. ان طبيعة مواد البناء بحاجة إلى صيانة وترميم بشكل دوري للتأثر الكبير بالعوامل الجوية. 3. ان الانظمة والقوانين المعمول فيها تزيد من مشكلة التكلفة المادية ومن تعقيد آلية أعمال الترميم التي تحتاج إلى أيادي فنية ومواد بناء تكاد أن تكون غير	1. تقديم التسهيلات والمساعدات المادية للقاطنين للقيام بأعمال الصيانة والترميم اللازمة. 2. قولبة الأنظمة والقوانين بما يتناسب مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي في مدينة معلولا وبما يضمن على الأقل الحد الأدنى من أعمال الصيانة والترميم. 3. أن تتحمل الجهات الإدارية المشرفة على عمليات الترميم جزء من العمل

	موجودة أو مرتفعة الثمن. 4. إن وضع البنية التحتية السيئة تساعد على تسارع التهالك. 5. إن جزء كبير من القاطنين الدائمين في البلدة هم من المسنين والذين لا يستطيعون القيام ببعض الاعمال الترميمية البسيطة والضرورية ، أما الجيل الشاب فهو بتطلع إلى سكن يوفر لهم كامل الخدمات الحياتية وبعيد عن المعاناة اليومية المختلفة من بنى تحتية ومواد بناء وصيانة دائمة. . . الخ.	وخاصة الاختصاصي منه نظر اً لخبرتها في هذا المجال ونظراً لتوفر اليد العاملة فيها.
الكهوف والمدافن والمقابر	1. تفتقر هذه الكهوف إلى لوحات الدلالة وشروحات عن استخدامها وتاريخها ومخطط موقعها ضمن البلدة القديمة والحرم الأثري، أو خارج حدود الحرم كما أنها بحاجة لإعادة تأهيل واستخدامها بالشكل الأمثل.	1. إزالة التعديات البصرية المتمثلة بالكتابات العشوائية. 2. إمكانية إعادة تأهيل الكهوف وتوظيفها من خلال استخدامها للمهن التي كانت موجودة في البلدة. 3. بالنسبة للكهوف الواقعة ضمن الحرم فهي محققة لشروط الحماية، أما بالنسبة للكهوف والمدافن الواقعة خارج حدود الحرم فتحدد وجائب حسب طبيعة كل كهف أو مدفن.
المغاور	تعاني هذه المغاور من الإهمال الشديد وقلّما نجد واحدة منها لا تتطلب الصيانة والترميم ومعالجة الموقع المحيط ورغم تسجيل هذه المغاور في عداد المناطق الأثرية إلا أن الاقتراحات التي وضعت لتوظيف وتأهيل هذه المغاور وفق أسس الحماية والحفاظ على المناطق التاريخية لم توضع قيد التنفيذ حتى اليوم. فيمكن إعادة إحياء المغاور ذات الطبيعة الدينية كما يمكن العودة إلى وظائف بعض المغاور حسب استخدامها التقليدي كمعاصر للنبيذ والزيت وغير ذلك الأمر الذي يعيد الحياة لهذه المواقع ويحميها من الإهمال.	1. أن ترتقي عمليات لتأهيل للقيمة التاريخية والأثرية للمغاور. 2. أن تكون الفعاليات المقترحة غير مؤثرة على الطبيعة الفيزيائية والجماليّة لهذه المغاور. 3. أن تعالج هذه المغاور ضمن مخطط إدارة موقع متكامل. 4. يجب أن يكون للفعاليات المقترحة دور في عملية التنمية الحضرية المحلية. 5. عدم إنشاء أي بناء يؤدي إلى تشويه التكوين البصري لهذه المغاور. 6. تأمين الحماية للبيئة الطبيعية والمشهد الطبيعي حول هذه المغاور. لذلك ووفق هذه الإستراتيجيات نقترح تأهيل هذه المغاور وفق ما يلي: 1. المغاور المتاخمة لدير مار سركيس وبحكم توضعها على ملكيات الدير ونظراً لما يقوم الدير بالتعريف بالقيمة الدينية والتاريخية لمعلولا يمكن أن تكون هذه المغاور مكان لإقامة مؤقت

		للشباب (الكشافة) وخاصة في المناسبات والاحتفالات الدينية والثقافية الهامة. 2. المغاور المتاخمة لفندق سفير معلولا والتي تحتوي على مغاور وبمساحات مناسبة نتيجة توظيفها تاريخياً للصناعات التقليدية يمكن اقتراح المعالجة على النحوالتالي: - دراسة الموقع العام بشكل متكامل وتوفير ممرات الحركة والتنقل بشكل آمن مع توفير الخدمات السياحية والإنارة والوحدات الصحية والحمايات اللازمة في المناطق الحرجة من درابزين وغير ذلك. - إمكانية توظيف بعض المغاور كمكان للصناعات التقليدية المحلية. - بيع المنتجات التقليدية. - توظيف بعض المغاور الهامة كمتاحف صغيرة. - وظائف التخديم السياحي (كافتريا، مطاعم. . .). - أماكن للعرض المغطى والمكشوف. يمكن أن يقوم مجلس مدينة معلولا بالتعاون مع المديرية العامة للآثار بدراسة هذه المواقع وطرحها للإستثمارالثقافي السياحي بالاتفاق مع المالكين.
الفج الشرقي	1. عدم وجود دراسة لربط مدخل الفج الشرقي بالساحات والمحاور الرئيسية الموصلة إليه. 2. لا يوجد دراسة للربط بين الفج الشرقي ومناطق المحاور المؤدية إلى المغاور. 3. الأنشطة السياحية في الفج بحاجة لمجموعة من المتطلبات هي: - انخفاض عامل الأمان في حركة المشاة من كبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة. - عدم وجود إنارة وظيفية للحركة وتزيينية تظهر جمالية الفج. - المجرى المائي غير منظم وغير محمي ولا يوجد دراسة في هذا الموضوع.	1. تحديد مسارات الزيارة بطريقة تسهل على الزائرين معرفة المكان بما يضمن سلامتهم عن طريق وضع لوحات للتنبيه في الأماكن الخطرة. 2. الرقابة وإيجاد الحلول الخاصة بمنع الكتابة والتعدي على الجدران. 3. العناية بالنظافة العامة وضرورة السيطرة عليها. 4. إيجاد أماكن للخدمات الرئيسية للسائحين عند المدخل والمخرج من الفج. 5. لابد وهوالأمر الملح أن يستطيع المقعدين والمعوقين من الدخول والتجوال في هذا الفج، علماً أن عدداً من ذوي الاحتياجات الخاصة من

	- دراسة كل ما يتعلق بفرش الموقع العام (لوحات دلالة، سلال قمامة، مقاعد للاستراحة، أماكن تجمع. . . .). 4. الكهوف الواقعة ضمن الفجان غير مؤهلة للزيارة بشكل جيد. 5. وجود تعديات كثيرة وتشويهات بصرية كبيرة تتمثل بالكتابات العشوائية والتمديدات الكهربائية. 6. مشكلة الفيضانات والتي تشكل خطورة في الكثير من الأحيان على المدينة والزوار.	مسيحيين وإسلام يأتون للاستشفاء عن طريق زيارة الأماكن المقدسة ومنها الفج الشرقي، والأديرة وخاصة دير مارتقلا حيث الحكايات العديدة عن معجزات الشفاء المستعصية بعون القديسين والصالحين. 6. وضع مجموعة من العناصر الخاصة بفرش الموقع العام من مقاعد للاستراحة ولوحات دلالة ومعالجة نهاية الفج وعلاقته مع المنطقة العلوية (منطقة المغاور). 7. يجب أن تتضمن الدراسات الخاصة بالفج وضع دراسة صوتية تساعد بالتعريف بهذا العنصر الطبيعي والتاريخي. 8. تأهيل الكهوف وتنظيفها.
معلولا معماريا وعمرانيا	<u>الأساسات:</u> 1. الهبوطات التفاضلية والحركة الأفقية نتيجة الحركات الأرضية زمنيا. 2. تأثير الصرف الصحي بمحيط المنازل وانعكاس ذلك على بنية الأساسات والجدران. 3. تهالك بنية الجدران نتيجة الحمولات الإضافية التي نجمت على إضافة فراغات لتأمين التوسع السكني في فترة زمنية متلاحقة، وقد أنشأت دون دراسة إنشائية وهي تشكل حمولات كبيرة عن المبنى. <u>الجدران:</u> 1. تشققات بالاتجاهات المختلفة نتيجة تطبيق حمولات جديدة وتهالك البنية الانشائية زمنيا. 2. عدم الانسجام والتوافق بين العناصر الانشائية من البيتون المسلح المضافة والجمل الانشائية التقليدية. 3. تهالك طبقات الاكساء وعدم تنفيذ الصيانة الدورية الامر الذي عرض الجدران الحجرية للعوامل الجوية وبالتالي ضعفها وحتها. 4. تهالك طبقة المونة التقليدية بين صفوف المداميك الحجرية وبسبب عدم توزع الحمولات ، ادى إلى تشقق هذه الجدران.	1. إيجاد بيئة مبنية حيوية بتحسين علاقات كل من الموقع والشكل والكثافة والنسب ونوعية التنمية، وذلك لخلق فراغات تلبي أنشطة السكان وتشجع تلاصق المجتمع، للحفاظ على الهوية الثقافية، وتسهل الوصول لاستعمالات الأراضي المختلفة وتزيد الإحساس بالمكان. 2. تشجيع الامتداد الأفقي قدر الإمكان وتحديد الارتفاعات وتنوعها وتدرجها بشكل مدروس يسمح بدخول الهواء والشمس ويحافظ على صحة وحيوية المساكن وتنوعها وتشكيلها وجودتها البصرية. 3. العمل على تدعيم البيوت المتهالكة وخاصة التقليدية منها. 4. وضع نظام لضابطة البناء يمنع التوسع الشاقولي في البلدة القديمة. 5. إزالة البيوت المتهالكة المنعدمة القيمة وإنشاء بديل عنها متناسب معمارياً وعمرانياً مع طبيعة النسيج الموجود في البلدة القديمة. 6. تأمين عزل جيد للرطوبة والحرارة وبطرق حديثة للجدران والأسقف النهائية بشكل لا يتعارض مع قيمتها التراثية. 7. إيجاد تصريف مطري مناسب لمنع تجمع المياه على الأسقف.

	5. التعديلات التي طرأت على السكن لتأمين الاحتياجات الضرورية من حمامات ومطابخ ومساحات إضافية ساعدت على تغيير القوى المطبقة على البنية الانشائية. الأسقف: 1. تهالك الجوائز الريئسية والثانوية والاعمدة الوسطية الداعمة نتيجة العوامل الطبيعية وزيادة الحمولات المطبقة وعدم حفظها وصيانتها بالطريقة التقليدية (طلاءها بالكلس). 2. عدم تأمين الصيانة الدورية للصرف المطري على السطح الاخير. 3. تهالك طبقة الحماية (البلة ، العدسة) وعدم صيانتها وزيادة سماكتها نتيجة الصيانات التقليدية السابقة. حيث ساعد ذلك على نموالحشرات والنباتات التي تساعد في تفسخ العناصر الانشائية. 4. إضافة طبقات سميكة من البيتون المسلح والعادي الأمر الذي أدى إلى اختناق وتعفن العناصر الخشبية. 5. ان طرق تصريف الثلج التقليدية كانت تساعد على حفظ وصون الدور التقليدية ، الا ان اعمال التوسع السكني دون الاكتراث والمعرفة الحقيقية بأهمية هذه الاساليب أدت إلى تجمع الثلوج في أماكن محددة ساعدت وبشكل كبير وخاصة بالمباني التقليدية على تهالكها. ولعلّ أكثر ما عاناه السكان المحليين هو: 1. كيفية تأمين مواد البناء وايصالها عبر الطرق الصعبة لتنفيذ أعمال الصيانة الدورية الأمر الذي أدى إلى محدودية هذه الأعمال. 2. الإبقاء على الكثير من المواد القديمة الناجمة عن تهدم بعض الفراغات وعدم قدرة السكان على ترحيلها بسبب كلفتها، وهذه الظاهرة من أهم الظواهر التي تتطلب المعالجة عند إعادة تأهيل وترميم المدينة القديمة.	8. استعمال آلات للنقل والبناء تتناسب مع طبيعة البلدة القديمة –منحدرات وشوارع ضيقة وأدراج- لتسهيل عملية البناء ونقل المواد. 9. تقديم التسهيلات والدعم العلمي للسكان في مجال ترميم منازلهم وتأهيل فراغاتها وفراغات البلدة القديمة لاستخدامها بالشكل الأمثل. 10. نشر الوعي بطرق الترميم الصحيحة وأهمية البلدة بين السكان المحليين وخاصة القاطنين منهم في البلدة. 11. تشديد الرقابة في مجال التعديات على النسيج القديم للبلدة. 12. نظام البناء: تعديل منهاج الوجائب في نظام البناء وتشكيل لجنة لدراسة الواجهات عند منح الترخيص. 13. تطبيق قانون التجميل على المباني الحديثة. 14. إزالة المخالفات المشوهه للأبنية الحديثة. 15. تقديم دراسات جديدة للمباني المنفذة تضمن الالتزام بالمعايير التصميمية والبيئية والتاريخية لمدينة معلولا. 16. إعطاء الحرية لإعادة تصميم الواجهات الخارجية والفتح والإغلاق من خلال نظام البناء. 17. ضرورة معالجة مجموعة المباني التي تؤثر على المنظور العام للمدينة. 18. توجيه الإنذارات اللازمة لإكساء الأبنية الحديثة وخاصة التي ما تزال على الهيكل. 19. وضع دراسات تنفيذية سريعة لواجهات المخازن التجارية المتوضعة في الأبنية الحديثة. 20. استخدام الإنارة التزيينة كعنصر هام في إبراز المعالم الرئيسية للمباني. 21. إعادة النظر في لوحات الإعلان ولوحات الدلالة وخطوط السير ومواقف الباصات واللوحات التي تعبر عن الأهمية السياحية للمدينة. 22. السماح بإضافة مجموعة من العناصر المعمارية التي تساهم في تحسين المظهر العام للأبنية الحديثة كحوافز للتحسين.

		23. مشاركة القطاع الخاص في تقديم الاقتراحات التي تساعد على تحسين المظهر العام وتشجيع الاستثمار بحيث لا يتعارض مع القيمة التاريخية والطبيعية لمدينة معلولا. 24. البدء وبشكل مباشر بتجميل الأبنية العامة. 25. وضع التصاوين المؤقتة على العقارات المتهدمة والخرابات وإلزام أصحابها بذلك أو التنفيذ من خلال السلطة الإدارية المحلية. 26. وضع الحاويات وسلال القمامة وفق المعايير الدولية والتي تعبر عن المظهر الحسن للمدن التاريخية.
الطبقات الجيولوجية	1. تشكل المخاطير الجيوديناميكية في قرية معلولا وخاصة الكتلة المشققة فوق الدير خطراً حقيقيا يهدد سلامة الدير والقرية. 2. يمكن أن تحدث انهيارات الكتل كارثة بشرية ومادية في أي وقت وبدون سابق إنذار، وليس هناك حاليا أي عامل أمان يحول دون ذلك. 3. إشادة الأبنية الحديثة أسفل الكتل الساقطة أو بالقرب منها يعرضها للخطر.	1. لفت انتباه محافظة ريف دمشق ورئاسة مجلس الوزراء والقيادة السياسية في القطر إلى ضرورة معالجة هذا الموضوع وبالسرعة الكلية. 2. تكليف أحد بيوت الخبرة المتخصصة في مجال الأعمال الإنشائية ودرء المخاطر الجيوديناميكية لدراسة ومعالجة المشكلة فيما يتعلق بمسح المخاطر على مستوى القرية وأيضاً في منطقة تشققات وانهيار بعض الكتل فوق دير مار تقلا والمباني المجاورة، ومعالجة سريعة للصخور المتساقطة. 3. إجراء قياسات دورية يومية متعددة لتباعد الشقوق لبيان نشاط حركتها من قبل مهندس البلدية بالاستعانة بخبراء جيولوجيا. 4. منع تسرب المياه والثلوج عبر الشقوق عن طريق تغطيتها أو إغلاقها بشكل هندسي ملائم. 5. على الجهات المعنية في البلدية والخدمات الفنية بريف دمشق أخذ الاجراءات اللازمة بما يتعلق بالأبنية لدرء الخطر المتوقع على محيط القرية والدير.
معهد اللغة الآرامية	تم طرح إشكالية الحرف المربع العبري من خلال ورشة عمل اللغة الآرامية التي أقيمت في المعهد العالي للغات بجامعة دمشق في 2009/4/9، وصدرت عن الورشة توصيات	إقامة ندوات خاصة بموضوع اللغة الآرامية المكتوبة والأحرف المستخدمة بالتنسيق بين الجهات العلمية المختصة للرجوع إلى اللغة الآرامية المكتوبة الأصلية.

	بضرورة تغيير الحروف المعتمدة في تدريس الآرامية بمعلولا 1، والعملية قد تنطوي مستقبلاً على إعطاء حجة لليهود للحديث عن وجود كيان سابق لهم في المنطقة، بالإضافة إلى خطورة محاولة طمس التراث الآرامي السوري الأصلي، باستغلال التشابه بين "العبرية" والآرامية. فلماذا المغامرة بنفس الحروف في معلولا، وإثارة الاستفهام وتوفير الذرائع، رغم وجود الحرف الآرامي السوري الأصلي خصوصاً وأن بعض السياح يصدمهم وجود هذا الحرف المربع لثقتهم أنه حرف عبري ويفتح لهم باب التساؤل التاريخي والسياسي عن وجود سابق للكيان الاسرائيلي في منطقة معلولا مما يخالف كل تاريخنا وعقائدنا.	
البنى التحتية	1. إن البنى التحتية في مدينة معلولا تفتقر إلى مصورات موثقة حقيقية يمكن الاعتماد عليها وهي بشكل عام غير صالحة ومشوهة للمنظر العام. 2. تعاني بلدة معلولا كما هوالحال في البلدات في منطقة القلمون من خطورة التلوث البيئي الناجم عن الصرف الصحي وعدم معالجته ويزيد الأمر سوءاً وتعقيداً بأن الصرف الصحي يتجه باتجاه الوادي الذي تتوضع فيه البساتين والأراضي الزراعية عالية القيمة. ولعل قصور نظام الصرف أدى ويؤدي إلى تراجع بالأراضي الصالحة في هذه المنطقة إضافة إلى ناتج كبير من المخلفات. 3. إن الثلوج المتراكمة في الأزقة الناتجة عن الهطول وعن الأسطح تسبب في اغلاقها وتعرقل الحركة لدرجة تصل أحيانا إلى إيقافها الأمر الذي يجبر السكان على استخدام طريق الثلج على الأسطح للعبور والتنقل للأمور الضرورية، ومما يعقد المشكلة هووجود المنحدرات والأدراج الخطرة في الأزقة والشوارع مما يتسبب في انزلاقات متعددة للأه الي ولوسائل النقل الآلية والحيوانية. فعلى سبيل المثال أن عملية	1. ضرورة وضع مشاريع البنى التحتية في أولويات تأهيل البلدة القديمة ليتمكن السكان المحليون من إجراء أعمال الترميم دون أية خسائر ناجمة عن الترميم في ظل وجود هذه البنية. 2. في مثل هذه المناطق تدرس مشاريع البنية التحتية بشكل متكامل مع البلدات القريبة. 3. مشكلة الثلوج المتراكمة لا بد من أخذها بعين الاعتبار عند دراسة الاقتراحات والحلول للمسالك والطرق في البلدة القديمة.

[1] ديمة داوودي، جهينة، http://www. atinternational. org/forums/showthread. php?t=7695

	الوصول إلى الفندق قد تتوقف وخاصة في مواسم تعتبر سياحية من الدرجة الأولى مثل أعياد الميلاد ورأس السنة 4. تتسع هذه المشكلة في البنى التحتية خاصة تمديدات مياه الشرب الظاهرة في العديد من الأزقة والشوارع وهو ما يؤدي إلى إنفجارها. 5. ولدى معاينة المناطق الواقعة خارج حدود البلدة القديمة على ضوء المخططات تبين وجود نقص في رفع عدد كبير نسبيا من الأبنية المشادة بعد عام 1988 تاريخ الرفع الطبوغرافي وخاصة في مناطق البيادر - الجمعية السياحية جوار فندق معلولا - مباني الجمعية شمال غرب دار البلدية - بعض المباني المتفرقة.	
المخطط التنظيمي		
	النتائج	**التوصيات**
	• إن الاستيعاب النظري المبين في الجداول التحليلية للمخططات التنظيمية والمحدد للبلدة لا ينسجم مع النموالسكاني المسجل سابقاً للبلدة، حيث أن حدود العمران الحالي للبلدة لم يستنفذ بعد التوسع العمراني الملحوظ للبلدة بموجب المخطط التنظيمي العام المصدق عام 1965، حيث أن استيعابه المقدر وفق الأسس السابقة هو بحدود 8880 نسمة مع الإشارة إلى أن عدد السكان عام 1994 هو2838 نسمة1. • ساهمت المساحات الكبيرة للمصور التنظيمي المصدق بصورة غير مباشرة في تقليص الحيوية والديناميكية للحياة المعيشية ضمن البلدة القديمة. • بروز صورة بصرية مشوهة نتيجة الانقطاع بين نسيج البلدة القديمة وكتل الأبنية الحديثة. • عدم تنفيذ فعاليات المخطط التنظيمي للفج الشرقي الفاصل بين المدينة القديمة	• التأكيد على إيقاف العمل بالمصور التنظيمي المصدق. • العمل على تزويد البلدة بالخدمات الملحة (مدارس – مشافي) لضمان عدم هجرة السكان. • تأمين حماية المرتفعات الجبلية والفجين الشرقي والغربي والمناطق الأثرية وتنظيفها. • توجد بعض المناطق التي يمكن بها زيادة التوسع العمراني الشاقولي بزيادة عدد الطوابق طابق واحد فقط وفي أماكن محددة وذلك لضمان ملائمتها للنسيج العمراني القديم للبلدة القديمة في معلولا. • تحتاج البلدة إلى تخفيف الطاقة الاستيعابية ضمنها نتيجة التزاحم السكاني الموجود فيها كي لا تؤثر سلباًعلى البيوت الأثرية أو على علاقة السكان بمنازلهم. • إعادة تخطيط البيئة العمرانية للبلدة

[1] مع الأخذ بعين الاعتبار عدد المساكن الشاغرة والمشغولة لعام 1994 وأعداد المصطافين فإن استيعاب المخطط التنظيمي القديم يحقق الاحتياجات المطلوبة.

	وتوسعها الشرقي (جوار دير مار تقلا) مثل ممرات المشاة – حدائق – الربط الأفقي والشاقولي. • ساهم إحداث مناطق توسع جديدة في تراجع شكل وطبيعة البلدة القديمة وأدى إلى تدني مستوى الخدمات والبنى التحتية للبلدة القديمة. • ساهم ضعف المخصصات المالية للبلدة بصورة عامة والمستوى المتدني لدخل الأفراد في هجر المساكن التقليدية القديمة والذي أدى إلى تدهورها كما قلل من إمكانية التطور العام للبلدة بشقيها القديم والحديث. • اعتبار الصفة التنظيمية للتوسع من الجهة الشرقية سكن حديث محدد عمراني قوي وذلك كونه لا يتلاءم مع النسيج التاريخي العمراني بصرياً وعمرانياً. • تتوسع البلدة القديمة عشوائياً نتيجة عدم توفر نظام ضابطة خاص بها يراعي امكاناتها ومميزاتها الطبيعية والعمرانية ما يؤدي إلى زيادة كتلة البناء وزيادة في الكثافة السكانية بشكل لايتناسب مع مساحة البلدة القديمة (وذلك ضمن مساحة محددة غير قابلة للتوسع أفقياً نتيجة الشوارع المحيطة بها). • إحداث خلل في الطابع العمراني والشخصية المميزة للبلدة القديمة والمسار التجاري، ويظهر هذا واضحاً في ارتفاعات الأبنية التي تتناوب بين القديم والجديد مما يشكل تشوهاً بصرياً للنسيج العمراني التاريخي.	القديمة بما يتناسب مع قيمتها الأثرية واعتماد دراسة خاصة بالارتقاء بها. • الحفاظ على بنية المدينة القديمة والواقعة بين الفجين الشرقي والغربي من حيث نسبة البناء والارتفاع والتركيب الحجمي. • اعتماد منطقة الخدمات المركزية جنوب البلدة القديمة. • الحفاظ على المنطقة الزراعية (التقاء الواديين – الفجين) كمنطقة خضراء جنوب منطقة الخدمات المركزية. • تحسين مستوى الخدمات العامة وشبكات البنية الأساسية من صرف صحي وشبكات المياه والكهرباء عن طريق وضع دراسة متكاملة للبنية التحتية وتنفيذها بما يساهم في رفع كفاءة البلدة القديمة وسد احتياجات السكان المقيمين في البلدة بحيث لايسيء إلى النسيج العمراني فيها والمحافظة على النسيج العمراني المتميز للبلدة وإحياءه • إيجاد مناطق عمرانية جديدة تلبي احتياجات البلدة وتؤمن المتطلبات الاقتصادية من جهة والانسجام والتكامل مع البلدة القديمة من جهة أخرى. • إعادة تخطيط البيئة الاجتماعية للبلدة القديمة والعمل على تخفيف العبء السكاني في البلدة القديمة.

جدول 5: الدراسة التحليلية للموارد الثقافية في معلولا

7 2 التوقعات المستقبلية لعدد السكان:

7 2 1 دراسة تقدير عدد سكان معلولا المستقبلي للمقيمين بشكل دائم (عام 2025م):

سنحاول دراسة هذا التقرير من خلال ثلاثة فرضيات:

أولاً- الفرضية الأولى : وتعتمد على افتراض أن عامل النموالمستقبلي هو استمرار لعامل النمو المسجل للماضي حيث بلغ عدد سكان بلدة معلولا مقدار 2400 نسمة في عام 1981م وارتفع إلى 2838 عام 1984م. أي أن عامل النموالسنوي خلال تلك الفترة هو1. 29% .

وباعتماد نفس العامل يكون عدد سكان معلولا كما يلي:

في عام 2000	مقدار 3064
في عام 2005	مقدار 3267
في عام 2015	مقدار 3714
في عام 2025	مقدار 4222

جدول 6: تقديرات عدد السكان في معلولا وفق الفرضية الأولى

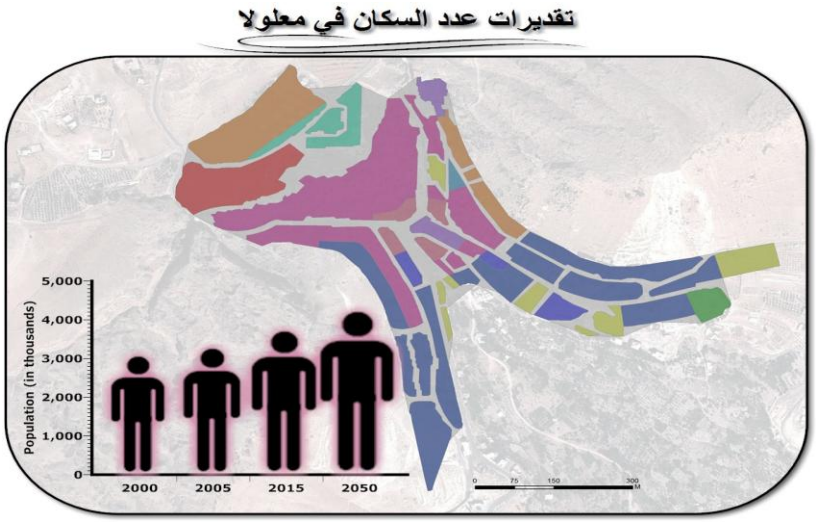

مخطط 21: تقديرات عدد السكان في معلولا

ثانياً- الفرضية الثانية: وتنطلق من افتراض التوازن بين المناطق الحضرية والريفية وعدم وجود مناطق جاذبة ومناطق طاردة وذلك اعتماداً على عامل النموالمحتمل لكامل القطر للفترة 1994-2025م.

- الاحتمال الأول: تطبيق عوامل النموالمقدرة من المكتب المركزي للإحصاء في سورية (المجموعة الإحصائية لعام 2001م) والبالغة مقدار 2. 7% للفترة 1995- 2000م ومقدار 2. 45% للفترة 2000-2005م والاستمرار بنفس العامل للفترة 2005-2025 يعطينا ما يلي:

  عدد سكان معلولا عام 2015 هو4786 نسمة.

  عدد سكان معلولا عام 2025 هو6096 نسمة.

- الاحتمال الثاني: بتطبيق عوامل النموالمقدرة من إيسكوالعدد الرابع من مجموعة الإحصاءات والمؤشرات الاجتماعية للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا 1997 –نيويورك في تقدير عدد سكان سورية

  17 مليون عام 2000م

  24.6 مليون عام 2015م

  27.5 مليون عام 2025م.

  وعلى ضوء ذلك يكون عدد سكان معلولا 4882 نسمة عام 2015م. و5940 نسمة عام 2025م.

إن التقديرات الناتجة بحسب الاحتمالين السابقين متقاربة وللتسهيل يمكن جعل الفرضية الثانية كما يلي:

- عدد سكان معلولا عام 2015م هو4900نسمة.
- عدد سكان معلولا عام 2025م هو6000نسمة.

ثالثاً- الفرضية الثالثة: تنطلق من خصوصية موقع بلدة معلولا وتأثره المحتمل من المخطط الإقليمي للتنمية العمرانية لمدينة دمشق الكبرى وبالواقع فإن الدراسة الإقليمية لمدينة دمشق والمعدة من قبل الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية تنطلق من شمولية المخطط الإقليمي للتنمية العمرانية لكافة النواحي الإدارية التي يفوق معدل النموالسنوي فيها المعدل العام لسورية خلال الفترة بين التعدادين العامّين الأخيرين الجاريين في عامي 1981-1994 وعلى هذا الأساس فإن ناحية معلولا لا تشكل بحسب الدراسة المشار إليها جزءا من مخطط الإقليمي للتنمية العمرانية لمدينة دمشق إذ أن معدل النموالسنوي فيها خلال فترة 1981-1994 كان فقط 1. 29% - مقابل 3. 32% لكامل سورية ومقابل 3. 17% لمجموع محافظتي دمشق وريف دمشق و 4. 6% لمحافظة ريف دمشق و5. 61% للغوطة لوحدها كما هومبين في الجدول التالي:

البيان	عدد السكان بالآلاف		عامل النمو(81-94)
	1981	1994	
محافظة دمشق	1109	1394	1. 77
محافظة ريف دمشق	917	1646	4. 6
الغوطة	462	935	5. 61
التجمعات الرئيسية	113	230	
باقي المحافظات	342	481	
مجموع المحافظتين	2026	3040	3. 17

جدول 7: تعداد السكان لعامي 1981-1994

هذا ويبلغ عدد السكان ضمن ما يسمى إقليم مدينة دمشق المحدد آنفا مقدار 2786000 عام 1994 ومن المنتظر أن يصل إلى 6350000 حوالي عام 2025 (بدلاً من عام 2020 المفترض سابقا) على ضوء تراجع نسبة الزيادة السكانية السنوية في مجمل القطر خلال الأعوام السابقة.

ومن المتوقع أن يزداد عدد السكان في المحور الش مالي لإقليم دمشق (والذي يضم القطيفة ورحيبة ومعضمية القلمون وضاحية الأسد والضمير وحفير التحتا والتل والمدينة (الصناعية – السكنية) الجديدة في عدرا ومدينة قاسيون الجديدة من 143000 إلى 1184000 في نهاية الأمد التخطيطي حيث يقترض أن يزداد عدد سكان تجمعات القطيفة ومعضمية القلمون والرحيبة وفق الجدول التالي:

البيان	عدد السكان بالآلاف	
	عام 1994	في نهاية الأمد التخطيطي

مدينة القطيفة	23	189
بلدة المعضمية	11	64
بلدة الرحيبة	23	220
المجموع	57	473

جدول 8: تزايد عدد السكان منذ عام 1994 وحتى نهاية الأمد التخطيطي في منطقة القلمون

إن وجود هذا العدد من السكان مستقبلا وعلى مسافة قريبة من بلدة معلولا وبما يستلزمه من نشاط اقتصادي مرافق سيقلل من القوة الطاردة وسيزيد من القوة الجاذبة لبلدة معلولا وبشكل خاص في النصف الثاني من الأمد التخطيطي (2015-2025) وذلك مع تنفيذ المشاريع الإسكانية والصناعية الكبيرة على المحور الشمالي للتنمية العمرانية في إقليم دمشق.

ونقترح ضمن هذه الفرضية الثالثة لتقدير السكان على اعتماد عدد سكان مقارب لما تم التوصل إليه في الفرضية الثانية ولغاية عام 2015 (أي بحدود 5000 نسمة لبلدة معلولا) وتطبيق معدل نمومضاعف خلال الفترة (2015 – 2025) أي حوالى 5% سنوياً وبالتالي يصل عدد سكان البلدة في عام 2025 إلى مقدار حوالي 8000 نسمة، وبالتالي يكون أعداد السكان المقيمين ومن الفرضيات الثلاث كما هي في الجدول التالي:

الفرضيات	الأسس المعتمدة	عدد السكان	
		2015	2025
الفرضية الأولى	وفق عامل نمو81-94	3714	4222
الفرضية الثانية	وفق عامل النموالعام للقطر	4900	6000
الفرضية الثالثة	مؤشرات التنيمة العمرانية للإقليم	5000	8000

جدول9 : النموالسكاني حسب الفرضيات الثلاث

7 2 2 تقدير عدد المصطافين المستقبلي في بلدة معلولا:

إن غياب الإحصائيات الدقيقة المتعلقة بأعداد المصطافين في الفترات السابقة، يجعل من المتعذر بيان التطور الحاصل في الماضي لأعداد المصطافين واستقراء الأعداد المستقبلية لهم.

وسيتم الانطلاق في محاولة تقدير عدد المصطافين من ثلاث فرضيات تهدف جميعها إلى إيجاد نسبة بين عدد السكان المقيمين وعدد المصطافين من خلال دراسة الإحصاءات المتوفرة لعام 1994 والتي تبين أعداد نسبة المساكن المشغولة والفارغة وقيد الإكساء والذي يتم عادة بعد بدء العام الدراسي وانتهاء موسم الاصطياف.

أولاً- الفرضية الأولى: تقوم على افتراض على كافة المساكن الشاغرة وقيد الإكساء يتم إشغالها من قبل المصطافين وبذلك نسبة المصطافين إلى عدد السكان المقيمين كما يلي:

مساكن شاغرة \ مساكن مشغولة أي 734\534 =137%

ثانياً- الفرضية الثانية: تقوم على الأخذ بعين الاعتبار نسبة المساكن الشاغرة إلى مجموع المساكن في المناطق الريفية في محافظة ريف دمشق والتي بلغت بموجب تعداد 1994 مقدار 3،30% بينما تصل هذه النسبة في بلدة معلولا إلى 88،75% وبالتالي يكون التفاضل بينهما 58،27 % ويقابل ذلك مقدار 349 مسكن وبذلك تكون نسبة المصطافين إلى عدد السكان المقيمين كمايلي 349 \ 534 = 3،65%.

ثالثاً- الفرضية الثالثة: تقوم على الأخذ بعين الاعتبار نسبة المساكن الشاغرة في كامل ناحية معلولا (معلولا- التواني- جبعدين-عين التينة) والتي بلغت بموجب تعداد 1994 مقدار 99،39 % وبالتالي يكون التفاضل بينهما 89،17% ويقابل ذلك مقدار 226 مسكن وبذلك تكون نسبة المصطافين إلى عدد السكان المقيمين وفق هذه الفرضية: 226\534 = 42%.

أما بالنسبة لعدد السياح الذين يقومون بزيارة البلدة فتختلف من حيث جنسية السائح ومدة الزيارة وقد تم ذكرها في البند رقم 2-6-1- في ص 62 وتبين الجداول أن متوسط عدد السياح غير السوريين خلال السنوات الخمسة من 1999- 2003 هو بحدود 55 ألف سائح سنويا وبالتالي هذا يؤيد فكرة إيجاد فعاليات سياحية متنوعة المستوى.

علماً بأن هذا الرقم سيزداد في حال استقرار الوضع في منطقة الشرق الأوسط.

7 2 3 نتائج دراسة عدد تقدير السكان:

من خلال الدراسة السابقة والفرضيات حول عدد السكان المقيمين وعدد المصطافين والأخذ بعين الاعتبار العوامل المختلفة الكافية لوجود العدد الكبير من المساكن الخ الية والقيد الإكساء في بلدة معلولا ومعظم بلدات ريف دمشق (العمل خارج القطر – مستوى الدخل – االتوظيف الم الي والتحويل – تداعي الأبنية. . . . .)

تم إعداد الجدول التالي الذي يبين الحدود الدنيا والعليا لعدد المصطافين بدلالة المقيمين لعام 2025 وحسب الفرضيات الثلاثة:

عدد السكان المستقبلي للمقيمين 2025		عدد المصطافين 2025			عدد السكان الإجمالي 2025		
		ف1	ف2	ف3	ف1	ف2	ف3
ف1	4220	5780	2780	1690	10000	7000	5910
ف2	6000	8220	3960	2400	14220	9960	8400
ف3	8000	10960	5280	3200	18960	13280	11200

جدول 10: عدد المصطافين وعدد السكان الإجمالي عام 2025 وفق الفرضيات الثلاث

ولما كانت الآلية الناجعة في دراسات التخطيط الإقليمي والمديني تتطلب المتابعة والتقويم المستمر واعتماد الخطة الخمسية وكل عشر سنوات كمحطات للتقويم، فقد تم تقدير أعداد السكان المقيمين والمصطافين لمرحلة العشر سنوات القادمة (2005- 2015) ليتم عندها تقييم المستجدات على الساحة العمرانية والسكانية وتحديد مدى الحاجة للفرضية الثانية.

والجدول التالي يبين عدد السكان الإجمالي لعام 2015 (مقيم مصطاف) المتوقع الوصول إليه وفق الفرضيات الثلاث سابقة الذكر.

عدد السكان المستقبلي للمقيمين 2015	عدد المصطافين			عدد السكان الإجمالي		
	ف1	ف2	ف3	ف1	ف2	ف3

ف1	3700	5070	2440	1550	8770	6140	4250
ف2	4900	6370	3230	2060	11270	8130	6960
ف3	5000	6850	3300	2100	11850	8800	7100

جدول 11: عدد المصطافين وعدد السكان الإجمالي عام 2015 وفق الفرضيات الثلاث

وبمقارنة الجدولين السابقين يتبين صلاحية الفرضية الثانية لاعتمادها في دراسة الاحتياجات العمرانية والتنظيمية.

حيث أن الفرضية الثالثة يصل تقدير عدد السكان إلى 18 ألف نسمة كونها معتمدة عل ى التنمية العمرانية لإقليم دمشق وعلى التوقعات السكانية في منطقة القطيفة وجوارها.

7-4-2 الاحتياجات العمرانية والتنظيمية: حتى عام 2025

من خلال نتائج تقدير عدد السكان المستقبلي (بشقيه المقيم والمصطاف) لعام 2025 وحسبما نصحت به الجهة الدارسة باعتماد الفرضية الثانية والتي قدر بموجبها عدد السكان كمايلي:

عدد المقيمين 6000 نسمة

عدد المصطافين 4000 نسمة

المجموع الكلي لعدد السكان 10000 نسمة

وعلى ضوء هذا التقدير سيجري تحديد الاحتياجات والمساحات اللازمة.

7-3 المشاريع المنبثقة عن الدراسة التحليلية والمقترحة كفرص للتنمية:

7-3-1 مشاريع تنموية ذات أساس إحصائي:

وهي المشاريع المقترحة ذات الأساس الإحصائي خطّي والمستندة على تحليل الوضع الراهن في تقدير الحاجات المستقبلية.

أولاً- المساحات اللازمة للسكان المقيمين: (6000شخص):

لقد تمت مراعاة المؤشرات التخطيطية التالية عند حساب المساحة اللازمة.

- 20م2 مساحة طابقية مبنية للشخص.
- 50% المساحة السكانية الصافية (مجموع مساحة المقاسم السكنية) من مساحة المنطقة السكنية.
- 50% من الطرقات والخدمات اللازمة للمنطقة السكنية.
- 150شخص \ هيكتار الحدود القصوى للكثافة على نطاق التجمع.
- 25-33% نسبة أشغال الأرض (والبناء على طابقين).

وعلى أساسه تكون المساحة الإجمالية اللازمة 40 هيكتار.

وبالتالي تقدر المساحة السكنية بحدود 20 هيكتار

وتقدر مساحة الفعاليات الأخرى بحدود 20 هيكتار وتشمل:

الطرق المحلية + الخدمات (إدارية-صحية-تعليمية) + المناطق الخضراء. . . . . ألخ

ثانياً- المساحات اللازمة للمصطافين: (4000 شخص):

نظراً لخصوصية بلدة معلولا من الناحية التاريخية فقد تم مراعاة المؤشرات التخطيطية الخاصة (سياحية) التالية:

- (25-35%) مساحة الفعاليات السياحية والسكنية الصافية (فنادق – سكن سياحي متنوع – مطاعم)
- (65-75%) مساحة الفعاليات الأخرى خدمات متنوعة – طرق – مناطق خضراء (ترفيهية – ملاعب رياضية – حدائق عامة . . . .) وذلك بهدف توفير مساحة أوسع للفراغات العامة المكشوفة تساهم بصورة فعالة في النشاطات الترفيهية والرياضية.
- (80-100) شخص\هيكتار مؤشر للكثافة.

وعلى هذا الأساس تكون الحاجة من المساحات اللازمة للمصطافين وللحركة السياحية بحدود 40-50 هيكتار.

وعليه تكون المساحة العمرانية الإجمالية لبلدة معلولا تتراوح بين 80-90 هيكتار وتشمل المساحات السكنية اللازمة والفعاليات غير السكنية.

الفعاليات غير السكنية:

قد افترضت الفعاليات التالية انطلاقا من السعي لتحقيق الأهداف الواردة في البند \ 5 \ وتتضمن ما يلي: تعليمية – ثقافية – صحية – تجارية وإدارية – حرفية – ترفيهية وسياحية – روحية إضافة إلى المناطق المفتوحة والخضراء.

ثالثاً- الفعاليات التعليمية المقترحة:

روضة عدد 1 – مدرسة تعليم أساسي عدد 2 – مدرسة ثانوية.

- نسبة الأطفال المتوقع في رياض الأطفال (3 سنوات) تشكل 1%60 طفل.
- نسبة الطلاب في مرحلة التعليم الأساسي (9 سنوات) تشكل 19%1200 تلميذ.
- نسبة الطلاب في مرحلة التعليم الثانوي (3 سنوات) تشكل 4%240 طالب.

تعتمد المؤشرات التالية 30م2 أرض طفل \روضة – 15م2 أرض تلميذ \أساسي – 20م2 أرض طالب\ثانوي.

رابعاً- الفعاليات الثقافية: يقترح مركز ثقافي (صالة متعددة الاستعمالات 300م2) –مكتبة. . . . ألخ. بمعدل 0. 4م2 \ ساكن أي بحدود 2400م2.

خامساً- الفعاليات الصحية: مستوصف بمعدل 0. 3م2 \ ساكن أي 1800م2.

سادساً- الفعاليات التجارية: بمعدل 2. 5 م2 للساكن المقيم، أي ما يعادل 15000م2.

سابعاً- الفعاليات الإدارية: بمعدل 1. 5 م2 للساكن المقيم، أي ما يعادل 9000 م2.

ثامناً- الفعاليات الحرفية: معدل 2. 5م2 ساكن أي ما يعادل 15000.

تاسعاً- الفعاليات الروحية: إن تلبية الاحتياج الإجمالي من الفعاليات الروحية متوفر وتبقى مراعاة مسافات التخديم في مناطق التوسع.

عاشراً- الفعاليات الترفيهية والسياحية: يقترح المنشآت السياحية التالية:

- فندق عدد 3 متنوعة المستوى (نجمة – نجمتين – ثلاث نجوم) باستيعاب إجمالي 300 سرير وبنسبة بناء 20%.
- مقصف عدد 3 بمساحة إجماليّ هكتار واحد وبنسبة 10%.
- ملاعب رياضية أو مجمع رياضي.

- ملاعب كرات – ملعب كرة قدم – صالة رياضية مغطاة بمساحة إجمالية 4. 00 هكتار.

يفصل ارتباطها بطرق مشاة ومواصلات لتساعد في تنشيط البلدة والجوار.

تجدر الإشارة أن موقع الفعالية الرياضية في المخطط المصدق متطرف وبعيد عن المناطق المأهولة حالياً وعلى أرض منحدرة.

- المناطق الخضراء والحدائق والخطوط السياحية: تطوير مسارات المشاة التاريخية وتحسين الشروط البيئية عبر إقامة مناطق خضراء والاستفادة من الأراضي المزروعة و القابلة للزراعة.

المناطق	نوع الاستعمال	المساحةاهيكتار		النسبة المئوية%
المنطقة الأثرية (مغاور)	ممنوع البناء عليها	5. 00	5. 00	4. 6%
السكنية الصافية	-البلدة القديمة ضمن الحدود الأثرية -البلدة القديمة خارج الحدود الأثرية -السكن الثاني -السكن الأول -السكن الحديث	4. 3 2. 7 7. 7 2. 3 25. 5	42	40%
الخدمات	تعليمية ثقافية صحية تجارية إدارية حرفية روحية سياحية (فنادق) سياحية (مقاهي ومقاصف)	2. 46 0. 25 0. 18 1. 50 0. 90 1. 50 1. 80 4. 00 3. 00	15. 59	15%
الطرق	مع الأرصفة	33. 00	33	30%
المناطق الخضراء	مقابر ملاعب حدائق	1. 58 3. 00 5. 00	958	9%
مناطق احتياطية	فعاليات خاصة	1. 80	1. 8	1. 4%
المجموع		107	107	100%

جدول 12: المشاريع ذات الأساس الإحصائي

2 3 7 المشاريع التنموية الحيوية ذات البعد الاستشرافي والتي تعتمد على تراتبية البعد الثقافي:

لقد أدى فشل الدراسات الاحصائية للاحتياجات والمتطلبات العمرانية الجديدة في نهاية الثمانينات ومطلع التسعينات، من جهة، والتغيرات الاقتصادية وتزايد تحديات العولمة وآثارها الإقليمية من جهة أخرى، إلى التراجع عن نماذج التنبؤ الخطية والمضي باتجاه التفكير الاستشرافي الحضري للمستقبل الذي شهد اهتماما متزايدا في أوروبا. حيث كان للدراسات الاستشرافية الحضرية دورها في مواجهة تحديات المستقبل واقتراح منهجية لجعل المناطق في حالة دينامية قائمة على الترابط الدقيق بين الانفتاح الاستشرافي للمستقبل والتحليل الاستراتيجي ومنهجيات المشروع الحضري الذي يحمل رهاناً حول مستقبل المدينة ويختار المواقع الهامة التي ستشكل مادة العمل الأولية في التخطيط الحضري على المدى القريب والمتوسط والبعيد.

تتمتع الرؤى الاستشرافية بخاصية قائمة على الاحتمالات وتعتمد المقاربة البراغماتية التي تقيم إمكانيات تعبئة الفاعلين ومواردهم وتهتم باستقراء احتمالات الخطأ أثناء عملية تنفيذ البرامج من أجل ضمان خيارات التصحيح والتكيف مع المتغيرات.

وفي هذا المجال، تعتبر تجربة ليون في إعداد الخطة التوجيهية الجديدة (ليون 2010) الرائدة في فرنسا. لقد اهتمت بتقلبات المستقبل وتوخت الحذر تجاه الإسقاطات الكمية التي ميزت الخطط السابقة، كما أعطت أهمية محلية وخارجية دون أن تتخلى عن التأطير الرقمي وميزت بين الإيقاعات لكن عدم التوافق بين أداة التخطيط والهيكليات الحضرية الحالية غير القادرة على استيعاب الرهانات الاقتصادية والاجتماعية والخوف من أن تصبح الخطة التوجيهية مجرد مخططات إشغال بمقياس كبير، أدى في عام 2000لإصدار قانون التضامن والتجديد الحضري (SRU)الذي استعاض عن هذه الخطة بخطة الترابط الإقليمي (Schemas de coherence Territoriale) وهي وثيقة ذات طبيعة استشرافية تسعى لربط قضايا التخطيط والسكن والتنقل من أجل دفع التنمية وإعادة تجديد المدن لتكون أكثر تضامنا واحتراما للبيئة.

وفي المدن الإسبانية الكبيرة مثل برشلونة وبيلباو شهد التخطيط الحضري خلال الفترة – 1980 2000 انتقالاً من المخططات الكبيرة إلى المشروعات الكبيرة وبدأت بتنفيذ مشروعات طموحة لتفعيل اقتصادها وجذب الاستثمارات الخارجية إليها. اعتمدت استراتيجية بيلباو في إعادة تنشيط المدينة على عناصر محدثة كالتسويق الحضري ونشر ثقافة تحرك المؤسسات تم تحرير أفضل العقارات وخلق بنى تحتية ومنشآت ثقافية سعيًا لتطوير صورة ايجابية للمدينة ولاستقبال اقتصاد جديد. لقد نجحت هذه الاستراتيجية المرتكزة على المشروع الحضري قبل أن تنجز فالإعلان عن المشروع أثر أكثر من المشروع ذاته.

أما في إيطاليا، أدخلت الإجراءات التشريعية، التي تمت في مطلع التسعينيات، إجراءات المشروع الحضري في أسس إعداد المخطط وسمحت بمواءمة التوقعات المستقبلية مع المتطلبات العملية دون الرجوع إلى اجراءات تعديل المخطط العام فولدت وثيقة تخطيطية تجيب بشكل أفضل على متطلبات التغيير التي يخضع لها المجتمع. حيث تم في مدينة روما ربط الماضي بالحاضر بالمستقبل في سياسة حضرية طموحة وبراغماتية تحترم هوية المدينة وتسقطها في معاصرة جديدة فالمدينة المتروبول تواجه تحدياً متعلقاً بتوقف نموها الحضري والمتروبولي بالإضافة إلى كونها محاطة بأراضي فارغة واقعة داخل حدودها الإدارية وتحيط بأحياء الضاحية من الجهات كافة.

ونلاحظ تأثر هذه التجارب بالنظام الإداري والممارسات الفنية الخاصة بكل بلد: بعضها راهن على أهمية التفعيل الاقتصادي أو أهمية الخدمات والبنى التحتية، وبعضها الآخر واجه التغيير باعتباره مجالا تخصصيا للسياسات الحكومية وهناك تجارب استفادت من صلاحيات المحليات في تحديد وتنفيذ سياساتها.

أما في معلولا لم يبلغ التخطيط الحضري الهدف الذي وضعه مؤسسوه كالتنمية الحضرية على المدى البعيد، ومن أهم أسباب ذلك فشل الرؤية الموجزة والمعيارية للمستقبل التي تبنتها المخططات التنظيمية السابقة للبلدة. حيث أن نتائج الدراسات السابقة أدت إلى مخططات تنظيمية مبنية على أساس إحصائي خطي ولم تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الموارد الثقافية لمعلولا لذلك جاءت الدراسات مشابهة لكل الدراسات التخطيطية المتبعة في القطر مما أدى إلى فشلها وعدم مراعاتها لمتطلبات الخارطة التنموية وأهدافها.

ولما كان لكل بلدة أو منطقة خصوصيتها التنموية وميزاتها وأولوياتها التي يجب أن تؤخذ بالحسبان عند بناء المخططات التنظيمية، ولما كان البعد الثقافي من أهم أبعاد التنمية عموما وفي بلدة معلولا خصوصا، وجب علينا استثمار الموارد الثقافية لهذه البلدة بأقصى طاقاتها. وذلك عن طريق طرح مجموعة من المشاريع التنموية التي تأخذ البعد الثقافي كأساس لنجاحها.

فبعد دراسة الوضع الراهن وتحديد الإشكاليات الموجودة في الإقليم والإمكانيات المتوفرة والموارد الثقافية وبعد تقييم وإعادة هيكلة أولويات المخطط التنظيمي يمكننا في ضوء هذه الإمكانيات وضع مقترحات شاملة تغني المنطقة كاملة وتستثمر تراتبية البعد الثقافي والخارطة الثقافية في عملية التنمية الحضرية المتكاملة.

وتتمثل المشاريع المقترحة في المنطقة المحددة بما يلي:

رسم توضيحي 9: المشاريع التنموية الحيوية الثقافية

7 3 2 1 إدارة الموقع:

تبرز أهمية المحافظة على النسيج العمراني التاريخي في بلدة ما في أنه يبين مدى التطور والتقنية في تعامل أجدادنا مع البيئة المحيطة، ويوضح عناصر التشابه والاختلاف بين الأجيال في طريقة التعامل مع البيئة العمرانية ومدى استمرارية الارتباط والفهم للعناصر المكونة لها[1].

[1] احمد محمد السيف, المحافظة على التراث العمراني أهمية وسبل المحافظة عليه, مجلة المهندس، المجلد العاشر، العدد 3 ذوالحجة، اللجنة الهندسية، مجلس الغرف التجارية والصناعية، السعودية، 1417هـ.

معلولا من المواقع الغنية في سورية بالتراث الثقافي والطبيعي وأحد المناطق المرشحة للتسجيل في قائمة التراث العالمية وهي تحوي الكثير من المنشآت والمعالم التاريخية والدينية.
لذلك، يجب وضع خطة متكاملة للحفاظ وإحياء تراثها الثقافي المادي والمعنوي بحيث تشتمل هذه الخطة على عدة محاور بدأ من عمليات التأهيل والترميم إلى دور المجتمع المحلي وإحياء العادات والتقاليد واستثمارها في عملية الحفاظ مع الأخذ بعين الاعتبار المتطلبات التقنية والتكنولوجية للبلدة ونهاية بإدارة متكاملة للموقع تشمل عملية الترويج والإعلان والتمويل وسبل الاستثمار وتحكم عملية التأهيل والارتقاء في النهاية إدارة الموقع لاستثمار إمكانياته بأقصى طاقاتها وخاصة في المجال السياحي لما يحويه الموقع من مقومات في هذا المجال.

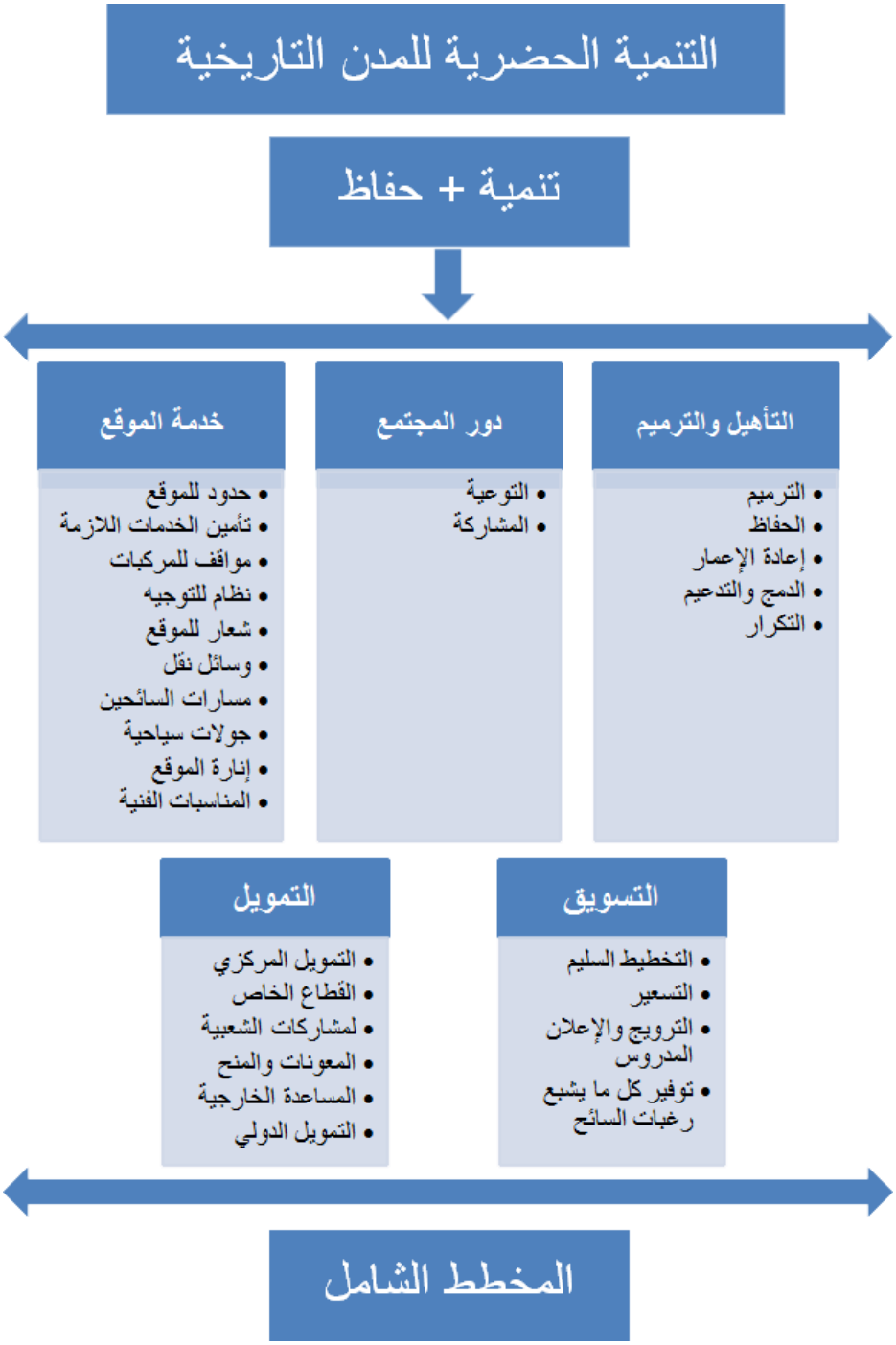

رسم توضيحي 10: الإدارة المتكاملة لبلدة معلولا

وعند إدارة المصدر التراثي لابد من إتباع الأسس العامة التالية:

1. المحافظة على أصالة المصدر الثقافي وعلى كل القيم والأهمية الموجودة فيه وعدم التفريط بها لمصلحة إدارة الموقع. وقد نحتاج إلى التضحية ببعض القيم القليلة الأهمية لمصلحة تحقيق الاستخدام، لكن يجب أن يكون ذلك بأقل تضحية ممكنة.
2. استخدام المعلم التاريخي بطريقة متوافقة مع خصائصه المعمارية (وفقاً لما جاء في ميثاق البندقية).
3. دراسة الجدوى الاقتصادية للوظيفة الأمثل من بين عدة خيارات تحقق النقطة السابقة لإدارة المصدر الثقافي.
4. وضع خطة مدروسة لإدارة المصدر الثقافي، وعدم القيام بأي عمل دون خطة لأن عدم وجود الخطة يسّهل الوقوع في الأخطاء.
5. تقسيم مدة تنفيذ الخطة إلى طويلة ومتوسطة وقصيرة الأمد.
6. وجود فريق يضم عدة اختصاصات (مهندس معماري مصمم للإدارة، مهندس معماري مرمم، مؤرخ وناقد عمارة وفن، أثري، مهندس مدني، مخطط حضري، ممثل للإدارة المحلية. . .) يتعاونون جميعاً في وضع تلك الخطة وتنفيذها.
7. وضع خطة ومخصصات مالية للصيانة الدورية والطارئة للمصدر الثقافي[1].

1. مشاريع التأهيل والترميم:

شكل 52: شارع في معلولا القديمة

إن الهدف من إدارة البلدة التقليدية هو جعلها أكثر حيوية وأكثر متعة وجاذبية للقاطنين فيها وللسائحين القادمين إليها.

والهدف من عملية التأهيل الشاملة يكمن في الحد من المحاولات الفردية التي تتجه نحو مفاهيم التجميل غير الواعية وتؤدي إلى النشوذ وعـ دم الانسـ جام مـ ع المحيط من حولها . فالعمران بشكل عام هو سلسلة من المتتابعات البصرية التي لا يصح مقاطعتـ ها أو اعتراضـ ها بمفـ اهيم شخصـ ية وغيـ ر مدروسة، وإنما لابد من صياغة رؤى جماعية يتفق عليها لتتسم بالاستمرارية المنطقية لجميع المعالجات والتفاصيل، حتى يتحقق الإبداع الشامل الجامع والقائم على تناغم كل عناصر البلدة.

وهناك عدة تقنيات تنفذ لإدارة وتأهيل تلك البلدة منها:

1. إنجاز مخطط تأهيل البلدة: أي جعلها أكثر حيوية وأكثر تحقيقاً لتقديم وظائفها. ولابد من الأخذ بالحسبان من تقديم ما لمعلولا القديمة من خصائص وقيم وما فيها من مواقع ومبان تاريخية وجميلة. كما أنه لابد من التركيز على الحفاظ على هيئة تكوين النسيج الحضري للبلدة Urban Morphology.

[1] د. موفق دغمان, مخطط إدارة موقع مدينة معلولا التاريخية, مكتب دمشق للعمارة والتراث, دمشق، 2011، ص 3.

2. تنفيذ مخطط لألوان واجهات المباني التاريخية الموجودة داخل المركز التاريخي الذي يتميز بأن له واجهات تقصر وتدهن، وهذا المخطط يحتاج إلى دراسة وتحليل لتراكم ألوان الواجهات القديمة، حيث لابد من الأخذ بالحسبان بالإضافة إلى تراكم الألوان ماهية الصورة النهائية لمجموعة ألوان المباني ضمن المقياس الحضري.
3. تنفيذ مخطط للحفاظ على المباني التاريخية وواجهاتها، وهذا المخطط مهم من حيث تنظيم خطة الحفاظ على جميع مباني المدينة التاريخية ضمن أولويات منظمة للحفاظ على تلك المباني.
4. إنجاز مخطط حماية الأحياء التقليدية، والذي لابد من أن يركز على الحفاظ على العلاقات الموجودة بين أجزاء وعناصر الحي التقليدية.
5. مخطط تنسيق البلدة "Town Landscape" والساحات والفراغات العامة داخل المدينة وحولها. وليس المقصود بتنسيق البلدة زراعة الأشجار والورد والأعشاب، بل لابد من القيام بدراسة بيئية وزراعية لبذور مزروعات المنطقة عبر العصور، حتى يتسنى اختيار ما يناسب ذلك المكان وما يتجانس معه كموقع حضري تاريخي.

كما لابد من وضع تعليمات من قبل المختصين في الحفاظ على البلدة التاريخية في الإدارة المحلية في حال إشادة بناء حديث داخل المدينة القديمة بأن يتجانس مع البناء التقليدي.

إن إعادة تأهيل المباني والمعالم التاريخية والدينية في معلولا والارتقاء بها بشكل متكامل مع توسع البلدة الحديثة وما يفرضه ذلك من متطلبات تخطيطية وعمرانية يؤدي إلى رفع سوية البلدة على كافة الصعد حيث تنشّط الحركة السياحية بشكل كبير وما يترافق معها من حركة تجارية إضافة إلى أثر هذه التغييرات اجتماعيا على أهل البلدة.

وقامت الدولة السورية بمجموعة من الدراسات لمشاريع تأهيل بلدة معلولا والارتقاء بها بالتعاون مع مجموعة من الشركات السورية والعالمية المتخصصة نذكر منها:

- <u>مشروع تأهيل وترميم واجهات معلولا:</u>

<u>البيان الوصفي للمشروع:</u> [1]

يهدف المشروع إلى تحسين الظروف المعيشية لسكان بلدة معلولا القديمة والمسجلة أثرياً وإبراز القيمة التاريخية للمباني من خلال ترميم وتأهيل الواجهات المطلة على الأملاك العامة في البلدة المسجلة أثرياً بنظرة تكاملية مع مشروع إعادة تأهيل واستبدال البنية التحتية بشكل كامل وبالطرق الحديثة والمتوافقة مع القيمة الأثرية العالية. كما يهدف المشروع إلى تحسين الممرات والطرق بعد تنفيذ البنية التحتية وإكساءها ورصفها ومعالجتها بحيث تلبي المتطلبات الضرورية لحركة المشاة والخدمة. كما يهدف المشروع إلى تنفيذ فرش طرقي وخدمات محلية وسياحية من أركان للجلوس وإنارة ولوحات للدلالة وحل مشكلة القمامة.

إن معالجة الخرابات والسيباطات وإزالة الأنقاض والمخلفات والخطورة الناجمة عن تردي البنية التحتية في المدينة القديمة هوأيضاً من أهم الأهداف التي يسعى إليها المشروع.

وباعتبار أن مدينة معلولا القديمة مازالت تمتلك مقومات تاريخية وأثرية هامة ممثلة بالأبنية العامة والخاصة يهدف المشروع إلى إبراز هذه المقومات من خلال أعمال إزالة التشوهات على المباني وتنظيف وكشف العناصر الأثرية وتهذيب التصاوين ومداخل البيوت وإزالة كل أشكال التشوهات الناجمة عن تمديدات البنية التحتية.

[1] د. موفق دغمان، الشروط الفنية لمشروع تأهيل وترميم واجهات معلولا والأعمال المتممة، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق 5\2011، ص3.

تكمن أهمية المشروع بأنه إضافة إلى كونه من المشاريع التي تعنى بتأهيل المدينة القديمة المسجلة وإبراز دورها الحضاري، سوف ينعكس مباشرة على السكان ويساعد على تحسين ظروفهم المعيشية. كما سيؤثر بشكل مباشر على التنمية السياحية التي ستنعكس على السكان المحليين.
إن مشروع ربط الفج الشرقي بالطريق المعبد هوواحد من أهم المتطلبات السياحية التي تحتاجها المدينة للتخديم السياحي والربط الطرقي الذي سيساعد على تخفيف الضغط عن ساحة دير مار تقلا. وهذه الأعمال تحتاج إلى تسوية وتهذيب للطبيعة بمناسيب مختلفة ووضع الحلول الممكنة لتسهيل حركة السياح بكل أعمارهم.
ولعل الطريق العلوي الواصل ما بين دير مار تقلا ودير مار سركيس من أهم المحاور التي تتطلب الدراسة والتنفيذ وخاصة أعمال تنظيم الأرصفة الخاصة بالمشاة وتوزيع مجموعة من المقاعد المناسبة وتشجير هذا المحور بصنوف الأشجار المناسبة للمنطقة وتوزيع الخدمات من سلال القمامة وغير ذلك من دورات للمياه والإنارة . وأهم العناصر التي تتوجب الدراسة وضع مشروع تأهيل المغاور العلوية وإشادة الدرابزينات المعدنية على طول الشريط المطل على البلدة القديمة.

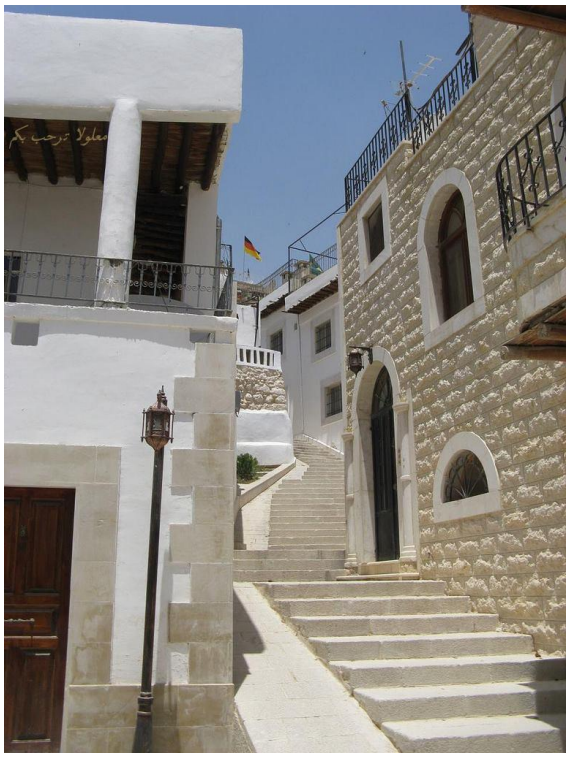

شكل 53: معلولا بعد بدء أعمال التأهيل والترميم

يتم وخلال أعمال مشروع التأهيل وضع خطط لترميم مجموعة من المباني الأثرية الهامة كمشروع نموذجي يساعد على تطوير مهارات الترميم والأسس المتبعة سواء في تحضير الأضابير الهندسية والتوثيقية أو انتقاء مواد وتقنيات البناء.
كما يهدف العمل إلى إنتاج دليل معماري وعمراني يحتوي مجموعة من العناصر المعمارية الهامة وذلك لتكون مرجعاً توثيقياً إضافة إلى كونه دليل يساعد المهندسين المعماريين على تطوير ودراسة مستقبل الطابع العمراني وهوية مدينة معلولا.
المشروع يهدف بشكل أساسي إلى وضع سياسات تنموية مباشرة وسيتم تسليط الضوء على النسيج السكاني ومقوماته الثقافية والحرفية والزراعية وعاداته وتقاليده وغيرها وإبراز هذه المقومات بحيث يمكن توظيفها في مجال التنمية على مستوى تطوير الحرف التقليدية والتأهيل السياحي والثقافي.

المبادىء العامة لمعالجة الواجهات والمحاور العمرانية:[1]

إن الغاية من هذا المشروع هي الأعمال العائدة لترميم وتأهيل واجهات مدينة معلولا القديمة والأعمال المتممة والتي تتضمن مجموعة من أعمال التأهيل وتصنف على الشكل التالي:

- أعمال التدعيم لحواف الطرق باستخدام الجدران الإستنادية من البيتون المسلح والحجر.
- أعمال استبدال وترميم وصيانة السيباطات و استبدال العناصر الإنشائية التالفة.
- أعمال الدهان والحمايق و استبدال طبقات الإنشاء والإكساء.

[1] د. موفق دغمان، المرجع السابق، ص6-7.

- أعمال تصاوين لحماية المناطق المتهدمة بشكل يتوافق مع القيمة الأثرية لبلدة.
- أعمال التدعيم المؤقت وإزالة الخطورة عن بعض المباني
- أعمال الدرابزينات والحواجز المعدنية بالشكل التقليدي
- أعمال تنظيف وصيانة المغاور تحت الطرقات
- أعمال الطينة العربية والكلسة التقليدية
- أعمال تنظيف الحجر
- أعمال تعويض الحجر
- أعمال تقديم منجور خشبي جديدة وصيانة الخشبيات واستبدال التالف منها
- أعمال إكساء الجدران الإستنادية بالحجر الطبيعي المناسب
- أعمال تسوية للفج ووضع حاجز درء للسيول
- أعمال تسوية الطرقات والرامبات والأدرج ومجاري السيول
- أعمال الموقع العام:
  1. أعمال رصف حجري
  2. أعمال أدراج حجرية لتخديم المباني السكنية
  3. أعمال سلال مهملات وحاويات ولوحات دلالة
  4. المعالجات الحدائقية والعناصر المائية
  5. أعمال المقاعد الخشبية والحجرية
  6. أعمال لوحات الدلالة
  7. أعمال الأرصفة وأحواض زراعية
- <u>مشروع تأهيل الفج الشرقي[1]:</u>

يشكل الفج والمغاور المميزة الأساس لطبيعة معلولا والتي تتصف بالطبيعة الجرداء تظللها مساحات الكهوف التي ترصع الجبال المحيطة، وكذلك فراغات الفج والذي ينقلنا عبر مساراته إلى الحقبات التاريخية القديمة. إن هذه الطبيعة تشكل الصفة الأساسية لمعلولا وتعتبر إحدى أهم منابع البيئة المستدامة فيها وبالتالي لا بد من تحسين وضعها وربطها ضمن منظومة كاملة من التطوير لهذه البلدة.

<u>الشروط العامة:</u>

- يراعى عند تنفيذ الأعمال ضمن الفج عدم الإساءة للمكونات الطبيعية وعدم المساس بالمغاور أو العناصر الأثرية ذات القيمة العالية.
- تشرف على الأعمال جهات أثرية وفنية تحدد من قبل محافظة ريف دمشق
- تستعمل الأدوات والتجهيزات الخفيفة عند تنفيذ أعمال إزالة طبقات البيتون المسيئة للفج.
- تستخدم أحجار مخصصة لتحديد مجرى المياه.
- يتم تحديد مسار الطريق المقترح بالفج وبشكل يتوافق مع الشكل الطبيعي للفج.

[1] د. موفق دغمان، المرجع السابق، ص3.

شكل 54: الفج الشرقي 4

2. تفعيل المجتمع المحلي:

شكل 55: من المجتمع المحلي 1

يعتبر أبناء المجتمع المحلي هم حملة التراث الملموس وغير الملموس في الممتلك الثقافي، ومن ثم، فلا بد من إشراكهم في حماية تراثهم الثقافي وتفعيل دورهم في برامج الحفاظ على المدن التاريخية وحملات توعية الرأي العام والأخذ بيد المواطنين لضمان تفاعلهما مع جهود ومشاريع الحماية التي تبذلها وتنفذها الدولة والهيئات الدولية المانحة والداعمة.

حيث يتمثل دور المجتمع المحلي بالنقاط التالية:

- المشاركة فى إدارة وتدبير شؤون التراث وحفظه والاهتمام به، بالشراكة والتعاون والتواصل مع الجهات ذات الاختصاص.
- العمل على تطوير وإعادة تأهيل مراكز المدن القديمة وأسواقها الشعبية.
- استثمار الأيدي العاملة والمهن المحلية وتطويرها وتحسين الصناعات التقليدية.[1]
- وضع الخطط التي ترمي إلى ترميم وتأهيل المباني التراثية والأثرية، والحفاظ عليها.

[1] Abir Arqawi, Protection and Promotion of the Cultural Heritage of Um Ar Rasas, 2003, P. 32.

- السعي إلى ضم هذه المواقع الأثرية وإضافتها إلى قوائم التراث الإنساني الخالد.
- القيام بجهود مضاعفة من أجل نشر الوعي بقيمة التراث، والقيام بجهود تثقيفية لتشكيل قاعدة اجتماعية تحتضن فكرة الاهتمام بالتراث والآثار والاهتمام بها، والعمل على ترسيخ قيمتها في أذهان مختلف الأطياف والطبقات الاجتماعية، وإحداث نقلة نوعية في نظرة الناس للتراث من خلال إبراز قيمته التاريخية، وإبراز مساهمات الآباء والأجداد وكفاحهم في تأسيسه وبنائه، وهوالأمر الذي يستدعي إعادة الاعتبار للتراث، وعدم اعتباره مجرد ترف ولهو ليس له قيمه، أو ليس له من فائدة.

شكل 56: من المجتمع المحلي 2

- تنظيم المهرجانات والفعاليات التراثية، وإقامة البرامج والمشاريع التي تعنى بشرح مهن وحرف الأوائل وصناعاتهم اليدوية، وتمثيل ما مارسوه من مختلف الفنون الشعبية والسباقات والألعاب المحلية.
- تخليد التراث العمراني من خلال تنظيم مختلف المعارض، مثل معارض الصور القديمة والنادرة التي التقطتها عدسات المصورين في حقب سابقة، والتي تؤرخ لهذا التراث وهذه الآثار حسب سنوات التقاطها، ومن ثم مقارنتها بالواقع الحاضر، لاكتشاف مدى التغيرات والتحولات التي حدثت وطرأت على طبيعة المنطقة، وانعكاسات وآثار وتبعات حركة التحديث والنمو العمراني والصناعي على تراث وبيئة هذه المنطقة.
- التأكيد على أن موضوع حماية التراث والبيئة ليس ترفاً فكرياً، وإنما هو واجب وطني يجب الوفاء به من أجل هدف تنمية الإنسان المواطن وتحسين مستوى حياته، وتوفير كافة الظروف الضرورية ذات العلاقة بمتطلبات الارتقاء به وبمستواه، وتضمن له الاستقرار والحياة الكريمة، وترفع من جودة ونوعية معيشته.
- الاستفادة من المتاحف كمراكز لأرتاج الأنشطة التعليمية.
- تفعيل دور المرأة كمحرك فعال في تحويل فرص التراث الثقافي إلى أنشطة مربحة.

3. خدمة الموقع:

حيث يجب تحضير المواقع الأثرية والبلدة بشكل عام وتكييفها لتصبح أكثر استجابة لحاجة السائحين والزوار. ويقصد بتحضير الموقع جعله جاهزاً للاستخدام من قبل الزائر عن طريق مجموعة من الترتيبات الخاصة مع الأخذ بعين الاعتبار قيم الموقع وعدم الإضرار به. ويتم ذلك من خلال مجموعة من الأسس المنهجية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- وضع حدود للموقع وتأمينه:

تحتاج المواقع الأثرية والتاريخية إلى وضع حدود لها وتعريفها بشكل واضح وتأمين الأمن لها، فالمواقع الأثرية قد توجد بأشكال عديدة وبدرجات مختلفة من الحفاظ عليها، وتتراوح أماكنها بين

المناطق النائية وقلب المدينة المسكونة، وحسب حالة الموقع يتم وضع هذه الحدود بما يضمن تأمين حماية له، ولا تساعد الحدود على حماية الموقع فحسب من الأضرار التي قد يسببها الناس المارين أو من خطر السرقة والاعتداء، وإنما تأمين سلامة الزوار والسائحين أيضاً.

- تأمين الخدمات اللازمة:

تحتاج المواقع إلى لحظ وجود الخدمات الصحية وأماكن الاستراحة، فالمواقع الأثرية عادة ما تكون في أماكن بعيدة، ويحتاج الزائر الذي قطع مسافات طويلة للوصول إلى الموقع إلى خدمات صحية حال وصوله، سواء قبل الزيارة أو خلالها أو بعدها، ويلاحظ أن أغلب زوار المواقع الثقافية من كبار السن مما يتطلب أماكن ظليلة للاستراحة، تدرس مواقعها ضمن المسارات السياحية المقترحة.

- تأمين مواقف للمركبات:

تحتاج المواقع إلى مواقف للحافلات والسيارات، فالزائر يجب أن ينتقل من مكان إقامته إلى الموقع، ولابد من ترتيب مكان لتوقف وسائل المواصلات التي تنقل هذا الزائر، ويمكن إيجاد نظم مختلفة لهذه العملية.

- وضع نظام للتوجيه:

يتألف نظام التوجيه من اللوحات الدلالية والشروح خارج الموقع وداخله، إذ لابد من توجيه الزوار للوصول إلى الموقع من خلال تحديد نقاط الدخول وأماكن وقوف السيارات، وبعد الوصول إليه يجب أن يعرفوا أقسام الموقع وطريقة زيارته وقصته، وتحديد نقاط الانطلاق نحوالمسارات السياحية. وتعتبر لوحات الدلالة الموضوعة بشكل مدروس جزءاً أساسياً من أي موقع أو أي برنامج للتعريف بالموقع.

ويجب أن يأخذ نظام التوجيه مجموعة من المعايير بعين الاعتبار لتصنيع اللوحات الإرشادية كنوعية المواد المستخدمة وألوانها وشكلها والرسوم ضمنها واستعمالها دائماً بحيث تصبح نظاماً خاصاً به.

وتشمل اللوحات الإرشادية اللوحات التي تقع خارج الموقع والتي توجه الزائر نحو نقاط الدخول المحددة، واللوحات التي تقع داخل الموقع والتي توضح المسارات التي يجب أن يسلكها الزائر وأماكن الخدمة العامة والمخارج، وفي توضيح الأماكن التي يسمح بزيارتها والأماكن المحجوبة عن الزيارة ومخارج الطوارئ. . . ، وذلك بما يساعد على تقديم الموقع بالشكل الأمثل للزائر.

- تصميم شعار للموقع:

يمكن تطوير شعار أو رمز خاص للموقع لأنه تعبير بصري يرتبط مباشرة به، كما يجب إيلاء أهمية خاصة لطريقة كتابة اسم الموقع بحيث يصبح هذا الشعار هو الرمز المعبر عن الموقع في مختلف المنشورات واللوحات والمواقع الرسمية.

- تأمين وسائل نقل مناسبة:

عادة ما تبعد المواقع عن أماكن إقامة الزوار لذا لا بد من تأمين حافلات لنقل الزوار من وإلى الموقع، كما لابد من تأمين وسائل نقل خاصة ضمن الموقع وتحديد الطرقات التي تسمح بالتخديم وباستخدام وسائل النقل، إضافة لتأمين إمكانية وصول سيارات الإسعاف والطوارئ إلى داخل الموقع.

- تحديد مسارات واضحة للسائحين ضمن الموقع:

وهي خاصة بالمواقع المفتوحة أو بالمباني الكبيرة كالقصور، فالزوار يأتون كمجموعات أو بشكل إفرادي، وفي الحالة الأولى تكون المجموعة تحت قيادة دليل مختص، أما في الحالة الثانية فقد يرغب الزائر باستكشاف الموقع بنفسه بالتالي سيحتاج إلى تعليمات توضح الأماكن الهامة وطريقة الوصول

إليها. كما يتم تحديد عدة مسارات تتنوع وفقاً لطول مدة الجولة، أو وفقاً لاهتمام الزائر ونوع المعالم التي سيتم زياراتها(دينية، تجارية، تاريخية، تقليدية، أوابد أثرية. . .).

- تنظيم جولات سياحية متنوعة:

وهي الجولات التي تدمج زيارة مواقع الإرث الحضاري مع مواقع أخرى تثير اهتمام السائحين. ففي تونس يتم دمج العطلة في المنتجعات على الشواطئ مع زيارة المدن التاريخية والواحات.

- تحديد رسوم الزيارة وتنظيم الأدلاء:

من العمليات المطلوب تحقيقها في المواقع التاريخية تحديد رسوم الزيارة للأفراد والمجموعات وتنظيم خدمات الأدلاء السياحيين، حيث أن تحديد رسوم للزيارة يساعد في ضبط وتحديد عدد الزوار الذين يرتادون الموقع، ويعتبر الدليل المؤهل والمدرب ضرورياً جداً في مواقع الإرث الحضاري، ففي تونس تم تنظيم مهنة الدليل السياحي ولا يمكن لأي شخص أن يقوم بها، حيث يمنح الدليل شهادة خاصة لممارسة المهنة بعد اجتيازه الفحوصات والاختبارات اللازمة. ويمكن تقسيم الأدلاء إلى ثلاثة مجموعات: الأولى تضم الأدلاء ذوي الكفاءة العالية والتدريب الجيد، والثانية تضم الأدلاء العاديين الذين تلقوا تدريباً جيداً، والثالثة تضم الأدلاء المحليين، وفي جميع الحالات يجب أن يخضع الأدلاء إلى دورات تدريبية منتظمة.

- إنارة الموقع:

من المواضيع الحساسة التي تواجهها المواقع موضوع إنارتها، ويتم حاليا التخلي عن أجهزة الإسقاط ذات الإنارة القوية التي كانت توضع في أسفل الجدران لإنارة الجدران من أسفلها إلى أعلاها. وباستخدام الالياف الضوئية أصبح الآن بالإمكان إنارة الكورنيشات والتماثيل وتيجان الأعمدة والتيجان الصغيرة الدقيقة، وهي تأتي بألوان متعددة تتناسب مع حساسية المكان مما يجنب "سحق" الموقع بكمية كبيرة من الضوء، وبالاستخدام المدروس للإضاءة الناعمة يمكن إنارة المسارات بحيث يستطيع السائحون متابعة زيارتهم في الليل.

- تنظيم المناسبات الفنية:

حيث يمكن تنظيم المناسبات الفنية في بعض المواقع المختارة ضمن الموقع التاريخي كالمهرجانات والحفلات الموسيقية والمسرحيات... دون الإساءة للقيم التي يحملها الموقع، وذلك بما يساعد على استقطاب السياح وتعريفهم بالموقع.

4. <u>التسويق:</u>

مفهوم جديد يتحتم علينا الاهتمام به ودراسته وإمكانية الإستفاده منه، لأهميته في التعريف بالمنتجات الثقافية والطبيعية باعتبارها أهم العناصر الأساسية للسياحة وسبل استثمارها، وخاصة في معلولا الغنية بها.

وعند القيام بالتسويق للمنتجات في معلولا لا بد أن ننظر إلى احتياجات ورغبات الفئات المستهدفة (المستهلك)، بإمكاننا القيام بذلك من خلال عدة طرق منها الاستبيانات الصغيرة – على سبيل المثال وليس الحصر-.

فإن طبقنا التعريف السابق للتسويق على المنتجات الآثارية يتحتم علينا التالي:

- التخطيط السليم.
- التسعير ومراعاة السوق.
- الترويج والإعلان المدروس.

- معرفة المنتجات المتوفرة والاكتفاء بالمدروس للبدء بهذا المشروع المربح.
- توفير كل ما يشبع رغبات السائح (المستهلك) واكتساب رضاه مع مراعاة جميع الجوانب الإجتماعية والثقافية.
- العمل الجدي الدؤوب لأنجاز الأهداف.

5. التمويل:

يعتبر التمويل الأساس في استمرار مشروعات إعادة تأهيل المناطق التراثية كما يحقق التمويل التنمية الاقتصادية، التي تحقق الرفاهية للمجتمع برفع مستوى المعيشة.
التمويل الحكومي للمشروعات محدد بأهمية المشروع للمجتمع مما يتأثر بقرارات الدولة من استمرار أو وقف المشروع بما يتبدّى للمسؤولين، مما يؤثر بالسلب على العديد من المشروعات والتي ارتبطت بقرار الجهات دون الرجوع لدراسة تفصيلية للمنطقة.
إن التمويل في سورية يظهر بشكل مادي من المنح والمعونات والتعاون مع الدول الغنية أو الشراكة مع الشركات الدولية ودعم الخبرات التقنية والتي تقوم المنظمات الغير حكومية بدور الوسيط بين الجهات المانحة والحكومة.
تعتمد مصادر التمويل في سورية على موارد الموازنة والحسابات الخاصة والقروض والمشاركة الشعبية والجهود الذاتية والمنح والتسهيلات والتي يتم توجيهها للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتظهر اساليب عديدة للتمويل في سورية فمنها التمويل المركزي أو التمويل عن طريق الشراكات المتمثل في القطاع الخاص والمشاركات الشعبية والمعونات والمنح والمساعدة الخارجية من الهيئات والمؤسسات الاجنبية كذلك ما يحققه المشروع من موارد ذاتية وهو يعتمد على أن يمول المشروع نفسه من خلال عمل مشروعات ذات عائد اقتصادي.

الإدارة المستدامة:

لقد شملت النظرة الجديدة للإدارة التطرق إلى دور الإدارة الرشيدة في تحقيق التنمية من خلال تعريف عملية الإدارة نفسها، لتعكس هذا الفهم الكلي الجديد فلم يعد ينظر إلى الإدارة فقط على أنها عملية إنجاز الأعمال عن طريق الآخرين، وإنما أعيدت صياغة تعريفها ليشير إلى أن الإدارة عبارة عن عملية التحكم في الموارد المتاحة في مجتمع ما وذلك قصد تقييم مستوى معيشي معين.
ولكونها تتصل بقضية إحداث التنمية المستدامة في داخل المجتمع وتهتم بمسألة رفع مستوى معيشة الناس، فإن الإدارة العامة الرشيدة ترتبط بثلاثة أبعاد رئيسية سماها الباحثون (مثلث الحكم الرشيد) في داخل المجتمع وهي: إدارة الدولة القائمة على شؤون الناس، القطاع الخاص، المجتمع المحلي.
فالإدارة في داخل الدولة تهيئ البيئة السياسية والقانونية المساعدة على إحداث التنمية فيما يعمل القطاع الخاص على خلق فرص العمل وتحقيق الدخل لأفراد المجتمع، أما منظمات المجتمع المدني فتعمل على خلق مناخ التفاعل السياسي والاجتماعي بتسخير طاقات الأفراد والجماعات للمشاركة في جملة الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
وقد أفضى التصور المتعلق بالمكونات الأساسية للإدارة الرشيدة في داخل المجتمع إلى فهم وإدراك جملة الخصائص الأساسية للإدارة الرشيدة التي تقضي إلى إحداث التنمية المستدامة في داخل المجتمع ومن أهم تلك الخصائص:

- المشاركة: شريطة أن تكون هذه المشاركة منظمة وواقعية وفعالة، وهذا ما يتطلب قدراً كافيا من حرية الرأي والتعبير وتكوين المؤسسات وتنظيم المجتمع المدني بحيث يضطلع بدوره في هذه العملية.
- سيادة القانون: إن الإدارة الرشيدة تتطلب أطراً قانونية عادلة يتم تطبيقها دونما تحيز. إن تطبيق القوانين بدون تحيز يتطلب جهازاً قضائيا مستقلا، وكذلك أجهزة شرطة وأمن خالية من الفساد وغير منحازة لفئة من فئات المجتمع دون أخرى.
- الشفافية: إن الشفافية تعطي في شكلها العام أن القرارات التي يتم اتخاذها في المجتمع وكذلك عملية تنفيذ هذه القرارات، تتم وفقا للقوانين واللوائح، كما تعني الشفافية أيضا ضرورة توفر المعلومات بحرية للجميع، وأن يكون من حق كل فرد الوصول إليها بشكل كامل.
- الاستجابة: إن الإدارة الرشيدة تتطلب أن تقوم جميع المؤسسات ذات العلاقة بخدمة اصحاب المصالح المرتبطين بها ضمن إطار زمني معقول.
- التوافق: حيث أنه يوجد العديد من الأطراف في المجتمع يسعى كل منها نحو أهداف خاصة به وعليه؛ فلا بد هنا من خلق آلية للتوافق بين هذه الأطراف المختلفة بحيث يسعى الجميع إلى تحقيق أهداف المجتمع وتغليبها قدر الإمكان على أهدافهم ومصالحهم الخاصة.
- العدالة والمساواة: إن تقدم أي مجتمع إنما يعتمد على مدى شعور أفراده بأن لهم نصيبهم في ذلك المجتمع، وأنهم غير مستثنيين منه.
- الكفاءة والكفاية : إن الإدارة الرشيدة تكون حاضرة عندما تحقق المؤسسات نتائجها المرجوة، منها (تحقيق الكفاءة)، مع الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة لتلك المؤسسات (تحقيق الكفاية)، كما يشمل ذلك أيضا أخذ بعض القضايا الاجتماعية (كالحفاظ على البيئة مثلا) بعين الاعتبار.

7 3 2 2 المشاريع التنموية في القطاع الثقافي:

1. أكاديمية اللغة الآرامية:

أحد أهم مجالات استثمار اللغة الآرامية في المنطقة هي إمكانية تعلم اللغة بين أهلها في معلولا عن طريق تهييء بيئة ملائمة وبنية خدمية تساعد على تعلمها.
فإقامة أكاديمية لتعلم اللغة الآرامية على مستوى عالمي يغني المجال الثقافي ويؤمن عنصر جذب إضافي ويحسن اقتصادية المنطقة. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تحويل معهد تعليم اللغة الآرامية التابع لجامعة دمشق إلى أكاديمية وتأهيله لا ليكون فقط مكانا لتعلم اللغة بل ليكون مركزاً متكاملاً يعرف بتاريخ هذه اللغة وتطورها والآداب والفنون المرتبطة بها والمحافظة عليها كجزء من التراث المحلي والعالمي.
إن إقامة أكاديمية للغة الآرامية هوعملية ثقافية تبادلية تسلط الضوء على معلولا كمركز عالمي حاضن للّغة الآرامية يحسّن من مستوى البلدة ويؤمن عنصر جذب رئيسي لها من جهة ويؤدي إلى الحفاظ على اللغة الآرامية كتراث ثقافي عالمي ينعكس بشكل إيجابي على قاصدي معلولا لتعلّم هذه اللغة والتخصص بها أو التعرف عليها من جهة أخرى.
وهنالك مجموعة من المتطلبات التخطيطية والعمرانية مترافقة مع إنشاء الأكاديمية يجب تأمينها بدء من تأمين سكن خاص بطلاب هذه الأكاديمية السوريين وغير السوريين منهم ودراسة إمكانية إسكان الطلاب في منازل البلدة مع السكان الأصليين في نفس البيوت لتعلم اللغة من أهلها وهذا يتطلب تأهيل المجتمع المحلي لتقبل هذه الفكرة عن طريق الإعلام وحملات التوعية لفوائد هذه الخطوة للسكان من

جهة (مردود مادي، فائدة ثقافية، تنمية اجتماعية) والطلاب من جهة أخرى (التعلم من السكان، تأمين السكن، الانخراط بالجو الاجتماعي العام، تخفيض تكاليف الدراسة).
إضافة إلى الدور الثقافي الكبير لهذه الأكاديمية سيكون لها دور اقتصادي كبير أيضا ينعكس إيجابا على بلدة معلولا وأهلها وعلى المنطقة بكاملها فكما يعزز دور معلولا الثقافي وتأثيرها في بناء الخارطة الثقافية فإنه يزيد المردود المادي التجاري والسياحي والصناعي لأهل المنطقة ويؤمن فرص عمل جديدة فيها. فهذه الأكاديمية بحاجة لمدرسين للغة الآرامية وموظفين يتقنون هذه اللغة ومن أكثر براعة من أهل معلولا في إتقان هذه اللغة. كما أنها ستجلب معها مجموعة من النشاطات التجارية كبيع التذكارات والكتب الآرامية والصناعات المحلية لأهل البلدة نفسها والتي تعكس تراث هذه البلدة وأهميتها الثقافية والدينية. عدا عن النشاط السياحي المرتبط بهذه الأكاديمية.

2. مشروع مسارات الحج المسيحي: «على خطى القديس بولس»

«الحج الماروني» إذ أن الهدف الأهم لهذه المسارات الدينية المسيحية تثبيت سورية على خارطة السياحة الدينية المسيحية في العالم وجعلها حجر الزاوية لكافة البرامج المتعلقة بالحج المسيحي.
وعليه توجب إعداد مسار حج خاص «على خطى القديس بولس الرسول» ليمشي عليه كافة الحجاج الذي يزورون سورية كأحد مسارات السياحة الدينية المسيحية ويتضمن: (دير الرؤيا، الشارع المستقيم، كنيسة حنانيا وباب كيسان، مدينتي معلولا وصيدنايا)، والحج الماروني إلى براد مهد المارونية في العالم مروراً بحلب وإدلب. . والكنيسة المارونية بحلب دير مارسمعان العمودي كنيسة المشبك على طريق قرية دار عزة قرية براد قرية قلب اللوزة الأثرية[1].
فمدينة معلولا أحد المحطات الرئيسية في مسارات الحج ويجب أن يشكل هذا المشروع حجر زاوية في السياحة الدينية في مدينة معلولا لما له من أهمية عالمية وليس على مستوى سورية فقط، وما يجلبه لمدينة معلولا من الزوار. ويجب أن يترافق هذا المشروع مع تأهيل شامل للبنية التحتية في المدينة بما يتلاءم مع متطلباته والعبء الذي سيشكله على بنيتها التحتية.

3. الملتقيات الفنية والأدبية:

شكّل النسيج العمراني لبلدة معلولا، ومحيطها الطبيعي النادر والفريد، مادة غنيّة وشهيّة، للفنانين التشكيليين السوريين، على اختلاف الأدوات والوسائل التعبيريّة التي يشتغلون عليها، ولا تزال حاضرة، بهذا الشكل أو ذاك، في نتاجاتهم الإبداعيّة، رغم ما لحق بعمارتها من تلفيق وتشويه أساء إلى عمارتها القديمة الشديدة الوقع في الروح والإحساس، لبساطتها وعفويتها وتآلفها المدهش مع محيطها الطبيعي، لا سيما التشكيلات الصخريّة العجيبة المحيطة ببيوتها.
لم يقتصر الاهتمام بهذه البلدة على الفنانين التشكيليين، وإنما شمل أيضاً المصورين الضوئيين الهواة الباحثين عن مادة مناسبة لعدساتهم، فكانت معلولا ونسيجها العمراني والطبيعي والاجتماعي (إضافة إلى تاريخها الموغل في القدم) هذه المادة. حيث أشبعوها رصداً وتصويراً، وأقيمت لها، معارض عديدة داخل سورية وخارجها، كما صدر حولها مجموعة من الكتب أخرها وأهمها الكتاب المصور (معلولا. . . ذاكرة الصخر والإنسان) للفنان الضوئي السوري (فرج شماس) والذي سبق ذكره.

[1] سامي الصائغ، جريدة الثورة، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، السبت 25-5-2013.
http://thawra. alwehda. gov. sy/_archive. asp?FileName=98870864020130524224208

لذلك من الضروري اتباع منهجية معينة للمحافظة على هذه الأعمال الفنية والتعريف بها وإيجاد فرص لعرضها ونشرها من جهة والترويج لجذب الفنانين الجدد من جهة أخرى والاستفادة منها في عملية التنمية الثقافية لمدينة معلولا فحيثما حل الفن تعززت الثقافة وظهرت، "فالفن مرآة المجتمع".
ويتم ذلك عن طريق المعارض والملتقيات الفنية والثقافية والترويج لهذه الملتقيات بالطرق المناسبة عبر إقامة مهرجانات ثقافية خاصة بمدينة معلولا في عدة أوقات من السنة في المناسبات المختلفة (دينية، وطنية، . .) والمواسم المختلفة (صيف، شتاء، . .) مترافقة مع مهرجانات من أنواع أخرى في نفس الأوقات (سياحية، تجارية، دينية، غنائية، ترفيهية، . .) تضم ملتقيات فنية وأدبية متنوعة بدءا من الفنون التشكيلية والتصويرية إلى النحت والأدب.
هذه المهرجانات مع ما يرافقها من أنشطة على كافة المستويات ترفع من القيمة الثقافية والاقتصادية للمنطقة ويجعلها تساهم بشكل كبير في الحياة الاقتصادية للمناطق المحيطة بها خصوصا ومناطق سورية كافة عموما.
كما يجب تحديد وتأهيل مجموعة من المواقع التراثية الثقافية أو الطبيعية في معلولا لتصبح مواقع لمعارض وملتقيات فنية وأدبية داخلية أو في الهواء الطلق للاستفادة من أهميتها في جذب الفنانين والأدباء والترويج لأعمالهم من جهة والترويج لهذه المواقع من جهة أخرى.
إضافة إلى إدخال الثقافة الفنية في طبيعة المدينة وفي الحياة اليومية لسكانها عن طريق نشر الأعمال الفنية في الساحات والشوارع بما يتلاءم مع ثقافة المجتمع وأهمية البلدة التراثية والتاريخية وبما ينسجم مع أهمية الدور الثقافي في العملية التنموية في البلدة وجعلها أداةً من أدوات التوعية الاجتماعية الهادفة فى إطار وضع الضوابط الحاكمة لانتشار هذه الأعمال. فالأعمال الفنية التي تمثل مستوى عالياً فكراً وفنا ترتقي بالمحيط من حولها بشرط ألا تلفظ ثقافة المجتمع، وعلى العكس فإن انتشار الأعمال الفنية التي لا ترتقي إلى المستوى الفني اللائق يكون تأثيرها شديد السلبية خاصة لو حازت على قبول الجماعة واندمجت داخل مرجعيتها الثقافية.

4. التكنولوجيا والإعلام:

يمثل الأعلام أداة هامة للاتصال بين الشعوب والمؤسسات على حد سواء، لا سيما نهاية القرن الماضي الذي شهد تطوراً تكنولوجياً كبيراً في مجال الاتصال، ممّا مكّن العديد من البلدان مؤخراً من التعريف بالمقومات السياحية لبلدانهم وزيادة الإقبال عليها مستغلين بذلك القفزة الكبيرة والمتنوعة التي شهدتها وسائل الإعلام.
ولا شك أن المقومات التراثية بجانبيها المعماري والثقافي تشكلان نقطة جذب هامة للسياح على الصعيد العالمي، مما يؤثر بشكل ايجابي على التنمية السياحية والثقافية لتلك البلدان. وسورية كغيرها من البلدان التي شهدت حضارات وحراك عبر التاريخ تمتلك من المؤهلات ما يمكنها من تبني خيار التنمية الثقافية والسياحية والترويج له داخلياً وخارجياً، مستغلة بذلك الموروث الحضاري الكبير الذي تمتلكه.
إن أحد أسباب الإقبال الخجول على الأماكن التراثية في سورية عموماً هو إهمال جانب الترويج الإعلامي لها، وما يترتب على ذلك من اهتمام بالبنى التحتية التي تدعم الجانب السياحي وتضمن نجاحه.

لذلك من الضروري إعداد استراتيجية شاملة للعلاقات العامة والوسائط المتعددة (المالتي ميديا) من أجل المساعدة في ترويج مفهوم الحفاظ على التراث العمراني ومزايا الموقع للجمهور الأوسع. فيجب تصميم جدول تفصيلي بالتغطية الإعلامية والفعاليات لبلدة معلولا، يشتمل على الآتي:

1. المؤتمرات الصحفية والبيانات الصحفية.
2. الصحف والمجلات.
3. المقابلات التلفزيونية والإذاعية.
4. موقع مخصص للحملة وحسابات على مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر وفيسبوك....) للرد على أسئلة الجمهور ولعرض المعلومات التاريخية والمعلومات العملية لزيارة الموقع.
5. إنتاج أفلام وثائقية وأفلام قصيرة وغيرها من مشروعات الفن المرئي.
6. تطبيقات للهواتف الذكية، بما في ذلك جولات في المنطقة بإرشاد نظام الـ «جي بي إس». يمكن أن يكون التطبيق مرتبط بالموقع من أجل إعداد مسارات للجولات.

كما لابد من دعم وتقوية الشراكة بين متخصصي التراث الثقافي والإعلاميين في سورية من أجل زيادة التوعية بالموقع. من القنوات الإعلامية التي تصل إلى الجمهور بشكل جيد.

- برامج الإذاعة والتلفزة المتخصصة التي تركز على التراث.
- الصحف والمجلات (بما في ذلك المجلات المتخصصة على اختلافها).

وهنالك مجموعة من الأدوات الدعائية والتعريفية المساعدة في عملية الترويج للموقع:

الخرائط:

كما يجب إنتاج مجموعة من الخرائط لبلدة معلولا بلغات مختلفة تشمل نظرة عامة للموقع ورسومات أيقونية لمختلف المزارات ومعلومات عملية عن مختلف المناطق بالموقع.

يجب أن تحسن هذه الخرائط بمحتوياتها من قدرة الزائرين على الوصول للمنطقة والتنقل فيها. وتشمل:

1. خريطة للزوار، مصممة لسهولة الاستخدام أثناء زيارة معلولا القديمة. تشمل هذه الخريطة معلومات عن السمات الاستثنائية للمنطقة، بما في ذلك التجمعات المعمارية المهمة والقطع المعمارية الفريدة، والشوارع والمسارات الأساسية، والعلامات المميزة، والمتاحف والمراكز الثقافية. توفر الخريطة أيضاً تفاصيل للاحتفالات والأسواق وورش الحرف اليدوية ومتاجر السلع التقليدية.
2. خريطة بيان القيمة العالمية الاستثنائية: يتم ربط هذه الخريطة بمنشور يعرض القيمة العالمية الاستثنائية لبلدة معلولا ويعرض المنشور محيط الموقع وتطوره التاريخي مع عرض بأهم آثاره.

نقاط معلوماتية:

نقاط المعلومات مفيدة كمراكز مرجعية لتوفير المعلومات للسائحين وزوار البلدة. تبيع وتوزع منتجات الحملة، وتوفر الإرشاد عن كيفية استكشاف الموقع والتجول فيه. يمكن وضع النقاط المعلوماتية بالآثار المرمّمة الموجودة في مناطق استراتيجية بالبلدة.

الإنترنت:

يمكن لموقع خاص بمعلولا أن يكفل بيع منتجات الحملة الترويجية على الإنترنت، مع السماح للزوار بتحميل مختلف الوثائق والخرائط.

7 3 2 3 المشاريع التنموية في القطاع التعليمي:

1. كلية للدراسات اللاهوتية:

نظرا للأهمية الدينية للبلدة وموقعها في مسار حج بولس الرسول ولكثرة المعالم الدينية الموجودة فيها إضافة لأن لغة السيد المسيح (اللغة الآرامية) هي اللغة المحلية المحكية في بلدة معلولا والطقوس الدينية المميزة فيها، يقترح إقامة كلية للدراسات اللاهوتية على غرار كلية مار أفرام في حلب بالتنسيق بين جامعة دمشق من جهة والكنيسة الكاثوليكية والأرثودوكسية من جهة أخرى.
أهمية هذه الكلية:

1. ستكون أحد أهم المظاهر الثقافية والدينية في بلدة معلولا والتي لها دور كبير في رسم الخارطة الثقافية لمعلولا وسورية.
2. أحد أهم عوامل الجذب للبلدة من حيث السكان الأصليين والسياح والطلبة الأجانب.
3. أهمية على مستوى سورية فهي ثاني كلية للدراسات اللاهوتية في سورية.
4. أهمية عالمية نظراً لأهميتها في الديانة المسيحية.

2. معهد سياحي:

نظراً لما تحويه بلدة معلولا من مواقع تراثية وتاريخية ودينية وطبيعية هامة والإرث الحضاري المغرق في القدم فمن الواجب إيلاء هذا البعد عناية خاصة لما له من دور في بناء الخارطة الثقافية والتنموية.
ففي معلولا الكثير من المقومات السياحية كالمباني والمواقع الأثرية والدينية من الأديرة والبلدة القديمة والكهوف البيزنطية والرومانية والمدافن البيزنطية والفجين الشرقي والغربي والتي سبق ذكرها. كما أنها تحوي العديد من المشيدات الثقافية كتمثال السيد المسيح وتمثال سيدة السلام إضافة إلى دور اللغة الآرامية في السياحة الثقافية. ودخول بلدة معلولا في المحور السياحي صيدنايا معلولا، وفيها طبيعة جميلة ومتنوعة ومناخ صحي إضافة للارتفاع الشاهق لقمم الجبال والتي تغطى بالثلوج لفترة طويلة.
نتيجة لما تحويه معلولا من مقومات جذب سياحي فإن إقامة معهد سياحي له أهمية كبيرة في تنمية الإقليم فهو يعمل على:

1. تأهيل كوادر للعمل في مجالات السياحة المتنوعة في بلدة معلولا بشكل خاص والمنطقة ككل.
2. يشكل أحد المظاهر الثقافية في البلدة.
3. يزيد من فرص العمل في المنطقة من حيث المدرسين والعاملين فيه من جهة وما يجلبه من أعمال صغيرة ملحقة به (مكتبات ومحلات تجارية وكافيتريات).
4. يعد أحد عوامل الجذب في البلدة من خلال الطلاب المتعلمين فيه من خارجها.
5. زيادة وعي أهل البلدة لأهمية المواقع الأثرية والمنشآت السياحية في بلدتهم.
6. العمل على تأهيل أهل البلدة أنفسهم في المجال السياحي ليعملوا في المشيدات السياحية الموجودة في بلدتهم.

3. معهد زراعي:

لما كانت بلدة معلولا من البلدات الزراعية الهامة في منطقتها وبسبب انتشار المزارع المتنوعة في أراضيها وفي المناطق المحيطة بها فلابد من إقامة معهد زراعي فيها فمعلولا من المناطق ذات الإنتاج الزراعي العالي ونسبة كبيرة من أهلها يعملون بالزراعة.
أهمية المعهد الزراعي:

1. تأهيل كوادر للعمل في مجال الزراعة بأسلوب علمي يحسن من إنتاجية الإقليم ككل وليس فقط بلدة معلولا.
2. يشكل أحد المظاهر الثقافية في البلدة.
3. يزيد من فرص العمل في المنطقة من حيث المدرسين والعاملين فيه من جهة ومايجلبه من أعمال صغيرة ملحقة به (مكتبات ومحلات تجارية وكافيتريات).
4. يعد أحد عوامل الجذب في البلدة من خلال الطلاب المتعلمين فيه من خارجها.
5. ما يقدمه من خبرات لأهل المنطقة في مجال البحوث الزراعية التي يقوم بها الطلاب أو المدرسين ولا سيما إذا خصص قسم خاص في المعهد لأغراض التطوير الزراعي في المنطقة.

7 3 2 4 المشاريع التنموية في القطاع البيئي:

1. استخدام الطاقات المتجددة:

تعرَف الطاقة المتجددة بأنها مصدر للطاقة لا ينضب وقابل للتجديد بسرعة. ويتم الحصول على الطاقة المتجددة باستغلال الظواهر الطبيعية العادية كطاقة الرياح أو الطاقة المائية أو الطاقة النباتية أو الطاقة المتأتية من الكواكب الأخرى كأشعة الشمس أو تلك التي تصدر من صلب الأرض (الطاقة الجيوحرارية).
يجب استغلال هذه الطاقة بالشكل الأمثل في معلولا وخاصة الطاقة الشمسية منها بسبب ميل البلدة باتجاه الجنوب وطاقة الرياح بشكل محدود في بعض الأماكن.
أهمية استغلال الطاقات المتجددة:

1. يخفف العبء على شبكات البنية التحتية في المنطقة بشكل كامل ويدعم الشبكة الكهربائية الرئيسية.
2. يلبي الاحتياجات والمتطلبات الناجمة عن عملية التنمية من زيادة في استهلاك الطاقة نتيجة ازدياد عدد السكن وتنوع النشاطات وكثرتها.
3. يحافظ على البيئة من التدهور خاصة في منطقة كمعلولا تتميز بطابع تاريخي وطبيعة خلابة.
4. تكامل الثقافة والتراث مع الطبيعة عن طريق التكنولوجيا.
5. الحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي مع تأمين حياة معاصرة بالشكل الأنسب والأسلم فتأمين الطاقة من أولويات الحاجات الإنسانية.
6. معلولا نموذج هام لعملية الارتقاء المتكامل بدون إهمال الحاجات التكنولوجية ومتطلبات الحياة المعاصرة.
7. زياد العمالة في قطاع الطاقة المتجددة.

وأشار تقرير أصدره برنامج الأمم المتحدة للبيئة بالتعاون مع منظّمة العمل الدولية والرابطة الدولية للاتحادات العمالية في كانون الأول/ديسمبر 2007 بعنوان "الوظائف الخضراء: نحوعمل مستدام في عالم قليل الكربون"، إلى أنّ تغيّر المناخ سيواصل تأثيراته السلبية على العمال وعائلاتهم، خصوصًا أولئك الذين تعتمد معيشتهم على الزراعة والسياحة، لذلك ينبغي التصدي لتغير المناخ والتكيف مع تأثيراته وتطوير الاستثمار في الطاقة المتجددة بحيث تولّد ملايين الوظائف في البلدان المتقدمة والنامية على حد سواء[1].

2. إدارة النفايات الصلبة:

تعد النفايات الصلبة من المشكلات البيئية البارزة على مستوى العالم حيث تساهم مساهمة ملموسة في تلويث عناصرالبيئة من تربة وهواء وماء وتعمل على تشويه المنظر العام وذلك بسبب تزايدها بشكل عام وعدم اتباع الطرق المناسبة في عملية جمع ونقل وتخزين ومعالجة هذه النفايات.
ونظرا لأهمية معلولا الثقافية والسياحية حيث يؤمها السياح من مختلف بقاع العالم وجب إيلاء هذه المشكلة عناية خاصة تتناسب مع أهمية البلدة.
هنالك عاملان رئيسيان يجب أخذهما بعين الاعتبار بما يتعلق بإدارة النفايات الصلبة في المدينة القديمة، تنبيه السكان حول ضرورة خفض طرح النفايات ومن ثم العمل على تحسين نظام الجمع باستخدام آليات خاصة مخصصة للفعاليات التجارية. هذا سيسمح بتدوير نسبة هامة من النفايات الصلبة التي يطرحها سكان المدينة القديمة.
تقسم النفايات الصلبة إلى نوعين:

1. النفايات الصلبة الخطرة والتي هي نفايات الأنشطة والعمليات المختلفة أو رمادها المحتفظة بخواص المادة الخطرة والتي ليس لها استخدامات أصلية تالية أو بديلة.
2. النفايات غير الخطرة وهي النفايات التي لا تحتوي على مواد أو مكونات لها صفات المواد الخطرة كما تتباين في خصائصها الكيميائية والفيزيائية وتشتمل على مواد عضوية وغير عضوية نذكر منها على سبيل المثال:
   - النفايات المنزلية .
   - نفايات عملية الهدم والبناء.
   - النفايات الزراعية.
   - النفايات الصناعية.

طرق المعالجة بشكل عام[2]:

1. الردم أو الطمر الصحي:

يعد الردم من أشهر الطرق المتبعة للتخلص من النفايات الصلبة ويجب أن تتميز مواقع الردم الصحي بمواصفات هندسية خاصة حيث تعتمد على رص النفايات الصلبة لاستيعاب أكبر كمية ولتقليل النفاذية وتغطية النفايات بطبقة طينية عازلة وغير نافذة. كما يجب اختيار موقع الطمر بعد دراسة جيولوجية لكل المواقع البديلة بحيث تضمن عدم الإضرار بالبيئة عن طريق تسرب السوائل الناتجة من تحلل النفايات للمياه الجوفية.

2. الحرق:

[1] العقيد الركن إلياس أبوجوده - الطاقة المتجددة وتداعياتها الاجتماعية والاقتصادية - مجلة الدفاع الوطني - لبنان - 1/4/2012
[2] د. محمد بن ابراهيم الدغيري، النفايا ت الصلبة تعريفها أنواعها طرق علاجها، سلسلة ثقافية جغرافية 3، ص 5-7

وتعد هذه الطريقة من أكثر الطرق انتشاراً على مستوى العالم وتتم إما بواسطة محارق ذات تقنية عالية أو مجرد الحرق المفتوح في الساحات وهذه الطريقة تستخدم لقلة المساحات المتاحة للطمر الصحي.

3. إعادة تدوير النفايات:

وهي إعادة تصنيع النفايات بعد جمعها وفرزها للاستفادة من بعض مكوناتها في أغراض مختلفة.

4. التحلل العضوي:

وهوتحويل النفايات العضوية الصلبة إلى أسمدة عضوية تمثل مادة محسنة لخواص التربة الزراعية عن طريق التخمر العضوي أو التحلل الحيوي وإعادة المواد إلى دورها في الطبيعة.

في جمع النفايات في المدينة يجب تقسيم المنطقة إلى قطاعات يخصص كل منها بخدمة جمع نفايات خاصة بها بغضّ النظر عن كيفية تنفيذ التخديم (يدويا، آليا، نصف آلي)، واعتماد المعطيات التالية في التخطيط لهذه الخدمة:

- عدد السكان في المنطقة.
- نوع وكمية النفايات التي تطرحها المنطقة.
- نظام الجمع المقترح للقطاع (حاويات فردية أو جماعية، الجمع المباشر من المنازل، نظام الجلب. . . الخ).
- المداخل والطرق المحتملة.
- محطات النقل النهائي.

المقترح: حملة توعية

ربما يجدر وضع خطة تساعد على تغيير السلوكيات المتوسطة وبعيدة المدى لسكان المدينة القديمة وذلك بغية تحسين عملية إدارة النفايات الصلبة من خلال تخفيف الكمية المطروحة من النفايات والحفاظ على المدينة نظيفة بشكل عام.

- الأهداف الرئيسية:

رفع الوعي لدى سكان المدينة القديمة عن تأثير النفايات على البيئة والصحة وتشجيع احترام توقيت جمع النفايات المحدد من قبل مديرية النظافة.

إشراك الأه الي وأصحاب الفعاليات التجارية في برامج حملات التوعية عبر الاتصال المباشر أو الفعاليات الاجتماعية وإشراك تلاميذ المدارس في إيصال هذه الرسالة إلى منازلهم وأقربائهم، وذلك من خلال تنظيم نشاطات المنافسة بين الصفوف والمدارس.

الطرق والمناهج التي يجب اتباعها:

- العمل التحضيري:

بالامكان تنفيذ استبيان يهدف إلى:

- تحديد الأولويات في موضوع النفايات الصلبة للبدء بحملة التوعية.
- تحديد مستوى الوعي العام حول الموضوع.
- تحديد مستوى رضى السكان عن خدمات النفايات الصلبة المقدمة من قبل السلطات المحلية.
- تحديد وسائل الإعلام الأكثر فاعلية للاستفادة منها.

بغية انجاز مثل هذا الاستبيان بالشكل الأمثل، ربما من الأجدر أن يكون مترافقا بنشاط ما، حملة تنظيف على سبيل المثال، توزيع بعض المواد لتشجيع الناس على المشاركة في الاستبيان (مجلات للأطفال، كتيب مع صور، أكياس بلاستيكية للنفايات).

- المنهجيات:
  - اللقاء مع المعنيين
  - برامج تثقيفية وزيارات ميدانية لتلاميذ المدارس بأماكن تعنى بحل مشاكل النفايات الصلبة وأهمية احترام توقيت جمع النفايات.
  - ملصقات إعلانية /لوحات رسم مدرسية.
  - كتيبات إرشادية.
  - مناقشات مباشرة من خلال تنظيم زيارات إلى المنازل.
  - النشاطات العامة للجمعيات الأهلية.
  - حملات فرز للفعاليات التجارية.

- الوسائل:
  - الشرطة السياحية
  - اللقاءات العامة، مخاطبة الجمعيات الأهلية للسكان
  - الملصقات الإعلانية، الشعارات
  - المجموعات النسائية
  - المدارس
  - المنظمات الشبابية

- المراقبة والتقييم:

يجب متابعة المراقبة والتقييم خلال تنفيذ المهمة والأخذ بعين الاعتبار تأثير التقييم البيئي الدائم.

جدول 13: المشاريع التنموية الحيوية الثقافية

المشاريع التنموية الحيوية التي تعتمد على تراتبية البعد الثقافي		
المشروع	**فرص التنمية**	**الأبعاد التنموية**
إدارة الموقع		
مشاريع التأهيل والترميم	تهدف المشاريع إلى تحسين الظروف المعيشية لسكان بلدة معلولا القديمة والمسجلة أثرياً ومن خلال ترميم وتأهيل الواجهات المطلة على الأملاك العامة في البلدة المسجلة أثرياً بنظرة تكاملية مع مشروع إعادة تأهيل واستبدال البنية التحتية بشكل كامل وبالطرق الحديثة والمتوافقة مع القيمة الأثرية العالية. كما يهدف المشروع إلى تحسين الممرات والطرق بعد تنفيذ البنية التحتية وإكساءها ورصفها ومعالجتها بحيث تلبي	إن إعادة تأهيل المباني والمعالم التاريخية والدينية في معلولا والارتقاء بها بشكل متكامل مع توسع البلدة الحديثة وما يفرضه ذلك من متطلبات تخطيطية وعمرانية يؤدي إلى رفع سوية البلدة على كافة الصعد وإبراز القيمة التاريخية للمباني حيث تنشّط الحركة السياحية بشكل كبير ومايترافق معها من حركة تجارية إضافة إلى أثر هذه التغييرات اجتماعياً على أهل البلدة.

	المتطلبات الضرورية لحركة المشاة والخدمة. كما يهدف المشروع إلى تنفيذ فرش طرقي وخدمات محلية وسياحية من أركان للجلوس وإنارة ولوحات للدلالة وحل مشكلة القمامة	
تفعيل المجتمع المحلي	يعتبر أبناء المجتمع المحلي هم حملة التراث الملموس وغير الملموس في الممتلك الثقافي، ومن ثم، فلا بد من إشراكهم في حماية تراثهم الثقافي وتفعيل دورهم في برامج الحفاظ على المدن التاريخية وحملات توعية الرأي العام والأخذ بيد المواطنين لضمان تفاعلهما مع جهود ومشاريع الحماية التي تبذلها وتنفذها الدولة والهيئات الدولية المانحة والداعمة.	• يزيد من الوعي الاجتماعي للقيمة التراثية الثقافية والطبيعية لمعلولا ويعزز مفهوم الإنتماء. • الرقابة الذاتية في عملية الحفاظ على التراث المادي بسبب المشاركة في عملية الحفاظ. • أهمية إعلامية للتعريف بمعلولا ومواردها. • مصدر تمويلي إضافي.
خدمة الموقع	يجب تحضير المواقع الأثرية والبلدة بشكل عام وتكييفها لتصبح أكثر استجابة لحاجة السائحين والزوار . ويقصد بتحضير الموقع جعله جاهزاً للاستخدام من قبل الزائر عن طريق مجموعة من الترتيبات الخاصة مع الأخذ بعين الاعتبار قيم الموقع وعدم الإضرار به.	• إن تخديم الموقع بشكل جيد يرفع من إنتاجيته ويجعله جاذباً للسياح حسب سوية الخدمات فيه. • إن خدمة الموقع ضرورية لتأهيل البنية التحتية في معلولا ليجعلها قادرة على تلبية الاحتياجات والمتطلبات العمرانية والتخطيطية للفعاليات المقامة فيها. • خدمة الموقع تؤمن فرص عمل إضافية لأهل البلدة.
التسويق	نظام شامل لأنشطة الأعمال ومصمم نحوالتخطيط، التسعير، الترويج، وتوزيع المنتجات، بما يحقق الإشباع والرضا للأطراف المعنية في الأسواق المستهدفة ولإنجاز الأهداف.	تكمن أهميته في التعريف بالمنتجات الثقافية والطبيعية باعتبارها أهم العناصر الأساسية للسياحة وسبل استثمارها، وخاصة في معلولا الغنية بها.
التمويل	هناك مصادر مختلفة للتمويل بدأ من التمويل الحكومي إلى مصادر التمويل الخارجية (مستثمرين -منظمات دولية غير حكومية-حكومات صديقة) وتختلف أشكال التمويل من المعونات والمساعدات إلى القروض الميسرة إلى التمويل الذاتي من نشاطات مشروع .	يعتبر التمويل الأساس في استمرار مشروعات إعادة تأهيل المناطق التراثية كما يحقق التمويل التنمية الاقتصادية، التي تحقق الرفاهية للمجتمع برفع مستوى المعيشة.
المشاريع التنموية في القطاع الثقافي		
اللغة الآرامية	أحد أهم مجالات استثمار اللغة الآرامية	• يغني المجال الثقافي ويؤمن عنصر

	في المنطقة هي إمكانية تعلم اللغة بين أهلها في معلولا عن طريق تهيئة بيئة ملائمة وبنية خدمية تساعد على تعلمها.	جذب إضافي ويحسن اقتصادية المنطقة. • عملية ثقافية تبادلية تسلط الضوء على معلولا كمركز عالمي حاضن للّغة الآرامية يحسّن من مستوى البلدة ويؤمن عنصر جذب رئيسي لها من جهة ويؤدي إلى الحفاظ على اللغة الآرامية كتراث ثقافي عالمي ينعكس بشكل إيجابي على قاصدي معلولا لتعلم هذه اللغة والتخصص بها أو التعرف عليها من جهة أخرى. • دور اقتصادي كبير أيضا ينعكس إيجاباً على بلدة معلولا وأهلها وعلى المنطقة بكاملها فكما يعزز دور معلولا الثقافي وتأثيرها في بناء الخارطة الثقافية فإنه يزيد المردود المادي التجاري والسياحي والصناعي لأهل المنطقة ويؤمن فرص عمل جديدة فيها.
مشروع مسارات الحج المسيحي	وهومسار حج خاص «على خطى القديس بولس الرسول» يمشي عليه كافة الحجاج الذي يزورون سورية كأحد مسارات السياحة الدينية المسيحية.	• تثبيت سورية على خارطة السياحة الدينية المسيحية في العالم وجعلها حجر الزاوية لكافة البرامج المتعلقة بالحج المسيحي. • دوره المهم كعامل جذب سياحي.
الملتقيات الفنية والأدبية	من الضروري اتباع منهجية معينة للمحافظة على الأعمال الفنية الخاصة بمعلولا والتعريف بها وإيجاد فرص لعرضها ونشرها من جهة والترويج لجذب الفنانين الجدد من جهة أخرى والاستفادة منها في عملية التنمية الثقافية لمدينة معلولا.	• ترفع من القيمة الثقافية والاقتصادية للمنطقة ويجعلها تساهم بشكل كبير في الحياة الاقتصادية للمناطق المحيطة بها خصوصاً ومناطق سورية كافة عموماً. • جذب الفنانين والأدباء والترويج لأعمالهم من جهة والترويج لهذه المواقع من جهة أخرى.
التكنولوجيا والإعلام	من الضروري إعداد استراتيجية شاملة للعلاقات العامة والوسائط المتعددة (المالتي ميديا) من أجل المساعدة في ترويج مفهوم الحفاظ على التراث العمراني ومزايا الموقع للجمهور الأوسع.	• التعريف بالقيمة التراثية الكبيرة الثقافية والطبيعية لبلدة معلولا على نطاق واسع. • الإعلام من أهم العوامل المساعدة في جذب السياح للبلدة. • نشر الوعي بالقيم التراثية المادية وغير المادية.
المشاريع التنموية في القطاع التعليمي		

كلية الدراسات اللاهوتية	نظرا للأهمية الدينية للبلدة وموقعها في مسار حج بولس الرسول ولكثرة المعالم الدينية الموجودة فيها إضافة لأن لغة السيد المسيح (اللغة الآرامية) هي اللغة المحلية المحكية في بلدة معلولا والطقوس الدينية المميزة فيها، يقترح إقامة كلية للدراسات اللآهوتية على غرار كلية مار أفرام في حلب بالتنسيق بين جامعة دمشق من جهة والكنيسة الكاثوليكية والأرثودوكسية من جهة أخرى.	• ستكون أحد أهم المظاهر الثقافية والدينية في بلدة معلولا والتي لها دور كبير في رسم الخارطة الثقافية لمعلولا وسورية. • أحد أهم عوامل الجذب للبلدة من حيث السكان الأصليين والسياح والطلبة الأجانب. • أهمية على مستوى سورية فهي ثاني كلية للدراسات اللاهوتية في سورية. • أهمية عالمية نظراً لأهميتها في الديانة المسيحية.
المعهد السياحي	نظراً لما تحويه بلدة معلولا من مواقع تراثية وتاريخية ودينية وطبيعية هامة والإرث الحضاري المغرق في القدم فإن إقامة معهد سياحي له أهمية كبيرة في تنمية الإقليم.	• تأهيل كوادر للعمل في مجالات السياحة المتنوعة في بلدة معلولا بشكل خاص والمنطقة ككل. • يشكل أحد المظاهر الثقافية في البلدة. • يزيد من فرص العمل في المنطقة من حيث المدرسين والعاملين فيه من جهة وما يجلبه من أعمال صغيرة ملحقة به (مكتبات ومحلات تجارية وكافيتريات). • يعد أحد عوامل الجذب في البلدة من خلال الطلاب المتعلمين فيه من خارجها. • زيادة وعي أهل البلدة لأهمية المواقع الأثرية والمنشآت السياحية في بلدتهم. • العمل على تأهيل أهل البلدة أنفسهم في المجال السياحي ليعملوا في المشيدات السياحية الموجودة في بلدتهم.
المعهد الزراعي	لما كانت بلدة معلولا من البلدات الزراعية الهامة في منطقتها وبسبب انتشار المزارع المتنوعة في أراضيها وفي المناطق المحيطة بها فلابد من إقامة معهد زراعي فيها فمعلولا من المناطق ذات الإنتاج الزراعي العالي ونسبة كبيرة من أهلها يعملون بالزراعة.	• تأهيل كوادر للعمل في مجال الزراعة بأسلوب علمي يحسن من إنتاجية الإقليم ككل وليس فقط بلدة معلولا. • يشكل أحد المظاهر الثقافية في البلدة. • يزيد من فرص العمل في المنطقة من حيث المدرسين والعاملين فيه من جهة ومايجلبه من أعمال صغيرة ملحقة به (مكتبات ومحلات تجارية وكافيتريات). • يعد أحد عوامل الجذب في البلدة من خلال الطلاب المتعلمين فيه من خارجها. • ما يقدمه من خبرات لأهل المنطقة في

		مجال البحوث الزراعية التي يقوم بها الطلاب أو المدرسين خاصة إذا خصص قسم في المعهد لأغراض التطوير الزراعي في المنطقة.
المشاريع التنموية في القطاع البيئي		
الطاقات المتجددة	يجب استغلال هذه الطاقة بالشكل الأمثل في معلولا وخاصة الطاقة الشمسية منها بسبب ميل البلدة باتجاه الجنوب وطاقة الرياح بشكل محدود في بعض الأماكن.	• يخفف العبء على شبكات البنية التحتية في المنطقة بشكل كامل ويدعم الشبكة الكهربائية الرئيسية. • يلبي الاحتياجات والمتطلبات الناجمة عن عملية التنمية من زيادة في استهلاك الطاقة نتيجة ازدياد عدد السكن وتنوع النشاطات وكثرتها. • يحافظ على البيئة من التدهور خاصة في منطقة كمعلولا تتميز بطابع تاريخي وطبيعة خلابة. • تكامل الثقافة والتراث مع الطبيعة عن طريق التكنولوجيا. • الحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي مع تأمين حياة معاصرة بالشكل الأنسب والأسلم فتأمين الطاقة من أولويات الحاجات الإنسانية. • معلولا نموذج هام لعملية الارتقاء المتكامل دون اهمال الحاجات التكنولوجية ومتطلبات الحياة المعاصرة. • زياد العمالة في قطاع الطاقة المتجددة.
إدارة النفايات الصلبة	نظرا لأهمية معلولا الثقافية والسياحية حيث يؤمها السياح من مختلف بقاع العالم وجب إيلاء هذه المشكلة عناية خاصة تتناسب مع أهمية البلدة.	• حماية الأحواض المائية من التلوث الناجم عن تحلل النفايات. • المحافظة على البئية. • المحافظة على التراث الطبيعي في معلولا وحمايته من التدهور.

جدول 13: المشاريع التنموية الحيوية الثقافية

تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في العملية التنموية في بلدة معلولا

اللغة الآرامية
الطقوس الدينية
المواقع الدينية
عمارة
الآثار
الفجوج والمغاور
الموقع الجغرافي
طبوغرافية البلدة
الطبيعة المحيطة
المعطيات المناخية
المشيدات الثقافية
المشيدات السياحية
مشيدات خدمية
نشاطات فكرية
عمال فنية
أشغال حرفية
نشاطات حرفية
نشاطات زراعية
أطعمة
أشربة
الأدب
الذاكرة الدينية
الذاكرة السردية
الطواحين المائية

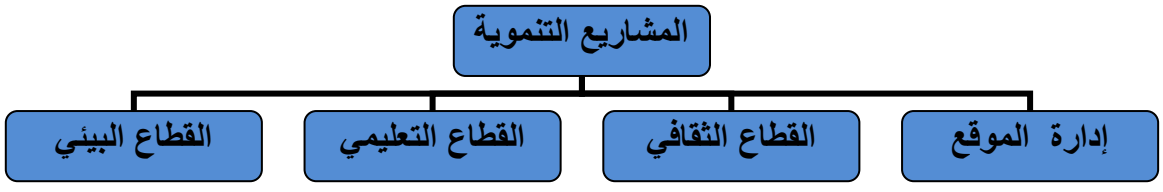

رسم توضيحي 11: تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في العملية التنموية في معلولا

خـاتمـة:

من خلال ماتقدم من دراسة لدور الثقافة والمتغيرات الاجتماعية في عملية التنمية الحضرية ودور الأسرة والكيان الاجتماعي في هذا التطور نجد أن الموارد الثقافية في أي منطقة لها الأثر الأكبر في العملية التنموية فتشكيل الخارطة الثقافية لمنطقة أو دولة ما يعطي فكرة واضحة عن الإمكانيات المتوفرة في هذه المنطقة بحيث يمكن استغلالها بالشكل الأمثل وخلق فرص تنموية في ضوء هذه الإمكانات من موارد مادية وغير مادية تسهم في تشكيل فسيفساء الخارطة الثقافية لأي منطقة.
إن تحقيق هذا الترابط العضوي بين خطط ومشاريع التنمية يعتمد الى حد كبير على القرار السياسي الذي تتخذه السلطة في أي قطر، وعلى المشاركة الجماهيرية من أجل تنفيذ أهداف التنمية المستدامة. إذ أن التنمية المستدامة تعدّ الهدف الأخير لما تقوم به الحكومات من جهود لتطوير مجتمعاتها، ووسيلتها العلمية لتحقيق ذلك هو الأخذ بمنهج التخطيط الثقافي والاجتماعي.
والمخططات التنظيمية في البلدات التاريخية ذات الأهمية الثقافية اعتمدت مقاييس عمرانية موحدة فتشابهت جميع البلدات دون مراعاة للبعد الاجتماعي أو المناخي أو الجغرافي أو الثقافي لكل منها، ومن المعروف أن البلدات القديمة التاريخية مرآة بما تحتويه من قيم اجتماعية تستمد جذورها من السكان بعاداتهم وتقاليدهم وملبية متطلباتهم واحتياجاتهم وفق ما اقتضته الظروف المناخية، لذلك يعتبر الوصول إلى إنتاج مجال عمراني يتلاءم مع الخصوصيات الاجتماعية والثقافية والمناخية والجغرافية من الناحيتين العمرانية والمعمارية التي تلبي احتياجات الحياة المعاصرة من التحديات الكبرى.
ناقش البحث أهمية المتغيرات الثقافية ودورها في عملية التنمية الحضرية حيث تكلم في جزئه النظري عن الاتجاهات النظرية في دراسة التنمية الحضرية ومن ثم درس دور الأسرة في التنمية الحضرية والعلاقة بين البناء الاجتماعي والتكوين الثقافي وبعدها ناقش دور المتغيرات الثقافية في عملية التنمية الحضرية مسقطاً في جزئه التطبيقي الدراسة النظرية على بلدة معلولا وتوصل إلى النتائج التالية:

- هناك عدة اتجاهات نظرية في دراسة التنمية الحضرية أهمها المقارنة بين الريف والمدينة والاتجاه التاريخي والاتجاه الاقتصادي والاتجاه الديموغرافي والاتجاه النموذجي والاتجاه الإيكولوجي والاتجاه السيكولوجي والاتجاه التنظيمي والاتجاه السياسي والإداري.

- إن إمكانية التنمية المكانية تقتضي بالضرورة معرفة تاريخ وثقافة الدول والبناء الاجتماعي لها في الماضي والحاضر، كما لابد من وجود ضرورة لتبني قيم ومفاهيم وخصائص جديدة تسهم في تفعيل العملية التنموية مع الاعتماد على النفس نظراً لامتلاك الموارد الطبيعية والبشرية ، والاستثمار العقلاني لتلك الموارد.

- اعتماد دور الأسرة والثقافة المحلية السائدة في عملية التنشئة الاجتماعية، وربطه بدور التربية والتعليم على شكل نظامين متكاملين، والانطلاق من هذا الربط للتواجد في مجالات العولمة التي باتت تلغي الهوية القافية والموروث.

- اعتماد دور الأسرة في رسم صورة المجتمع وعاداته وتناقلها حفاظا على التكوين الثقافي للمجتمع وإغناء الخارطة الثقافية واعتمادها في عمليات التنمية المكانية.

- يعتمد نجاح عملية التنمية على مراعاة الجوانب الثقافية فتطور التغير الاجتماعي ظاهرة عامة وخاصية أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحياة الاجتماعية وهو سبيل بقائها ونموها في المكان،وبالتغير المتوازن يتحقق الاستقرار والثبات في الحصول على نتائج ذات قيمة معنوية ومادية متكاملة مع أهمية التاريخ الثقافي للمكان.

- يجب التمييز بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي، فالتغيير الثقافي هو مايطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء كان ماديا أم معنويا وفي جميع نواحي المجتمع سواء باللغة، الفن، العادات والتقاليد، تبدّل الأولويات وسلم القيم، والتكنولوجيا وغير ذلك، وعلى هذا فإن التغير الاجتماعي هو جزء من التغير الثقافي بالإضافة إلى ذلك الإطار المادي.

- التغير الاجتماعي والثقافي هو تفاعل مجمل عوامل لإحداث تغير، وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعا لاختلاف المرحلة والظروف، فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية، لذلك هي تتميز بالنسبية تبعا لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة.

- تشكل عوامل التغير الثقافي بدءاً من العوامل الإيكولوجية والطبيعية التي تتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية. والعوامل السكانية والعوامل الإيديولوجية والثقافية والتي تعتبر حركة فكرية هادفة، إضافة إلى العوامل التكنولوجية، والعوامل الاقتصادية المسؤولة عن التطورات والأحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني.

- يجب الاهتمام بالإنسان في عمليات التنمية والبناء مع التأكيد على ضرورة تهيئة بيئة مناسبة له وتطويع الظروف البيئية المحيطة به،ومحاولة إعادة تشكيل سلوكه عن طريق إحداث تغيرات مدروسة في قوانين البيئة، يمكن من خلالها التوصل إلى نموذج إنساني متكامل السمات والخصائص منتمي للمكان ويحمل هويته وبالتالي يستطيع أن يكون عنصرا فاعلا ومؤثرا في عملية التنمية المكانية.

- يجب اعتماد الخصائص الثقافية التراثية للمكان ومراعاة موارده التنموية الطبيعية، في أية عملية تنموية وفق إطار تشاركية لسكان المجتمع المحلي في اتخاذ القرارات التنموية ووضع الموجهات والخصائص التي تحدد ملامح المكان في الحاضر والمستقبل وتحافظ على أصالته، كما يجب إدراج المنتج العمراني والمحيط الطبيعي كأحد الموارد الثقافية التي يمكن الاعتماد عليها في عمليات التنمية.

- إن الإنسان يشكل بصورة عامة محور وأساس البناء الاجتماعي وعليه تعتمد مختلف الأطر الاجتماعية فهو الذي يسير النظم التي تبنى بموجبها المجتمعات. وللإنسان دور بارز في البناء الثقافي للمجتمعات فهو الذي يشكل الأفكار والقيم ويحافظ عليها، وهو يشكل العنصر الفعال في ثقافة أي مجتمع. وأن الاهتمام به ورعايته وإعداده سوف يسهم في إيجاد إنسان يستطيع أن يواجه التحديات التي يفرضها الغزو الثقافي العالمي الذي يحاول إلغاء الهوية المحلية.

- يجب وضع تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية قبل البدء بعملية التنمية المكانية واعتماد محدداتها في جميع المراحل، فالأخذ بتراتبية الأبعاد الثقافية من شأنه أن يفتح أفقا كبيرة لعملية التنمية كما يساهم في إنجاح العملية وملاءمتها للمجتمع المحلي.

- بلدة معلولا غنية بمواردها الثقافية بكافة أنواعها من الموارد المادية الثابتة من الآثار والمشيدات الدينية والسياحية إلى المشيدات الثقافية والخدمية والعمارة الموجودة فيها إلى الموارد الثقافية المنقولة من أطعمة وأشربة متنوعة اشتهرت بها البلدة والأشغال الحرفية والأعمال الفنية انتقالا إلى الموارد غير المادية والتي لها أهمية خاصة في البلدة لما تتمتع به من خصوصية كبيرة سواء بسبب انتشار اللغة الآرامية المحكية بين أهلها والقصص الدينية والدنيوية المتوارثة والطقوس الدينية والمؤلفات المنتشرة عنها إضافة إلى الموارد الثقافية العملية الزراعية والحرفية والنشاطات الفكرية إضافة لمواردها الطبيعية وما تحويه من مميزات جغرافية وطبوغرافية وجيولوجية ومناخية.

- ساهمت الموارد الثقافية في معلولا بشكل كبير في تهيئة الظروف المناسبة للبلدة لترتكز في عملية التنمية الحضرية فيها بشكل رئيسي على مواردها الثقافية وليكون لهذه الموارد الأولوية والدور الأبرز في رفع مستوى المعيشة والارتقاء بهذه البلدة.

- تحتوي معلولا على معالم تاريخية متفردة أهمها الاديرة والكنائس والممرات الصخرية وعلى أثار مسيحية قديمة وهامة في تاريخ المسيحية. كما تتميز بيوت بلدة معلولا بتراكبها فوق بعضها لتكون ذات طابع متميز. أما الأوابد والأحجار الضخمة والكهوف والمغارات المحفورة في الصخر التي سكنها الإنسان القديم فتحكي قصة تاريخ آلاف السنين.

- إن عملية وضع منطقة الدراسة في إطار خارطة ثقافية يمكن أن يصحّح مسارات تنميتها، فقد أثبتت الدراسات في هذا المجال فشل الأساليب التنموية التي تبتعد عن المكوّن الثقافي لحيز التنمية.

- تأتي أهمية البحث من خلال دراسة مسار تغير حجم تأثير الثقافة المحلية الخاصة على المنتج العمراني للتجمعات السكانية والمحيط الطبيعي لمنطقة الدراسة، ومن خلال ربط التغير الحاصل في ملامح المكان بتأثير التشريعات العمرانية والأسس التخطيطية المعاصرة التي تعمّم على المناطق كافة، استناداً لحجم سكانها دون النظر في الخصائص الثقافية التراثية للمكان وموارده التنموية الطبيعية، ودون مشاركة المجتمع المحلي في وضع الموجهات والخصائص التي تحدد ملامح المكان في الحاضر والمستقبل وتحافظ على أصالة الماضي.

- المخططات التنظيمية المتلاحقة لم تستثمر الموارد الثقافية والإمكانات الموجودة في بلدة معلولا بشكل صحيح بل أدت إلى إضعاف دورها في عملية التنمية مؤدية إلى تراجعها وهذا ما يتطلب العمل عليه لإعادة تفعيلها. ويزداد البحث أهمية عند إمكانية إدراج المنتج العمراني والمحيط الطبيعي كأحد الموارد الثقافية التي يمكن الاعتماد عليها في عمليات التنمية.

وفي نهاية البحث لابد من التطرق لمجموعة من التوصيات التي تخدم هدف البحث في أهمية البعد الثقافي والخارطة الثقافية في رسم الاستراتيجيات التنموية وأهمية تحليل الموارد الثقافية لمنطقة ما في وضع سياسات الارتقاء والتنمية الخاصة بها.

التوصيات:

- اعتماد اجراءات المشروع الحضري في أسس إعداد المخططات التنظيمية من أجل التلاؤم بشكل أفضل مع متطلبات التغيير التي يخضع لها المجتمع، على أن يستند إلى المحاور الاستراتيجية التي يحددها المخطط الهيكلي والتي توجه الفعل وفق أولويات في مقدمتها الإرتقاء بالمدينة القائمة.

- ضرورة العمل بالتوازن في مجالات الارتقاء بالموارد الثقافية، مع تطوير المخططات التنظيمية لضمان نجاح استراتيجية التنمية، فالموارد الثقافية هي في حد ذاتها مصادر تنموية ذات قيمة عالية إذا تم إدارتها بالطريقة الأنسب، فمحتواها المادي والمعنوي المتمثل فى الآثار والمواقع المختلفة والعادات والفكر والمجتمع بحد ذاته هي العناصرالأساسية التي يمكن من خلال إدارتها الإدارة الواعية، تحقيق استراتيجية الارتقاء المطلوبة.

- وضع إطار عمل مؤسسي ملائم لتنفيذ سياسة حفاظ عمراني للمواقع التراثية والمناطق الفاصلة للحماية، مع القدرة على تنفيذ وتحسين التعاون بين مختلف الأجهزة الحكومية والمؤسسات المشاركة والمعنية.

- تشجيع أعمال التنسيق الحضاري والأعمال الفنية الميدانية من خلال المسابقات وتبنيها لنشرها جماهيرياً في ميادين وشوارع المدينة باعتبارها تفاعلات إنسانية إيجابية مع البيئة المحيطة وشغف الإنسان بها وتأثيرها المرغوب على تكوينه حضارياً وبالتالي على المجتمع ككل.

- وضع وتطبيق إجراءات حماية عامة لموقع التراث العالمي وللمناطق الفاصلة للحماية.

- العمل على تفعيل مفهوم التكامل بين علم العمارة "أم الفنون" وعلم الجمال "الاحتياج الفطري لجميع البشر"، وهو المدخل الذى ترتكز عليه الدول المتقدمة في جميع مشاريع التصميم العمراني والتنسيق الحضاري كإطار متكامل نابع من مفاهيم الحضارة والثقافة والتراث.

- توسيع قاعدة التأهيل والتدريب في مجال حماية التراث الطبيعي والثقافي مع التركيز على أهمية الوعي البيئي والثقافي، وتفعيل التشريعات القانونية وتطويرها لحماية البيئة والتراث، ودعوة كل من الباحثين ومتخذي القرار إلى تعميق الدراسات في مجال كيفية المواءمة بين نظم الإدارة البيئية والتراثية من جهة والتنمية المستدامة من جهة أخرى.

- التوفيق بين المستويات المختلفة للتنمية الحضري ة: المدى القريب والمدى البعيد، الديمقراطية المحلية والعولمة.

- دراسة إمكانية الانتقال من المخططات الكبيرة إلى المشروعات الحيوية الكبيرة التي أكدت عليها تجربة معلولا وذلك لتفعيل الاقتصاد وجذب الاستثمارات المختلفة.

- ضرورة عدم فصل مسألة الإجراءات عن مسألة الغايات المتأثرة إلى حد كبير بالخصوصيات المحلية والسعي للتوفيق بين طريقتين مختلفتين في إدراك الفعل المشترك وهما إدارة المراحل والإسقاطات حول المستقبل المحرضة للفاعلين.

- ضرورة دراسة الموارد الثقافية للتجمعات العمرانية بشكل عام والتجمعات العمرانية في المناطق التاريخية بشكل خاص لإدراجها في إطار خارطة ثقافية تصحّح مسارات تنميتها.

فهرس الجداول

الرقم	اسم الجدول	المصدر	الصفحة
1	مقارنة بين التجارب العالمية	إعداد الباحثة	99
2	معدلات هطول الأمطار لـ 15 عام	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	127
3	مقارنة بين المخططين التنظيمين 1995 – 1998 من حيث الارتفاعات	فارس، رهام، 2008: استراتيجية الارتقاء بالبلدات التاريخية القيدمة، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية	169
4	مقارنة بين المخططين التنظيمين 1995 – 1998 من حيث المساحات	فارس، رهام، 2008: استراتيجية الارتقاء بالبلدات التاريخية القيدمة، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية	171
5	الدراسة التحليلية للموارد الثقافية	إعداد الباحثة	177
6	تقديرات عدد السكان في معلولا وفق الفرضية الأولى	طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.	187
7	تعداد السكان لعامي 1981-1994	التعداد السكاني لعام 1981 التعداد السكاني لعام 1994	188
8	تزايد عدد السكان منذ عام 1994 وحتى نهاية الأمد التخطيطي في منطقة القلمون	عطفة، نتاليا 2009: الدراسة الإقليمية لمناطق التل وصيدنايا ومعلولا، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق	188
9	النموالسكاني حسب الفرضيات الثلاث	طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.	189
10	عدد المصطافين وعدد السكان الإجمالي عام 2025 وفق الفرضيات الثلاث	طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.	190

11	عدد المصطافين وعدد السكان الإجمالي عام 2015 وفق الفرضيات الثلاث	طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.	190
12	المشاريع التنموية ذات الأساس الإحصائي	طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.	193
13	المشاريع التنموية الحيوية الثقافية	إعداد الباحثة	214

فهرس المخططات

الرقم	اسم المخطط	المصدر	الصفحة
1	تطور مدينة هوتونغ-بكين	Tibet Heritage Fund International، Beijing Hutong Conservation Plan	82
2	إدارة المناطق في مدينة هوتونغ-بكين	Tibet Heritage Fund International، Beijing Hutong Conservation Plan	82
3	تطور مدينة القاهرة التاريخية	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	87
4	مناطق الحفاظ في القاهرة التاريخية	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	89
5	المباني التاريخية التي تعود لحقب مختلفة- دمشق	برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، دمشق، 2008/2007.	92
6	تطور مدينة دمشق	برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، دمشق، 2008/2007.	94
7	المخطط التنظيمي لدمشق الكبرى 1968	الجاني، دينا، 2009: الاتجاهات المستقبلية الفضلى لتوسيع مدينة دمشق بمساعدة تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS للعلوم الهندسية، دمشق.	95
8	المخطط التوجيهي المرحلي لمدينة دمشق القديمة 2008	برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، دمشق، 2008/2007.	96

9	الربط الطرقي	إعداد الباحثة	110
10	المواقع الأثرية في بلدة معلولا	إعداد الباحثة	115
11	الموقع العام لمعلولا	إعداد الباحثة	126
12	محاور الحركة الرئيسية في بلدة معلولا	إعداد الباحثة	130
13	استعمالات المباني في بلدة معلولا القديمة ومحيطها	إعداد الباحثة	130
14	الحالة الفيزيائية للمباني في بلدة معلولا القديمة ومحيطها	إعداد الباحثة	131
15	ارتفاعات المباني في بلدة معلولا القديمة ومحيطها	إعداد الباحثة	132
16	المشيدات الدينية في بلدة معلولا	إعداد الباحثة	134
17	الخريطة الجيولوجية لمعلولا	إعداد الباحثة	159
18	المخطط التنظيمي لعام 1965	منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1965م، محافظة ريف دمشق	167
19	المخطط التنظيمي لعام 1998	منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998م، محافظة ريف دمشق	168
20	الاستيعاب النظري للمخطط التنظيمي لعام 1998	إعداد الباحثة	171
21	تقديرات عدد السكان في معلولا	إعداد الباحثة	186

فهرس الرسوم التوضيحية

الرقم	اسم الرسم	المصدر	الصفحة
1	مخطط البحث	إعداد الباحثة	16
2	التجارب المشابهة	إعداد الباحثة	78
3	المراحل المنهجية للعمل ببرنامج GIS	إعداد الباحثة	106
4	الحالة الدراسية	إعداد الباحثة	108

5	الموارد الثقافية	إعداد الباحثة	115
6	توزع المساحات في المخطط التنظيمي لعام 1965	إعداد الباحثة	172
7	توزع المساحات في المخطط التنظيمي لعام 1998	إعداد الباحثة	173
8	التحليل والمناقشة	إعداد الباحثة	177
9	المشاريع التنموية الحيوية الثقافية	إعداد الباحثة	195
10	الإدارة المتكاملة لبلدة معلولا	إعداد الباحثة	196
11	تراتبية تأثير الأبعاد الثقافية في العملية التنموية في معلولا	إعداد الباحثة	219

فهرس الأشكال

الرقم	اسم الشكل	المصدر	الصفحة
1	صورة جوية لمدينة هوتونغ-بكين	Google Earth	79
2	زقاق في هوتونغ	محرك بحث Google	80
3	السيخيهوان (البيت الرباعي)	Tibet Heritage Fund International، Beijing Hutong Conservation Plan	80
4	صورة علوية لبيوت هوتونغ-بكين	Tibet Heritage Fund International، Beijing Hutong Conservation Plan	81
5	صورة جوية لمدينة القاهرة	Google Earth	84
6	شارع المعز لدين الله - القاهرة	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	85
7	منظر عام لمدينة القاهرة من مئذنة جامع المؤيد	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	86
8	أطفال في سوق السلاح في القاهرة	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر	90

		العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	
9	شعار مشروع الحفاظ والإدارة في القاهرة التاريخية	إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.	91
10	صورة جوية لمدينة دمشق	Google Earth	91
11	سوق الحميدية عام 1890	http://forum. te3p. com/535650.html	93
12	دمشق القديمة – باب توما – بعد الترميم	إعداد الباحثة	98
13	بلدة معلولا	محرك بحث Google	109
14	البلدة القديمة	محرك بحث Google	109
15	معلولا	Google Earth	112
16	دير مارتقلا	إعداد الباحثة	117
17	دير مارجورجيوس وباخوس	إعداد الباحثة	118
18	المقابر في الفجوج	إعداد الباحثة	120
19	أحد كهوف معلولا	إعداد الباحثة	121
20	البلدة القديمة في معلولا	إعداد الباحثة	122
21	الحصن الغربي في معلولا	إعداد الباحثة	123
22	درج في بلدة معلولا القديمة	إعداد الباحثة	123
23	بيوت معلولا	محرك بحث Google	124
24	مفردات معمارية متنوعة من معلولا	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	128
25	دير مارسركيس	محرك بحث Google	135
26	دير مارتقلا	محرك بحث Google	135
27	تمثال سيدة السلام في معلولا	محرك بحث Google	136

28	تمثال السيد المسيح في معلولا	محرك بحث Google	137
29	صناعة الدبس في معلولا	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	141
30	صناعة الخبز المعلولي	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	141
31	صناعة الزبيب في معلولا	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	142
32	لوحة للفنان لؤي كيالي عن معلولا	www. louay-kayali. com	143
33	صورة التقطها الفنان المصور فرج شماس لمعلولا	محرك بحث Google	144
34	الأيقونات في دير مارتقلا	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	144
35	نقش في منطقة حمام الملكة	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	145
36	اللغة الآرامية المكتوبة	محرك بحث Google	146
37	عيد الصليب في معلولا	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	149
38	الأراضي الزراعية في معلولا	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	150
39	صورة جوية لمعلولا	Google Earth	154
40	مجرى سيل في معلولا	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	158
41	جيولوجية الأرض في معلولا	دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.	159

42	الفج الشرقي	إعداد الباحثة	160
43	الفج الشرقي	إعداد الباحثة	161
44	الفج الشرقي	إعداد الباحثة	161
45	المغاور في معلولا	إعداد الباحثة	162
46	المغاور في معلولا	إعداد الباحثة	163
47	صورة جوية لبلدة معلولا عام 1958	إدارة المساحة – وزارة الدفاع	164
48	صورة جوية لبلدة معلولا عام 1976	إدارة المساحة – وزارة الدفاع	165
49	صورة جوية لبلدة معلولا عام 1998	إدارة المساحة – وزارة الدفاع	165
50	صورة جوية لبلدة معلولا عام 2004	Google Earth	166
51	صورة جوية لبلدة معلولا عام 2012	Google Earth	166
52	شارع في معلولا القديمة	إعداد الباحثة	197
53	معلولا بعد بدء أعمال التأهيل والترميم	إعداد الباحثة	199
54	الفج الشرقي	إعداد الباحثة	201
55	المجتمع المحلي	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	201
56	المجتمع المحلي	معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY	202

المـــــــــــراجع:

- **المراجع العربية:**

1. ابراهيم، عبد الباقي، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية.
2. ابراهيم، عبد الباقي، 1986: المدخل للارتقاء بالبيئة العمرانية للمدينة، ندوة الإرتقاء بالبيئة العمرانية للمدن، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مطابع دار الشروق، القاهرة.
3. أبوزيد، أحمد، 1966: البناء الاجتماعي، الجزء الأول المفهومات، مع المفهومات، الدار القومية للطباعة والنشر، الاسكندية.
4. أبوسمرة، غريغوريوس، 1951: تاريخ معلولا، منشورات مجلة الرسالة المخلصية.
5. أبوعياش، عبد الاله، 1980: أزمة المدينة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت.
6. بريجارد، إيفانز، 1960: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبوزيد، منشأة المعارف للنشر والتوزيع، الاسكندرية.
7. البياتي، علاء الدين، 1975: علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الأعلمي، بيروت سويف، مصطفى، 1983: مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة.
8. تيماشيف، نيقولا، 1982: نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمد عودة وآخرون، دار المعارف للنشر.
9. الجاني، دينا، 2009: الاتجاهات المستقبلية الفضلى لتوسيع مدينة دمشق بمساعدة تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS للعلوم الهندسية، دمشق.
10. الجوهري، محمد، 1997: علم الاجتماع الريفي والحضري، دار المعرفة الجامعية.
11. الحسيني، محمد، وآخرون، 1979: دراسات في التنمية الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة.
12. الحسيني، السيد: دراسة في علم الاجتماع الحضري، دار المعارف.
13. الحنفي، عبد المنعم، 1978: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الجزء الثاني، مكتبة مدبولي.
14. حيدر، علي، 1982: التغير الاجتماعي والتنمية، دار الثقافة، القاهرة.
15. خضور، يوسف، 1994: التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، منشورات جامعة دمشق.
16. دغمان، موفق 2011: الشروط الفنية لمشروع تأهيل وترميم واجهات معلولا والأعمال المتممة، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.
17. دغمان، موفق 2011: مخطط إدارة موقع مدينة معلولا التاريخية، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.
18. دغمان، موفق 2011: مشروع تأهيل الفج الشرقي، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.
19. دغمان، موفق، 2011: دليل معلولا المعماري والعمراني، مكتب دمشق للعمارة والتراث، دمشق.
20. الدغيري، محمد، النفايات الصلبة تعريفها أنواعها طرق علاجها، سلسلة ثقافية جغرافية.
21. دوركايم، أميل, ترجمة محمود قاسم, 1950: قواعد المنهج في علم الاجتماع، القاهرة.
22. رشوان، حسين 1988م: دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة.

23. رشوان، حسين، 1988: دور المتغيرات الاجتماعية في التنمية الحضرية، المكتب الجامعي الحديث.
24. زايتلف، أرفنج، 1989: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة محمد عودة وآخرون، منشورات ذات السلاسل، الكويت.
25. زهدي، بشير 1987: معلولا المدينة الأثرية والسياحية النموذجية منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق.
26. الزيات، حبيب، 1982: خبايا الزوايا في تاريخ صيدنايا.
27. الساعاتي، سامية، 1983: الثقافة والشخصية، مركز الكتب الثقافية.
28. سعيد، كمال، وآخرون، 1978: علم الاجتماع الحضري، دار المعارف.
29. سليم، شاكر، 1970: الجبايش، مطبعة العاني، بغداد.
30. السيد، السيد: علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية.
31. السيف، أحمد، 1417هـ: المحافظة على التراث العمراني أهمية وسبل المحافظة عليه، مجلة المهندس، اللجنة الهندسية، مجلس الغرف التجارية والصناعية، السعودية.
32. شاهين، محمود 2009: ذاكرة الصخر والإنسان، ملحق ثقافي، جريدة الثورة.
33. شندي، إسماعيل، 2010: محاضرة الثقافة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة.
34. الشهابي، أثناسيو، قتيبة، متري، 2004: أديرة وكنائس دمشق وريفها، موسوعة كنائس دمشق، المجلد الثالث، دمشق.
35. صالح الزوي، لوجلي، 2002: علم الاجتماع الحضري، منشورات جامعة قار يونس.
36. الصاوي، علي، 1997: نظرية الثقافة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
37. الطائي، الفلاحي، إيمان، حسن: التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 11، بغداد.
38. طحلاوي، رضوان 2004: تقرير المرحلة الأولى لدراسة تأهيل وتنظيم بلدة معلولا، الوحدة الجامعية للدراسات الهندسية، دمشق.
39. عابدين، يسار، 2009: الدلالات الثقافية للبيئة الفيزيائية والطبيعية في منطقة وادي النضارة، بحث مقدم لقسم التخطيط والبيئة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق.
40. عباس، حسان 2010: مشروع بناء الخارطة الثقافية في سورية المنطقة النموذجية الأولى، الأمانة السورية للتنمية، مشروع روافد، دمشق.
41. عبد المعطي، الهواري، عبد الباسط، عادل، 1986: النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
42. العبيدي، ناظم، 1990: علم نفس الشخصية، دار الحكمة للنشر.
43. عطفة، نتاليا 2009: الدراسة الإقليمية لمناطق التل وصيدنايا ومعلولا، الشركة العامة للدراسات والاستشارات الفنية، دمشق.
44. عطية، د. عماد، عاطف، عبد الغني، 2002: البيئة والإنسان، دار المختارات، بيروت.
45. العقيد الركن أبوجودة، الياس، 2012: الطاقة المتجددة وتداعياتها الاجتماعية والاقتصادية، مجلة الدفاع الوطني، لبنان.
46. علام، أحمد، 1983: تخطيط المدن، الانجلوالمصرية، القاهرة.
47. عماد، عبد الغني، 2008: سوسيولوجيا الثقافة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

48. عياشي، الياس ، 2008: الخدمات السياحية الفندقية والتنمية الحضرية في جيجل، جامعة منتوري قسنطينة.
49. غيث، السيد، محمد، غريب، 1989: علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية.
50. غيث، محمد عاطف، 1982: الموقف النظري في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
51. فارس، رهام، 2008: استراتيجية الارتقاء بالبلدات التاريخية القيدمة، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية.
52. الفاروق، زكي، 1978: الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة.
53. فرح، محمد سعيد، 1977: ما علم الاجتماع، منشأة المصارف للنشر، الاسكندرية.
54. قرم، جور، 1997: التنمية البشرية المستدامة والاقتصاد الكلي، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 6، الأمم المتحدة، نيويورك.
55. كادنز، ابراهيم، 1967: مفهوم تركيب الشخصية الأساسية، تحرير رالف لنتون، ترجمة عبد المالك الناشر، المكتبة العصرية، بيروت.
56. كرياكي، راما، 1996: معلولا التاريخ والآثار، مكتبة الأسد الوطنية، دمشق.
57. الكندي، أحمد مبارك، 1992: علم النفس والحياة المعاصرة، مكتبة الفلاح، الكويت.
58. لوير، روبرت، 1977: وجهات النظر حول التغير الاجتماعي.
59. مدبولي، محمد عبد الخالق، 1979: تحليل المفهومات التربوية عند فلاسفة التربية التحليليين، الجامعة الأردنية، الأردن.
60. مذكور، ابراهيم، 1975: معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، مصر.
61. المصري، محمد أمين، 1980: المجتمع الاسلامي، منشورات دار الأرقم، الكويت.
62. معتوق، فريدريك، 1991: المعرفة، المجتمع والتاريخ، جروس برس، لبنان.
63. معتوق، فريدريك، تطور علم اجتماع المعرفة من خلال تسعة مؤلفات أساسية، دار الطليعة بيروت، 1982.
64. نصر الله، الياس، الموسوعة العربية، المجلد التاسع عشر، العلوم الإنسانية، التاريخ والجغرافية والآثار، معلولا، هيئة الموسوعة العربية السورية.
65. نصر الله، الياس، 2002: أو ابد المعلوليين ومآثرهم، سلسلة معلوليات، الكتاب الثاني، دمشق.
66. نصر الله، الياس، 2002: معلولا حكاية الإنسان وقدسية الأرض واللسان، سلسلة معلوليات، الكتاب الأول، دمشق.
67. نصر الله، باسيليوس، 1913: في معلولا الحاضرة، مجلة المسرة.
68. النوري، قيس، 1990: الانثروبولوجيا النفسية، دار الحكمة للنشر، بغداد.
69. النوري، قيس، 1972: طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة الادارة.
70. النوري، قيس، 1983: المدخل إلى علم الإنسان، دار الكتب للطباعة، الموصل.
71. النوري، قيس، 1985: النظريات الاجتماعية، مطابع جامعة الموصل.
72. همام، حسين، وآخرون، 1982: مدخل إلى علم الاجتماع، دار الثقافة.
73. وصفي، عاطف، 1977: الثقافة والشخصية، الشخصية المصرية التقليدية ومحدداتها الثقافية، دار المعارف، مصر.

- **المراجع الأجنبية:**

74. Allen، Francis R، 1957: Technology and Changes، Appleton-Century-Crofts Sociology Series، New York.
75. Arqawi, Abir, 2003: Protection and Promotion of the Cultural Heritage of Um Ar Rasas.
76. Bergel ,Egon, 1955: Urban sociology, series of sociology and Anthropology, Macmillan Hill book company, New York.
77. Burns, Ross, 1994: Monuments of Syria, An Historical Guide, London.
78. Charles N, Glaab, Brown, Theodore, 1967: A History of Urban America, Mac Millan Publishing Co, New York.
79. Cullen, Gordon, 1961: Townscape, Arciterctural Press, London
80. Deutsch, 1960: The effect of cooperation and competition, upon group process, Havper.
81. Evans, 1940: The Nuer, oxford.
82. Firth, R. Human. 1943: Types Some Principles of Social Structure. New york.
83. Fortes, m and others, 1949: Social Structure Oxford.
84. Forrester, Jay, 1971: World Dynamics, Cambridge.
85. Freud, 1922: Group Psychology and Analysis of the Ego، Hogarth، London.
86. Gallion، Eisner، Arthur B، Siimon، 1965: The Urban Patterns، City Plannong and Design ،Van Vostrand Reinhold company، Affiliated East-West Press، New Delhi.
87. Gilberd، Fredrick، 1959: Towns and design، The Architecture Press، London
88. Heer، David: Society and Population، Foundation of Sociology series، New Delhi
89. Human، Firth R، 1943: Types some Principles of Social Structure، New York.
90. Le Corusier، 1971: The City of Tomorrow and its meaning، The Architecture Press، London
91. Mack، Raymond ، 1962: Principles of Sociology، Kimball Young Neville of gies
92. Melville C، 1975: Urban Planning Theory، Community Development series، Halsted Press.
93. Pichon. Frédéric،: Maaloula (XIXe-XXIe siècles). Du vieux avec du neuf، Enjeux religieux: Maaloula ou l'Orient immmobile chrétien، paris.
94. P. Sorokin، 1947: Society، Culture، and Personality: Their Structure and Dynamics، a system of General Sociology، Harper's Social Sciences series، New York.
95. Radcliff G، 1940،:Stucture and Function in Primitive Society، The Nuer، Oxford، London.
96. Raymond W. Mack 1962: Principles of Sociology، Kimball young Naville of gies.
97. Rivers، W. H. R، 1957: Social Organization Castes، London.
98. Robertson، 1977: Lon Sociology، N. Y Worth.
99. Rosenau، Helen 1970: Social Purpose in Architecture، Paris، and London Compared، Studio Vista.
100. Ruth ،B. 1957: Petterns of Culture، New York.

101. Talkot، 1951: toward a general theory of social action، University of Harvard.
102. Tibet Heritage Fund International، Beijing Hutong Conservation Plan.
103. Toynbee، Arnold، 1970: Cities on the Move، Oxford University Press.

- **مراجع أخرى:**

104. إدارة مواقع التراث العالمي بجمهورية مصر العربية، 2012: مشروع الإحياء العمراني للقاهرة التاريخية، منظمة اليونيسكو، مركز التراث العالمي، القاهرة.
105. استبيان برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM 2008/2007.
106. برنامج تحديث الإدارة البلدية MAM، دمشق، 2008/2007.
107. التعداد السكاني لريف دمشق عام 1981.
108. التعداد السكاني لريف دمشق عام 1994.
109. مرسوم تشريعي 222 الصادر في 1963/01/26.
110. المكتب المركزي للإحصاء، تعداد 2004.
111. منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1965م، محافظة ريف دمشق.
112. منهاج الوجائب العمرانية الخاص بالمخطط التنظيمي لعام 1998م، محافظة ريف دمشق.

- **صفحات الإنترنت:**

113. http://ar. wikipedia. org/wiki/ معلولا
114. http://whc. unesco. org/en
115. http://whc. unesco. org/en/criteria/
116. موقع اكتشف سورية، http://www. discover-syria. com/bank/2579
117. مروة كريدية، معلولا راهبة هاربة من الأساطير، http://www. ankawa. com/forum/index. php?topic=219883. 0;wap
118. (http://www. qenshrin. com/church/church. php?id=15) موسوعة قنشرين للكنائس والأديرة
119. (http://www. qenshrin. com/church/church. php?id=15) موسوعة قنشرين للكنائس والأديرة
120. http://www. syrian-orthodox. com/readnews. php?id=1307
121. معلولا قصة تحكي تاريخ آلاف السنين- الوكالة العربية السورية للأنباء – سانا - http://www. ankawa. com/forum/index. php?topic=188035. 0;wap2
122. http://qatanaorthodox. wordpress. com/category/مناسبات-وأعياد/
123. د. وحيد امام الجمعية الافريقية للتنمية المستدامة، 2012، http://kenanaonline. com/users/AASD/posts/397732
124. ديمة داوودي، جهينة، http://www. atinternational. org/forums/showthread. php?t=7695
125. سامي الصائغ، جريدة الثورة، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، السبت 25-5-2013، http://thawra. alwehda. gov. sy/_archive. asp?FileName=98870864020130524224208
126. ar. wikipedia. org/wiki/بكين .

127. قائمة التراث العالمي، منظمة اليونيسكو، http://whc. unesco. org/en/list/
128. معلولا حكاية أرض وتاريخ https://www. facebook. com/MAALOULAHISTORY
129. موقع راديو أبانا http://www.radio-abana.org

The Hierarchy of The Impact of The Cultural Dimensions in Development Map

Introduction:

"Unless culture is considered a given and heritage which moves from generation to generation it is a historical output, i.e it is a structure exists in the records of the history,precisely, in the history of social groups among each other, and in order to analyze a certain cultural system, we have to analyze the social - historical situation which produces this system as it is[1]".

Syria has a civilized cultural and archeological heritage which is very ancient, popular, and distinguished, and which represents an intellectual and religious diversity.

Syria also has a lot of cultural treasures that we have to preserve and treat in a special way since they constitute spectra and variations for the mosaic of the cultural scenes.

There is no doubt that the developing countries elevated in the ladder of growth by the help of the perseverance of Syrian governments to work to raise the level of welfare and the adequacy of its people throughout the implementation of plans for a phased, social and economic development, these efforts are listed under the intended change.

There is also a technical factor whose system contains all the updated innovations in different lifelines such as the cultural, industrial, educational, health, media, promotion or communicative field, and even the household appliances and what results from them like the social and cultural changes whose effects reach all society.

One of the factors, which we can't ignore its effects in the process of change, is the ecological factor. It is known that its effect is slow, and that is because the climatic changes such as the scarcity of rain causes drought and desertification.

[1] George Balandeh, Political Anthropology, translated by Ali Al-Masri, University Establishment for studies and distribution, Beirut, Second Edition.

This makes living impossible in many places which was inhabited before. This causes the migration to other areas which results a change in the morals, traditions and the ways of earnings.

The media factor with its various means transmits ideas, lifelines and traditions in an attractive way using selected and studied messages and contents spreading their effects over the developing societies especially the urban ones which makes them compete, struggle and interact with ancient and traditional ideas and ways leading to form a good mixture replaces what has prevailed reaching the social change.

This research aims to describe and analyze some of the features and trends of the social and cultural change in addition to the urbanization in the Syrian society in order to reveal the factors which affect them and to know more about the social morals that have an essential change, in addition to the trend which the change takes, and also it includes realizing the growth of the social life and its development within the studied sample.

We can identify the problem of the research throughout the following question:

What is our cultural field?

What is our field? What are its manifestations? Whatare itsdimensions and intersections? What are our perceptions?What areconceptions about it? Why is it ancient to the extent?

that went back to the depth of history? How do we use?

How do we make use of it? What are its references and backgrounds? Does it have a realistic and factualexistence?Or is resulting from definition structure andconvenience? Isit possible to it to be a virtual scene or globe? How do people develop a region of cultural valuebearing in mind the requirements of contemporary life,economicand social situation of the population?

Preparing the developmental map of the society on the basis of studying the cultural dimensions of this societyhas great importance because this map gives a Factualimage ofwhat the society needs in the Frame work ofthe development .

Throughout the preparation of the map, the developmental objects appear.

These objects benefit the society. In addition, they allow The workers to know their situation, and to deal with it in a way that allows developing it.

The study of the Syrian variables which affect the developmental map has many objects.

This study is creative process show the development objects which we look forward to see it, and this studyaims to:

1- It is considered a planning method to achieve the socialcultural development .

2- It documents the historical heritage of the society.

3- It is a method tocreate group awareness of the civilized history of the society and the way of its social and economic usage.

4- It facilitate the process of setting the economic and social strategies.

- **The Theoretical Directions in the Study of the UrbanDevelopment:**

This chapter speaks about the theoretical directions which explain the process of the urban development and the roleofthe Family and the relatives‘ relations in the process of development.

Then the research reaches to the conclusion that there are many theoretical directions in the study of the urban development .The most important direction is the comparison between the country side and city,in which The sociologists are interested in remarkable differences among the civilized societies and the urbanized societies, and the historical direction which portraits the development of the urban societies and the change of the rural areas to urban ones, and the economic direction which considersurbanization a developed stage out of the human economic development stages, and the demographic direction which considers the population, density, gender distribution, species structures, the types of births, the types of deaths and migration of big importance in the process of urbanization, urban growth and the ideal analysis considering it as independent discourse, and the scholar reaches it by identifying the properties accompanying for a subject or a certain phenomenon, and the ecological direction where the essence of city is throughout putting a big number of people in a relatively small space, and the psychological direction which aims to discover the psychological

pressures, and the individuals' positions in a trial to understand the complicated human circumstances in the urban areas, and the organizational which means the direction to the social organizations which are more complicated, and the political and administrative direction which looks at the city form the political and administrative prospect and that is because its political dimension is identified by being an administrative center, and possibility of developing the third world requires knowing the history and culture of those states and its social structure in the past and present. There should also be a necessity to adopt new values, concepts and characteristics which contribute to the activation ofthe developmental process with dependence on self taking into consideration having natural and human resources and the rational investment for those resources. In the age of urbanization, the family is no longer a commission that plays a role in the process of social bringing up. Many specialized educational commissions out of the family frame have done this task. Even though, it is wrong to claim that the family and education are considered two separate systems. Many studies have referred in the intersecting have led to liberate the family from some of the pressures, to which the family submit, in order to enable the individuals benefit from the chances which the continuous changing technology give them. The education separates the proletariats from its families which leads to destabilize the relation between the individual and the family, and between the individual and the land,and to allow the geographic movement from family to factory and from village to urbanism .The change of the relatives' relation have contributed actively to modifying and preparing the social row which leads to the urban development. Industry and family are two related issues and each one of them is a reason to change the other one. But if the separated family has been found before manufacturing, this assures that the family is considered a stable variable, and manufacturing and urbanization are considered a dependent variable. From what mentioned before, we find that the family has a great role in drawing the image of the society and

its traditions and its transmission which affects the cultural formation of the society, and this leads to change the cultural map of some area and affects the development process in it.

- **The Role of Cultural Changes in Sustainable Urban Development:**

The social change is an existential fact; in addition, it is a general phenomenon and major property the activities and life's incident are characterized by. It is a life necessity for all human societies and it is a matter of their survival and growth. In addition, because of the change, it can adapt with its reality, and the change will achieve the balance and stability in their structures and activities, and the requirement of their individuals and diverse and renewable needs will be changed too. The change has played a positive role in the origination of many natural sciences and human studies. The phenomenon of change has drawn Man's attention since the time Man has been thinking of existence where he hasnoticed them in the movement of orbs and its movement from place to place, and Man has seen them in the succession of night and day. Then, his imagination and thought have to legendary mythological explanations, and to theological explanations ended with establishing astronomy and orbs. This chapter studies the concept of the cultural and social change, and the aspects which lead to this change. This research differentiates between the concepts of development, advance and change. It also differentiates between the concepts of social change and cultural change. There is no way to give special aspects for the change in the material side and other aspects in the non-material side. As a result, the cultural change is what happens as a change in the two sides of culture whether it is material or non-material and in all aspects of society (language, art, traditions, habits, the change of priorities, the scale of values and technology……). Accordingly, the social change becomes

a part of the cultural change in addition to this material frame. So, not all cultural change are social change, where as the opposite is true. This change contributes to draw the cultural map which is considered the first influence in the process of urban development. The aspects of social and cultural change are not interpreted in one aspect and not even in the major aspect. The reality shows the support of many aspects to make a change. The development of economy and the process of manufacturing, for example, demand providing the trained workers.(Demographic and educational aspect), the raw materials (natural and geographic aspect), technology and sincere leaders, and directive and motivate ideology. Not all of them are of the same importance, so they are characterized by relativity according to the difference of time, place and circumstances. The aspects of change are summarized by many points beginning with the ecological and natural aspects which are represented in the components of the natural environment in which the Man lives. They contain the geographic location, topography, soil, climate and raw material. Second, the demographic aspects in which the population of people, their distribution and their combination are considered the most important aspects in making the social change. Third, the ideological and cultural aspects which are considered an intellectual, purposeful and motivating movement has positive effectiveness in social and cultural circumstance. In addition, their soul reflects in social bringing up and in morals and in behavior. Fourth, the technological aspects in which the new inventions leave a significant effect in the human societies. The technological creations of some culture are considered the major motive in the process of change. The industrial revolution and what accompanies of technological advance lead to make significant and important changes in the lifelines generally speaking, and in the social systems particularly speaking. Fifth, we have the economic aspects which consider the economic powers responsible, to a large extent, for

the developments and historical events that the human society experiences, and to the extent in which all the other aspects become of no importance. The Theoretical Bases which are accredited to study the Influence of Social and Cultural Dimensions in the process of Sustainable Development: In this chapter, the research speaks about the concept of social structure, its theoretical bases, the concept of cultural formation and its theories moving to the sustainable development and its relation with culture and cultural institutions. Throughout what have been shown in the chapter form theories, ideas, and different opinions regarding the social structure and the sustainable development, we can conclude: That Man is, generally speaking, the axis and basis of the social structure, and different social frames depend on Man, so he controls the systems of which the societies are built. If Man good too. So that, everyone, who can take a decision in the benefit of Man's care, his protection and his development, have to be interested in Man's culture, his development, renewing his ideas and ambitions, and to put programs and plans to make him able to keep up with the development which is happening in the world. If we want to reach to a society in which knowledge and morals prevail, we have to plant them in Man first. Then, these knowledge and morals prevail all over the society after that. On the contrary, if we ignore the knowledge and morals, the social structure cracks by time because of all kinds of threats which the society experienced and which target its structure and internal entity. We all have to be interested in Man and to establish the institution which we need to develop and renew Man and to build the system of his ideas according to the rules of his nature, and we also help him to comprehend a large amount of information which he experiences every day. In addition, we help him to build his character to make him more active in society .This will enable him control the events not allowing these events to control him. It is necessary to prepare an environment which is

suitable for Man to overcome the environmental circumstances to serve him which leads to serve the society. Moreover, we have to reform his behavior by means of making organized change in the laws of environment in which one can reach a human from whose characteristics are perfect, and by this, he will become an active and effective member in society. Man has a significance role in the cultural structure of society, especially that he formulates the ideas and values, and he preserves them, he is also considered an active element in the culture of any society. It is clear that the interest, taking care and qualifying him will contribute to find out Man who is able to face difficulties which the world cultural invasion enforces to try to cancel the local identity. The theories of social structure are summarized by the fact that the people of the theory of respond look at the group an analytical look. The people of the theory of whole are interested in group as a whole. In addition, the theory of Static-Dynamic has studied the social organization and the conditions of society's existence and its social structure. Brown in his theory, the binary relations, assures the major units which compose the social structure are represented by the individuals who practice social roles. Brigard in his theory, the permanent relations, considers that the social structure consists of a row of independent buildings. Robert Redfield in his theory, he doesn't only study the binary relations but he considers the permanent relations too. Pearson's theory of action assures the personality by describing it as an instrument of action in which Man participations to achieve the organized expectations of the roles of the social structure. The Islamic theory says that the motives of the origination of societies are based on three major points represented by the marriage law, recognition and exchanging benefits. The theories of cultural formation are summarized that the theory of the soul of culture, by Lsaibar and Horf, sees that any culture that is characterized by a certain "soul", and it is a group of mere psychological characteristics

which are concluded from the analyze the cultural subject. The theory of the method of looking at life, by Redfield, is known as the external look to faces. The theory of major structure, by Abram Gardener, assures that the individuals of society who carry one culture participate in certain characteristics for personality. The national theory, by Walas, is specialized by the study of political states and it identifies the individual's personalities. The theory of the temper of culture, by Roth Bendict, is interested in emotional formula of behavior which is socially stylized. The theory of the characters of the center, by Linton, has derived from the theory of the temper of culture by Roth Bendict and the binary temper which is based on kind. This theory has been implemented in social centers, such as the child's centers, the husband's centers, and the mother's centers. The theory of themes, by Oblar, assures that every culture has a limited number of values, ideas and directions turn around the components of happy life and the real objectives of the human existence. The theory of the pattern personality, by Linton, is different because it represents the statistical heterogeneous composition.

- **Scientific, Arab and Local Experiments in the Process of Preservation and Development:**

In this chapter, the researcher has studied a group of global, Arab and local experiments in the process of preservation and development similar to the case study, Maaloula, in terms of the exceptional global value and the importance of the cultural resources which are available there.

1- On the international level, the city Hutong Beijing :

The city of Hutong Beijing in China is considered one of the oldest ancient cities which are inhabited, and it has big human and cultural heritage which is represented by the local inhabitants in addition to the

fact that Hutong is historical ancient city which has it special architectural type and a special architectural method. It has a general prevailed pattern which is the squared houses for big families, and the planning of streets has the alleys form, the city is a squared shape. Hutong has cultural non-material resources in addition to the special practical. The citizens of the city have special traditions and habits springing from their nature and the nature of their beliefs. In the strategy of the development, the management of planning cities, protecting the cultural ruins, the management of housing, the economic management, the general security and the management of population, The management of environment and cleaning, the green management, tourism.

2- On the Arab level, the historical of Cairo:

The historical city of Cairo and its preservation policy and the practiced development in it are the causes of its selection because it has wonderful characteristics. Beginning with the nature of citizen, and the various models of building which are existed there that went back to different ages. Cairo is considered a rich city according to ruins, artistic archeological pieces, architectural formulation, and traditions. The most important thing in the strategy of development is the awareness campaign about the importance of historical city of Cairo and the exceptional global value because of what the city gas as cultural resources of all material types, stable assets, movable, non-material, practical and natural.On the local level, the campaign has worked to support the relationship between people and the historical city of Cairo, bearing in mind concentration on the their role in rehabilitation the site and preserving it. To achieve that goal some tools have been selected, and the steps of work have been implemented to prepare social, cultural and economic advantages for the citizens of the historical city of Cairo.

The objective is awareness of the special values of the heritage on the spreading people level in city in its communication with the statement of the exceptional world value. Because of the diversity of the target audience in the campaign, the campaign has been designed to address the demands and expectations.

3- On the local level, the old city of Damascus:

The project of integrated plan for preservation and development of the old city of Damascus was a good sample which can be studied because of what Damascus has of local, Arab and international importance, taking to consideration that Damascus is considered the oldest capital city which is still inhabited till the present time, and because of the large number of civilization which has cascaded since the dawn of history till now. It contains a lot of cultural resources which constitute, despite different importance, developmental opportunities which were benefited in the plan of preservation and development in addition to that the plan assures the management of the site in an integrated way to make use of all the available cultural resources. The integrated plan for preservation development in the old city of Damascus shows a series of necessary of interventions to protect the location of the international heritage, and at the same time to preserve the role of the old city as an active economic center, and a multi-income residential area, and it also suggests a series of interventions in the area of protection outside the wall which aim to improve the traffic cycle, to provide parking for cars and to provide help for completing activities.

The plan classifies the interventions between enormous material projects or mere simple interventions, providing the technical help and organizing the finance by low benefit loans for the owners of properties to help them in the works of repairs and improvements.

The study of any case is done throughout several standards such as the cultural, natural, economic, architectural and constructional history, and throughout cultural resources which are available as a location of all kinds, and which we have to benefit from it in drawing the plans of development that is related to the study case area, in addition to the privacy of each area and the applicable plan of the administration. This is very clear in the former three cases.

This is what is going to be applied in the study case in the next chapter, Maaloula town, in which the research will display the importance of Maaloula city and the standards of its selection as a case study. After that, it moves to study the cultural resources of all kinds in Maaloula.

Then, it moves to discuss these resources and define its hierarchy and the best mechanism to make use of them in the developmental process to conclude the general results which show the hierarchy of the cultural dimension in the developmental process for any area and in drawing the national developmental map.

- **The role of the cultural variables in the process of Urban Development-case study /Maaloula/:**

The role of the cultural variables in the urban development /Maaloula/

The definition of the case:

- General information
- Linking roads

The standards of the selection:

- Historical cultural standards.
- Natural standards.
- Economic standards.
- Architectural and constructional.

Historical overview:

- Before history.
- Aramaic.
- Greek, Roman, Byzantine.
- Christian.

The cultural resources

This research has studied the Maaloula town and various cultural resources available in it where we have found:

Maaloula contains significance historical landmarks. The most important landmarks are the monasteries, churches, stone roads, important, ancient and Christian ruins such as ancient Byzantine church sculpted in stone in the heart of the mountain.

There is also the Patriarch Martakla monastery. The houses of Maaloula town are characterized by the height of some of them above the layers where the one layer is no more than one house. The roofs of the houses turn into alleys and crossings for the houses above them to have a distinguished type.

The ruins, huge stone, caves, cavern curved in stone which the ancient man has live speak about the story of the history of thousands of years.

Maaloula is rich in all kinds of cultural resources starting with material resources like ruins and religious and touristic sites to service and cultural buildings, and its architecture, to mobile cultural resources like various foods and drinks for which the town is famous, and the handicraft and artistic works.

There are also the material resources which have a special importance in the town because it has a big particularity either because of the Aramaic language which the people speak , the religious and daily life stories, religious rituals and widespread books, or handicraft, agricultural, practical and cultural resources and intellectual activities, or its natural resources including geographic, topographic, geological and climatic features which contributed to preparing the suitable circumstances for

the town to basically depend in its urban development on its cultural resources, and so that these resources have the priority and the prominent role in increasing the living standards and developing the town.Putting the study area within a cultural frame work that can adjust its development processes. Studies in this field proved the failure of development methods which move away from the cultural component of development, and although degrees of development were achieved, they were consuming cultural, social and environmental dimensions which can‘t be compensated in most of its port.The costs of compensating the little remaining parts are times the total gain of achieved development. The importance of the research comes from studying the change of the effect of the special local culture on the architectural products of in habitant gatherings and natural environment of the studying area. This importance comes from linking the change of the place with the effects of architectural legislators and modern planning bases used in all areas. Depending on population without considering the heritage and cultural characteristics and the natural developmental resources, and without the participation of local community in putting the characteristics which determine the present and future features of the place and preserve the authenticity of the past.Their successive organizational chants didn’t invest the resources and potentials of the town correctly ,On the contrary, they weakened their role in development process causing its deterioration. This requires us to work on activating it once again. The research becomes more important with the possibility of considering the construction of product and the natural environment which can be counted upon in development processes. In the next chapter, the research will present asset of projects and developmental future visions both statistical and vital forward looking based on investing cultural resources of all kinds in urban development, so that the cultural component becomes the first pillar of the development process. Analyzing the

Cultural Resources in Maaloula: Through the study of the culture and social changes role in urban development process and the role of the family and the social entity in this evolution, we find that the cultural resources in any area have the biggest effect on developmental process .forming the cultural map of any area or state provides a clear idea of the available potentials of the area, and thus they can be exploited optimally and developmental opportunities can be created in light of these potentials of material and non-material resources that contribute to the mosaic of the cultural map of any area. Achieving the organic interdependence between developmental plans and projects depends largely on the political decision which the authority in any country takes, and on public participation to implement the objectives of the sustainable development. The organizational charts in the historic towns of cultural importance used unified architectural standards, and as a result all the towns looked alike without taking in to account the social, climatic, geographic or cultural dimension of each of them. It is known that the old, historic towns are a mirror in their social values rooted in the public traditions and habits, and so achieving a constructional domain compatible with social, cultural, climatic and geographical particularities from the constructional and architectural sides which meet the demands of modern life on big challenges. Proposed projects:

1-The organizational and constructional needs until 2025. Through the result of estimating the future population of 2025, the population was estimated as following: Number of Residents 6000. Number of Holiday wake 4000. The total population: 10000 people. On light of this estimation, needs and required spaces will be deter wined.

2- Projects proposed as Development Opportunities:

2-1: Statistical Developmental projects: They are the statistical based proposed projects which are based on analyzing the current situation in estimating the future needs.

First: Spaces Required for the Residents (6000people).The studs shows that the population area is estimated by 20 Hectares .The Area of the other activities is estimated by 20 hectares and they include: Local roads+ services(administrative- health- educational)+ green spaces……etc.

Second: Areas Needed for the Holiday maker: (4000people): The study shows that the needed areas for the touristic movement are 40-50hectares.Thus, the total constructional area ranges between 80-90 hectares and includes the needed population area and non-population activities.

Non-population Activities: The following activities are suggested: educational, cultural, health, commercial and administrative, handicraft, entertainment and touristic, spiritual, in addition to open and green areas.

2-2 Vital, Cultural, Developmental projects: The results of past studies led to organizational charts put on statistical predictive basis and didn't take in to consideration the particularity of the cultural resources of Maaloula, which resulted in their failure. Since each town or has its developmental particularity, features and priorities which should be take in to account when putting the organizational charts, and since the cultural dimension is one of the most important developmental dimension sing in general, and in Maaloula in particular, we had to invest the cultural resources of this town to the maximum. This can be done through proposing some developmental projects that take the cultural dimension as a basis for their success. After reading the current situation and specifying problems, pot entails and cultural resources, and

after evaluating and restructuring the priorities of the organizational charts we can develop comprehensive proposals that make use of the hierarchy of cultural dimension and cultural map in the integrated urban development process. The proposed projects in the specified area are: First: site Management: It includes: Projects of rehabilitation and restoration-Activating the local community- site service- marketing-funding. Second: Cultural Sector.

- Aramaic language Academy: One of the most important fields of investing the Aramaic language in the region is the possibility preparing suitable environment and service structure that help learning it.
- Literary and Artistic forums: It is important to follow specific methodology to maintain the artistic works of Maaloula, on the one land and promote to attract new artists on the other land.
- Technology and Media: It is important to prepare comprehensive strategy of public relations and multimedia. Third: Educational Sector:
- Faculty of theological studies: Due to Maaloula status on the international Christian map.
- Touristic Institute: Due to the elements of tourist attraction Maaloula has, establishing a touristic institute is very important to develop the region.
- Agricultural Institute: Maaloula is a town of huge agricultural production. Fourth: Environmental Sector:
- Using Renewable Energies: To meet the needs and requirements of the developmental process resulted from the increase of energy consumption.

- Solid Waste Management: In view of the touristic and cultural importance of Malloula, special attention should be paid to this problem to commensurate with the importance of the town.

Conclusion:

Through the above study on the role of culture and social change in the urban development process and the role of the family and the social entity in this evolution, we conclude that cultural resources in any area have the biggest effect on the developmental process. Establishing the cultural map of a region or a state provides a clear idea of the available potentials in this region, so that they can be exploited optimally and developmental opportunities can be created on the light of these potentials of material and non-material resources that contribute in forming the mosaic of the cultural map of any region.

Achieving the organic interdependence between development plans and projects depends largely on the political decision taken by the authority in any country, and on the public participation to fulfill the aims of the sustainable development.

The sustainable development is the final aim of the government's effort to develop their communities, and their scientific tool to achieve that is using the methodology of social cultural planning.

Organizational charts in historic towns which have cultural importance depended on unified constructional standards and therefore all the town looked alike without taking into account the social, climatic, geographical or cultural dimension of each one of them. It is known that the old, historic towns are a mirror in their social values rooted in the public traditions and habits, and so achieving a constructional domain compatible with social cultural, climatic and geographical particularities from constructional and

architectural sides which meet the demands of modern life on big changes.

- The research discussed the importance cultural changes and their role in urban developmental process. In its theoretical part, it talked about the theoretical trends in studying the urban development, and then it studied the role of the family in urban development and the relationship between the social construction and cultural formation. Then it discussed the cultural changes in urban development process and project the theoretical study in its practical section on Malloula and reached the following results:
- There are many theoretical trends on studying urban development; the most important one is the comparison between countryside and city, the historical trend, the economic trend, the demographic trend, the typical trend, ecological and administrative trend.
- The possibility of spatial development necessarily requires knowing the history and culture of the states and their past and present social construction. There is also the necessity of adopting new values, principles and characteristics that contribute in activating the developmental process with self-dependence due to owning human and natural resources and the rational investment of those resources.
- Depending on the role of the family and the prevailing local culture in socialization, and linking it with the role of education and upbringing as two integrating systems. Then moving from this linking to globalization which cancelling identity and heritage.
- Depending on the role of the family in depicting the picture of the community its tradition and circulating it to maintain

the cultural formation of the community and enriching the cultural map and using it in spatial development process.

- The success of development process depends on considering cultural sides because the development of social change is a general phenomenon and a basic characteristic of the activities and events of social life, and this development is the way of keeping and evoluting them in place. By balanced change, stability in getting integrated material and moral results with the importance of the cultural history of the place can be achieved.
- A distinction should be made between the social and cultural change. The cultural change is the alteration on both material and morale side of culture and in all aspects of community whether in language, art, tradition, customs, the change of priorities and the scale of values and technology…….etc .Thus, the social change is part of the cultural change in addition to that material frame work.
- The cultural and social change is the interaction of many factors to make the change. The strength of one factor may change according to the change in the circum stances. They are not all at the same level of importance, so the strength is relative according to difference of time, place and circum stances.
- The factors of cultural change are formed by the natural and ecological factors including the geographical site, terrain, soil, climate and raw material, the population factors, ideological and cultural factors which are purposeful intellectual movement, technological factors, economic factors which are responsible of the development and historic events that the human community experiences.

- Attention must be paid to humans in construction and development processes, and it is important to prepare a suitable environment for them and to adapt the natural environmental circumstances and to try to reformulate their behavior by introducing examined changes in environment laws, through which we can have a human who is integrated in his characteristics and properties, belongs to the place, hold, its identity and thus can be an effective and influential member in spatial development process.
- Cultural and heritage characteristics of the place should be relied on and the natural developmental resources should be taken into account in any developmental process within the framework of participatory of the local community people in taking developmental decisions and putting the characteristics that define the past and present features of the place and maintain its originality. The constructional products and the natural environment should also be considered one of the cultural resources that can be counted upon in development process.
- Generally speaking, humans are the axis and basis of social construction. Various social frames depend on them because they run the systems on which communities are built. Humans have prominent role in the cultural construction of communities because they formulate and maintain thoughts and values, and they are the active element in the culture of any community. Focusing on humans, taking care of them and preparing them will contribute to creating a human who can face challenges imposed by the global cultural invasion which tries to cancel the local identity.

- The hierarchy of the effect of cultural dimensions should be put before starting the process of spatial development and defining its specifications in all stages. Using the hierarchy of cultural dimensions opens large horizons for the developmental process and contributes to the success of the process and its suitability of the local community.
- Maaloula is rich in all kinds of cultural resources starting with material resources like ruins and religious and touristic sites, to service and cultural buildings, and its architecture, to mobile cultural resources like various foods and drinks for which the town is famous, and the handicraft and artistic works. There are also the non-material resources which have a special importance in the town because it has a big particularity either because of the Aramaic language which the people speak, the religious and daily life stories, religious rituals and wide spread books, or handicraft, agricultural, practical and cultural recourses and intellectual activates, or its natural resources including geographic, topographic, geological and climatic features.
- The cultural resources in Maaloula contributed to preparing the suitable circumstances for the town to basically depend in its urban development on its cultural resources, and so that these resources have the priority and the prominent role in increasing the living standards and developing the town.
- Malloula has unique historic features, the most important of which are monasteries, churches, rocky paths, and ancient and important Christian ruins of the Christian history. Houses in Maaloula are distinguished by being on top of each other which gives them special style. Ruins, huge stones, caves,

caverns engraved in rocks which ancient humans inhabited narrate the story of thousands of years.

- Putting the study area within the frame work of a cultural map can adjust the paths of its development. Studies proved the failure of developmental methods which move away from the cultural component of development.
- The importance of the research comes from studying the change of the effect of the special local culture on the architectural products of inhabitant gatherings and natural environment of the studying area. This importance comes from liking the change of the place with the effects of architectural legislations and modern planning bases used in all areas depending on population without considering the heritage and cultural characteristics and the natural developmental resources, and without the participation of local community in putting the characteristics which determine the present and future features of the place and preserve the authenticity of the past.
- The successive organizational charts didn't invest the resources and the potentials of the town correctly; on the contrary, they weakened their role in development process causing its deterioration. This requires us to work on activating it once again. The research because more important with the possibility of considering the constructional product and the natural environment which can be counted upon in developmental processes.

It is necessary, at the end of the research, to provide some recommendations that serve the purpose of the research on the importance of cultural dimension and cultural map in developing

developmental strategies, and the importance of analyzing the cultural resources of a region on putting its development policies.

Recommendations:

- Depending on the procedures of the urban project to put the bases of the organizational charts to be more compatible with the requirements of change in the community, on the condition that it relies on the strategic axes determined by the organizational structure ad which direct the action according to priorities on top of which is developing the present city.
- The importance of parallel work on developing cultural resources, and updating the organizational charts to guarantee the success of the development strategy. The cultural resources are valuable developmental resources by themselves if managed correctly, Their material and morale contents represented the ruins, different sites, traditions, mentality and the community itself are the basic elements, and if they are managed rationally, the required development strategy can be achieved.
- Providing an institutional frame work suitable for executing the policy of constructional preservation of historic sites and the separating areas, with the ability improve the cooperation among different participating and concerned governmental apparatuses and institutions.
- Encouraging the coordination of civilization works and field artistic works through competitions, and adopting them to publishing them in the streets and squares of the city, since they are positive human interactions with natural environment and humans' passion for them and their desired influence on human entity and on the community as a whole.

- Putting and applying general protection measures of international heritage sites and the separating ones of protection.
- Working on activating the concept of integration between architecture (mother of arts) and aesthetics (the innate need of all humans).

  This is the basic which developed countries rely on in all constructional projects and civilization coordination as an integrated framework stemming out of the principles of civilization, culture and heritage.
- Enlarging the base of training and qualification in the field of protecting cultural and natural heritage, focusing on the importance of cultural and environmental awareness, activating legislations and developing them to protect the environmental and the heritage, calling on all researches and decision makes to deepen the studies of between the systems of heritage and environmental management on the one hand, and sustainable development on the other hand.
- Reconciling the different levels of urban development: the short-run, the long-run, local democracy and globalization.
- Studying the possibility of moving from big plans to big vital projects which the experience of Maaloula has emphasized, for the purpose of motivating the economy and attracting different investments.
- The necessity of not separating the procedures from the purpose which are affected to a large extent by the local particularities. It is necessary also to reconcile the two different ways of realizing the common action which are: stage management and the projection of future that stimulate the doers.
- The necessity of studying the cultural resources of constructional gatherings especially in historic areas to insert them within a cultural map that adjusts the paths of their development.

Syrian Arab Republic
Ministry of Higher Education
Damascus University
Faculty of Architecture
Department of Urban Planning and Environment

The role of cultural dimensions effects in the developmental map

Case Study “City of Maaloula”

Ph.D. Dissertation
Submitted for the fulfillment of the requirements of Ph.D. in Urban Planning

Submitted by
Rajaa Ebrahim

Supervisor
Prof. Mohamad Yassar Abedeen